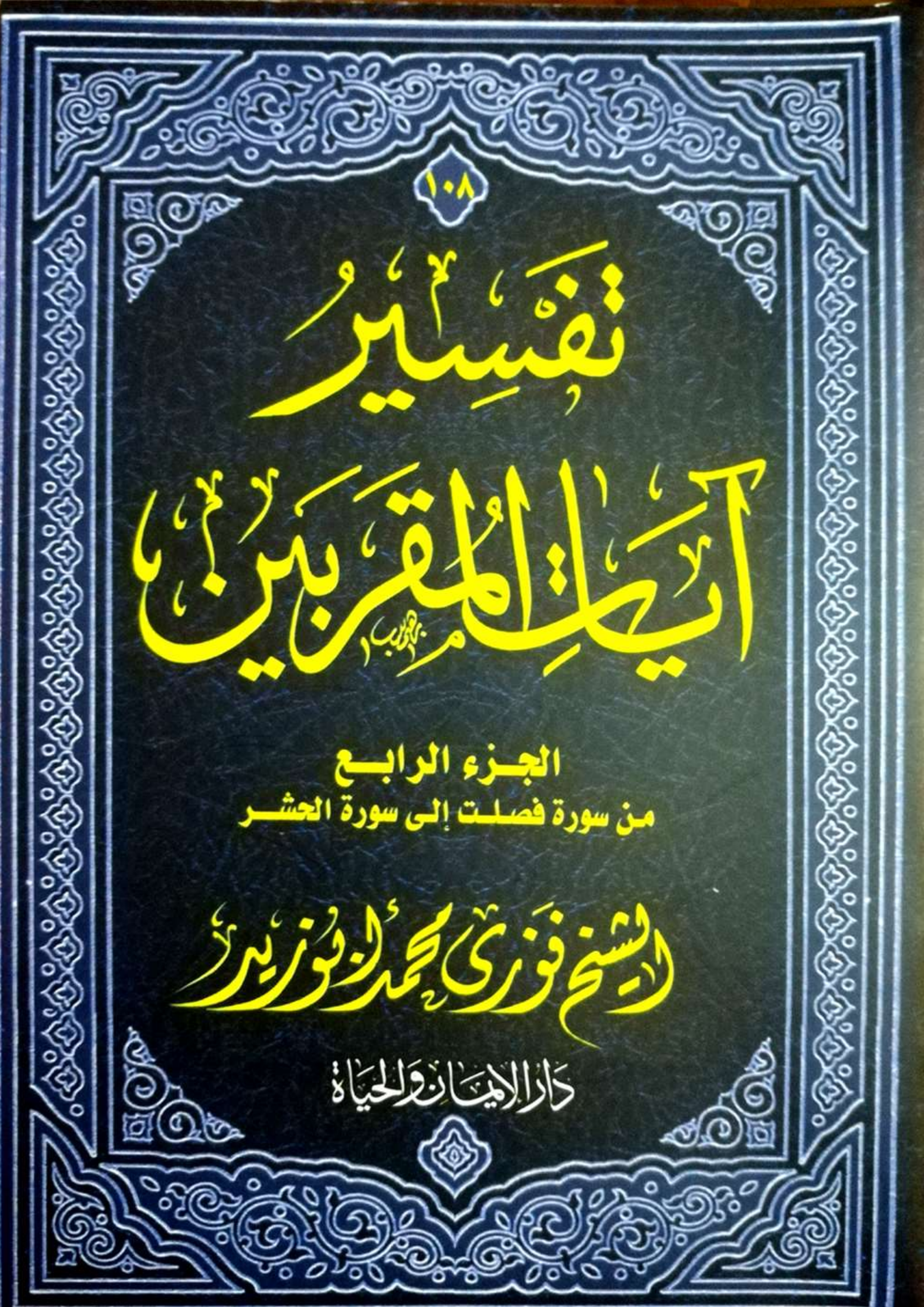

١٠٨
تفسير
آيات المقربين
الجزء الرابع
من سورة فصلت إلى سورة الحشر
الشيخ فوزي محمد أبو زيد
دار الإيمان والحياة

(١٠٨)



الجزء الرابع

من سورة فصلت إلى سورة الحشر

الجزء الرابع

من سورة فصلت إلى سورة الحشر



ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ

Again on Us (devolves) the explaining of it.
[75:19]

الكتاب	تفسير آيات المقربين – جزء ٤
المؤلف	الشيخ فوزي محمد أبوزيد
الطبعة الأولى	24 مايو ٢٠١٨م، ٩ رمضان ١٤٣٩هـ
كتاب رقم	المائة والثمانية من المطبوع
السلسلة	تفسير القرآن الكريم، الكتاب العاشر
الداخلى	٤٤٨ ص*٨٠جم /١٧*٢٤، ١ لون
الغلاف	كوشيه مط*٣٥٠ جم*٤ لون، سلوفان مط
إشراف	دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥، المعادي، القاهرة، ج.م.ع، ت: ٠٠٢٠-٢-٢٥٢٥٢١٤٠
إيداع محلى	٢٠١٨/10955
ترقيم دولى	٩٧٨-٩٧٧-٩٠-5517-6

10955
9 789779 055176

طباعة	دار النوبار للطباعة بالعبور

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله آتى نفوسها تقواها وألهمها ما فيه رضاه، ونسأله ﷻ أن يزكي نفوسنا ويصفى قلوبنا ويلهمنا من عنده الصواب في فهم الخطاب الوارد عن حضرته في كتابه.

والصلاة والسلام على من جعل الله قلبه محلاً لنزول القرآن ولسانه الناطق دوماً بكلام الرحمن، وجوارحه وجسمه خير تطبيق عملي في حركاته وسكناته للقرآن سيدنا محمد وآله أهل الله وخاصته وصحابته الوارثين لنهجه المبارك في دعوته وكل من مشى على نهجه وعمل بشريعته، واجعلنا يا ربنا ممن خصصتهم بمحبتك ومحبته .... وبعد،

قد أكرمنا الكريم سبحانه وتعالى استكمال تفسير الآيات الخاصة بالمقربين وفي هذا الجزء الرابع نستكمل تفسير الآيات من سورة فصلت إلى آخر سورة الحشر، وهناك ملحوظة نلفت إليها الأنظار في كل تفسير لنا في آيات القرآن الكريم وهي:

نحن إذا تكلمنا في أي قضية أو مسألة علمية أو دينية في كتاب الله، أو في حديث رسول الله، أو في دين الله، ننظر في آراء العلماء، فنجد آراء كثيرة، وعندما نُكلم متخصصين إن كان في الجامعة أو غيرها،

فإننا نأتي بآراء العلماء، والحمد لله نعرفها، لكننا نختصـــر دائماً في مواجهة الأحباب فنأتي بالرأي الذي أجمع عليه السادة العلماء.

لأن البعض قد ينتقض ويقول: الشـيخ قال في هذه الآية كذا، وهناك رأيٌ بكذا!! فأنا أعرف هذا الرأي، لكني آتي بالرأي الذي أُتفق عليه، والذي أجمع عليه العلماء، وباقي الآراء الأُخرى لا نحتاجها في شيء، ولكن يحتاجها متخصص يُدَرِّس تفسير، أو يُدَرِّس حديث، أو يُدَرِّس فقه، فيحتاج إلى هذه الآراء المختلفة ليستـــعرضـــها ويُعرضها.

لكن درس عام في مسـجد، إن كان في خطبة جمعة، أو في درس لو أتيت بآراء العلماء قد تحدث بلبلة عند الناس، فأنا آتي باختصــار مباشــرة الرأي الذي يتوافق مع الحضور، والذي اتفق عليه العلماء الأجلاء، كسُنَّة سيدنا رسول الله ﷺ التي يقول لنا فيها:

{ إِنَّ اللَّهَ لا يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلالَةٍ }[1]

الرأي الذي أجمع عليه العلماء لا يكون فيه ضلالة، ويكون هو الرأي الصواب، والآراء الأُخرى نسـميها آراء شــاذَّة، ولا شــأن لنا بهذه الآراء الشــاذة، ونأخذ بالرأي الصواب الذي أجمع عليه السادة العلماء.

١ جامع الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما

قد نلجأ لبعض هذه الآراء الشاذة في ضرورة من الضرورات، ولكن هذا لمن يُفتي في مسألة واحتار في حلها، فيأخذ برأي آخر، ولكن ليس هذا لنا، بل نأخذ بالرأي الذي أجمع عليه العلماء.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يتعهدنا بتوفيقه وأن يكرمنا بفضله ومنه وجوده بالحفظ من الأهواء المضلة، والزيغ عن الحق، وأن يلبسنا حلة الصدق في القول والعمل ويلحقنا بالصادقين ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْأَخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (الشعراء)

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

اليوم الجمعة ٢٧ من أبريل ٢٠١٨

الموافق ١١ من شعبان ١٤٣٩هـ



البريد : الجميزة ـ محافظة الغربية ،جمهورية مصر العربية

تليفون : ٠٠٢٠-٤٠-٤٣٤٠٥١٩

موقع الإنترنت: WWW.Fawzyabuzeid.com

البريد الإليكترونى: fawzy@Fawzyabuzeid.com

fawzyabuzeid@hotmail.com,

fwzyabuzeid48@gmail.com,

fawzyabuzeid@yahoo.com



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا

وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ (فصلت)

١. أهل الاستقامة والكرامة[٢]

بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي أكرمنا بهُداه، وأجرى بذاته القُدسية في قلوبنا كلمة (لا إله إلا الله) ونسأله ﷻ أن يُثبتنا عليها، ويُوفقنا للعمل بها حتى نلقاه، فنخرج من الدنيا في أبهى حُلل الشوق والرضوان للقاء حضرة الله جل في عُلاه، والصلاة والسلام على مسك الختام، والرسول العام لجميع الأنام، الذي أكمل الله به كلمة الإسلام، فلا تُقبل من قائل إلا إذا أضاف إليها (محمدٌ رسول الله) صلَّى الله عليه وعلى آله الأعلام، وأصحابه الكرام، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم العرض والزحام، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين بمنِّك وجودك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

الآيات التي معنا اليوم من كلام ربنا تبارك وتعالى، فيها بُشرى عظيمة وجليلة لكل من قال: (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) والبعض في عصرنا حمَّلها فوق طاقتها في تفسيرهم لها، مع أننا لو رجعنا إلى تفسير النبي لها، وتفسير الخُلفاء الراشدين والصحابة المباركين لها، نجد تيسيراً وليس تعسير، يجعلها تشمل كل من نطق بالشهادتين ولو مرة واحدة في عُمره.

---

٢ مركز شباب الطود بالحسينات شرق – الأقصر ١٧ من صفر ١٤٣٩هـ ٢٠١٧/١١/٦م

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَـٰمُواْ ﴾ على أيِّ شيء استقاموا؟ وهذا الذي جعل بعض المعاصرين شدِّدوا فيه على المسلمين، مع أن سيدنا رسول الله ﷺ يقول:

{ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا }[٣]

وكان يقول للهُداة والدعاة والمرشدين:

{ يَسِّرَا وَلا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلا تُنَفِّرَا }[٤]

والآية واضحةٌ وصريحة، إن الذين عملوا، أم (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا)؟! ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَـٰمُواْ ﴾ قالوا ربنا الله ثم استقاموا على العمل بها، أو استقاموا على تردادها والإقرار بها حتى يلقوا الله تبارك وتعالى، فلم يُغير دينه، ولم يُغير هديه، وإنما تمسَّك بالله، وبالحبيب المصطفى رسول الله، وبالقرآن كتاب الله، وبالإسلام دين الله، حتى فارق الحياة.

٣ صحيح مسلم والبيهقي عن جابر بن عبد الله ﷺ
٤ البخاري ومسلم عن عبد الله بن قيس ﷺ

تنزُّل الملائكة

هذا ماذا يكون له عند الله؟ ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ لم يقُل تنزل، ولكن قال: (تتنزل) أي مرات كثيرة، مرة عند لقاء الله يجد الملائكة ملائكة الرحمة جاءته تُبشره بفضل الله وإكرام الله ورضوان الله.

لأن ساعة الموت للإنسان إما أن تأتيه لجنة من ملائكة الجنة - نسأل الله أن نكون من أهل هذا المقام أجمعين - أو تأتيه لجنة من زبانية جهنَّم والعياذ بالله ﷻ، إذا كانت اللجنة من الجنة فسيأتون ومعهم كفنٌ طيب الرائحة، ورائحةٌ لا مثيل لها في الدنيا في الطيب، معهم حنوطٌ من الجنة، وعطرٌ من الجنة، وصف حضرة النبي ﷺ المؤمن في هذه الحالة فقال:

{ إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلام حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ،

قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلا يَمُرُّونَ يَعْنِي بِهَا عَلَى مَلأٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِلا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟! فَيَقُولُونَ: فُلانُ بْنُ فُلانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ} [٥]

إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال على الآخرة، وإدبار من الدنيا، نزلت إليه ملائكةٌ من الجنة ومعهم حنوط - طيبٌ وعطر - من الجنة، ومعهم كفنٌ من الجنة يجلسون منه مدَّ البصر، وهو يراهم في هذه اللحظات ولا نراهم: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ (٢٢ق) يُكشف عنه الحجاب ويرى ما لانراه ونحن حوله، ويقولون له: أبشر بخير يومٍ مرَّ عليك مُذ ولدتك أُمك في هذه الحياة.

فكيف يقبضون روحه؟ يقبضونها بلا عذاب ولا تأنيب ولا أي شيء من هذا القبيل، فتخرج الروح بيسر ولين للقاء رب العالمين، فكما ذكر حضرة النبي، يقولون لها: (أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ) فتخرج الروح على الفور بهذه الكيفية.

---

٥ مسند أحمد والحاكم في المستدرك عن البراء بن عازب ﷺ

ثم يلفونها بالكفن، ويضعون عليها الحنوط، نحن هنا نكفِّن الجسم، وهم يكفنون الروح ولا نراهم، لأنهم في عالم غير مرئي إلا لصاحب جِلاءٍ بصري، عنده بصيرة منيرة.

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ (الفجر) تدخل في عباد الله الصالحين السابقين: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩الفتح) ومن بعدهم من الصالحين إلى يومنا هذا، فيكونون هم من المستقبلين لها في جنة النعيم.

ثم يصعدون بها حتى تصل إلى أبواب السماء الدنيا، فتُفتح لها أبواب السماء، ويأمر الله تبارك وتعالى وُجهاء السماء من الملائكة المقربين أن يكونوا في استقبالها، فيستقبله على باب كل سماء وُجهاؤها من الملائكة المقربين.

وهذا التنزل الأول من ملائكة الله للعبد المؤمن الذي نطق بالشهادتين واستقر عليهما إلى أن فارق الحياة.

متى ينزلون للمرة الثانية؟ بعد أن ندفنه ونتركه وحيداً ونرجع، فيأتيه أحدهم، كما وصف حضرة النبي:

{ ويأتيه رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ وَجْهٌ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ }[٦]

يأتيه رجل شديد بياض الثياب، شديد بياض الوجه، جميل الرائحة، يتبسَّم ويقول له: السـلام عليك يا فلان، فيقول: وعليك السـلام، من أنت؟ ومن الذي أرسـلك إليَّ؟ فيقول: أوما تعرفني؟ أنا عملك الصالح، وأنا معك هنا إلى يوم القيامة.

يأتيه عمله الصـالح، ومعه ملائكة الرحمن يؤنسـونه في قبره إلى أن تقوم الساعة، وماذا تفعل الملائكة؟ يربتون عليه ويقولون له كما أخبر حضرة النبي ﷺ:

{ نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لا يُوقِظُهُ إِلا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ }[٧]

[٦] مسند أحمد والحاكم عن البراء بن عازب ﷺ
[٧] جامع الترمذي وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

نحن معك هنا فاطمئن ولا تخاف أبداً: ﴿ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ ﴾ إياك أن تخاف ونحن معك، وإياك أن تحزن ونحن معك، جئنا هنا لنُزيل عنك كل غمٍّ وكل همٍّ وكل حُزن لكي تكون راض عن الله تبارك وتعالى.

المرة الثالثة: عندما يخرج من الأرض إلى أرض المحشر والمنشر والحساب، في النشـــأة الثانية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (٢٥آل عمران) فيأتيه وفد من الحرس الإلهي من الجنة، ومعهم شربة من حوض الكوثر، وثيابٌ من الجنة، ويقولون له: هنيئاً لك بفضل الله وبإكرام الله، ويزفونه إلى موقفه في الحساب، إن كان قد حجز في المنصَّة الرئيسية تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه، فيقولون له: تفضّل هنا واجلس وشاهد ماذا يحدث لهؤلاء.

وإن كان أعلى في المقام قليلاً يجعلون له منبراً من نور قُدام عرش الرحمن، فيقولون له: إن لك منبراً هنا لأنك من الخواصُّ، فيجلس على منبر من نور قُدَّام عرش الرحمن.

وإن كان أعلى وأرقى، فيقولون له: مكانك ليس هنا، أنت ستصعد معنا من إلى الجنة وقد جهَّزنا لك شـرفتك في الجنة، فتجلس فيها وتشـاهد كل ما يحدث في أرض الموقف وأنت في نعيم الجنة

: ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ﴾ (المطففين) نسأل الله ﷻ أن نكون مع هؤلاء أجمعين إن شاء الله.

وانتبه دائماً وضع في نيتك أن يكون لك منزلةً طيبة مع هؤلاء، وإياك أن تضحك عليك نفسك وتلعب بك الدنيا والأهواء والشهوات، وتخرج من هنا وأنت مُفلس، فليس هناك مساكن للإيجار، ولا يقرض أحدٌ أحداً، فليس هناك غير عملك الصالح الذي يُبلغك المنزلة التي كنت تطلبها في الدنيا وتريدها.

سيدنا عمر بن عبد العزيز ﵁ في اللحظات الأخيرة له، نظر وأطال النظر وقال لمن حوله: إني أرى حضرة ما هم بجنٍ ولا إنس - هم ملائكة - وتبسَّم وقال: ﴿ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ ﴾ (٦١الصافات) ليت الناس ينتبهون ويعملون لهذا اليوم.

فهذه هي المرات الأساسية التي تتنزل فيها الملائكة، لكن هناك أُناس وهم في الدنيا تتنزَّل لهم الملائكة مراراً وتكراراً إن كان في ليلة القدر يبلغونهم السلام والتحية والإكرام من حضرة السلام.

أو في الليالي التي يُحيونها بطاعة الله والناس نيام فيأتنسوا بهم، حتى أن بعض البشر يكون له أصحابٌ من الملائكة ينزلون له ليأتنسوا به، ولكن يأتنسوا به بأسرار قرآنية وعُلومٌ ربانية وأحوال إلهية مع بعضهم في هذه الآنات والتوجهات.

كل ما يحتاجه المؤمن في الدنيا، وما يريده الله منك، وما يريده الدين منك هو حُسن تقسيم الأوقات، الدين لا يمنعك من الدنيا ولا من الملذات ولا من الشهوات ما دامت من حلال، ولكن كل ما في الأمر هو تنظيم أوقاتك بحيث أن لا يطغى شيء على شيء:

{ فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ }[8]

سيدنا داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام مع أنه كان نبياً وملكاً، إلا أنه كان مُقسِّماً أيامه إلى ثلاثة أيام، يومٌ يجلس فيه للملك ويفتح الباب ويسمع للناس وحاجاتهم ويقضي لهم شئونهم، ويومٌ لأهل بيته؛ نساؤه وأولاده، فينظر طلباتهم وحاجاتهم ويقضيها لهم، لأنك مُكلفٌ بذلك، ويوم يدخل فيه الخُلوة ويناجي فيها مولاه ولا يقابل فيها أحداً من خلق الله، ومشى على هذا التنظيم الرباني العظيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

٨ جامع الترمذي عن وهب بن وهب ﷺ

وذات يوم كان جالســاً في خلوته فنزل عليه جماعة من الملائكة نازلين وأخذوا يتحدثون معه - ولكن ليس كحديثنا كما قلتُ - ولكنه حديث رباني إلهي، ليس فيه غيبة ولا نميمة ولا كذب ولا زور، وإنما حديث كله نورٌ على نور.

فسـعد بهم وطلب منهم أن يترددوا عليه دائماً، فكانوا ينزلون كل حينٍ يجلسـون معه ويتحدثون معه، وفي يوم من الأيام قال لهم: هل فيَّ عيبٌ؟ وانظر إلى فائدة الصديق، ما فائدة الصديق؟ أن يُظهر عيوبي لأعالجها حتى لايطلع عليها غيري، لكن الصديق الذي يرى عيوبي ويتركها فهو صديق غير وفي، لأن غيره سيراها وينتقدها، فهو لا يتكلم ولكنه يترك الغير ينتقده، ففائدة الصديق أن يُظهر لي عيوبي، وكان سيدنا عمر يقول: (رحم الله إمرئ أهدى إليَّ عيوب نفسي) يعني عندما يُظهر له عيوبه جعلها هدية له ليعالجها، لأنه من منا ليس فيه عيوب؟! لا يوجد غير واحد فقط وهو النبي ﷺ:

مـن ذا الـذي مـا سـاء قـط	ومـن لـه الـحُسـنـى فـقـط
مـحـمـدٌ الـهـادي الـذي	عـلـيـه جـبـريـل قـد هـبـط

هل يوجد أحدٌ غيره؟ لا، فكلنا فينا نقص وأحتاج إلى من يُوجهني ومن يُرشدني، ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة، فلا يفضحني، لأن من ينشر عيوبي فهذا يفضحني، ومن يوجهني أمام الخلق أيضاً يفضحني، لكن يوجهني بالطريقة القرآنية النبوية.

فقال لهم: أفيَّ عيبٌ؟ قالوا: ليس فيك إلا عيبٌ واحدٌ أنك تأكل من بيت مال المسلمين!.

فهو خليفة ومَلك فمن أين يأكل؟ فقالوا له: الأكمل في المقام أن تأكل من عمل يدك، ويكون عملك في المُلك لله، والنبوة لله، وأنت وأولادك تأكلون من عمل يدك.

فنوى أن يأكل من عمل يده، وعندما يصـــدق الإنســـان النية يُحقق الله ﷻ له الأُمنية، فنوى أن يعمل عملاً بيده، فماذا يعمل؟ هل يعمل مع الناس في الأرض أو في الزراعة أو غيره؟ فألهمه مولاه باختراع جديد لم يشهده الناس إلى عصره؛ أن يصنع لهم درعٌ من حديد يلبسوه عند الحروب يتقوا به ضربات الرماح والسيوف.

وهذا الدرع من حديد، ولكي يُصـــنعه يحتاج إلى كور، ويحتاج إلى نار، فمن الذي يقوم بهذه الأمور؟! أعانه المعين ﷻ، وكما قال الله: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ (١٠سـبأ)

جعل الحديد في يده ليناً يُشـــكله كما يريد، ولذلك حضـــرة النبي بيَّن هذا المنهج الذي يُريده منا الله فقال:

{ مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلام، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ }[٩]

نبي الله داود مع مشـــاغل الملك ... ومشـــاغل الأولاد .... ومشـــاغل النبوة .... كان يأكل من عمل يده.

---

[٩] صحيح البخاري والبيهقي عن المقدام بن معدي ﷺ

ونبي الله داود أعطانا سُنَّة أُخرى، فكان يشتغل ويعمل الدرع ويبيعه، ثم يقبض الثمن، فيشتري بثلثه حديد مرة ثانية، والثُلث الثاني ينفقه على أهله، والثُلث الثالث يتصدق به على الفقراء والمساكين.

ولذلك حضرة النبي حبَّب لنا هذا المنهج النبوي وهو أن الإنسان يفعل ذلك في حياته، فمن يفعل ذلك في حياته ويحافظ على ذلك، فيا هناه، لأن الأمراض ستتركه هو وأولاده لأنه يخرج الصدقة على الدوام:

{ دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلاءِ الدُّعَاءَ }[10]

البركة ستحلُّ عليه وعلى أرزاقه وعلى بيته وعلى أولاده آناء الليل وأطراف النهار، وضمن في الآخرة منزلة عظيمة فاخرة، لأن أعلى الدرجات يوم القيامة للمُنفقين والمتصدقين عند الله تبارك وتعالى.

وكذلك في الأمة عندنا رجال تتنزل عليهم الملائكة، إن كان في أصحاب رسول الله ﷺ، وهؤلاء ورد عنهم في هذا الباب الشيء الكثير، أو من بعدهم من الصالحين، ولا زال هذا التنزُّل، فهذا الباب مفتوح إلى يوم الدين.

[10] معجم الطبراني ومسند الشهاب عن عبد الله بن مسعود ﷺ

حقيقة الاستقامة

وهذا هو التنزل الذي يحدث في الحياة الدنيا، والذي صنع اللبس عند بعض المعاصرين أنهم قصروا الآية على تنزل الملائكة على الصالحين، ولذلك أخرجوا منها عوام المؤمنين، مع أن الآية في الأصل نزلت في عوام المؤمنين.

قال رجل لرسول الله: { يا رسول الله قُلْ لِي قَوْلا لا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، ما الروشتة؟ قَالَ: قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ }[11]

على أي شيء يستقيم؟ سألوا سيدنا أبو بكر فقال: (يستقيم على طاعة الله) وسألوا سيدنا عمر، فقال: (يستقيم على الصدق ولا يروغ كما يروغ المنافقين) وسألوا سيدنا عثمان فقال: (يستقيم على أداء فرائض الله تبارك وتعالى التي فرضها عليه) يستقيم على هذه الأحوال كلها.

وحتى لو لم يُوفق للإستقامة فإن له كرامة؛ أنه لن يُخلد في جهنم كالكافرين يوم القيامة، حتى ولو دخل فإن حضرة النبي سيشفع له، وسيُخرجه الله من النار ويُدخله الجنة.

[11] مسند أحمد وابن حبان ومسلم

ويسأل أهل النار: أين ذهب هذا الرجل الذي كان معنا؟ فيقولون لهم: خرج إلى الجنة، لماذا؟ يقولون لهم: قال: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) مرة، فيقولون: ليتنا قلناها ولو مرة واحدة: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ (٢الحجر).

ونحن كلنا متى قلنا ﴿ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾؟ ذكَّرنا الله في القرآن، لأنه خلقنا في البدء قبل خلق الدنيا والأرض، خلقنا أرواحاً مجردَّة ليس فيها أجسام قبل خلق آدم، وأعطى لكل روح صورتها: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ﴾ كلكم ﴿ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ﴾ كلكم ﴿ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ ﴾ (١١الأعراف) فقد خُلقنا أرواحاً نورانية، وكل روح أخذت صورتها قبل تكوين جسم آدم ودخول الروح فيه، وأمْر الملائكة بالسجود له من الباري له تبارك وتعالى.

فلِمَ خلقنا أرواحاً نورانية؟ ذكَّرنا بها في الآية القرآنية: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآ ﴾ (١٧٢الأعراف)

هل قالوا: ســمعنا؟ لا، بل قالوا: بلى شــهدنا: ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾ (١٧٢الأعراف).

إذاً فالروح شاهدت وسمعت وردَّت، وقالوا: ﴿ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾ (١٧٢الأعراف) تذكروا هذا اليوم جيداً.

ففي هذا اليوم أنتم عاهدتم الله أن توحدوه ولا تُشـركوا به شـيئاً، وأن تطيعوه ولا تعصوه، وأن تشكروه ولا تجحدوه، وأن تذكروه ولا تنسوه، ونحن أُخُذنا كلنا فقلنا.

فكيف يعرف الله الصـادق من غير الصـادق؟ أنزلنا الله إلى الأرض، لينظر من الذي سـتخدعه النفس وتجعله ينسـى العهد الذي عاهد عليه الله، ومن الذي سـيسـتقيم على ما عاهد عليه مولاه.

الذي سيستقيم يدخل في قول الله: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ ﴾ من المؤمنين رجال يعني ليس كلهم، ونحن نريد أن نكون منهم ونحرص على ذلك: ﴿ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ (٢٣الأحزاب) في البدء القديم.

وحتى نتأكد أن الله أخذ علينا هذا العهد، كان سـيدنا عمر يطوف بالبيت في عهد خلافته، فوقف عند الحجر الأسعد وقال له:

{ إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لا تَضُرُّ، وَلا تَنْفَعُ، وَلَوْلا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبَّلَكَ مَا قَبَّلْتُكَ، ثُمَّ قَبَّلَهُ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ، ثُمَّ قَالَ: بِكِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ: وَأَيْنَ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى.﴾ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَمَسَحَ عَلَى ظَهْرِهِ فَقَرَّرَهُمْ بِأَنَّهُ الرَّبُّ، وَأَنَّهُمُ الْعَبِيدُ، وَأَخَذَ عُهُودَهُمْ وَمَوَاثِيقَهُمْ، وَكَتَبَ ذَلِكَ فِي رَقٍّ، وَكَانَ لِهَذَا الْحَجَرِ عَيْنَانِ وَلِسَانٌ، فَقَالَ لَهُ افْتَحْ فَاكَ، قَالَ: فَفَتَحَ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ ذَلِكَ الرَّقَّ وَقَالَ: اشْهَدْ لِمَنْ وَافَاكَ بِالْمُوافَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنِّي أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول:

{ يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْحَجَرِ الأَسْوَدِ، وَلَهُ لِسَانٌ ذَلْقٌ، يَشْهَدُ لِمَنْ يَسْتَلِمُهُ بِالتَّوْحِيدِ} [١٢]

لماذا قال ذلك سيدنا عمر؟ لأنه كان حوله أُناسٌ حديثي عهد بالجاهلية ولايزالون عندهم هواية وغواية في عبادة الأوثان، فيريد أن يُخرجهم من هذا الأمر.

١٢ الحاكم في المستدرك والبيهقي عن أبي سعيد الخدري ﷺ

فســيدنا علي ﷺ وكرم الله وجهه قال له: يا أمير المؤمنين إنه ينفع ويضُــر بإذن الله، أما علمت أن الله حين أخذ العهد على الذُرية كتبه في رقٍّ - يعني في كتاب - ثم ألقمه هذا الحجر فهو يشـهد لكل من استلمه بالوفاء عند الله يوم القيامة، ولذلك ورد أَنّ النَّبِيَّ ﷺ عند استلامه الحجر قال :

{ اللَّهُمَّ إِيمَانًا بِكَ وَتَصْدِيقًا بِكِتَابِكَ وَوَفَاءً بِعَهْدِكَ وَاتِّبَاعًا لِسُنَّةِ نَبِيّكَ مُحَمَّد ﷺ }[١٣]

يعني أنا أُوفِّي بالعهد الموجود في هذا الحجر، حجر صـــغير لكن فيه كاميرات غريبة التكنولوجيا يقول فيها ﷺ:

{ لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ الْحَجَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ، يَشْهَدُ بِهِ لِمَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ }[١٤]

كل من يقف أمامه يأخذ له صــورة، أين تحفظ هذه الصــور؟! ومتى تتحمض؟! هذا علمٌ مكنوز، ورمزٌ من الرموز، لا يعلمه إلا الحي القيوم الذي لا تأخذه ســـنةٌ ولا نوم.

فظاهره حجر، لكن فيه كنزٌ من كنوز الأســـرار الإلهية، لأن الله اســـتودع فيه العهد الذي أخذه على الذرية أجمعين في هذا اليوم.

١٣ السنن الصغرى للبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما
١٤ مسند أحمد والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما

سيدنا الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه سأله أحد الناس وقال له: يا أمير المؤمنين أتذكر يوم الميثاق؟ قال: (نعم وأعلم من كان فيه عن يميني، ومن كان فيه عن يساري)

الذي كان على اليمين أعلم من هو، والذي كان على اليسار أعلم من هو.

لأنه الذي يصاحب إنساناً هنا ويستريح له، لماذا؟ لأنه كانت بينهما مودة هناك، والنبي وضَّح هذه الحالة وقال فيها:

{ الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ } [١٥]

لا يريد أن يرى هذا الرجل، ولا يريد أن يعرفه أو الجلوس معه، مع أنه لم يجلس معه من قبل، لماذا؟ لأن السـابقة حاكمة .. فكانت هذه أحوال ونحن نعيدها في الحياة الدنيا لنتذكر العهد والميثاق الذي أخذه علينا الكريم الخلاق تبارك وتعالى.

الإنسـان يأتي في الدنيا لكي يستقيم على ما عاهد عليه الله تبارك وتعالى، ومع ذلك من إكرام الله لنا أن أنزل لنا نبياً رءوفاً رحيماً يُذكِّرنا، ويُوضح لنا ما ينفعنا، ويبين لنا ما يبعدنا، حتى لا يكون لنا حُجة عند الله ﷻ.

لأنه من الجائز أن نقول: نسـينا، لذلك بعث إلينا بالمذكِّر ولذلك حضـرة النبي اسمه في القرآن: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ (٢١الغاشية) ليس معلم، ولكن مذكِّر، بماذا يُذكرنا؟

يذكرنا بالعهد القديم الذي أخذه علينا ربنا: ﴿ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴾ (٩الأعلى).

[١٥] صحيح مسلم وأبي داود عن أبي هريرة ﷺ

الذكرى تنفع المؤمنين، ولكن الآخرين أخذ ينادي عليهم ويدعوهم وفي النهاية قال له الله: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ (٨٠النمل) لم يكونوا ميتين، ولكن قلوبهم ميتة، أجساد تسير على الأرض ولكن القلوب التي فيها ميتة، والقلب الميت لا يسمع شيء.

فمن فضل الله علينا وإكرام الله لنا أن الله اختارنا في الأزل القديم وجعلنا كما قال في كلامه الكريم: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾ (١١٠آل عمران) لم يقُل: تكونون، ولكن قال: (كُنتم) أي منذ هذا اليوم وأنتم أفضل أُمة أُخرجت للناس؛ أُمة المسلمين؛ أُمة سيد الأولين والآخرين ﷺ.

الملائكة في كل مراحل الإنســـان إن كان من أهل ولاية الله في الدنيا، وإن كان من أهل الاســتقامة على قدره فيكون عند لحظة خروج روحه، وفي الحياة البرزخية، وعند خروجه للحياة الأُخروية.

بشريات المؤمنين

هؤلاء الملائكة يُرسلهم الله في خدمته، ينزعوا منه الهم والغم والخوف:

﴿ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ ﴾:: والإنسان يخاف على ما فات، يقول: يا تُرى ما فات مني ماذا سيحصل فيه؟ الذنب الذي عملته في يوم كذا، والمصيبة التي ارتكبتها يوم كذا، فيطمئنهم الله أن لا يخافوا على الذي فات، ولا يحزنوا على المستقبل، ماذا سيكون فيه مصيري؟ فلا يخافون على ما مضى، ولا يهتمون بما هو آت، لأنهم في عناية الله ﷻ ... وماذا يتمنون؟ الجنة، فيُبشرونهم: ﴿ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾.

يقولون: نحن نتعرَّض لما لا قِبَل لنا به، فتقول لهم الملائكة: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ يعني نحن أنصاركم وأحبابكم، هل في الآخرة فقط؟ لا، بل في الدنيا أولاً، ثم الآخرة.

وبعد ذلك: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ فمن يشتهي الطعام والشراب يجده هناك: ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ (الواقعة)

ومن يشـــتهي الحور يجد الحور، ومن يتمنَّى أن يكون في جوار حضـــرة النبي ينال جوار حضرة النبي، ومن يتمنَّى أن يُمتِّع ناظرَ قلبه بجمال وجه مولاه، أيضاً ينال التمتُّع بالنظر إلى الله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة) فكل واحد يأخذ كل ما يتمناه.

علو همة المؤمن

ولذلك المؤمن لا بد أن يُعلي همته، إياك أن تكون همتك كلها لتخرج من هنا وتدخل الجنة لتأكل وتشرب!! فتكون همة دنية جداً، !! لكن الذين هممهم عالية عندما يدخلون الجنة ويرون القصور والحور، ويأتون لهم بما لذَّ وطاب، ويقولون لهم: كلوا، فيقولون : (تركناها أحوج ما نكون إليها ونحن في الدنيا) ... كنا نســـتطيع أن نأخذ ما نريده ونحن في الدنيا وتركناه، لأنهم يريدون وجه الله تعالى، قال ﷺ:

{ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ }[١٦]

[١٦] صحيح مسلم والترمذي عن صهيب الرومي ﷺ

لقد أتينا إلى هنا وتركنا هذه المتُع في الدنيا، ونحن كل أملنا التمتُّع بوجه الله، وجوار حبيب الله ومصطفاه صلوات ربي وتسليماته عليه.

لذلك أمرنا حضـــرة النبي أن نُعلي همتنا لأنها ســـتُعيننا على العمل الذي يُبلغنا مُرادنا في الآخرة إن شاء الله، فقال ﷺ:

{ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ }[١٧]

اختر لنفسـك مكاناً طيباً لأنه سـيدوم، فالذي يُريد أن يبني في الدنيا مسـكناً طيباً، يختار مكاناً طيباً، وربما وهو يبني يناديه الموت ويقول له: أنت تبني لغيرك فتعالى، وكم مَن بنى لغيره ولم يســـكن فيما بناه؟!! لكن هناك البناء الدائم الذي فيه: ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ (٨البينة) لذلك يجب أن تختار دائماً الأعلى والأرقى عند الله تبارك وتعالى.

كان سيدنا يوسف قد حفر بحر يوسف من المنيا إلى الفيوم ليروي أرض الفيوم التي أنشأها، وهذا البحر حفره في ألف يوم ولذلك سموها (الفيوم).

---

[١٧] **صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ**

هذا البحر سمُّوه بحر يوسف، وهو فرعٌ من النيل، وبعد أن أنهوا الحفر وقبل أن تصل المياه قال لهم سيدنا يوسف: (إذا متُّ فادفنوني في هذا البحر، وعندما يأتي بنو إسرائيل ويخرجون إلى فلسطين تُخرجوني وتدفنوني هناك بجوار أبي يعقوب وجدي إبراهيم) وبمجرد أن وضعوه في الحُفرة إذ بالمياه تأتي وتغطيه تماماً، ولم يعرف أحدٌ مكانه.

وعندما أراد سيدنا موسى أن يخرج ببني إسرائيل، أراد أن ينفذ وصية سيدنا يوسف، فقالوا له: لا يعرف مكانه غير امرأة كبيرة في السن تعيش منذ عهده، يقول النبي ﷺ عندما جاءه رجل، فقال له ﷺ:

{ سَلْ حَاجَتَكَ؟ قَالَ: نَاقَةٌ نَرْكَبُهَا، وَأَعْنُزٌ يَحْلِبُهَا أَهْلِي، فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَعَجَزْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالَ: إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ لَمَّا سَارَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ، ضَلُّوا الطَّرِيقَ، فقَالَ: مَا هَذَا؟ فقَالَ عُلَمَاؤُهُمْ: إِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ، لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ أَنْ لا نَخْرُجَ مِنْ مِصْرَ حَتَّى نَنْقُلَ عِظَامَهُ مَعَنَا، قَالَ: فَمَنْ يَعْلَمُ مَوْضِعَ قَبْرِهِ؟ قَالَ: عَجُوزٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا فَأَتَتْهُ،

فقَالَ: دُلِّينِي عَلَى قَبْرِ يُوسُفَ، قَالَتْ: حَتَّى تُعْطِيَنِي حُكْمِي، قَالَ: وَمَا حُكْمُكِ؟ قَالَتْ: أَكُونُ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ، فَكَرِهَ أَنْ يُعْطِيَهَا ذَلِكَ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنْ أَعْطِهَا حُكْمَهَا، فَانْطَلَقَتْ بِهِمْ إِلَى بُحَيْرَةٍ مَوْضِعِ مُسْتَنْقَعِ مَاءٍ، فَقَالَتْ: أَنْضِبُوا هَذَا الْمَاءَ، فَأَنْضَبُوهُ، فَقَالَتْ: احْتَفِرُوا، فَاحْتَفَرُوا، فَاسْتَخْرَجُوا عِظَامَ يُوسُفَ، فَلَمَّا أَقَلُّوهَا إِلَى الأَرْضِ، وَإِذَا الطَّرِيقُ مِثْلُ ضَوْءِ النَّهَارِ }[18]

هذا المرأة طلبت أن تكون مع نبي الله موسى في الآخرة!، لا تريد الدنيا لأنها لا تساوي شيئاً.

ولذلك حضـــرة النبي ﷺ قال للرجل: (أَعَجَزْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ عَجُوزِ بَنِي إِسْـرَائِيلَ؟!) يعني اجعل عملك لله، وهذا ما وجَّه له أصـحابه: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ (٩الإنسان).

الذي يُريد أن يكون من أصحاب المنازل العالية، والدرجات الراقية عند الله وفي الجنة، يُمرِّن نفسه، ويُعوِّد نفسه أن يكون عمله كله لله، إذا تبسَّم في وجه إنسان يكون لله، وإذا قال كلمة طيبة تكون لله، وإذا زار مريضـاً يكون لله، وإذا شـارك في تشـييع جنازة يكون لله، وإذا تصـدق بصـدقة لا يرجو ردها وإنما يرجو بها وجه الله .. يجعل عمله كله لله.

١٨ صحيح ابن حبان والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن قيس ﷺ

فمن مشـــى على هذا المنهاج فإنه ســيكون في الدرجات العُلى، لأن الله قال في كتابه: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ وشـــرط هذا العمل لكي يفوز بهذه الدرجة: ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (١١٠الكهف).

يعني لا يعمل هذا العمل لكي يفرح الناس بعمله فيكون رياءاً، ولا ليُثني عليه الناس ويقولون: أن فلان يفعل كذا وكذا فتكون له سُمعة وشُهرة، ولا يعمله حتى تفرح نفســه من نفســه، فيكون إعجاباً بالنفس، لكن يعمل هذا العمل لله، ولا يرجو من ورائه غير رضا الله.

فهذا يبلغ هذه الدرجات العُليا عند الله، ويُنزله الله منزلة كريمة يقول فيها الله: : ﴿ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ منزلة سُينزله فيها الغفور الرحيم ﷻ، وله أيضاً مع هذا: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ كل ما يتمناه من مولاه يُعطيه له الله تبارك وتعالى.

الدعوة إلى الله

واستمعوا معي إلى إعلان الرحمن الرحيم: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ (١٢٢النساء)

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (٨٧النساء) فأحسن حرفة وأعلى صنعة تؤدي إلى المنازل العالية والدرجات الراقية عند الله، حرفة الدعوة إلى الله:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾.

وانظر إلى إعجاز كلام الله، فهذه الآية على قِلّة حروف مبناها، ضخمة جداً في مغزاها ومعناها، فقد جمعت شروط الداعية الذي يُحبه الله، والذي يُقبل عليه خلق الله في جملة واحدة من كلام الله: ﴿ دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾

وماذا يعني ذلك؟ كما ورد في الأثر: (ادعُ نفسك فإن استجابت فادعُ غيرك) لا بد وأن يبدأ بنفسه أولاً، وبعد ذلك يدعو غيره:

أغير تقيٍّ يأمر الناس بالتُقى طبيبٌ يداوي والطبيب سقيمُ

عندما يقول الطبيب للمريض: إياك أن تُدخن السجائر بعد ذلك لأنها ستقضي عليك، والطبيب يمسك بالسيجارة ويُدخنها!!، فهل المريض سينفذ كلامه؟! لا، لأنه يدخن، لذلك لا بد أن يبدأ بنفسه:

ابـدأ بـنـفســـــك فـانـهـهـا عـن غـيّـهـا	فـإذا انـتـهـت عـنـه فـأنـت حـكـيـمُ
فـهـنـاك يُسـمـع مـاتـقـول ويُشـتَـفـى	بـالـقـول مـنـك ويـنـفـع الـتـعـلـيـمُ
لا تـنـه عـن خُـلـقٍ وتـأتـي مـثـلـه	عـارٌ عـلـيـك إذا فـعـلـت عـظـيـمُ
تصـفُ الـدواء لـذي السـقـام وذي	الضـنى كيما يصِحّ به وأنتَ سقيمُ

فلا بد أن يبدأ أولاً بنفســـه، لماذا على مدى الزمان منذ بعثة النبي العدنان إلى يومنا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها تجد الناس مُقبلة على الصـالحين إذا كُلِّفوا بإبلاغ دعوة الله؟ وغير مقبلين على الدعاة المعينين، والذين يطلبون الدنيا مقابل كلمة الدين؟! من أجل هذا السر.

وهل يوجد أحد الدعاة إلى الله من الصـالحين يقوم إلا إذا أمره سيدنا رسول الله بتبليغ الرسـالة؟! ولكن بعد أن يدخل الورشـة ويُصـلِّح كل أجهزته الباطنية، وعلامة الصلاح أن تصبح هذه الأجهزة واصلة مباشرةً بخير البرية، وتتلقَّى شفاهاً كفاحاً من الحضرة الإلهية.

لا يحتاج إلى وصـلات كالإنترنت ليتصـل، ولا يحتاج إلى كهرباء، وإنما دخل في قول الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴾ (٩٦مريم)

سيدخل في الأودَّاء الذين لهم مودَّةٌ من الله، ولهم صلة مباشرة مع حبيب الله ومصطفاه.

فلا بد أن يبدأ الإنسان بنفسه أولاً،

حتى أن الواحد منا مع أولاده الصـــغار لو قال للولد أو للبنت لا تفعل كذا، أو افعل كذا، وهو غير ملتزم، فيذهب الولد لأُمه ويقول لها: إن أبي يأمرني بعمل كذا وهو لا يعمل! فلا يعجبه هذا الحال، لذلك لا بد أن يبدأ الإنسان بنفسه أولاً.

ولذلك شـــرط الدعوة إلى الله أن يبدأ بنفســـه أولاً: ﴿ دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ ونفسه ليس وحده، لكن: (ادعُ نفسك فإن استجابت فادعُ غيرك).

أبدأ بمن أنا معهم في البيت، زوجتي وأولادي، وأكون مثالاً للأخلاق المحمدية عندهم، حتى يحنِّون إليَّ ويشـتاقون إليَّ، وبعد ذلك أهلي وأحبابي وجيراني وأقاربي، فيبدأ الدعوة إلى الله بهذه الكيفية الإلهية التي وضـــحها لنا بســـلوكه وبفعله وبخُلقه صاحب الحضرة النبوية صلوات ربي وتسليماته عليه.

مجالات الدعوة

الدعوة إلى الله جُمعت كلها في رســـول الله ﷺ، فلا يوجد أحد بعد رســـول الله اسـتطاع أن يجمع كل أصـناف الدعوة، لكن كل واحد يأخذ له باب من أبواب الدعوة، فمنهم من يدعو إلى الله تبارك وتعالى بدعوة الناس إلى توحيد الحميد المجيد، ومنهم من يدعو إلى الله تعالى بجهاد المشركين والكافرين، والنبي قال في هذا الجهاد:

{ جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَلْسِنَتِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ، وَأَمْوَالِكُمْ، وَأَيْدِيكُمْ } [19]

منهم من يجاهد بالسيف، ومنهم من يجاهد بالقلم، ومنهم من يجاهد بالبيان، ومن يجاهد بالإعلام ... الكل يجاهد ولكن من باب واحد، فلا يستطيع أحدٌ أن يجمع كل هذه الأبواب.

ومنهم من يجاهد في دعوة الله بنشــر التشــريع الذي أنزله الله على رســول الله، وأولهم وأعظمهم الأئمة الأربعة المجتهدين، فقد بينوا للمســـلمين أحكام شــــرع رب العالمين، وعلى آثارهم علماء الشريعة إلى يوم الدين.

ومنهم من يدعو إلى الله تبارك وتعالى بتعليم المسلمين كتاب رب العالمين، وفيه يقول ﷺ لعثمان بن عفَّان رضي الله عنه:

{ خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ } [20]

لا بد أن يتعلمه هو أولاً، ثم يُعلِّمه لغيره، ومنهم من يجاهد في الدعوة إلى الله بإبلاغ سنة حبيبه ومصطفاه، كما قال ﷺ:

---
[19] **مسند أحمد وسنن النسائي والدارمي عن أنس رضي الله عنه**
[20] **صحيح البخاري والترمذي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه**

{ بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً }[21]

يُذكِّر الناس بأحاديث رسـول الله ﷺ، وهؤلاء أنضـر الناس وجوهاً في الدنيا والآخرة، قال ﷺ:

{ نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا }[22]

وفي رواية أخرى:

{ نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ؛ فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ }[23]

ونضَّـر الله يعني بيَّض ولمَّع ونوَّر وجهه، ومنهم من يدعو إلى الله بكشـف الحُجب النفسـية والقواطع القلبية، حتى يكشـف الحُجب عن المريدين، ويجعلهم يواجهون مباشرة تجليات أسماء الله وصفاته وتجليات ذاته تبارك وتعالى.

---

[21] صحيح البخارى عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه.
[22] جامع الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
[23] جامع الترمذي وابن ماجة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

صفات الدعاة الصادقين

كل هؤلاء وغيرهم في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، ولا يظنُ أحد من هؤلاء أنه خير من غيره، لأن الخيرية لا يعلمها إلا ربُّ البرية، والخيرية تعتمد على الصدق، وعلى العطية التي خصَّه بها ربُّ البرية تبارك وتعالى.

من الجائز أن يكون هناك رجل يدعو إلى الله ولا يظهر على الشاشات، وليس له موضع من برامج التلفزيون، ولا غير ذلك، لكن له منزلة عند الله، لأن الله أقامه في قول حبيبه ومصطفاه:

{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ }[٢٤]

يعني لا يعرفه أحد، فالمهم أن يكون للمرء باب من هذه الأبواب، يدعو فيه إلى الله تبارك وتعالى... هذا الذي يدعو غيره لا بد وأن يكون قد زكَّى النفس، وعلامة زكاة النفس أن يرى كل الناس أفضل منه، وكل الناس خير منه، لأنه لو رأى غير ذلك فإنه لا يزال عنده مرض الكِبْر ويحتاج أن يتعالج منه، ومن كان عنده مثقال ذرَّة من كِبْر لا يدخل الجنة:

[٢٤] صحيح مسلم ومسند أحمد عن سعد بن أبي وقاص ﷺ

ألا مـن يـكـن فـي قـلـبـه بـعـض ذرَّةٍ مـن الـكـبـر والأحـقـاد مـا هـو ذائـقُ

أي واحد من الأحباب يرى نفسه أنه أفضل من أقلِّ واحد من الأحباب يكون قد سُدَّ عنه باب الفتح الإلهي، فقد كان الشيخ ابن عطاء الله السكندري يقول: (ادفن نفسك في أرض الخُمول، تُشرق عليك أنوار الوصول) لا بد له أن يدفن نفسه ... من كان يُحب الظهور فهو عبدٌ للظهور، وهو في حاجة إلى العلاج من حب الظهور، فلا بد أن يُزكِّي نفسه حتى يكون عبداً لله، لا مراد له ولا اختيار له، ولا أمل له، ولا رجاء له، إلا الذي يختاره المولى تبارك وتعالى والحبيب ﷺ له!! فإذا أقامك أعانك، فإذا تكلمتُ مع هؤلاء الحاضرين، فهل أنا معي مفتاح أفتح به أسماع القلوب؟! لا، فالمفتاح مع الفتاح ﷻ، وليس لي شأنٌ بهذه الأسماع الظاهرة، أنا أُريد أسماع القلوب، من الذي يفتحها؟ حضرة علام الغيوب ﷻ.

من الذي يفتح الله ﷻ له آذان القلوب؟ الفاني عن نفسه، والفاني عن ذاته، ولا يرى لنفسه حالاً ولا علماً ولا قالاً، وإنما يقول كما قال الشيخ الجيلي رضي الله عنه:

أنـا آلـة والله جـل الصـانـعُ أنـا قـلـمٌ والإقـتـدار أصـابـعُ

الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه كان يُفيض الله عليه بالعلوم التي تُسكر الحاضرين، حتى كانوا يشعرون وهم بين يديه أنهم في الدرجات العالية، وبعضهم كان يشعر أنه في الدار الآخرة، وكان أحياناً يسألهم ليُبين للحاضرين: ما اليوم يا فلان؟ فيقول له: اليوم يوم القيامة!، الرجل يعيش في مشاهد القيامة!، ويسأل آخر: ما اليوم يا فلان؟ يقول له: اليوم يوم ألستُ بربكم!، لأنه يعيش في هذا المشهد.

والإنســان في لحظة التنزلات يكون غائباً عن نفســه، وفي آخر التنزلات الإلهية يردُّوه لذاته، يعرف أنه عبد وفقير، وليس هو الذي قال، وليس هو من جلس ولا من تحدَّث، ولكنهم هم الذين أقاموه وأعانوه وقوُّوه، ولذلك في النهاية يقول الإمام أبو العزائم:

علـم غيـبٍ عـن شــهودٍ	لا بـعـلـمـي أو بـعـمـل
بـل بـفضـل الله ربـي	وبـطـه خـيـر رُسـلِ
وأنـا عـبـدٌ ظـلـومٌ	أعـلـمـونـي بـعـد جـهـلـي
كشـفـوا لـي الـحُـجـب حـتـى	أشـهـدونـي نـور أصـلـي

وعلى هذه الوتيرة في كل أحواله، وعلى هذا النظام الإلهي ســار كل أبداله ووراثه، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

ولذلك كنت ترى هؤلاء يتدافعون، فتروي كتب السيرة أن الأكابر من أصحاب رسـول الله، وكان سـيدنا رسـول الله ﷺ غائباً ذات يومٍ، فأخذوا يتدافعون على إمامة العشاء حتى منتصف الليل، يقول سيدنا عمر لسيدنا أبي بكر: تقدَّم يا أبا بكر، فيقول له أبو بكر: أنت أفضـل مني يا عمر لأني سـمعتُ رسـول الله ﷺ يقول فيك كذا وكذا وكذا، فيقول: تقدم يا عثمان، فيقول: أنت أفضل مني يا أبا بكر لأني سمعتُ رسول الله يقول فيك كذا وكذا وكذا، فيقول: تقدم يا علي، فيقول كذلك.

فكلما قال لأحدهم تقدم يذكر حديثاً والكل يتدافع الإمامة، لماذا؟ لأنه قد ملك زمام نفسه، وإذا ملك الإنسان زمام نفسه فاز بالأنس من ربه ﷻ، فيدخل في مقامات الأُنس العلية، وتحلَّى وتجمَّل بالآداب القرآنية، والأخلاق المحمدية التي كان عليها حبيبنا وقُرة عيننا المصطفى صلوات ربي وتسليماته عليه.

أدب الداعي الصادق

ولذلك بعد أن عمل وفاز وجاز وأُمر بالإبلاغ، ماذا يقول؟ ﴿ وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ نزل في أقلِّ مقام، لم يقُل من المؤمنين، أو من المحسنين، أو من الموقنين، بل يرى نفسه في المقام الأدني، لأنه يعرف أن هذا كله شرطه للحفاظ عليه هو حفظ رب العالمين ﷻ له ... الصعود صعب، لكن النزول هو السهل، فيخاف المرء أن تبدو منه هفوة فيسقط من عين الله، أو يبدو منه سوء أدب فيسقط من عين رسول الله، فينتهي أمره، ويضيع كل ما معه:

ليس الرُقي إلى العليا بأعمال ... ولا الوصول لأحوالٍ وأقوالِ
ولا بعلمٍ به تغوى ولا أملٍ ... ولا جهاد بأبدانٍ وأموالِ
لكنه منّةً من فضل خالقه ... به تُعد جميلاً بين أبدالِ

الوصول يحتاج إلى الأدب الكامل مع الله تبارك وتعالى، ومع رسوله، وهذا شرطه أن الإنسان لا يرى لنفسه شيئاً، بل يرى أن ما فيه من فضل ربه عليه، ومن خير الله تبارك وتعالى النازل عليه.

سيدي أبو الحسن الشاذلي ﵁، وكان من أكابر الدعاة إلى الله تبارك وتعالى، ويا ليت أحبابنا يطالعوا سيرة هؤلاء الأعاظم لكي يتعلموا منهم الأدب أولاً وليس العلم:

خُلقٌ عظيمٌ وإيمانٌ ومعرفةٌ بالله ذي الفضل والجود والحال
إذا عرفت مقام الله خفت وفي خوف المقام تنال القرب بوصال

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ (٣٩الأحزاب) كان بعض الناس يُثني على الشيخ أبي الحسن الشاذلي بما أفاض الله عليه، فبعض الجماعة الصغار يغضبون منهم ويريدون منعهم من هذا المدح، وهم لا يعرفون أن الشيخ لا يرى من هذا المدح شيئاً، فيقول لهم: (دعوهم يُثنون على الله فيما رأوه علينا من إحسانه) هم لا يثنون عليَّ، ولكن يُثنون على الجمال، والجمال لصاحب الجمال تبارك وتعالى وليس لي أنا.

فهذه هي الدعوة إلى الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾

عقبات في طريق الدعوة

فلا مانع من ذكر جزئية عصرية لنُخفف بها هذه التنزلات العلية: الأئمة السابقين - حتى الشرعيين - في المساجد ونحن عاصرناهم كانوا مؤدبين ومهذبين، عندما كان يجد أحدهم ضيفاً من العلماء يقول له: تفضَّل للإمامة، فيسأله: لماذا؟ يقول له: قال النبي ﷺ:

{ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ }[25]

وإكرام الضيف هنا أن أُقدمه ليُصلي، أو أُقدمه ليتكلم، وأنا موجود مع الناس كل يوم أو كل ساعة، فكانوا يفعلون ذلك، وكانوا حريصين حرصاً شديداً على هذا الأمر.

أما الأئمة الحُداث نتيجة فساد الأخلاق الذي نشره أهل الشقاق المتشددين هتكوا ستر الأدب مع العلماء، وأخذا يقدحون فيهم، ويذمُّون فيهم، ويشتمون فيهم، فإذا أردت أن تستأذن لضيف من العلماء ليتكلم، يقول لك: هل سيقول غير الذي أقوله؟! وهل هو أحسن مني؟! ويرفض.

وإذا كان مؤدباً بعض الشيء يقول لك: إن الأوقاف منعت ذلك، ولابد أن يكون معه تصريح من وزير الأوقاف حتى يتكلم.

[25] البخاري ومسلم عن خويلد بن شريح ﷺ

لكن السابقين كانوا مهذبين ومؤدبين، حتى كان تعاملهم مع المستمعين والمصلين بالأدب، لكن هذا يشُد مع هذا، وينهر هذا، ويريد أن يتجاوز الحد في الخطاب مع هذا!!

لماذا يا أخي؟! الدعوة قال لك فيها الله:

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ (١٢٥النحل).

الدعوة إلى الله إذا كانت بالقول تحتاج إلى الحكمة أولاً، والموعظة الحسنة، التي ليس فيها إساءة ولا تجريح ولو حتى بالتلميح بعد ذلك.

وإذا حدث من أحد المصلين حادث ما، فهل يتكلم في الميكروفون في خطبة الجمعة عن هذا الحادث ويجعل الناس كلهم ينظرون للرجل الذي عمل هذا الحادث؟! لماذا تفعل ذلك؟! أهكذا كان يعالج رسول الله ﷺ مثل هذه الأحداث؟! أبداً، كان ﷺ معه الحكمة الإلهية في كل أقواله وأفعاله وتصرفاته.

الدعوة إلى الله لمن أراد أن يتعرَّض لها لا بد وأن يعمل بقوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ (١٠٨يوسف) فإذا لم أنل البصيرة، ولم يُعطوني شهادة بأني صاحب بصيرة، فهل أخدع نفسي؟! أو أخدع الناس من حولي؟! لأني لا أراهم ولا أعرف عنهم شيئاً، لكن النبي قال: ﴿ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾

وهذه الدعوة الخاصة ﴿ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ (١٠٨يوسف) ومن يمشي خلفي إلى يوم القيامة.

فهذه الدعوة إلى الله، وأبوابها واسعة جداً، ولا بد أن يكون لكل واحد منا باباً فيها، وليس شرطاً في الدعوة إلى الله أن تخطب على المنابر، أو تعمل دروساً في المساجد، لكن أنا أريد منك أن تدعو إلى الله بأخلاقك وسلوكياتك وأحوالك.

فعندما يرى الناس الأخلاق القرآنية فيك، والأحوال النبوية فيك، والتصرفات القرآنية فيك، سينجذبوا إلى الله تبارك وتعالى بدون كلام، ولا شرح، ولا توضيح.

الناس في زماننا هذا لا يفتقدون الكلام، ولكن يفتقدون القدوة، يحتاجون إلى رجل إذا قال فعل، لكن الخطباء كثير، وما شاء الله المفوَّهين أكثر من الكثير، ويظل يخطب ساعتين ولا يكلُّ لسانه، لكن تسأل الحاضرين ماذا سمعتَ؟ يقول لك: لم أنتبه، لماذا؟ لأن الكلام من اللسان لا يتجاوز الآذان، يسمع من هنا، ويخرج من هنا.

فماذا يريد الناس؟ القدوة، وهي في إمكان كل واحد منا أن يكون داعياً إلى الله ﷻ بأخلاقه وأحواله وسلوكياته وتصرفاته بين إخوانه المسلمين، وهي الدعوة التي نحن مُلزمين بها أجمعين.

أخلاق الداعي

الذي سيكون على هذه الشاكلة ما شرطه؟ ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ لا بد أن يبلغ في مقام الأخلاق المستوى الأعلى والأفخم الذي كان عليه الإمام الذي مدحه الله لكمال أخلاقه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٤القلم).

ولكي يبلغ هذا المقام أعطاه الله روشتة صغيرة أخذها وبلَّغها لنا، لنكون معه، وذكرها سيدنا أبو ذر رضي الله عنه فقال:

{ أَوْصَانِي خَلِيلِي أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ بِسَبْعِ خِصَالٍ، فَلَنْ أَدَعَهُنْ حَتَّى أَلْقَاهُ، أَمَرَنِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ وَمُجَالَسَتِهِمْ، وَأَنْظُرُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي، وَلا أَنْظُرُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَلا أَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا، وَأَنْ أَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي، وَأَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي، وَأَنْ أَقُولَ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ أَمَرَّ مِنَ الصَّبْرِ، وَلا تَأْخُذُنِي فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لائِمٍ، وَأَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ }[٦٢]

٢٦ اتحاف الخيرة المهرة للبوصيري

هذه هي الشـروط لمن أراد أن يفوز بهذا التشـريف، ويقوم بأعباء هذا التكليف، ويكون له أوسمةٌ ربانية يُنعم عليه بها الله يوم الدين: ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٦٩النساء).

فلان عمل فيَّ كذا وكذا ولا أسـتطيع أن أعفو عنه، فعليَّ أن أدخل الورشـة أولاً وأجاهد نفسـي إلى أن تتخلَّص من خُلُق الصـدُّ والصـدود والهجر والبُعد، وتتحول إلى خُلق الوُد والوداد وتعفو عن الذي أخطأ في حقي أو أسـاء حتى أصـل إلى هذا المقام، فإذا لم أستطع سأظل كما أنا.

لأن هذا هو الجهاد الأعظم الذي يجاهد فيه كُمَّل الرجل في كل زمان ومكان: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ (١٩٩الأعراف) يـأمر هنـا نفسـه وليس غيره بـالمعروف الـذي تعارف عليه الأنبياء والمرسـلين والخُلَّص من عباد الله الصـادقين: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ (١٩٩الأعراف) الذي يدَّعي النصـح ويقول لي: كيف تكلم فلان وقد فعل بك كذا وكذا؟ أو كيف تُصلحه وقد أساء إليك بكذا وكذا؟! فهؤلاء شياطين الإنس.

لكن المؤمن مُطالب بأن يُحسن إلى من أساء إليه، وليس يعفو فقط، فمن يعفو عمن أساء إليه فهذه درجة، ولكن أحسن إلى من أساء إليك فهذه الدرجة الأعلى والتي يريدها أهل المقام الأكرم، والمنصب الأفخم بجوار الحبيب المُكرَّم صلى الله تبارك وتعالى عليه وعلى آله وسلَّم، وهذا جهاد أهل المقامات لمن أراد أن ينال هذه الدرجات.

بعض الأحباب تأثراً ببعض الأحباب السالكين في المناهج القديمة - وليس المنهج العصري الذي نحن عليه - يظنُّ أن المقامات العُلى بالعبادات والخلوات وذكر الأسماء بالمئات والآلاف.

لكن إذا كان الإنسان يُقيم الليل كله، ويصوم الدهر كله، ويذكر الله بالأسماء بمئات الآلاف، ولكنه لا يستطيع أن يعفو عمن ظلمه، فهل يبلغ هذا المقام؟ لا، وإذا لم يستطيع أن يصل من قطعه فهل يبلغ هذا المقام؟ لا! وهو إن عفا عنه فليس لخوف منه، لأن الله هو الذي طالبه بالعفو، ولأنه يعفو عنه طامعاً أن ينال عفو الله بسبب عفوه عنه، ونحن جميعاً في حاجة إلى عفو الله، وكذلك يصله لا طمعاً في شيء دانٍ منه، ولكن طمعاً في وصال حضرة الله، ووصال حبيب الله ومصطفاه.

فلو علَّينا الهمة، ورفعنا النية، ستتحقق الأُمنية لأننا سنستطيع أن نتغلب على النفس، ونعمل هذه الأفعال التي تجعلنا من كُمَّل الرجال الذين يدخلون في هذا المجال.

وأنتم تعلمون جميعاً كيف كان سيدنا رسول الله يُربي أصحابه على هذه الأخلاق العلية، لكي يبلغوا هذه الدرجات الشهودية.

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ ما الأحسن؟ الحسنة، والأحسن هنا كما وضحنا وكما بينا، أن أعفو عمن ظلمني، وأصل من قطعني، وأُعطي من حرمني، لماذا؟ لله تبارك وتعالى.

فلو عاملتُ السيئة بالسيئة: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ (٤٠الشورى) وهنا وقفٌ، وجزاء سيئة سيئة فأصبحت مثلها، فلو أن رجلاً عاملني معاملةً سيئة وأنا ردَّيت عليه مثلها فأصبحنا مثل بعضنا!!! لكن المؤمن الذي يقصد المقام العالي، وهو يطلب مكاناً كريماً عند حضرة القدوس، هل يتنزَّل ليتعامل مع الهالكين والظالمين أو من كان في مقام سيطرة النفوس؟!! لا، فيقول لنفسه: لا، وكل إناء بما فيه ينضح.

فإذا كان هو قد رضي بهذا لنفسه، لكن أنا لا أرضى أن أفعل ذلك لأني أريد أن أكون مع رسول الله، وصحابته المباركين، وورثته من الأولياء والصالحين، نسأل الله أن نكون معهم أجمعين.

فعندما يمشي الإنسان على هذا المنوال: ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ سيكون صاحب وفيّ، وينتهي الأمر على ذلك.

سيدنا علي زين العابدين ﷺ سلَّط عليه بعض حُسَّاده من يؤذيه - وكل ذي نعمةٍ محسـود - لأنه كان حليم، ويريدون له أن يخرج عن حلمه، فمشـى هذا الرجل خلفه يسبُّه ويلعنه ويشتمه، وهو لا يلتفت إليه، إلى أن اقترب من الشارع الذي يسكن فيه، فالتفت إليه وقال: يا هذا إن كان بقي عندك شـيء فهاته، حتى لا يسـمعك أحد الأولاد فيؤذيك، فاستحى الرجل، وكان من سلطوه يمشون خلفهما، فاستحوا هم أيضاً، فسلَّم عليه الرجل وقبَّل يده وقال: إنكم حقاً بيتُ النبُوة معدن الصدق والوفاء، فهم دائماً على هذا المنوال، ما هذا؟! قال:

يخاطبني السفيه بكل قُبحٍ	فأكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهةً وأزيد حلماً	كعود زاده الإحراق طيبا

ولذلك أنا أعجب أحياناً كثيرة عندما أرى أحد الأحباب وقد اسـتفزَّه آخر، فأجده قد خرج عن شعوره، ولم يتمالك نفسه، وانطلق مدفعه الرشاش بقذائف لا عدَّ لها ولا حدَّ لها!! مع أن هذا ليس حال المؤمنين، ولكن حال المؤمنين: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ (٦٣الفرقان) ويرجع بعد ذلك ويقول: أنا لا أعرف كيف قلت هذا؟!! ولا كيف فعلتُ هذا؟!! لا أعرف ماذا قلتُ؟!! كيف يا أخي؟! فلماذا تنتسـب للصالحين وتمشي معهم؟!!.

إذا مشيت مع الصالحين فيجب أن تكون على الخُلُق الأعلى الذي كان عليه سيد الأولين والآخرين صـلوات ربي وتسـليماته عليه، لأن هذا الميزان الذي يُقوِّم به الله، ويُقوِّم به رسول الله، ويُقوِّم به الناس الرجل الصالح.

إذا كنتَ في جُنح الظلام مع الله، فليس لهم شـــأنٌ بذلك، أو صـــائم الدهر، فهذا لنفســـك وليس لهم شـــأنٌ بك، لكنهم يريدون أن يعرفوا كيف يكون لســـانك معهم؟ وعصبيتك كيف تكون معهم؟ وأخلاقك معهم كيف تكون؟ وهذا ما يريدونه منك، وهذا ما يحكمون به عليك.

لكن هل تقول لهم: أنا أســـهر طوال الليل في العبادة؟! لا شـــأن لهم بذلك؟ ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦ ﴾ (١٥الجاثية) فأنت تعمل لنفســـك لا لنا، تغضـــب وتقول: أنا اليوم صـائم، وهل الصـيام يجعلك تغضـب؟! إذا كنت سـتصـوم ولا تسـتطيع السيطرة على نفسك فلا داعي لهذا الصوم، ويكفيك صيام رمضان، والصيام الحقيقي:

إذا ما المرء صـــام عن الخطايا فكل شـــهوره شـــهر الصـــيام

هذا هو الجهاد الأعظم الذي علينا أن نُنزله إذا أردنا عُلوَّ المقام، والقرب من الحبيب المصـــطفى على الدوام، ماذا يحتاج هذا المقام؟ ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾

عُكازك الذي ســـتعتمد عليه في هذا الجهاد هو الصـــبر؛ الصـــبر على جهاد النفس، والصبر على إيذاء الغير، والصبر على الأعمال التي كلفك بها الله، والصبر على منع الجوارح عن النواهي التي نهاك عنها الله .. تحتاج إلى صبر طويل لتنال هذا المقام:

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ ﴾ وهي درجة القُرب من الحبيب، ودرجة محمد رســـول الله والذين معه﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ على الجهاد في هذه الأخلاق الإلهية القرآنية

وتحتاج في نفس الوقت استمداد على بساط الضعف، وعلى بساط العبودية من الحضرة الإلهية، لأنني بغير مدد من الله لن أستطيع أن أتحمَّل ولا أن أصبر على أي أذية.

ما الذي يُعينني؟ الله، متى يعينني؟ إذا استشعرت بالعجز والضعف أمام حضرته، وليس أمام الخلق، وقلت له: أنا واقف على بساط (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) إذا تجملتُ بهذا الحال، فلن أستطيع أن أردُّ، أو أن أُدافع عن نفسي، بل أترك الأمر لربي ﷻ وهو يتولى ذلك بذاته، وهو القائل في محكم كلماته: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ (٣٨الحج) يدافع عنك، وهذا بالنسبة للخلق، وفي القراءة الثانية: ﴿ إِنَّ اللهَ يَدْفَعُ ﴾ يعني يدفع عن الذين آمنوا المصائب والنكبات والكوارث.

إذاً أنا محتاج للصبر الطويل، والاستمداد من الله ﷻ لكي أدخل في قول الله لحبيبه ومصطفاه: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ (١٢٧النحل) فلو لم يُعطينا الله جُرعة من الصبر فهل يستطيع أحدٌ منا أن يصبر على شكَّة إبرة؟! لا يقدر أحد منا على ذلك.

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ حظ عظيم من فضل الله، ومن عطاء الله، ومن إكرامات الله، ومن نظرات حنان وعطف سيدنا رسول الله ﷺ.

نســأل الله ﷻ أن يُكرمنا بالاســتقامة، وأن يجعلنا في الدنيا من أهل الاســتقامة، وفي الآخرة من أهل الكرامة، وأن يوفقنا لعمل الصـــالحات، والثبات على النوافل والقربات، ويجعل عملنا كله خالصـــاً لوجهه الكريم، وأن يحفظنا من لِمم النفس ورعونتها، ويحفظنا من الأهواء والشـــهوات ما ظهر منها وما بطن، ويُعلي هممنا ويُرقِّي درجاتنا، ونســـأله تعالى أن يُجملنا بالأخلاق العالية، وأن يرفعنا إلى الدرجات الراقية، وأن يُعيننا على جهاد أنفسـنا حتى نصـل إلى ما نبغيه، ونكون مع الحبيب ﷺ وأصـــحابه وذويه في الدنيا ويوم الدين، ويجعلنا مع: ﴿ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ (٦٩النساء).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾



وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ (فصلت)

٢. إكرامات أهل الاستقامة[27]

بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي اختارنا وأهَّلنا وجعلنا من أهل القرآن، وأثلج صدورنا بسماع القرآن، ووفق جوارحنا وأجسامنا للعمل بالقرآن، ونسأله ﷻ أن يدخلنا في قول النبي العدنان ﷺ:

{ أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ }[28]

اللهم صلِّ وسلم وبارك على من أنزل الله على قلبه القرآن، وجعله في كل أنفاسه بأعماله وأحواله موضحاً لمراد الرحمن في القرآن .. سيدنا محمد وآله الذين اتبعوه على هذا النهج الكريم، وأصحابه الذين آزروه وعاونوه على هذه الخطى السديدة، وكل من نهج على هديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين يارب العالمين.

نريد أن نعرف أولياء الله - نرجوا الله ﷻ أن يدخلنا في جمعهم أجمعين - وما أوصافهم؟ وما الجمال الذي يتجلى به الله ﷻ لهم في الدنيا وفي الآخرة؟ وبم يصلون إلى ذلك؟ وبم تتفاوت الدرجات فيما بينهم؟ بأسلوب سلس مبسط سهل ييسر العمل بكتاب الله، نبعد عن الفلسفة والإفراط في الشطحات الصوفية التي يقولها البعض،

---

٢٧ بورسعيد – مسجد الغفران ٥ من ذي القعدة ١٤٣٦هـ ٢٠١٥/٨/١٩م
٢٨ مسند أحمد والحاكم في المستدرك عن أنس ﷺ

والدخول في المتاهات الفقهية والبلاغية واللغوية، عيننا على ما يريده منا رب البرية ﷻ، فقد قال إمامنا ابوالعزائم رضي الله عنه: (ليس الشأن أن تفقه القرآن، ولكن الشأن أن تفقه مراد الله منك في القرآن).

ليس المهم أن تفهم أنت، لأنه من الجائز أن يكون فهمك لا يوافق ما يريده الله، الذي يصـــيب الحق هو الذي يهديه الله بإلهامه إلى ما يريده الله ﷻ في الآيات التي نزلت في كتاب الله ﷻ، وهذا يحتاج أن يكون فيه وراثة ولو قليلة لحضرة النبي ﷺ.

فلا يقرأه لهوى في نفسه، ولا لشئ مسبق يريد أن يثبته في شخصه، ولا لهدف يرجوه من وراء الخلق .. لا يريد إلا رضاء الواحد الأحد الحق ﷻ.

قالوا ربنا الله

أولياء الله في هذه الآية، وكل آية تتحدث عنهم؛ تتحدث عن طائفة منهم، لأنهم طوائف لا تعد ولاتحد، من هؤلاء؟ يقول الله ﷻ لنا فيهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾ ونحن جميعاً قلنا ذلك، فإن الله ﷻ عندما خلق الأرواح قبل خلق آدم والأشـــباح جمعهم في جمعيةٍ كبريائية لا يعلم زمانها ولا مكانها ولا توقيتها ولا تفصـــيلها إلا رب البرية، وأخذ علينا - وكنا جميعاً حضـــوراً فيها - العهد والميثاق، وسجلها وكتبها في رقٍ - أي في كتابٍ -

وألقمة في حجرٍ من أحجار الجنة، وأنزله ووضـــعهُ في البيت الحرام، وجعلهُ مبتدأ الطواف لمن ذهب إلى هذا البيت الكريم، وقال الله ﷻ منبهاً لنا عن هذا اليوم: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ (الأعراف) إن شئت تسميه يوم الميثاق، وإن شئت تسميه بما ورد في الآية يوم ألست بربكم، وإن شئت تسميه يوم العهد الأول الذي عاهد الله ﷻ فيه الخلق جميعاً في مقام الربوبية وليس في مقام الألوهية (ألست بربكم)، ولذلك الآية تُذَكِّر بمقام الربوبية (إن الذين قالوا ربنا الله).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ في هذا اليوم في مواجهة الله جل في علاه، ولذلك قالوا: ﴿ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾ (١٧٢الأعراف) لم يقولوا (بلى سمعنا) ولكن شهدوا جمال الله بالعين الروحانية الربانية التي خلقها فيهم الله، حُجبت عين الرأس في الدنيا بظلال الأكوان وبالأهواء وبالشهوات وبالغفلات، لكن إذا وفق الله الإنسان وجلى هذا القلب وفتحت عين البصيرة يشاهد هذا اليوم وهو في الدنيا بعين البصيرة، ولذلك قالوا للإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه: أتذكر يوم الميثاق؟ قال: نعم، وأعلم من كان فيه عن يميني ومن كان فيه عن شمالي.

أهل الاستقامة

﴿ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ في مواجهة حضـــرة الله، ثم جاء دورهم في الحياة الدنيا، وخلق الله الأجسـام، وأسـكن فيها الأرواح، وخلق الدنيا بما فيها من زهرات فانية، وشـهوات دانية، وإغراءات لا عد لها ولا حد لها، ليعلم الذين صـــدقوا وليعلم الكاذبين، الذين صــدقوا القول مع الله والتزموا هؤلاء اسـتقاموا على هذا العهد الذي أخذوه، والتزموا بالنهج الذي من حضـرة النبي ﷺ تعلموه، فمشـوا على المنهاج، ومشـوا على الصـراط المستقيم، والمنهج القويم الذي جاء به الرءوف الرحيم ﷺ.

إذاً ولاية الله في هذه الآية فيها عناية و فيها رعاية .. عناية من الله في الأزل، فهو الذي اختارنا، وهو الذي وفقنا، وهو الذي واجهنا، وهو الذي اصـــطفانا وجعلنا أهلاً لهذا الجمع الكريم على الله ﷻ.

وفيها رعاية في الحياة الدنيا؛ أن ينوي الإنســـان بنيته ويعقد العزم على طاعة الله، وعلى التأسـي بحبيب الله ومصـطفاه، والله ﷻ لا يطلب منك غير هذا، فإذا عقدت العزم بقوةٍ وحزم قواك الله، وأعـانـك الله، وأمدك بـالحول والطول الله جل في علاه، لأنك عزمت، يقول ﷻ: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ (٣الطلاق).

إذاً لا بد أن يكون عندك العزيمة، والعزيمة تدفعها الرغبة في المقامات الكريمة التي تريد أن تخرج بها من الدنيا وتكون عليها يوم لقاء الله ﷻ، هؤلاء القوم دائماً عندما يخلو أحدهم بنفسه يقول:.الدنيا إلى زوال والآخرة هي المآل، ماذا أعددت لنفسي فيها عند الواحد المتعال؟! ماذا جهزت لنفسي؟! هذا الأمل هو الذي يدفعك للعمل، إذا فقد الأمل لا يستطيع أن يتحرك الإنسان، ولا يستطيع أن يدفع جوارحهُ ولا أعضاءهُ إلى العمل.

جمالات الأولياء

إذا مشى الإنسان على هذا المنوال يكون من أولياء الله الذين ذكر الله لهم بعض الجمالات والكمالات في هذه الآية الكريمة.

أول هذه الجمالات ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ لم يقل تنزل، ولكن (تتَنَزل) بالمضارع المستمر، يعني تَنْزل بإستمرار، التنزل في البداية يكون عن طريق الإلهام، فإن الله ﷻ يقوي ملك الإلهام ليكون له الهيمنة على قلب هذا العبد، ويحفظه من وساوس الشيطان ونزغات النفس.

فهناك ثلاثة يحاولون السيطرة على القلب، مَلَك الإلهام يحضهُ على الخير والبر والمعروف والعمل الصالح وطلب ما يرضي الله جل في علاه.

والشيطان يوسوس دائماً في النفس يريد الكبر في الأرض، ويريد العلو والفساد في الأرض، ويريد حب الظهور، إذا لم يستطع أن يسوي ذلك بنفسه يسول له الأحقاد والأحساد والفتن والإحن والمكر والدهاء .. كل هذه بضاعة الشيطان لكي يصل لما يريده، وهو إذا كان يريد منصباً دنيوياً، أو يريد أن يكون من أغنياء الدنيا وإن كان من طريقٍ حرَّمَهُ الله ﷻ فيُسول له الشيطان ذلك.

والنفس تريد أن توقع الإنسان في معصية الرحمن بأي كيفيةٍ كانت، وسلاحها الشهوات التي يحبها الإنسان؛ شهوة الجنس، وشهوة الطعام، وشهوة الشراب، وشهوة الملبس، وشهوة المسكن .. كل هذه الشهوات من النفس.

لكن إذا عزم الإنسان بصدق فإن الله ﷻ يقوي جنده وملائكتهُ ليُلهموه، فإذا أراد الشيطان يكون العبد بين أمرين: إما أن يُحصنه الله بحصونه الإلهية، وينطبق عليه قولهُ في آياته القرآنية: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ (٤٢الحِجْر) فلا يجد الشيطان مدخلاً يدخل منه لهذا العبد، وإما أن يكون من الذين يسعفهم الله فوراً عند نزغات الشيطان ووسوسته ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ (الأعراف).

تنزل الملائكة

إذاً نزول الملائكة عن طريق ملائكة الإلهام، وقد ورد أن لكل عبد ملكٌ على قلبهٍ يلهمهُ بالخير وشيطان يوسوسُ لهُ في الشر.

وأما إذا قويت روحانيتهُ وتشــبه بالملائكة الكرام في طاعة الله، وأصـــبح حالهُ مطــابقٌ لقول الله: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (التحريم) تقوى شفافيتهُ، وتزيد روحانيتهُ فيرى مالا يراه الناظرون؛ يرى الملائكة الكرام بعين وهبت لــه من ذي الجلال والإكرام ﷻ، ليس بعين الرأس الفـانيـة، هـذه العين لا ترى إلا المحســوســات، لكن في القلب عين يرى بها الإنســـان - إذا فتحها الله ﷻ - الأرواح السارية في الكائنات، ومن جملتها أرواح الملائكة الكرام.

فيراهم ويســمع حديثهم بأُذُنْ في قلبه، تســتطيع أن تســتمع إلى كلامهم، وتترجم أصـــواتهم ولغتهم، ويتحدث معهم بلســان الفهوانية الذي يتفضــل به عليه رب البرية، فيفقه كلامهم، ويســمع حديثهم، ويجالســهم، ويســتفيد منهم علوماً ومعارف، ويعينونه على أمور دينه ودنياه، ويكونون له رفقاء صــدقٍ حتى يصــل إلى ما يريد عند الله جل في علاه.

كان سيدنا عمران بن الحصين ﷺ وأرضاه من الثلة المباركة الذين حضروا سيدنا رسول الله ﷺ في إحدى مجالسه، وكان يقول صلوات ربي وتسليماته عليه:

{ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هُمُ الَّذِينَ، لا يَسْتَرْقُونَ، وَلا يَتَطَيَّرُونَ، وَلا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [٢٩]

وأصيب بعد انتقال النبي ﷺ إلى الملأ الأعلى بداء البواسير، وآذتهُ إيذاءاً شديداً، وعرض نفسه على الأطباء لأن النبي ﷺ قال لنا:

{ يَا عِبَادَ اللَّهِ، تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً } [٣٠]

فيجب أن لا يقول أحد أن الصـــالحين لا يتداوون، فيكونوا بذلك خالفوا كلام النبي، بل يجب عليهم أن يذهبوا للأطباء تنفيذاً لكلام النبي حتى لو لم يكونوا في حاجة إلى العلاج، لأن ذلك يكون تنفيذاً لأمر النبي ﷺ، لأنهم قدوة يقتدى بهم و هداة يهتدى بهديهم.

ولأنهم إذا إمتنعوا عن الذهاب إلى الأطباء قد ينســاق إلى ذلك بعض الضـــعفاء الذين يمشــون حولهم ويتلمســون لأنفســهم حُجَجاً ومعاذير، لماذا نذهب إلى الأطباء وشيخنا فلان لايذهب إلى طبيب؟ فنكون بذلك حاربنا سنة الحبيب المصطفى ﷺ في التطبيب.

٢٩ صحيح مسلم ومسند أحمدعن عمران بن حصين ﷺ
٣٠ جامع الترمذي وسنن أبي داود عن أسامة بن شريك ﷺ

فعرضـــوا عليه العلاج وقالوا: لا دواء له إلا الكي بالنار، وبعدما اكتوى زاد مرضـه فقال له أخوه: إنني تعجبت من أمرك كنت أظن أنك بعد شفاءك من البواسير سترد إليك صحتك وعافيتك،.فما بالك؟ قال يا أخي الحمد لله قد شفيت من البواسير، لكن كانت تأتيني الملائكة فتجالســـني وتحادثني ولما اكتويت امتنعت عن الإتيان إليَّ ومجالستي فهذا الذي أمرضني ... لكي نعرف أن الملائكة كانت تنزل لهؤلاء الناس، وهذا أصـــل ثابت في ما ورد عن أصـــحاب الحبيب في كتب الســـنة المعتمدة، وأنتم تعرفون أن الملائكة نزلت معهم في غزوة بدر ونزلت معهم في كل المعارك والغزوات لكي يبشروهم ويثبتوهم.

لماذا تتنزل عليهم الملائكة؟ ﴿ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ ﴾ الإنسان يخشى العواقب فيما يـأتي ويخـاف على الـذين يعولهم ويخلّفهم من وراءه، فـآمن الله ﷻ هؤلاء من الناحيتين،.لا يخافون من العواقب لأن الله ﷻ بشرهم وتولى أمرهم، ولا يحزنون على ما خلفوا لأن الله ﷻ ضـــمن لهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾ (٢١الطور).

أو يخاف الإنسان في قولٍ آخر من المستقبل، ودائماً الصالحين يخافوا مثلما كان سـيدنا أبو بكر ﷺ يقول: (لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدمي في الجنة) يخافون من مكر الله، والمكر هنا ليس معناه مكراً كما في المفهوم العام بالنسـبة للأنام، وإنما المكر بالنسبة لله هو حسن التدبير... فلا تعلم نفس ما قُدِّرَ لها غداً، ولا تعلم نفس ما يختم لها به عند لقاء الله، وأنبياء الله ورسـله بذاتهم كانوا يسـألون الله ﷻ أن يحسـن لهم الختام.سيدنا يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام كان يقول: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (١٠١يوسف) وأنتم كلكم تعلمون مسيرة يوسف، وكيف كانت عفته وحِفظْ الله له وصيانته وطاعته لمولاه وبره بأبويه وعفوه عمن أساء إليه، ومع ذلك كل هذه الخلال لم تشفع له من الخوف من ذي الجلال والإكرام ﷻ.

والصالحون يخافون مما ارتكبوه من الذنوب والآثام لأنهم لا يدرون هل تاب الله عليهم وعفا عنهم أم سيحاسبهم عليها، فإن الله ﷻ لو حاسبنا على ذنب واحد لهلكنا جميعاً، فأمّنَهم الله في هذا المقام، ألا تخافوا مما هو قادم لكم من الأيام، فإن الله سيتولى توفيقكم ورعايتكم ورُبَّ يدخلكم الله في أهل بدر فقد قال فيهم الحبيب ﷺ:

{ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ }[٣١]

٣١ البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب ﷺ

يعني يتولاهم الله بما يسمى بالحفظ، فالأنبياء لهم العصمة والأولياء لهم الحفظ، وإذا حفظ الله عبداً من المعاصـــي والذنوب كلها وقاه وحماه: ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (٦٤يوسف).

وسـرهم الله ﷻ بأن لا يحزنوا على ما فاتهم من الذنوب، ويعلموا علم اليقين أن الله أدخلهم في قوله في قرآنه الكريم: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ﴾ (٧٠الفرقان)

قد يلهمهم الله ﷻ بذلك فيفرحوا ويستبشروا، وقد يكاشفهم الله ﷻ باطناً بحقيقة ذلك فيحمدوا الله ﷻ على توفيقه ويستغفروه... وإذا كان القوم من الذين أقامهم الله ﷻ لهداية الخلق إليه، فإن الله ﷻ يقول لهم: لا تخافوا على أحبابكم الذين أخذتم بأيديهم، لأننا سنعطيكم الشفاعة فيهم يوم الدين، فقد قال ﷺ:

{ يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلاثَةٌ الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْعُلَمَاءُ، ثُمَّ الشُّهَدَاءُ }[٣٢]

فيشـفعون كما ورد في الأثر: (إذا كان يوم القيامة يقال لأهل العبادة: ادخلوا الجنة، ويقال للعلماء: اهبطوا إلى أرض الموقف فكل من قدّم إليكم معروفاً من أجلي وكل من واساكم من أجلي فخذوا بيده وأدخلوه معكم الجنة)

---

٣٢ سنن ابن ماجة عن عثمان بن عفان ﷺ

وورد في أثر آخر: (إذا ضاق بالعبد الأمر ولم يجد له مخرجا تسأله الملائكة هل عرفت عالماً من علماء الدنيا الصـــالحين؟ فيقول: لا، فيقولون له: هل جلســت مجلســاً واحداً مع عالماً من الصـــالحين؟ فيتذكر، ويُذكِّره الله فيقول: فلان، فيقولون له: اهتف باسمه ثم يبلغون العالم ويقولون له فلان يهتف بإسمك ويطلب منك أن تشفع له فيشفع له، فيشفعه فيه الله ﷻ)

﴿ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ ﴾:

لا تخف على الذين هم معك هناك، ولا من ســـتتركهم هنا، لأنه ما دمت هديتهم إلى المنهج القويم القائم على شــرع العزيز الحكيم، والموافق لســنة الرءوف الرحيم، ودعوتهم إلى ذلك، ولقنتهم ذلك، فثق أنهم إن شاء الله ناجون .. مادام علم وعمل، وفي الآية كلام لانستطيع عده ولا حصره، ونكتفي بهذا القدر حتى ننتقل إلى غيره.

بشريات الأولياء

﴿ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ ﴾ كل واحد يعطيه الله مناه، ويحقق له الله الأمل الذي يراوده في صدره إذا صدق مع مولاه، إذا كان هو في الدنيا يريد أن يكون من أهل العلم اللدني سيكشف الله ﷻ له عن ذلك،

لكن بعد أن يحصـــنـه من المهالك، لأنـه إذا أفـاض عليـه العلم اللدني والنفس مازالت حية فستلدغه بسُمِّها، وسيسعى للظهور، أو لجلب الدراهم، أو للفخر والرياء، ويدخل فيما حذر منه أمير الرسل والأنبياء في قوله ﷺ:

{ مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَهُوَ فِي النَّارِ }[٣٣]

إذاً يجب التحصين أولاً، وأنا أقول ذلك لأن كثير من المريدين المتلهفين يريدون أن يأخذوا العطايا قبل التحصين، ولا يجوز ذلك عند الصالحين المتمكنين، فلا بد من أن تحصن النفس أولاً من المعاطب، وتجنبها المهالك، وتصحح القصد في كل نفس لكي يمنحوك ويعطوك ويؤهلوك ويضمنوك أنك لن تسعى بذلك إلى ما يخالف شرع الله جل في علاه.

وعندنا نماذج وأمثلة لا تعد ولا تحصـــى في هذا الباب، إذا كان يريد مطالب الصـــالحين في الحياة الدنيا وهي لا تعد ولا تحد، منهم من يطلب الكشـــف الإلهي، ومنهم من يطلب الإطلاع على الأنوار الربانية الســـارية في كل الكائنات العلوية والسفلية، ومنهم من هو على قدره يطلب الرؤيا الصـادقة المنامية، ومنهم من يطلب أن يكون على الدوام كل ليلة مع الحضرة المحمدية .. كل هذه الأشياء الله ﷻ يعطيها لهم لأنـه قـال في شـــأنهم: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (٣٤الزمر) وأعلى مرتبـة من الجنان تسمى جنة المعرفة بالله ﷻ، قيل في ذلك: إن لله جنة عاجلة من دخلها لايحتاج إلى الجنة الآجلة ألا وهي المعرفة بالله تعالى.

---

٣٣ سنن ابن ماجة عن ابن عمر ﵄

وإذا كان يريد الجنة في الآخرة فالله ﷻ يعطيه أي منزل من منازل الآخرة، وأرقى المنازل وأعلاها وأبهاها هي رؤية وجه الله ﷻ.

﴿ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ﴾

زيادة تشريف وتكريم أن الملائكة يعرفونهم ويؤكدون لهم أنهم دوماً هم الذين يمدونهم ويلهمونهم بالخير، وهم الذين يحضـــونهم على عمل البر، وهم الذين يحفظونهم من المهالك، وهم الذين يحيطون بهم عند الصـعاب، وهم الذين ييسـرون لهم كل الأمور، ولو طالعت في دووابن الأولياء وما فعل معهم ملائكة السماء في كل هذه الأمور تجد العجب العجاب!! يكفي في ذلك قول رسول الله ﷺ:

{ إِذَا انْفَلَتَتْ دَابَّةُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضٍ فَلاةٍ فَلْيُنَادِ: يَا عِبَادَ اللَّهِ احْبِسُوا، يَا عِبَادَ اللَّهِ احْبِسُوا، فَإِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الأَرْضِ حَاضِرًا سَيَحْبِسُهُ }[٣٤]

وفي رواية أخرى:

{ إِذَا أَضَلَّ أَحَدُكُمْ شَيْئًا، أَوْ أَرَادَ أَحَدُكُمْ عَوْنًا وَهُوَ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسٌ، فَلْيَقُلْ: يَا عِبَادَ اللَّهِ أَغِيثُونِي، يَا عِبَادَ اللَّهِ أَغِيثُونِي، فَإِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا لا نَرَاهُمْ }[٣٥]

٣٤ المطالب العالية لابن حجر والطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
٣٥ معجم الطبراني عن عتبة بن غزوان رضي الله عنه

يجد الشـــئ الذي يبحث عنه قد جاء له، وهناك مليارات الكرامات في هذا الباب جرت للصـــالحين والصـــالحات، وقد يكون أنتم قد جرى لكم مثل هذه الأمور ولكن لم تســـجلوها في دفاتر ولا كتب، لأننا كلنا والحمد لله لنا نصـــيب في ولاية الله جل في علاه.

ما تشتهيه الأنفس الصالحة

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيَ أَنفُسُكُمْ ﴾:

ولكنهم في هذا الوقت نفوسهم لا تشتهي إلا وجه الله، أو معية حبيبه ومصطفاه، لن يشـــتهوا طعاماً أو ملبســـاً أو يشـــتهوا دابة كســـيارة مثلاً .. فهذا مآلهُ ومال الولاية؟!!..فهو مازال في الدنيا، لكن من وصل لهذا المقام ماذا يشتهي؟

يشـتهي وجه الله، مكانتك في الجنة يجب أن تراها سـاعة الموت أو قبلها، ونحن جميعاً الحمد لله من أهلها وقد قال ﷺ:

{ لَيُحْبَسُ أَهْلُ الْجَنَّةِ بَعْدَمَا يُجَاوِزُونَ الصِّرَاطَ عَلَى قَنْطَرَةٍ، فَيُؤْخَذُ لِبَعْضِهِمْ مَنْ بَعْضٍ مَظَالِمُهُمُ الَّتِي تَظَالَمُوهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا، أُذِنَ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَلأَحَدُهُمْ أَعْرَفُ بِمَنْزِلِهِ فِي الآخِرَةِ، مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا }[٣٦]

٣٦ الحاكم في المستدرك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

لســت محتاجاً أن تأخذ العنوان وتطلب أن يوصـــلك أحد، لكن: ﴿ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴾ (٦محمد) يجب أن تعرفها وأنت هنا، فيكشفوها لك، ويورونك إياها، فتعرف طريقها، وتعرف إلى أين أنت ذاهب، ســـيدنا عمرو بن الفارض ﷺ وأرضـــاه في سكراته الأخيرة كاشفه الله ﷻ بمنزلته في الجنة، فقال مخاطباً ربه ﷻ:

فـإن تـكُ منـزلـتـي في الـحـب عنـدكم ما قـد رأيـت فقـد ضـــيعـت أيـامـي

إن كانت منزلتي القصور العالية التي في الجنة هذه فإن أيامي كلها ضاعت، إذاً فماذا تريد؟! أريد وجههُ: ﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾ (٥٢الأنعام)، ماذا تريد؟ وجه الله ﷻ ورفقة الحبيب ﷺ، فتدخل في قولهِ ﷻ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩الفتح) وتكون في هذا المقام، ماذا تريد؟ ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ ﴾ (٦٩ النساء) هذا الذي تشـتهيه أنفسـهم، ولذلك كان الرجل الصالح يقول:

فنظرةٌ منـك يـا ســؤلي ويـا أمـلي أشـــهى علـيَّ من الـدنيـا ومـا فيهـا

كل ما أريده نظرة واحدة منك، ولذلك أعطى الله لهم شـــئٌ عظيم وعجيب وغريب:﴿ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

سمعت مولانا الشيخ محمد علي سلامة رضوان الله عليه يقول:.أن هذه الآية أعظم من: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (٣٤الزمر) فلهم ما يشاءون تعني أن ما يريدونه سيأخذوه، لكن ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾.يعنى حتى الذي لم يكن ليخطر ببالهم ويريدونه فسوف يأخذوه، فما سوف يدّعُوه مع حالٍ في الدنيا فسوف يأخذوه، فإذا بَشّروا أحد ببشرى عظيمة فإن الله يلبيها لهم، وإذا بشروا أحد بمنزلة كريمة فإن الله يقرها لهم، وإذا بشروا أحد بتوبة فإن الله يقبل توبته....

ولذلك قال ﷺ في سيدنا أبو لبابة عندما ربط نفسه بسارية المسجد وقال:

{ لا أَبْرَحُ مَكَانِي حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيَّ مِمَّا صَنَعْتُ، وَعَاهَدَ اللَّهَ لا يَطَأُ بَنِي قُرَيْظَةَ أَبَدًا، وَلا يَرَانِي اللَّهُ فِي بَلَدٍ خُنْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيهِ أَبَدًا، فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَبَرُهُ، وَأَبْطَأَ عَلَيْهِ، وَكَانَ قَدِ اسْتَبْطَأَهُ، قَالَ: " أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ جَاءَنِي لاسْتَغْفَرْتُ لَهُ. أَمَا إِذْ فَعَلَ مَا فَعَلَ، فَمَا أَنَا بِالَّذِي أُطْلِقُهُ مِنْ مَكَانِهِ، حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ "}[٣٧]

هذا الكلام كله منزلة وليس حال، لأن دوام الحال من المحال:

---

٣٧ جامع البيان للطبري

﴿ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ كل هذه العطاءات منزلة ثابته يقينية لهم عند الله ﷻ، ثم شملهم الله ﷻ باسمين عظيمين من أسماء الله يجعلونهم في بشرى دائمة من حضرة الله، لأن إسم الغفور ملاحظ لهم، وهذا يجعلهم لا يخشون ما اقترفوه ولا ما فعلوه، وإسم الرحيم قرين لهم، لأن الله يقبل الشئ الصغير منهم ويضاعفه لهم أضعافاً كثيرة.

تحدثنا عن أولياء الله، وأحباب الله، والصالحين وأوصافهم وأخلاقهم وأحوالهم وما جهزه الله ﷻ لهم من أنواع النعيم وأصناف التكريم، وما ذكرناه ينطبق على أتباع الصالحين وأحباب الصالحين والمعينين والمؤازرين والمساعدين للصالحين في كل وقت وحين.

أوصاف أئمة الصالحين

إذاً فمن يريد أن يكون إماماً من أئمة الصالحين؟

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾:

ليس هناك أفضل ولا أرقى ولا أعلى ولا أبهى من الذي يدعوا الخلق إلى الله ﷻ، وأعظمهم وأكرمهم وأستاذهم ومعلمهم هو سيدنا رسول الله ﷺ، تنطبق الآية على حضرته وتنطبق أيضاً على ورثته.

فإن الوارث له حكم مورثه، كيف نعلم أن هذا الرجل وارثاً لرسول الله ﷺ فنتبعه ونُسلّم إليه؟ عندما يكون أوصاف الحبيب ﷺ التي ذكرها في قرآنه ظاهرةً لنا فيه، فكأنه صورة صغيرة جداً جداً جداً مجملةً بجمال رسول الله ﷺ، لا يدعوا إلى الآخرة ولا يدعوا إلى الجنة فقط وإنما يدعوا إلى الله، وهذه أعلى المقامات.

هناك دعاةٌ للشريعة يُعلّمون الناس شرع الله، وهم علماء الشريعة، ويقال لهم الفقهاء، وهناك دعاةٌ إلى الجنة وهم العُبّاد؛ الذين يتفنّون في العبادة على نهج رسول الله، ليكون لهم درجات عالية في الجنة، وهناك دعاةٌ للنجاة من النار وهم الزُهّاد؛ الذين يزهدون في الدنيا وطيباتها وشهواتها حتى يضمنوا عدم الدخول في جهنم وبئس القرار، وهناك دعاةٌ إلى عمل البر والخير .. لكن أعلى هؤلاء مقاماً الذي يدعوا إلى الله جل في علاه، إلى جمال الله، وإلى كمال الله، وإلى جلال الله، وإلى مراقبة الله، وإلى خشية الله جل في علاه .. وهذا المقام الأعلى الذي كان عليه رسول الله ﷺ وورثته: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (٢٨فاطر).

هؤلاء هم العلماء الذين على الحق اليقين: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ (٣٩الأحزاب)

ويدعون إلى الله بأفعالهم وأحوالهم قبل أقوالهم، فإن الدعوة إلى الله بالحال فوق الدعوة إلى الله بالمقال، وقد قيل (حال رجل في ألف رجل خيرٌ من كلام ألف رجلٍ في رجل واحد) من أجل ذلك قال تعالى: ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾.

ومع أنهم وصلوا إلى أعلى مقامات خشية الله، وتقوى الله، والخوف من جلال الله، وكبرياء الله، ويدعون إلى الله بحالهم وبأعمالهم؛ إلا أنهم لا يرون لأنفسهم لا حالاً ولا قالاً ولا ظهوراً، ويجعلون أنفسهم في غمار المسلمين: ﴿ وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٣٣ ﴾ الُمسْلِمين الُمسَلِّمِين لله ﷻ في كل وقت وحين، فلا يعترضون على قضاء، ولا يجزعون عند بلاء، ولا يشتطون في معادات الأعداء، بل يمشون على نهج سيد الرسل والأنبياء ويسلموا لأمر الله جل في علاه، هذا حالهم مع الحق.

أما حالهم مع الخلق:

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾:

أخِلاقُهم مع الخلق تكون كما قال أبو ذر ﵁:

{ أَوْصَانِي خَلِيلِي أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ بِسَبْعِ خِصَالٍ، فَلَنْ أَدَعَهُنْ حَتَّى أَلْقَاهُ، أَمَرَنِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ وَمُجَالَسَتِهِمْ، وَأَنْظُرُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي، وَلا أَنْظُرُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَلا أَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا، وَأَنْ أَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي، وَأَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي، وَأَنْ أَقُولَ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ أَمَرَّ مِنَ الصَّبْرِ، وَلا تَأْخُذُنِي فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لائِمٍ، وَأَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ }[٣٨]

من لم يدخل نفســهُ بنفســهِ بجهاد نفســه في هذه المقامات فليس له في الدرجات العليا نصـيب،لأن هذه التي قال الله ﷻ لحبيبه فيها: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ (١٩٩الأعراف) فقال ﷺ لمَّا نزلت هذه الآية:

{ مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ }[٣٩]

---

٣٨ اتحاف الخيرة المهرة للبوصيري
٣٩ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، وتفسير بن أبي حاتم

ولذلك لو وجدت رجلاً في عِداد أحباب الصالحين يحاسب أحبابه وإخوانه على الصغيرة والكبيرة، والهفوة الصغيرة يجعلها كبيرة فاعلم أنه ليس منهم، إذاً فما بال أحباب الصالحين؟ اسمع للإمام أبو العزائم ماذا يقول فيهم:

وستراً لعورات الأحبة كلهم   وعفواً عن الزلات فالعفو أرفق

إذا وجدت أحد كلما تكلم يتحدث عن هذا وذاك تعلم أنه شيطان وسط الأحباب، وهذا مفرق بين الأحبة، إذا تحدث معك عن أن فلان قال عنك كذا وكذا، ألا تتغير القلوب؟! ألا تتغير الصدور؟! وهذا ليس حال أهل النور .. أهل النور أهَم ما يحرصون عليه سلامة قلوب جسد الإخوان.

الإخوان جسد واحد، تسري فيهم روح واحدة هي روح المحبة الإلهية، وروح الأسرار النبوية، وروح الأخلاق والذات المحمدية المصطفاوية، فالذي يسعى فيها بالنميمة يكون شيطان، ويكون مقرون بالشيطان، وليس له نصيب في وراثة النبي العدنان ﷺ.

فسيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام وجد جماعة ذاهبين إلى امرأة يريدون أن يرجموها بالحجارة، قال ماذا هناك؟ قالوا إنها زانية، فقال عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام: (من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها) ابحث عن نفسك أولاً:

{ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ }[٤٠]

٤٠ مسند البزار ومسند الشهاب عن أنس ﷺ

فالأخ الذي عيونه مســـلطة على عيوب الأحباب يكون وقع في فخ الشـــيطان والعياذ بالله ﷻ، ويجب أن يُبصّـر نفسـه ويستتيب لأننا مؤلفين ولسنا منفرين، نؤلف بين الأحبة ولا نُنفّر، وســـلاحنا أن لا نغضـــب لأنفســـنا قط كنهج الحبيب ﷺ، ولكن نغضب إذا انتهكت حرمات الله ﷻ.

أخ لا يصلني أصلْهُ لله، وآخر سوف يقاطعني أصله أنا من أجل رسول الله: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٌ ﴾ (الحجرات) فالذي يُفرق بين إخوة من أب وأم واحد، أو يدخل بين أحباب رســـول الله ويريد أن يفرق بينهم .. مال هذا ومال جماعة المســـلمين؟!! هذا مسكين نفسه ضحكت عليه، والشيطان تمكن منه، فأصبح شيطاناً في صورة إنسان لأنه يحمل بضاعة الشيطان!! وما بضاعة الشيطان؟ أن يفرق بين الأحبة، وأن يمشي بينهم بالغيبة والنميمة والذم والتفريط والقَدْح .. انظر ماذا قال عليك فلان، وماذا فعل فيك فلان؟ .. ولماذا تذكر هذا الكلام؟! اذكر محاسنه، أو اذكر فضائله .. لكي تحافظ على مجتمع وجماعة المؤمنين.

فصفات عباد الرحمن الوارثين للنبي العدنان ﷺ هي:

﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ :

الجهل أحسن أم العلم؟ العلم، إذاً أدفع الجهل بالعلم، والحلم أحسن أم سرعة الغضب؟ الحلم، إذاً أدفع الغضب بالحلم .. وقس على ذلك بقية السجايا والأخلاق، فالسجايا الظلمانية والأخلاق الشيطانية أدفعها بالأخلاق القرآنية والسجايا المحمدية والكمالات الإلهية!! إذاً هذه صفاتي أنا لكي أكون من ورثة النبي العدنان ﷺ:

﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾:

عندما يمشي الإنسان بهذه الأخلاق فإن أعداءه سيصبحون أحب الناس له، مثلما كان يحصل مع حضرة الحبيب، وأصحاب الحبيب، ومن حاربوا الصالحين وانقلبوا إلى عاشقين بأحوال الصالحين مما رأوا من أخلاقهم في كل وقت وحين.

وهنا توجد زلة كبيرة جداً يقع فيها كثير من المحبين، وهو لا يدري أنها زلة، مع أنها عمل خسيس من أعمال الشيطان الرجيم..:

مع زوجته في البيت كلما يجلس مع زوجته، يقول لها أختك قد فعلت كذا وكذا، وأخوك فعل كذا، وأبوك صفته كذا، وأمك كذا، ويريد أن يستأثر بها لوحده ويقطعها عن أهلها .. هل يصح هذا الكلام؟! هل هذا ذكر الله الذي أُمرتُ به؟! لماذا لا تقرأ معها كتاب الله؟! أو تذاكر معها في سيرة الصالحين من عباد الله؟!

لماذا لا تذكرها بسير السلف الصالح؟!.

لا يمشـــي المريد في طريق الله أنُملة إلا إذا منع نفســـه عن قيل وقال حتى مع زوجه، هل عندك الوقت لقيل وقال؟! إنما قيل وقال فقط تكون عند قال الله، وقال رســـول الله، وقال الصـــالحين من عباد الله، لكن هل عندي وقت للأقوال الغير لائقة الهابطة المنافية للأدب؟! وهذا الذي ضـــيّع الأمة الإســـلامية والمجتمع الإســـلامي ومجتمعات الصالحين في هذا الزمان.

فالناس مفتحة الأعين على أخطاء الآخرين، ولو لم يجد خطأ يتلمس أخطاء!! في حين أنه من المفروض أن تكون عدســـاته كلها على نفســـه، وأخطاء الناس وراء ظهره، فما لي أنا وما لهم؟! وهل سأحاسبهم؟ الذي سيحاسب الكل هو رب الكل، وأنا يجب أن أكون مثل رســـول الله: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٢١الأحزاب)

السّمْح، السَمَاح، العفو، الصفْح .. أليست هذه أخلاقه؟! إذا لم نكن سنتخلق بها فمن الذي سيتخلق بها؟!.

الجهاد الأعظم

من يريد أن يكون من ورثة رسول الله ﷺ عليه أن يَصلْ من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه .. لكن سيجعل نفسه كبيراً، فإن نفسه ستقول له: كيف تذهُب لتصالحه؟! يجب أن يأتي هو ليصالحك، إذاً ستبق مثلما أنت في حزب الشيطان، لأن حضرة النبي ﷺ قال:

{ وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلامِ }[41]

وأنت لا تريد أن تدخل في هذه الخانة، إذاً كيف تريد أن تكون وارثاً لرسول الله؟! أليست هذه أخلاق الإسلام؟! أخلاق تحتاج عزيمة قوية لكي يتفضل الله ﷻ بها على العبد، يتفضل عليه بالأخلاق الإلهية، وبالدرجات الوهبية التي يقول لنا فيها الله في آياته القرآنية: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ صبروا على ماذا؟ صبروا على جهاد النفس، هذا هو الصبر الأعظم، فالصبر على الحرب سهل، والصبر على الـمُر سهل، لكن الصبر الأعظم هو الصبر على جهاد النفس: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ (٧٨الحج) ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا ﴾ ليس في الحرب!! ﴿ لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ السُبل خاصتنا التي تؤدي إلى جمَالنا وكمَالنا وعلومَنا ولأحوَالنا العلية وكشوفَاتنا القدسية، وهؤلاء أين أقلهم؟

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (٦٩العنكبوت) يجب أن يكون في مقام الإحسان.

[41] البخاري ومسلم عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ والحظ هنا يعني عناية من الله، فأصـل الولاية عناية في خبَا الأيام ادَّخرها الله ﷻ لمن أحب من الأقوام، واطَّلَع عليهم الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وأمره أن يواليهم بنظرات العطف والحنان والشـوق والإكرام، حتى يتربوا التربية النورانية فيكونوا دائماً وأبداً لا يغيبون عن الله ﷻ، ولا يغيب عنهم الله ﷻ طرفة عينٍ ولا أقل ..!!!

فجهاد النفس هو السبيل الأوحد لتكون مع الأحبة:

جاهد نفوساً فيك بالشرع الأمين	واحذر قوى الشيطان في القلب كمين
غل وحرص من حسودٍ جاهلٍ	ظُلم العباد بنيةٍ في كـل حين

هذه القصيدة أخذنا سنوات في تطبيقها لكي نفوز ونجوز، لأني وضعتها في لوح القلب، فأخذ في ترديدها ، ويحاول أن يتخلص من الصفات التي أشاروا إلينا لنا فيها.

لكننا نريد أن نصـل إلى المقامات العلية، ومعنا الأوصـاف الظلمانية!! كيف يكون ذلك؟! لا يجوز، فالتحلي بعد التخلي:

التحلي بالتخلي	بعد محوي لمحلي

يجب التخلية لكي تأتي التحلية!

ولا بد أن أنصـرف عن التحلية لكي يأتي التجلي، ولا بد أن أضـع التجلي خلف ظهري لكي أهْنَأ بالتّمَلّي، وكلها مجاهدات، وأولها جهاد النفس.

جاهد نفوساً، وليست نفساً واحدة فيك بالشرع الأمين، واحذر قوى الشيطان، والشيطان في أي مكان يكون؟! في القلب، لذلك عندما يأتي أحد من الغافلين ونحن في الصلاة، ويضع رجله فوق رجلي!! لماذا يا بني؟ يقول لكي لا يدخل بيننا الشيطان، أقول له: يابني الشيطان بداخلك، أيكون الشيطان بيني وبينك؟ لا، الحديث هو الذي قال لنا هذا:

{ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ }[42]

ليس بينه وبينك! وإنما هو بالداخل، في القلب، كيف سيصل إلى الله قبل أن ينزع: ﴿ وَنَزَعْنَا ﴾ هذا النزع ماذا يعني؟!! الشدة، أي لا يترك أي أثر، فلم يقل (وقطعنا)

لأنها سوف ترجع مرة أخرى، ولكن (نزعنا) ﴿ مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ (٤٣الأعراف)

وشجرة الغل معها الحقد ومعها الحسد ومعها الظلم ومعها كل الصفات الجِبلِّية التي أمرنا الله ﷻ بنزعها في الآية القرآنية.

نسأل الله ﷻ أن يعيننا على ذلك وأن يبلغنا ذلك وأن يشرح صدورنا للعمل بذلك وأن يؤهلنا لذلك

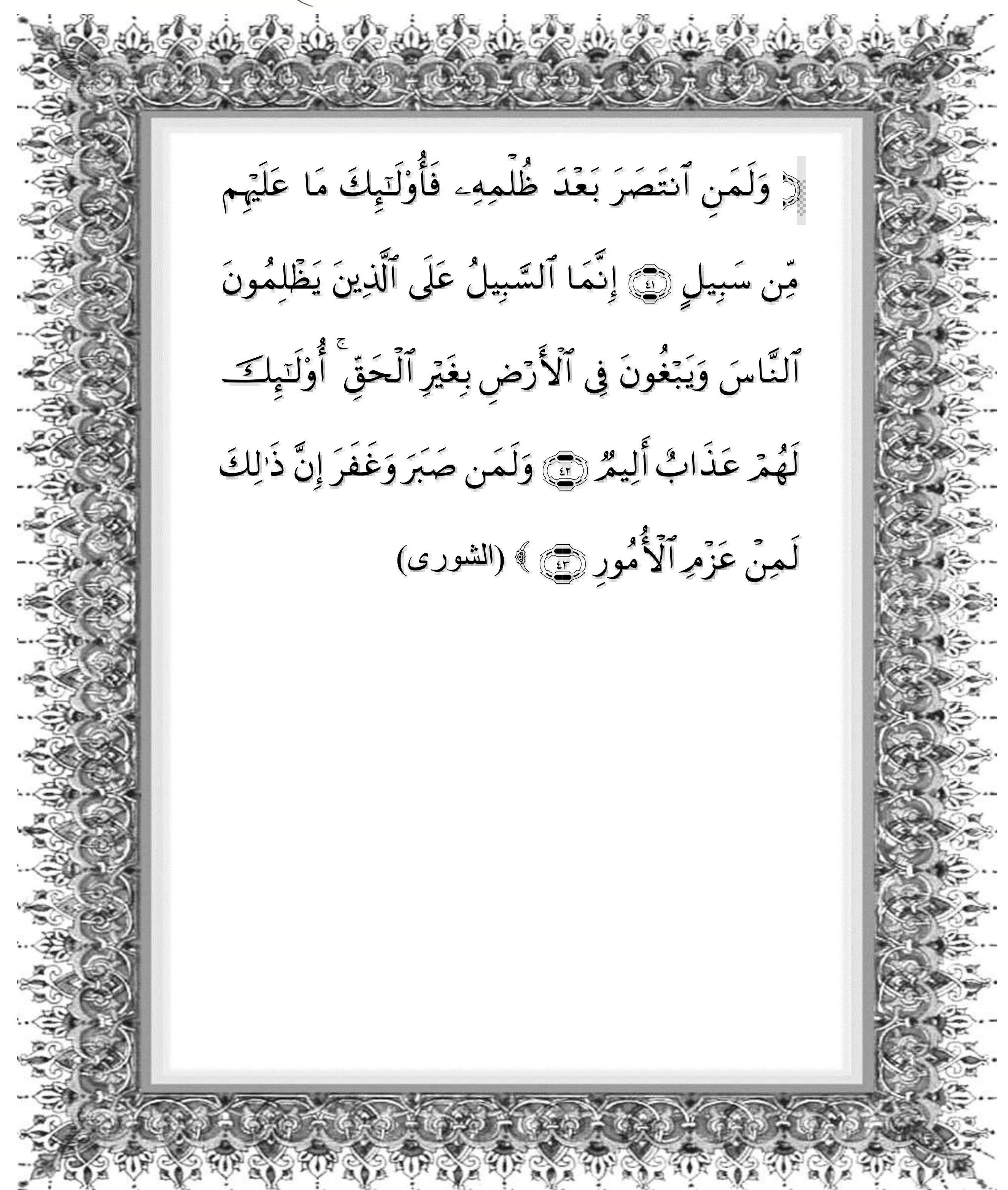
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

[42] البخاري ومسلم عن صفية بنت حيي رضي الله عنها

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾



﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ (الشورى)

٣.أهل عندية الله[43]

بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي أنزل لنا القرآن شفاءً ورحمةً للمؤمنين، ويا ليت كل مؤمن يتناول من هذا الشفاء جُرعةً كل يوم، فإنه يعيش حياته كلها بلا داء ظاهرٍ أو باطنٍ، ويجعله الله من الأتقياء الأنقياء، ويُتوجُّه بتاج ولايته يوم العرض واللقاء، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد الذي جعل الله قلبه محلاًّ لتنزل القرآن، ولسانه أول لسان ينطق بالقرآن، وبدنه أول جسم يقوم بالعمل بما جاء به القرآن، وأخلاقه وأوصافه ترجمة عملية لما طلبه حضرة الرحمن، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، والداعين بدعوته، والمتشرفين بالإنتساب إلى أمته، واجعلنا معهم ومنهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

متاع الحياة الدنيا

سيدنا رسول الله ﷺ هدَّده الروم بأنهم سيرسلون جيشاً كبيراً يستأصل المسلمين أجمعين بما فيهم نبي الأمة ﷺ، وقالوا أن هذا الجيش سيكون عدده مائتي ألف، فماذا يصنع؟ فأعلن النبي ﷺ الخبر على أصحابه، ودعاهم إلى التبرُّع بما يستطيعون بالنفس وبالمال وبالزاد وبالمركوب - الإبل والخيول التي يركبونها - وبالسلاح ليُجهِّز جيشاً يستطيع به أن يقابل هؤلاء الأعداء.

---

[43] الأقصر – نجع الطويل بالطود ١٨ من صفر ١٤٣٩هـ ٢٠١٧/١١/٧م

وجلس في المسجد، والمسجد كان مقرّ البرلمان، ومقرِ رئاسة الجمهورية، ومقر حضـرة النبوة، ومقر مجلس الشـورى، ومقر حلقات العلم وحلقات الذكر، وكل شـيء كان يتم في بيت الله تبارك وتعالى.

فعرَّفهم ودعاهم إلى التبرع، وجاء كل واحد بما تجود به نفسه، سيدنا عمر يقول وافق هذا وفرةٌ عندي في المال، فجئتُ بنصـف مالي، وظنَّ أنه لن يسـبقه أحد، فسـأله النبي ﷺ والجميع يسمع:

{ مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟ فقال: مِثْلَهُ }[44]

جاء بنصـف ماله، وأبقى لأهله النصـف الآخر، ثم جاء سـيدنا أبو بكرٍ الصـديق ﷺ، والنبي بالبصـيرة الإلهية صـلوات الله وسـلامه عليه يعلم بعلم ربه علم اليقين ماذا سـيصـنع أصـحابه المباركين، يعلم أن هذا الرجل لن يترك شـيئاً وسـيأتي بكل شـيء، ولذلك لم يقُل له: بماذا أتيت؟ ولكن قال له:

{ يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ }[45]

يعني أتي بكل ما يملك لله ورسـوله، وكعادة البشـر، العادة التي أمرنا بالتخلص منها سيد البشر، دائماً الناس يحبون التدخل فيما لا يعنيهم، فقال لنا:

---

٤٤ جامع الترمذي وأبي داود
٤٥ جامع الترمذي وأبي داود

{ مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ }[46]

مثلاً لو اشــترى أحد محمول غال، يســأله أحدهم: من أين اشــتريته؟! وبكم؟! ولماذا؟! فهذه الأسـئلة لا ينبغي أن تُقال، فهل أنت وليّ أمره؟! فحتى لو أنك محاسـب لن تسـأله هذا الأسـئلة ... فالمؤمن يجب أن لا يتدخل في أمور غيره، إلا إذا كان على سبيل النصيحة بالطريقة الصحيحة.

فأخذ البعض يلومون سيدنا أبو بكر: لماذا أتيت بمالك كله؟ ولماذا لم تترك شيئاً لأولادك؟ وهذا يكلمه، وهذا يكلمه، فنزل قول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ كل ما معك في الدنيا، إن كان مال أو أرض أو عمارات أو فيلاَّت أو صـحة أو شـهادات أو منصـب أو جاه .. كل هذا ما دام في عالم الفناء فيكون إلى الفناء، متاع فان: ﴿ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾.

ولماذا يعمل المؤمن يا رب؟ ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴾ أنتم تلومون هذا الرجل الذي يعمل لأنه يريد أن يكون في درجة عليَّة هنيَّة عند رب البرية، المفروض أن تلوموا من شـغلته الدنيا الدنية عن طاعة الله، ولكن نحن نلوم الذي يستكثر من الخير، ويُفتِّح أبواباً للبر ليصل إلى درجة العندية.

---

[46] جامع الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه

حضرات القرب العلية

فدرجات القُرب مع حضـــرة الله منها درجة اللدنية وهي للأنبياء والمرســـلين: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝ ﴾ (٦النمل) ويصـــل إليها أحياناً كُمَّل الوارثين: ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥الكهف)

الدرجة التالية لها هي درجة الصـديقين، واسـمها درجة العندية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ ﴾ (٢٠٦الأعراف) عند الله بأرواحهم وقلوبهم، وهي درجة عالية.

وهناك درجة المعية لأهل الإحسان:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (١٢٨النحل).

فدرجة المعية لأهل مقام الإحســـان، ودرجة العندية لأهل مقام الإيقان، ودرجة اللدنية لمن تجاوز المقامات وفات الدرجات، وأصـــبح ليل نهار في المشـــاهدات والمواجهات لإكرامات الله تبارك وتعالى.

مقام العندية درجة راقية، وهي التي اختارها الله لسيدنا أبو بكر الصديق رضي الله تبارك وتعالى عنه، وهي الدرجة الباقية.

هل يوجد رجلٌ يكون عند الله صـــديقاً ويُحال إلى المعاش، أو يتم عزله؟! لا، فالدرجات التي في الدنيا كلها حتى ولو كان رئيس جمهورية فهي دورة، وقد ينتهي قبل الدورة فتقوم عليه ثورة، أو يقدم استقالة أو غيره، وكذلك كل الدرجات الدنيوية.

لكن الدرجات الباقية الراقية هي الدرجات الأُخروية عند الله تبارك وتعالى، والمؤمن لا بد أن يحرص في دنياه أن لا يخرج من هنا إلا إذا حصَّـــل منزلة كريمة عند مولاه، لأن التحصـيل من هنا، مثل الإنتخابات، هل لو انتهت الإنتخابات يترشـح أحدٌ آخر؟ لا، فقد انتهى الأمر.

فإذا انتهت الحياة الكونية بالنسبة له لم يعد هناك عمل ..!!

ولا يســـتطيع أن يُحقق من الأمل إلا ما يوافق ما عمله من عمل، فإذا كان يريد أملاً أكبر من ذلك، فلِمَ لم تعمل له؟!.

أمل المؤمن في حضرة التقريب

ولذلك المؤمن الكيِّس الفطن دائماً يوطِّن نفسه من الدنيا، ما الدرجة التي يريد أن يخرج عليها من الدنيا ويلقى بها الله؟ فيبحث عن هذه الدرجة وما الأعمال التي توصِّل إليها؟ وما الأحوال التي تجعل الإنسان يكتسبها؟ وما المنافع التي تعود على الإنسان من رُقيه إلى هذه الدرجة؟

لكن الذي لم يحدد في ذهنه ولا قلبه درجة يخرج بها من الدنيا ــ يعيش في الدنيا بلا معنى، وعند خروجه من الدنيا يقول: ﴿ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ (٥٦الزمر) سيتحسَّر لأنه لم يجد ما كان يتمناه، نفرض أنه كان يتمنَّى درجة ولكنه وقف عند التمنِّي، ولم يبحث عن الأعمال التي تُوصِّل إليه فيعملها، ولا الأحوال التي تجعله ينزل فيها فيتجمَّل بها:

{ لَيْسَ الإِيمَانُ بِالتَّمَنِّي وَلا بِالتَّحَلِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ }[٤٧]

فلا بد أن أُحدد الدرجة في مُهجة فؤادي، وأستعين بكتاب الله، وأنظر إلى المواصفات التي تؤدي إلى هذه الدرجة.

مقام العندية

من الذي يريد أن يكون من أهل مقام العندية؟ .... ننظر مَن الذي سينزل فيه: ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ لمن؟ ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

---

٤٧ دليل تاريخ بغداد لابن النجار عن أنس ﷺ

أول صفة الإيمان الصادق، فهو الذي يُوصِّل إلى مقام التوكل، والإيمان الذي يُوصِّل إلى مقام التوكل إيمانٌ عالٍ، لأنه يجعل المرء بما في يد الله أوثق منه بما في يد نفسه، لا يخاف أن تضيع الدنيا منه، ولا يفرح إذا جاءته، كما كان سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ، وربنا مدحه وقال له: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ (٢٣الحديد) لأن كل ما عنده ينفقه في سبيل الله، فلِمَ يحزن عليه؟! فهذا يطمئن أنه باق له يوم لقاء الله تبارك وتعالى.

سيدنا رسول الله ﷺ أعطى حتى نساءه درساً عملياً في هذا الباب الهام، ذبح شاة وأمر السيدة عائشة رضي الله عنها بأن توزعها، وتركها وخرج وبعد أن رجع سألها:

{ مَا بَقِيَ مِنْهَا؟ قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلا كَتِفُهَا، قَالَ: بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا }[48]

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ (٩٦النحل) الباقي الذي تُعطيه لله تبارك وتعالى، لكن ما كان عندك لو عشت مائة سنة أو عشتَ ألف سنة، فسيأتي يومٌ من الأيام سيقال لك: اترك هذا كله وتعالى فلم يعد لك فيه شيء ولكنه ملكٌ للورثة، وحتى ليس من حقك أن تتدخل في توزيعه، فنحن نوزعه بما أنزل الله في كتاب الله، وبما بين ووضح سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

سيدنا أبو بكر من شدة إيمانه قال فيه النبي ﷺ:

---

٤٨ جامع الترمذي ومسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها

{ لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ مَعَ إِيمَانِ النَّاسِ لَرَجَحَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ }[٩٤]

إيمانه يســـاوي إيمان الأمة كلها، فما برهان هذا الإيمان؟ وما دليل هذا الإيمان عند الله وعند الخلق؟ التوكل على الله ﷻ: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ وهي الصـــفة الثانية، فقد كان متوكِّلاً توكُّلاً تاماً على رب العباد ﷻ، فقد أتى بما عنده كله، ولم يخش أن يجوع أولاده، أو يحتاجون، لأنه يعرف أن الرزَّاق لن ينســـاهم، ولن يتركهم لغيره طرفة عين ولا أقل.

ولكن هذا العمل يحتاج إلى يقين: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ (٩٩الحجر)

يحتاج إلى إيمان يصـــل إلى درجة اليقين، ويحتاج إلى حُســـن التوكل في كل الأمور على رب العالمين ﷻ.

والتوكل لا ينافي الأسباب، لكن أنا أسعى في الأسباب، وأعتمد في النتيجة على رب الأرباب ﷻ، والنتيجة التي يأتيني بها أرضـــى بها، ولا أعترض عليها، ولا أشـــمئز، ولا أتغير، لأني بذلتُ ما في وسـعي، وأعرف أن الله ﷻ يختار لي الأفضـل والأقوم والأحسن في الدين والدنيا والآخرة.

---

[٩٤] الفوائد المجموعة للشوكاني

كبائر الإثم والفواحش

الصـــفـة الثـالثـة: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ وهنـاك قراءة أخرى:

﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبيرَ الإثْمِ وَالْفَوَاحِشَ ﴾ إذا أخذنا بالقراءة (كبير الإثم) فأكبر إثم في الدنيا هو الشرك بالله تبارك وتعالى، قال ﷺ:

{ أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ: أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ }[٥٠]

والشـــرك قد يكون ظاهر جلي، كالكافرين والجاحدين، وقد يكون شـــركٌ خفيٌّ كالذي يقع فيه المؤمنين، والذي قال فيه ﷺ:

{ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ }[٥١]

وهو أن الإنسان يعمل العمل للشُهرة وللسُمعة، ولكي يعرف الناس أنه عمل كذا وكذا، وهو نوعٌ من أنواع الشرك ولكنه شركٌ خفيٌّ،

٥٠ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ
٥١ معجم الطبراني عن رافع بن خديج الأنصاري ﷺ

ولـذلـك يقول فيـه الله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ (١٠٦يوسف)

فأكثرية المؤمنين بالله عندهم هذا الشرك وهو الرياء، والإعجاب بالنفس؛ يفرح بنفسه ويرى أنه ليس أحدٌ مثله.

وهناك مصيبة من المصائب التي نهانا عنها سيدنا رسول الله واسمها العُجب، أي الإعجاب بالنفس، لأن المؤمن لا يُعجب أبداً بنفسه، لأنه غير مطمئن إلى قبول الأعمال، فقبول الأعمال في غيب الغيب عند الواحد المتعال تبارك وتعالى.

والفواحش هي الكبائر التي إذا ارتكبها الإنسان تُقام عليه الحدود الشرعية، كالزنا، وكقتل النفس التي حرَّم الله، وكشرب الخمر، وكأكل الربا، كل هذه كبائر تستوجب الحد لو طُبقت الأحكام الشرعية.

هل معنى ذلك أن هذه الآية تُبيح للمؤمن أن يعمل الصغائر؟! لا، لكن معناها أنه لو اجتنب هذه الفواحش الكبيرة وحافظ على الصلاة يُبشره مولاه بأنه سيغفر له الصغائر كما بشرنا في كتاب الله: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ (٣١النساء).

سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال في معنى هذه الآية: (إن تجتنبوا كبائر ما تُنهون عنه نُكفِّر عنكم الصغائر بالصلاة) لأن النبي ﷺ قال:

{ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ }[52]

وهذا المعنى الظاهر لكن العارفين والصالحين لهم غوص في بحار المعاني القرآنية، يلتقطون لآلئ ومرجان من المعاني الحسان التي يُلهمهم بها حضرة الرحمن في آيات القرآن، فقالوا: كبائر الإثم التي تمنع المريد من الترقِّي في الدرجات، ومن المشاهدات والمكاشفات، ومن علوم الفيض والإلهامات؛ الذنوب التي تكون في القلوب وهي الحقد والحسد والغل والكُره والبُغض.

ما دام الإنسان السالك في طريق الله في قلبه واحدة من هؤلاء فلا ينتظر الفتح من الله، ولا ينتظر علم إلهام، ولا ينتظر حتى رؤيا صالحة، ولا ينتظر مكاشفات، ولا تنزلات، ولا مؤانسات، لماذا؟ لأن كل هذا يكون بالقلب، والشرط: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩الشعراء) لا بد وأن يطمئن أن القلب ليس فيه شيئاً من هذه الأمور نهائياً.

ولذلك الذي يُريد أن يمشي معهم شرطه أن يعرض قلبه على الأشعة النورانية التي مع أهل الحضرة الإلهية ليتأكدوا من قول رب البرية:

---

٥٢ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ (٤٧الحجر) فيتحققون أن هذا الرجل لم يعُد في صـــدره شـــيء لأحد، فيســـمحون له بالمشـــاهدات والتنزلات والإلهامات والدرجات الوهبية العلية الإلهامية.

فإذا تبقَّى شـــيء من هذه الاهواء، عليه أن يجاهد نفســـه جهاداً شـــديداً في هذا الأمر.

أما الفواحش فقالوا: هي الذنوب التي تُرتكب عن طريق الجسم والجوارح.

إذاً الذنوب التي تكون بالقلب هي كبائر الإثم التي تمنع القرب من القريب ﷻ، والفواحش هي الذنوب التي يرتكبها الإنســـان بجوارحه ســـواء بالعين أو بالأُذن أو باللســـان أو باليد أو بالرجل أو بالفرج، فهذا معنىً آخر للآية وهو معنىً عرفاني لأهل التوجه النوراني، لكنني أرى أنه معنىً مقبول، وليس فيه شـــيء أبداً يتعارض مع الوارد عن حضـرة النبي أو نصـوص القرآن النازل من عند الله تبارك وتعالى، وليت الناس يكونوا على هذا المنهاج على الدوام.

غضب المؤمن

الصفة الرابعة: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ ما الفرق بين غضب المؤمن وغير المؤمن؟ المؤمن لو غضب يمشي على منهج رسول الله ﷺ، ومنهج رسول الله كما قالت فيه السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ مَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ بِهَا لِلَّهِ }[٥٣]

كان ﷺ لا يغضب لنفسه قط، فمتى يغضب؟ كان لا يغضب إلا إذا انتُهكت محارم الله ﷻ، يعني المؤمن لا يغضب من زوجته إذا تأخرت في طهي الطعام، لأن هذا شيء لنفسه، ولا يغضب من زوجته إذا طلب منها مصلحة وتأخرت عنه، قد يعاتبها أو يلومها إذا زادت وكررت ذلك، وقد يؤنِّبها، لكن لا يصل به الغضب إلى أن يضربها أو أن يطردها، أو أنه يكسِّر الأشياء الموجودة في البيت تعبيراً عن غضبه، أو أن يقول ألفاظاً لا تليق أن تخرج من فم يُسبِّح الله ويقرأ كتاب الله!!، لا يجوز ذلك ولا يليق بمؤمن قط، لأنه لا يغضب لنفسه قط.

---

٥٣ الصحيحين البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

ومتى يغضــب؟ إذا انتُهكت محارم الله، مثلاً إذا أمرتها بالصــلاة مرة ومرتين وصبرت عليها ولم تستجب، فهنا أغضب لله، لكن بشرط أن لا أُدخل شيئاً لنفسي وأجعله سبب غضبي، وأقول هذا الغضب لله، وهو أصله لحاجة في نفسي، وأنا أعرف بنفسي، فلا بد أن يكون الغضب فعلاً لله تبارك وتعالى، وهذه هي الحالة الأولى لغضب المؤمن.

أما الحالة الثانية، فإن المؤمن غير حقود، ومن أين يأتي الحقد؟ أن الإنسان يغضب من إنسان، ويحمل هذا الغضب في صدره ولا يُفرغه، ويريد أن يُنفِّث عن هذا الغضب بأي عمل أو فعل أو قول ليستريح، فالحقود هو الجمل، والمؤمن ليس حقوداً كالجمل، فالجمل لو أهانه أحد حتى ولو كان صاحبه يُخزِّن، ويسكت شهراً أو سنة أو أكثر لكن لا بد أن يأخذ حقه.

صفاء قلب المؤمن

لكن المؤمن غير ذلك، فالمؤمن معه العفو والصفح والمغفرة، فغضبه دائماً وقتي، فعندما يحدث الحدث أمامه فلا بد أن يتغيَّر لأنه بشر، ولكن عندما تمر لحظات الحدث ترجع نفسه وقد انتهى الأمر، وتجده كأن شيئاً لم يكن، لنقاء صدره، وصفاء قلبه، وحرصه على التواصل مع ربه تبارك وتعالى على الدوام، والتواصل مع الله يحتاج إلى قلب نقيٍّ على الدوام، لأنه يريد القلب السليم.

فطبيعة المؤمن أن لا يحمل شيئاً في قلبه نحو أحد من خلق الله، ولو لليلة واحدة، لأن هذا لا يجوز، حضرة النبي يُوصي سيدنا أنس ﷺ - ونحن كلنا أنس إن شاء الله - فيقول له:

{ يَا بُنَيَّ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لأَحَدٍ فَافْعَلْ،

يَا بُنَيَّ وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي،

وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ }[٥٤]

إن استطعتَ أن تبيت وليس في قلبك غلٌّ ولا غشٌّ ولا حقدٌ لأحدٍ من المسلمين فافعل، لأن الذي يُريد أن يكون مع النبي ﷺ؟ ماذا يفعل؟ يحرص في كل ليلة قبل أن ينام أن يكون قلبه خالي وفارغ وجاهز لتنزلات الملك العلام ﷻ.

فرِّغ القلب من سوانا ترانا يا مريداً جمالنا وبهانا

لكن إذا شغلت القلب وجعلت فيه ركن للحقد على فلان، وركن آخر للحقد على فلان، وركن ثالث للحقد على فلان، وقد يتحوَّل الحقد إلى حسد، يعني يريد أن تزول النعمة من عند أخيه، فكيف يتنزل الله بخيره وبره في هذا القلب؟!!.

---

٥٤ جامع الترمذي عن أنس ﷺ

فشرط نزول المعاني الإلهية، والإكرامات الربانية، والعطاءات الإلهية أن يكون القلب قلبٌ سليم: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩الشعراء).

ولذلك أنا أعجب عندما أسمع أحد من الذين يسمون أنفسهم سالكين في طريق الله يقول: أنا لم أنم طوال الليل، وطوال الليل أتقلب يميناً وشمالاً لأني متضايق من فلان!!، وهل القلب لهذا الكلام؟!! القلب أنت حارس عليه أن لا يدخل فيه غير مولاه، ولذلك الحزن يكون وقتياً، ولو انتهى الوقت ينتهي الأمر، وليس في الصدر غل و لا حقد ولا حسد ولا كُره ولا بغضاء ولا شيء من هذا القبيل أبداً.

الاستجابة لله

الصفة الخامسة: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ ﴾ الاستجابة لآيات كتاب الله، والاستجابة لما بلَّغنابه رسول الله، والاستجابة هنا يعني العمل بها، من الذي استجاب؟ الذي أناب، ورجع إلى الله، وعمل بما جاء في السُنَّة والكتاب، لكن أقول أنا استجبتُ ولا أُنفذ، فهذا كمن قالوا سمعنا وعصينا والعياذ بالله، لكن الاستجابة لا بد أن يكون معها التنفيذ.

ولذلك كثير من الأحباب يقول: أنا لي عشرين سنة أو ثلاثين سنة في طريق الله، وأسمع بعض الأحباب يذكر رؤيات صالحة، ومنهم من يذكر مشاهدات، ومنهم من يذكر أنواراً يراها يقظةً أو مناماً، ومن يرى رسول الله، وأنا لم أرى شيئاً، لماذا؟! أقول له: لأنك لم تستجب لما استمعتَ إليه من أقوال الصالحين، فأنت تجلس وتقوم من المجلس كأنك لم تجلس نسياناً لهذا الكلام.

لكن الذين يريدون أن يدخلوا في هذه الرحاب، يخرج من مجلس الصالحين ويظلُّ يعيد الشريط الذي سمعه في قلبه وفؤاده حتى يطبقُه فعلياً ويطبقه عملياً، وبعد أن يطبقه ينظر إلى شريط آخر، أو حكمة، أو درس آخر ليعمل به، والله قال لنا في القرآن ذلك: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء) تنزل لهم الأجور من عالم اللدنية، وليس في الجنة.

وما الأجور التي من عالم اللدنية؟ علماً من لدنا، ونوراً من لدنا، وكشفاً من لدنا، فهذه الأجور التي تنزل من عالم اللدنية، وهي نتيجة الاستجابة، والتي هي الإنابة وأن يفعل الإنسان فوراً ولا يؤجِّل ما استمع إليه من كلام الصالحين الصادقين، لأنها تكون تنزلات من سماء فيض سيد الأولين والآخرين ﷺ.

إقامة الصلاة

الصفة السادسة: ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ وهي أن يحافظ الإنسان على أدائها في وقتها في الأذان الأول في جماعة في بيت الله، إلا لعُذر شرعي جاء في الأعذار التي ذكرها سيدنا رسول الله ﷺ.

لكن لا يجوز لأي واحد منا أن يكون جالساً في البيت أو جالساً في الشارع ويسمع الأذان ويؤخر الصلاة!!: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوۡقُوتًا ﴾ (١٠٣النساء) لماذا تؤخرها؟! ما الفتوى التي أفتيت بها نفسك لتؤخر هذه الصلاة؟! لا بد للإنسان المؤمن عندما يسمع (حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح) يُقبل على الصلاة ويُقبل على الفلاح ويُلبي نداء الكريم الفتاح تبارك وتعالى لكي يحظى بالعطاءات الإلهية والتفُضلات الربانية.

الشورى

الصفة السابعة: ﴿ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾:

وهؤلاء أيضاً ليس عندهم تمسُّك بالرأي، إن كان في المنزل مع الزوجة والأولاد، أو مع رفقائه في العمل، أو في مجالس الأحباب، وإنما كما قال الله في المنهج الذي اختاره لنا ولحبيبه ومصطفاه: ﴿ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾.

وشـورى بينهم يعني يشـتركون، وكل واحد يقول رأيه، ولا نسـتهزئ برأي أي أحد، ولا نُسـفهه، بل نسـمعه وربما يكون فيه وجهة نظر صـحيحة غير منتبهين لها: .... فأي أمر يتخذه المسـلم يتشـاور فيه: إن كان في بيته يشـاور زوجته ويجعل لها كيان، ويشـاور أولاده الذين كبروا ليُدربهم على الشورى، في أي أمر صـغير أو كبير أدربهم على هذا الأمر.

لكن ما يحدث مع معظم رجالات المسـلمين الآن أننا دائماً نحب الدكتاتورية، فيريد أن يُصـدر الفرمان ولا يعترض عليه أحد، ومن يعترض ينطرد، لماذا؟! ما أمر الله؟

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾:

فلماذا أعقل لسـان زوجتي؟ ولماذا أجعلها تتصـف بالجُبن ولا تقول وتُعبِّر عما يجيش في صـدرها؟ وحتى لو لم يعجبني رأيها أشـجعها أن تُبدي رأيها، لأنها صـفة إسلامية أمرنا بها الله وكان عليها خير البرية ﷺ ....

هل النبي كان يحتاج للشورى؟

أبداً لأنه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (النجم) ولكن الله يقول له: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ (١٥٩آل عمران) شاورهم ليتمرنوا على الشورى.

هل الحق ﷻ الخالق يحتاج إلى الشورى؟! حاشا لله، لكنه يجمع زعماء الملائكة ويقول لهم: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ما رأيكم؟ فردُّوا عليه بقولهم: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ (٣٠البقرة) لأنه كان هناك صنفٌ من الخلق قبل آدم على الأرض، ولكن أكثروا فيها من القتل، وأكثروا فيها من الإرهاب، إلى أن أمر الله الملائكة أن ينزلوا ويقضوا عليهم حتى يطهروا الأرض منهم، لذلك قاسوا ذلك الأمر بعقلهم الكاسد، فاعتقدوا أنه سيكون مثل هؤلاء: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ (٣٠البقرة) أن يكون مثل هؤلاء، ثم قالوا: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾(٣٠البقرة) نحن لم نعصك ولم نخرج عن طاعتك طرفة عين ولا أقل، فقال لهم: ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٠البقرة) عندها استغفروا الله وتابوا إليه، لأنهم عرفوا أن هذا أمر خارج عن نطاق قدراتهم التي جمَّلهم بها الله، لكن الشاهد عندنا هو أن الله تعالى شاور الملائكة ليُعرِّفنا أن الإنسان لا بد وأن يشاور، ... قال قاضي تستر القاضي الجليل أبوبكر الأرجاني:

شَـــاوِرْ سِـــوَاكَ إذَا نَـابَتْـكَ نَـائِبَـة يَوْمَـاً وإنْ كُنْـتَ مِنْ أهْـلِ المَشُـــوراتِ
فَـالعَيْنُ تَنْظُر مِنْهَـا مَـا دَنَـا ونَـأى ولا تَـرَى نَـفْسَـــهَـا إلا بِـمِـرْآةِ

حتى ولو كنتَ حكيماً، والناس كلهم يرجعون إليك، فارجع أنت أيضاً إلى الناس، وكانوا يقولون: (من شاور الناس فقد استرشد بآراء الناس كافة) لأنك فهمت وجهة نظر هذا، ووجهة نظر هذا، وستأخذ بالرأي الأصوب.

فالإسلام ليس فيه دكتاتورية، حتى في الحياة العائلية، فيقول بعضهم: أنا قلتُ كذا وكذا وانتهى الأمر، وهذا يحدث من كثير من الرجال، إن كان ذلك للزوجة أو للأولاد حتى المتزوجين منهم، فيكون ابنه متزوجاً ومعه أولاد ويهدده ويقول له: نفِّذ ما أقول وإلا لن تكون ابني ولا أعرفك، فهل الخلاف في الرأي يجعلك تُخرجه بسرعة من النسب والحسب؟!.

لماذا لا نتعوَّد على منهج الله؟! والذي كان عليه سيدنا رسول الله، والذي كان عليه - ولا يزال - الصالحون أجمعون من عباد الله في كل أمر صغير كان أو كبير.

حتى أن الشورى تجعل الإنسان يتكلم بهدوء وسكينة واطمئنان، وليس عنده عجلة ولا تسرع، ولكن في وقت الغضب يتسرع الإنسان في إصدار الأوامر، ويتسرع في بيان ما يُريد، ويمكن أن يُخطئ، لكن الشورى ليس فيها خطأ أبداً لأن الإنسان يستعين بآراء الآخرين أجمعين، وهذا المنهج الإسلامي في الشورى.

الإنفاق

الصــفة الثامنة: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ الباب الأعظم لمن أراد أن يُكرم في أي مقام، وفي أي زمان ومكان؛ الإنفاق.

والإنفاق شــرطه أن يكون لوجه الله، فلو أعطيتُ أحداً شــيئاً لأن لي مصــلحة عنده، فهل يكون ذلك إنفاق؟! لا، أو أُعطي جاري هدية لأنه سبق وأن أعطاني هدية، فهل هذا إنفاق؟! لا، لكن شرط الإنفاق أن يكون لوجه الله، ولا أطلب أجره إلا من الله، ولا أنتظر حتى كلمة شُكر من خلق الله، لأني أعمله لله تبارك وتعالى.

من أي شــيء أُنفق؟ إن كان معي مال فلا بد أن أُنفق جزءاً من هذا المال لفقراء الله تبارك وتعالى الذين ذكرهم في كتاب الله: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ (٢٧٣البقرة)

أبحث عن هذا الصـــنف، لأن هناك أناس تمد يدها، وهؤلاء يأخذون من الكل، ولكن أنا أبحث عن الذي قال فيه النبي ﷺ:

{ لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنْ الْمِسْكِينُ الَّذِي لا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلا يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ، وَلا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ }[٥٥]

ويقول فيه أيضاً:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ يُحِبُّ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ الْفَقِيرَ الْمُتَعَفِّفَ أَبَا الْعِيَالِ }[٥٦]

رجل عنده أولاد كثيرين ودخله لا يكفي الضـــرورات، وعنده عزّة الإيمان التي ينبغي أن يكون عليها كل مؤمن، فلا يطلب ولا يرضـــى أن يأخذ من أحد إلا إذا كان أعطاه بحرفة أو بحيلة لطيفة، ولذلك أنا أحتاج إلى حيلة لطيفة لأُعطيه، لأني لو أعطيته مباشـرة فلن يرضـى لأن عنده عزّة نفس، والإسـلام أمرنا أن نكون على عزّة الله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨المنافقون).

٥٥ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ
٥٦ سنن ابن ماجة والطبراني عن عمران بن حصين ﷺ

لو أعطاني الله شيء من العلم، يجب أن أُبلغ به، وليس شرطاً أن أُبلِّغ في مسجد أو من على منبر، ولكن كلما جلستُ مع واحد أو أكثر، بطريقة لطيفة أُغير مجرى الحوار إلى حوار ديني وأُبلغهم شيء من كلام الله ومعناه، أو شيء من حديث رسول الله، أو شيء من أحكام شرع الله، أو أحكي لهم عن شيء من أحوال الصالحين الصادقين.

وكل هذا يحتاج الجلسات الحوارية، وهي التي تكون أكثر تأثيراً في الناس، لأن هذه الدروس فيها نقطة جوهرية سأكشفها لكم، فهذه الدروس كل واحد يسمع فيها ما يريده، وما تقبله نفسه، والباقي يسدَّ أُذنيه عنه ولا يسمع منه شيئاً، لكن عندما نجلس مع بعضنا، ونأتنس ببعضنا فتكون الآذان كلها صاغية، والقلوب كلها شفافية، ويكون الحديث أقرب وأجدى في تقريب هذا العبد إلى مولاه، أو رجوعه عن غيه وعن صُنعه القبيح الذي يخالف به الله ﷻ ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه، إذاً فلا بد أن أُنفق بشيء من العلم لله تبارك وتعالى.

كذلك لو كنت أستطيع أن أنفع بعض المحتاجين الذين لا جاه لهم، كان يكون لي معرفة ببعض الناس الذين لهم وجاهة ويستطيعون قضاء حوائج الناس، فلا يوجد بابٌ للتقرب إلى الله والتحبب إلى رسول الله أعظم من هذا الباب،

وهو أني أقضـــي حوائج الناس، وأُيســـرها لهم ابتغاء وجه الله، لماذا؟ لأنه كثر المخادعين، والذين يزعمون أنهم يقضـون الحوائج ولكن بالأجر، لذلك عندما أقضـــي حاجة الناس لوجه الله يكيفيني أني أدخل في قول رسول الله ﷺ:

{ مَنْ سَعَى لأَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ قُضِيَتْ لَهُ، أَوْ لَمْ تُقْضَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَكُتِبَ لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ }[٥٧]

وفي حديث آخر:

{ مَنْ قَضَى لأَخِيهِ حَاجَةً كُنْتُ وَاقِفًا عِنْدَ مِيزَانِهِ، فَإِنْ رَجَحَ وَإِلا شَفَعْتُ لَهُ }[٥٨]

مثلاً: امرأة مســـكينة توفَّى زوجها وليس لها معاش، فتأخذ أوراقها وتذهب للشـئون الاجتماعية ليتم عمل معاش لها، فيا هناك عند الله، فهذا أفضــل من قيام الليل لسنوات، لأنك أسررت مؤمنة، وقد قال ﷺ:

{ مَنْ سَرَّ مُسْلِمًا بَعْدِي فَقَدْ سَرَّنِي فِي قَبْرِي، وَمَنْ سَرَّنِي فِي قَبْرِي سَرَّهُ اللَّهُ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[٥٩]

---

٥٧ فوائد ابن شجاع عن ابن عباس رضي الله عنهما
٥٨ حلية الأولياء لأبي نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما
٥٩ البر والصلة لابن الجوزي عن عبدالله بن مسعود ﷺ

كثير من الناس حالياً في زمننا هذا، وفي هذه الضوائق يحتاجون إلى من يقضي لهم هذه المصالح ابتغاء وجه الله تبارك وتعالى.

فالمؤمن يسعى في الانفاق بكل ما أوتي، وكل ما يستطيع، والله تبارك وتعالى لم يجعل لمؤمن عذر في الإنفاق المالي مهما كان فقره، لأنه لم يحدد أحداً معيناً: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ بما تجود به نفسه، ما قدر الإنفاق يا رسول الله؟ قال:

{ اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ }[٦٠]

هل يعجز إنسان أن يتصدَّق ولو بشق تمرة؟! ولذلك عندما تكلم الله في أهل الجنة قال: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٣آل عمران) ما أول صفة من أوصافهم؟ ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ (١٣٤آل عمران) هل أحد من المسلمين له عُذر بعد هذه الآية؟! في اليُسر والعُسر، وفي الغنى والفقر، المهم أن الإنسان يُعوِّد نفسه على الجود، لأن الله كريمٌ جوَّاد يُحب كل جواد.

٦٠ البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم ﷺ

أما الممسك لا يُحبه الله، فيُريد أن يجود الإنسان المؤمن ولو بشيء قليل، ونحن نرى في هذا الزمان - والحمد لله - مهما يشتكي الناس لكن فضل الله معهم، فهل يعجز أن يجود ولو بجنيه، وما قيمة الجنيه في هذا الزمن؟! ولكن ليُعوِّد نفسه على الإنفاق: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾.

عزة الإيمان

الصفة التاسعة: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ ماذا يعني ذلك؟ لا يرجو بالدنيَّة في دين الله ﷻ، فلو أن دولة كافرة ظلمتهم، أو ظلمتهم فئة غادرة، لا يرضون بالضيم ولا بالذُل، فالمؤمن لابد أن يحاول أن يدفع عن نفسه بكل ما أوتي من قوة، ولو صدق الله لصَدَقَه في المعونة الله، وقد يمدُّه بجنود من عنده تُحقق له ما يتمنَّاه، ما دام قد صدق مع الله تبارك وتعالى.

ولنا أُسوة في رسول الله ﷺ ومن معه، كان ذاهباً لغزوة بدر ومعه ثلاثمائة رجلاً، وفي إحدى الروايات ثلاثمائة وإحدى عشر، وفي الرواية الثالثة ثلاثمائة وثلاثة عشر، والكافرين كانوا ألف رجل، ولم يكن مع المسلمين غير أربعة من الخيول، وسلاح الفرسان كان هو السلاح الأساسي في تحقيق النصر، والكافرين كان معهم كل أنواع العتاد الحديث، والأسلحة الجيدة

، لكن هؤلاء لأنهم لم يرضوا بالضيم ولم يسكتوا على الذُل حصل النصر من عند الله تبارك وتعالى: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةً كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ (٢٤٩البقرة).

الغزوة التي تكلمنا عنها في بداية الحديث غزوة تبوك، حضرة النبي جهَّز ثلاثين ألفاً، والروم كانوا قد جهَّزوا أربعون ألفاً، وتحركوا من بلاد الشام واتجهوا إلى الجزيرة العربية، فلما سمعوا أن حضرة النبي معه جُندٌ وخارج لهم، أصابهم رعبٌ من عند الله، ورجعوا مرة ثانية وخافوا مع كثرة عددهم ورجلهم!!.

فلما وصل حضرة النبي إلى تبوك لم يجد منهم أحدا!!، فمكث خمسة عشر يوماً منتظراً، فمن الجائز أن يراجعوا أنفسهم ويرجعوا، لكن لم يرجعوا، لماذا؟ لأنه كان ﷺ يقول:

{ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ }[61]

يعني كان بينه وبين الأعداء مسيرة سفر شهر، وحدث عندهم الرعب فتخلوا عن الحرب وتركوه ﷺ وشأنه من الرعب الذي قُذف في صدورهم من الله تبارك وتعالى.

ونفس هذا السلاح موجود مع المؤمنين: ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ ﴾ (٢٦الأحزاب)

ما دام يصدق الإنسان في عدم الرضا بالدنية.

---

٦١ البخاري ومسلم عن جابر ﷺ

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾ وهذا تهذيب عالٍ للمؤمنين، فلا يوجد مؤمن أبداً يقابل السيئة بالسيئة، فنفعل كما كان يقول أصحاب حضرة النبي: (من عصى الله فيك، فاجتهد أن تطيع الله فيه) لو أنه عصى الله وأذاك أو هجاك أو سبَّك فهل تقابله بالمثل؟! سيكون مثلك مثله، لكن تفعل كما قال الله:

﴿ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾:

فهذه الدرجة الأعلى أن يعفو ويصفح لوجه الله، ورغبة في إرضاء الله، وتشبُّهاً بحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

ويعلم علم اليقين أن الله كما قال في قرآنه: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فلا بد أن يأخذ لك بحقك كاملاً من الظالمين، ما دام أنك قد عفوت لله، وفوضت الأمر لله، وهذه فيها قصص في سير الصالحين لا تُعد ولا تُحد.

ما دام الإنسان يعفو لله تجد الله ﷻ يأتي لك بحقك من أي وجه قد لا تشعر به قبل ذلك، ولا تفكر فيه قبل ذلك، لكن ما دمت قد لجأت إلى الله فالله يتولاك: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (١٩٦الأعراف) وهو المقام الأعلى.

الحصول على الحق

الذي يُريد أن يردّ بشرط أن لا يتجاوز الحد، فهذا مقام أقل، وذكره الله لكي يُبين لنا درجات العفو: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ ليس عليه شيء لو انتصر لنفسه، ولكن باللطف واللين ولم يتجاوز الحد، يعني مثلاً حدثت مشكلة بينه وبين رجل آخر، وتدخل الناس للصُلح ولكنه لم يقبل الصُلح، وأصر أن يشتكيه ليأخذ حقه، ومعه شهود.

لكن لا أحضر شهادة طبية مزورة مثلاً، أو آتي بشاهد زور يقول حقائق ووقائع غير التي حدثت، فهنا أكون قد ظلمت، لأن المؤمن واجب عليه في أي زمان ومكان أن لا يتعدَّى حدود الله: ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾ (١الطلاق).

وأظن أن هذا المرض قد استشرى وزاد عن الحد في مجتمعنا، فما أكثر الشكاوى الكيدية التي ليس لها أساس!!، وما أكثر شهادات الزور مع أنها من أكبر الكبائر!!، وما أكثر التقارير الطبية المزورة!!، وما أكثر الرشاوى التي تُغير بها المحاضر في نقاط الشرطة!!، وما أكثر الرشاوى إلى كُتَّاب الجلسات في المحاكم ليغيروا الأقوال التي يستمع إليها القاضي، ويطمئنون إلى أن القاضي من كثرة عمله لا يستطيع أن يقرأ المحاضر كلها وإنما يُوقع على ما كتبه السكرتير!!.

مشـــاكل زادت عن الحد في هذا الزمان، كم قاضـــي يطَّلع على الحكم الذي سيصـدره والذي كتبه الكاتب، وهو كل يوم يحكم في قضـايا كثيرة؟! بعضـهم عُقلاء وحكماء ويشـقُّ على نفسـه ويأخذ هذا الأورق ليراجعها مرة ثانية، لكن القاضـي يقول شيء، والكاتب يقول شيئاً آخر، وهي مصيبة موجودة في المجتمع، ما علاجها؟ ليس لها علاج غير الضـــمير الحيِّ المملوء بمراقبة الله تبارك وتعالى، وهو الحل الوحيد لهذه المشاكل، ولذلك حذَّرنا الله من الظُّلم: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ :

ما دام قد ظُلم يأخذ حقه، وليس عليه شيء بشرط أن لا يتجاوز.

فمن الذي يؤاخذ؟

﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ﴾ :

حتى يأخذ حقه - في زعمه - لا بد أن يظلم، ويقول: الحق لا يأتي إلا بذلك، فلا بد أن أُزوِّر لأنال حقي!!، وهذا لا يجوز، لكن أنا لا أُريد حقي بهذه الطريقة نهائياً، حتى لا أكون مزوِّراً عند الله ﷻ.

لأن هؤلاء ما لهم؟ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ :

العذاب الأليم أنه يوم القيامة لا بد لكل حق أن يرجع لصـــاحبه، وكل محاكمة حُكم فيها ظُلماً في الكون ستعادل محاكمة في الاستئناف يوم الدين، والقاضـي أحكم الحاكمين، والشـــهود الملائكة الكرام الكاتبين والجوارح والأرض: ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾ (٤٤الكهف) وليس هناك محامين فاســدين، ولا كتبة مُزورين، وإنما كل إنســان سيأخذ حقه، لأن القاضي ربُ العالمين تبارك وتعالى.

ورجع الله واختار لنا الأفضل والأحسن لمن أراد أن يكون من أهل هذه الدرجة العلية، فالأحسن له: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ :

فالذي يُريد أن يكون في هذه الدرجة العلية يوطن نفسه طالما هو في الدنيا على الصـــبر، وعلى العفو والصـــفح على الدوام، حتى يتولاه الله بولايته، ويحظى بقُربه وعنايته، ويكون من أهل العندية عنده، ويلحق بالصدِّيق وأمثاله وأشباهه، ويكون في معية حبيبه ومصطفاه.

إذاً الذي يُريد أن يكون في درجة العندية يحتاج إلى مراجعة هذه الأوصـــــاف ويُطبقها، فإذا طبقها فيا هناه، ســـيرزقه الله مقام العندية، ويتلقَّى العطاءات الإلهية من هذا المقام.

نســأل الله ﷻ أن يؤهلنا لهذا المقام، وأن يُكرمنا بالعطاءات الإلهية، والإكرامات الربانية، والنظرات النبوية

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ



﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ (الزُخرف)

٤. أخلاَّء الصفا والوفا[٦٢]

بســم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أنزل لنا القرآن تبياناً لكل شــيئ وهدى ورحمةً للمؤمنين، وخصَّـنا بالنبي العدنان ﷺ، طبيباً وجرَّاحاً ربانياً يُعالج كل مشـاكل المجتمعات، ويجعلها مجتمعاتٌ تقيةٌ نقيةٌ تُؤسَّس على قول رب البرية: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١٠الحجرات) اللهم صــلِّ وســلم وبارك على ســيدنا محمد الذي قوله شـــفاء، ومُخالفته داء، والاقتداء به سبيل السُعداء، صلى الله عليه وعلى آله الأتقياء، وأصحابه الأنقياء، وكل من مشـى على هديهم إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين بمنِّك وجودك يا أكرم الأكرمين.

علاج مشاكل المجتمعات

كثير منا الآن يسمع في كل مجلس وفي كل مكان عن المشكلات التي زادت عن الحد في مجتمعنا بين المسلمين الإخوة في الدين ؟؟؟ والذين ربُّهم واحد، ونبيهم واحد، وكتابهم واحد، ونهجهم واحد، لكن بينهم خصــام وشــتائم وقذائف وخصــومات تملأ المحاكم تحتاج لسنين طوال للفصل فيها!!.

[٦٢] الأقصر – المسجد العتيق بنجع حسان بالضبعية ١٨ من صفر ١٤٣٩هـ ٢٠١٧/١١/٧م

وهذا غير الأمراض التي تُدمر المجتمع كمرض الحقد، وداء الحسد، وداء الطمع، وداء البُغض ... هذه الأمراض التي تُدمِّر في المجتمعات، وتمنع البركة التي يُنزلها الله للقضاء على كل المشكلات.

والله ﷻ ضرب لنا مثالاً عملياً طبَّقه حضرة النبي في مجتمع كان أشَّر من المجتمعات التي نحن فيها الآن بآلاف المرات، لكن ما الذي عمله رسول الله ﷺ؟ وهذا ما نحتاج أن نجدِّده مرة ثانية مع بعضنا، والذي ذكره لنا الله في كتاب الله.

الأُخُوة في الله

ماذا فعل؟ جمع المؤمنين وآخى بينهم، ولم يكونوا من عائلة واحدة، بل كانوا من عائلات شتَّى، ومن بلدان شتَّى، ومن فصائل وأجناس شتَّى، فخلَّصهم من كل ذلك وجعلهم إخوة متحابين متآلفين في الله تبارك وتعالى.

وكلنا نعجب عندما نرى الأخ الداخل للمدينة، وسكان المدينة الذين شرح الله صدورهم للإسلام يذهبون لحضرة النبي وكل واحد منهم يُريد أن يُضيِّفه، وقد لا يكون في بيته شيء، لكن الصدر منشرح، والقلب مُنفتح، ويأخذه برضا نفس وطمأنينة بال ويقول له: يا أخي هذا البيت أقسمه نصفين، والأرض نصفين، والتجارة نصفين، وإذا كان غير متزوج يقول له: أنا متزوج من اثنتين فاختر ما تعجبك أُطلقها وبعد انتهاء عدتها تتزوجها!، هل هذا أخٌ شقيق؟! أبداً، إنه اخٌ في الله، والأُخوة في الله قال فيها ﷺ:

{ أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ، الْحَبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ }[63]

جعل الوصـــل بينهم هو العمل لله، والتوجه لله، والرغبة فيما عند الله تبارك وتعالى في الدنيا، ويوم لقائه يوم الدين إن شاء الله.

هذه الأُخُوة كانت خالصة لله، ليس فيها مصلحة إلا رضا الله، وليس فيها منفعة زائلة، وليس فيها مصلحة فانية، لأنهم كلهم علُوا عن الدنيا وما فيها، وأصبح قصدهم الدار الآخرة ووجه الله تبارك وتعالى، وطبقوا قول الله:

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

نحن نسمع الآية كثيراً، ونسمع تفسيرها كثيراً، فما الفرق بيننا وبين أصحاب البشـــير النذير ﷺ؟ كانوا عندما يســـمعون آية من كتاب الله يقولون: إن الله يُكلمنا، فيقولوا: سمعنا وأطعنا، فيُنفِّذ فوراً، لا يتردد ولا يتأخر ولا يترك لنفسه فُرصة حتى أنه يبحث أو يُفكِّر، بل يُسارع في تنفيذ أمر الله تبارك وتعالى.

ونحن نســمع ولكن لا نُنفِّذ، ونتيح للنفس فُرصـــة للتأويل فتقول: إنهم كانوا في زمان ونحن في زمانٌ آخر، أو تقول: هم كان معهم حضـــرة النبي ونحن ليس معنا حضرة النبي، وهل حضرة النبي فُقد في الكون لحظة؟!

---

[63] شعب الإيمان للبيهقي ومسند أحمد عن البراء بن عازب رضي الله عنه

ألم تسمعوا قول الله: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ (٧الحجرات) هل هذه الآية للصحابة فقط أم لنا نحن أيضاً؟ للصحابة، ولنا، ولمن كان قبلنا، ولمن يأتي بعدنا إلى يوم الدين، لأنه خاتم الأنبياء، ولا يجوز أن يكون عصرٌ في الكون بدون نبيٍّ يُقيم الله ﷻ به الحُجَّة على الخلق.

فالنبي ﷺ وإن توارى بجسده الشريف، ولكن النبوة ليست بالجسد، وإنما النبوة بالقلب والروح والمعاني العلية، وهذه الحقائق العلية في حياة قُدسية أكمل من حياة الشهداء التي أشار إليها المولى تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾ (١٦٩آل عمران).

لماذا الشهداء أحياء عند ربهم يُرزقون؟ لاتِّباعهم لحضرة النبي، فالأولى بهذه الحياة حضرة النبي ﷺ، ونحن نعرف أنه المحامي الذي يدافع عنا يوم القيامة، ولا بد أن يرى الملفات، وتُعرض عليه كل الأعمال والأحوال والملابسات، حتى إذا أراد أن يدافع عنا ويشفع لنا يوم الدين يعرف ما حدث، ولذلك قال ﷺ:

{ حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنَ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنَ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ }[٦٤]

والقرآن واضـــح: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ (١٠٥التوبة)

أليس هذا كلام الله؟! من يرى عملي وعملك؟ الله، والملائكة بأمر الله تعرضـــه على سيدنا رسول الله، ويرى المؤمنين الذين معنا ويعيشون معنا وحولنا في هذه الحياة لأن لهم شهادة مُستحقَّة علينا جميعاً عند الله تبارك وتعالى.

فكانوا إذا سمعوا سارعوا إلى الطاعة، فسيدنا رسول الله ﷺ كان واقفاً يوماً على منبره الشـريف وقال: اجلسـوا، فسـمعه أحد الصـحابة وهو ذاهب إلى المسـجد في الطريق، فجلس في مكانه، فلما انتهى النبي من الحديث خرج الناس من المســجد فرأوه، فسألوه: لِمَ تجلس هكذا؟ قال: سمعتُ حضرة النبي يقول: اجلسوا، فجلستُ ولم أسمعه يقول: قوموا، فلم أقم!! سمعٌ وطاعة مطلقة.

٦٤ مسندالبزار واتحاف المهرة عن عبد الله بن مسعود ﷺ

وما ضــيَّع المؤمنين في هذا الزمان إلا أننا أدخلنا الأهواء فســدَّت علينا باب الاتباع لسـيد الأولين والآخرين ﷺ، والنفس تتدخل وتُفصِّـل كل شــيء على حســب هواها، وتُؤوِّل وتفسر كل شـيء، ولكنهم لم يكونوا هكذا، كانوا إذا سمعوا وعوا، فقد كان يقول لهم: (أيها الناس اسمعوا وعُوا) وعوا يعني نفذوا بعد ذلك مباشرة.

وكانت بينهم الصداقة والأُخوة والمودَّة والمجالس والتزاور والتوادد والإشتراك في أي عمل لله تبارك وتعالى.

لغة المصــالح جاءتنا عدوى من الأمم الغربية ونحن في غفلة، فهؤلاء لا يوجد عندهم أحدٌ يعمل عملاً لله، حتى أنه لو بلَّغك ســلام - مع أنه مجرد مجرد كلام - لا بد أن يكون له مصلحة من وراءه!!، فإذا لم يكن له مصلحة لا يسلم.

لكن بالنسـبة لنا لا يجوز ذلك، فقد علَّمنا حضـرة النبي أن كل حركاتنا وسـكناتنا تكون لله، فنحن كلنا لله، أنفسنا وأموالنا وأولادنا وكلنا لله تبارك وتعالى، والذي يمشي على هذا المنهاج انظر ماذا يقول فيه حضرة النبي؟

{ مَنْ أَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ وَأَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَنْكَحَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ }[٦٥]

[٦٥] جامع الترمذي ومسند أحمد عن معاذ بن أنس ﷺ

العمل لله

من أراد أن يكون ولياً لله لا بد أن يكون عمله كله لله، إما إذا صاحبا بعضهما لمصلحة دنية، أو لمنفعة زائلة، فسيأتيان يوم القيامة وهما أعداء، فيختلفا مع بعضهما يوم الدين، فيقول أحدهما: أنت غررت بي، والآخر يقول له: أنت غررت بي، وهذا يقول له: أنت جعلتني أُخالف شرع الله، والآخر يقول: أنت جعلتني أُخالف هدي رسول الله، وكل هذا لا ينفع في هذا اليوم، لأن المؤمن بناه الله، وأكمل تربيته رسول الله، على أن يكون العمل لذات الله تبارك وتعالى.

سيدنا الإمام عليّ ﷺ، ووزوجته بنت النبي السيدة فاطمة رضي الله عنها، نذرا أن يصوما لله ثلاثة أيام إذا شفا الله أبناءهما من المرض، فشفاهم الله، وذهب سيدنا علي ليعمل، وكان يعمل بيده، فاستأجره رجلٌ وفي آخر اليوم اشترى بأجره بعض الشعير، والسيدة فاطمة طحنته بالرحاية، وعجنته، وخبزته رغيفاً واحداً، تُفطر هي وسيدنا علي والحسن والحسين على هذا الرغيف، وليس معه شيء آخر، لا لحم ولا شحم ولا غُموس!!.

لأنهم انشغلوا بطاعة الله عن شهوات الدنيا التي فتنتنا، وجعلتنا نرتكب المحرمات في سبيل الحصول عليها، وهل البطن تشبع؟! فطبيعة الإنسان لا من كثير يشبع، ولا من قليل يقنع، لأن النفس دائماً تقول: هل من مزيد.

وجاءهم مسكين، وجاءهم يتيم، وجاءهم أسير، قبل الإفطار، فكانوا يتصدقون بالرغيف ويُفطرون على الماء، ويتسحرُّون على الماء، وينوون الصيام في اليوم التالي: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ ﴾ (٩الحشر).

هل يريدون من هؤلاء ثمن الرغيف، أو عوضاً، أو مكسباً؟ لا، لكن: ﴿ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴾ (٩الإنسان).

هذا عصب صلاح المجتمع، إذا تربَّى الناس على هذا النهج، أنه يعمل لله ولا يطلب مقابل، ولا يطلب الأجر والثواب إلا من الله، فهذا مفتاح النجاح والصلاح للمجتمعات الإيمانية التي أقامها سيدنا رسول الله ﷺ.

سيزور أخ له فلا ينتظر رد الزيارة، لانه يزوره ويعرف أن الأجر من الله، لأنه لو انتظر ردِّ الزيارة سيُحرم من الأجر، ولو شيَّع جنازة إنسان مؤمن يكون لإرضاء الله تبارك وتعالى، أو يساعد إنسان في الطريق يحمل حملاً ثقيلاً ولا يستطيع أن يمشي به، فيساعده لوجه الله، يمسح دمعة يتيم لله، أو يُطعم فقير لله، وأي عمل يعمله ينتظر الأجر من الله.

ومن ينتظر الأجر من الله فمــا حُكمــه؟ ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾

(٣٠الكهف) لم يقُل: إنا لا نضـيع أجر من عمل، ولكن مَن أحسـن العمل، وأحسـن العمل يعني عمله تأسـياً بالحبيب، وقصـده ونيته بهذا العمل وجه الله، يعمل العمل كما كان يعمله سيدنا رسول الله، فينظر في الحكم الشرعي فيه أولاً، وبعد ذلك أهم شيء يكون قصدُه ونيتُه وجه الله تبارك وتعالى.

كنوز البركة

الذين يمشـون على هذا المنهاج - نسـأل الله ان نكون منهم أجمعين، وتكون أعمالنا كلها خالصـةً لله رب العالمين - فهؤلاء أسعد السعداء يوم الدين، وفي الدنيا لا يتركهم الله لغيره طرفة عينٍ ولا أقل، كأصحاب رسول الله، إن كانوا فقراء سيغنيهم، وإن كانوا جُهَّال سيُعلمهم علماً من عنده، وإن كانوا ضُعفاء سيُقويهم بقوته، وإن كانوا على أي وضـع مهين سـيجدوا العزة والرعاية والنُصـرة والتمكين من رب العالمين تبارك وتعالى.

أصحاب رسول الله الأولين كانوا حُفاةً عراةً وبعد ذلك أصبحوا أمراء ووزراء وولاة وقادة يهزون الأرض، وتفتخر بهم البشرية إلى يوم الدين للعبقرية التي أظهرها الله على أيديهم، لماذا؟ لأنهم عملوا بما طلب الله، فدخلوا في قول الله: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (الطلاق) رزقٌ قادمٌ من باب خصَّصه الله للمؤمنين.

خصَّص للناس كلهم الرزق نتيجة السعي والعمل والكدِّ، يعمل في الأرض يأخذ رزقه، ويعمل في التجارة يأخذ رزقه، لكن المؤمن له باب مفتاحه التقوى: ﴿ وَالله يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢١٢البقرة) ليس له شأنٌ بهذه الحسابات.

وما هذا الرزق؟ هو البركة التي لو نزلت علينا ستحل كل مشكلاتنا، فلا نمد أيدينا لأحد، ولا نستدين من أحد، ولا نحتاج لأحد، لأن البركة لو نزلت من عند الله فكل شيء يفيض ويكفي ويزيد عن حاجاتنا بأمر الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٩٦الأعراف) لم يقُل: لفتحنا عليهم خيرات، لأن الخيرات موجودة، ولكن (بركات) كما قال حضرة النبي:

{ طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ }[66]

فتأتي البركة في الأجسام، وتأخذ حماية من الله من الأمراض، فيُوفِّر الدواء والكشوفات والعمليات وأخطارها وأضرارها وما شابه ذلك.

وتأتي البركة في العلاقات الزوجية، فتكون الحياة بين الزوجين فيها وفاق، وفيها اتفاق، وفيها رضا، وفيها اجتماع وألفة على الدوام، فلا يحدث كما سمعنا أن مصر هي الأولى في العالم في نسبة الطلاق، كيف ونحن مسلمين؟!! و ٤٦% من حالات الطلاق في السنة الأولى من الزواج! أي بعد شهرين أو بعد ثلاثة أو بعد خمسة أو بعد ستة أشهر، هل يصح هذا الكلام بين جماعة المؤمنين؟!!.

سبب ذلك قلة البركة، والهم كله في المظاهر إن كان في الأثاث وفي الرياش، وفي حفلات الزفاف، وفي الشكليات، أما العلاقات الزوجية فليست على الأُسس القرآنية، ولا على أُسس المبادئ النبوية، فيحدث الخلاف والشقاق سريعاً ويحدث الطلاق.

---

٦٦ صحيح مسلم والترمذي عن جابر ﷺ

ولكن لو أن البركة موجودة، سيظل الرجل مع زوجته حتى يلقى الله وتقول: لا أتزوج أحداً بعد فلان أبداً، لأنه كان يسعدني، وهو كذلك إذا ماتت قبله يقولون له: نريد أن نُزوجك، فيقول: لا وهل أنا أستطيع أن أُعوِّض فلانة، قال النبي ﷺ:

{ إِنَّ مِنَ السَّعَادَةِ الزَّوْجَةَ الصَّالِحَةَ } [٦٧]

الزوجة الصالحة كنزٌ من كنوز الجنة، ومن أين آتي بكنز من كنوز الجنة مرة ثانية؟! كل هذا يأتي من البركة، والبركة تأتي من طاعة الله، وتقوى الله، وأن يكون العمل خالصاً لوجه الله تبارك وتعالى.

بشريات المخلصين

في الآخرة سيكون هؤلاء هم المنظورين لأهل الموقف أجمعين، وانظر معي إلى رب العزة تبارك وتعالى ماذا يقول لهم؟ أول شيء يقوله لهم: ﴿ يَـٰعِبَادِ ﴾ لذة هذا النداء لا يسمعها ولا يتلذذ بها إلا السُعداء، من الذي ينادي؟ ملك الملوك ﷻ، وجعلنا عباده، فلم يقُل: يا أيها الذين آمنوا، ولكن قال: : ﴿ يَـٰعِبَاد ﴾.

٦٧ معجم الطبراني عن سعد بن أبي وقاص ﷺ

خذوا هذه البشـــريات: ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ﴾ والإنســـان دائما يخاف من المســـتقبل القادم، هل سنستطيع العيش؟ هل المبلغ الذي معنا سيُكمل نفقة الشهر أم لا؟ هل القمح الذي عندنا سيكفي السنة أم لا؟ المستقبل، فطمأنهم الله، حتى لا يحملوا همَّ هذا الأمر.

وهم يخافون أيضـاً من الماضـى، ويقولون: سـتحاسـبنا على ما عملناه وعلى ما ارتكبناه، وهذا كله مثبوت في محاضــر، والمحاضــر لا توجد شــاردة ولا واردة إلا وهي مسجلة بالصوت والصورة فيها، والشهود كثير، وأول الشهود المرافقين لنا وهم الكرام الكاتبين، يســجلون بالفيديوهات الإلهية بالصــوت والصــورة، ولم يســجلوا الملامح الظـاهرة فقط، ولكن النوايـا البـاطنـة، وهـذا فرق بين تصـــوير الملائكـة وتصـــويرنا نحن، فيُظهر على الصـــورة كيف كانت النية، لأنه في الدنيا قد يقول: أنا نيتي كانت كذا، أو كنتُ أقصــــد كذا، لكن هناك هل ســـيقول ذلك لرب العزة تبارك وتعالى؟ لا، فلا بد وأن تظهر الحقائق الباطنية في الصورة.

والأرض التي نحن عليها تسجل كل حركاتك وسكناتك منذ وجودك على ظهرها إلى أن تلقى الله تبارك وتعالى، والجوارح التي معك أيضـاً - سـبحان الله – تسـجل كل شيء، هذه الأصابع كيف تُسجِّل ما عملته؟! وأين الكاميرات التي فيها؟! وأين الأفلام التي فيها؟! لكن قدرة القادر لا يُعجزها شـــيء!!، وهناك يحاول أن يتكلم فيُشـــار إلى لسانه فيتوقف، وتنطق الجوارح:

﴿ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٢٤النور) كل الجوارح: ﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٍ ﴾ (٢١فصلت) الجلد سيشهد، مثلاً يقول: يا رب كان في المكان الفلاني وأخذ يضايق امرأة ويُحسِّس على جسمها، وأنا شاهد عليه، وحضرة النبي حذَّرنا وقال:

{ لأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ رَجُلٍ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيدٍ؛ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لا تَحِلُّ لَهُ }[68]

لأن كل المؤمنات في كل أقطار الأرض أخواتي ويجب أن أحافظ عليهن ...،فإذا طلبت نفسي الشهوة فلا مانع من أتزوَّج، لأن الإسلام لم يُحرِّم شيئاً ولكن جعل له طرقاً شرعية، فإذا لم تكفني واحدة أتزوج بأُخرى، فلو لم تكفني أتزوج بثالثة ورابعة، ولا يوجد أحدٌ يحتاج أكثر من أربعة أبداً مهما كانت قوته وشهوته، لحكمة الحكيم العليم تبارك وتعالى، لكن لا بد من:

{ عِفُّوا تَعِفُّ نِسَاؤُكُمْ }[69]

فستشهد هذه الأعضاء، وهذا غير أن حضرة النبي اطلع وشاهد، والله تبارك وتعالى فوق الجميع كل لفظ نقوله فهو أول السامعين، وكل عملٍ نعمله فهو أول الرائين: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٤الحديد).

---

٦٨ معجم الطبراني والبيهقي عن معقل بن يسار ﷺ
٦٩ معجم الطبراني عن عائشة بنت أبي بكر ﷺ

لكن هؤلاء اكراماً لهم يغفر لهم ما قد فات، ويصـــفح ويعفو عنهم الله تبارك وتعالى، وهذه البُشـرى الثانية أنهم سـيطمئنوا لمغفرة الغفار، وعفو العفُو، ومسـامحة الله ﷻ لهم في هذا الأمر.

فضل الله علينا في الآخرة

ولذلك سـيدنا رسـول الله ﷺ بشَّـر هذه الأمة، فنحن آخر أُمة نزلت إلى الأرض، وكان من المفروض أن يكون الحســاب أولاً لآدم وأمته، وشـيث وأمته، ونوح وأمته، ونحن في الآخر، لكن حضرة النبي قال:

{ نَحْنُ الآخِرُونَ، الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[٧٠]

نحن أول من يُحاسـب، وأول من يدخل الجنة، لأن الله خصَّـنا بحسـاب اسـمه الحساب بالفضل، والآخرين الحساب بالعدل على حسب اللوائح والقوانين، والحساب بالعدل لا بد وأن يكون أمام الجميع فيراه كل أهل الموقف ويشـــهد المحاكمة، وهذا خزيٌ وفضـيحة، سـيدنا إبراهيم لما اطلع على هذه المواقف الأُخروية قال: ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ (٨٧الشعراء) يا رب عافني وحدي، ولا تفضحني هناك،

---

٧٠ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

لأن الحساب أمام الخلائق يكون فضيحة، واكراماً لسيدنا النبي وبدون طلب منه قال له الله: ﴿ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ ﴾ (٨التحريم).

هل الذين آمنوا معه في زمانه كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي فقط؟ لا، فالآية واسعة، فكل من آمن به حتى يوم القيامة، ينطبق عليهم هذا القرار الإلهي، وهذا الذي يُحاسب.

لكن عندما نراجع آيات كتاب الله نجد أن معظم الأمة سيدخلون الجنة بغير حساب، ونأخذ مثالاً واحداً فقط، فما من أحد منا إلا وتعرض لأمر يقتضي فيه أن يصبر لله، ولا يشكو الله لخلق الله، فلا يقول: لماذا أصابني بكذا؟! ولماذا ابتلاني بكذا؟! ولكن يرضى بقضاء الله تبارك وتعالى، فما موقفه إذا رضي يوم القيامة؟ ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ (١٠الزُمر) قال ﷺ:

{ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا وَأَرَادَ أَنْ يُصَافِيَهُ صَبَّ الْبَلاءَ عَلَيْهِ صَبًّا، وَثَجَّهُ عَلَيْهِ ثَجًّا، قَالَ: وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُؤْتَى بِأَهْلِ الْبَلاءِ، وَيُؤْتَى بِأَهْلِ الصَّلاةِ فَيُوَفَّى أَهْلُ الصَّلاةِ أُجُورَهُمْ بِالْمَوَازِينِ، وَيُؤْتَى بِأَهْلِ الْحَجِّ، فَيُوَفُّونَ أُجُورَهُمْ بِالْمَوَازِينِ، وَيُؤْتَى بِأَهْلِ الْبَلاءِ، فَلا يُنْصَبُ لَهُمْ مِيزَانٌ،

وَلا يُنْشَرُ لَهُمْ دِيوَانٌ، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمُ الأَجْرُ صَبًّا بِغَيْرِ حِسَابٍ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾، حَتَّى يَتَمَنَّى أَهْلُ الْعَافِيَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا تُقْرَضُ أَجْسَادُهُمْ بِالْمَقَارِيضِ مِمَّا يَذْهَبُ أَهْلُ الْبَلاءِ مِنَ الْفَضْلِ }[71]

وهل يوجد أحدٌ في المسلمين لم يُصبه ولو مرة بلاء؟ فكلنا معرضين له، لماذا؟ محبة من الله ليُخرجنا من الدنيا إلى الجنة على الفور.

ما المسلم الذي يُضيّع نفسه؟ الذي يشتكي الله إلى خلق الله، ولا يرضى بقضاء مولاه، ويظل عنده ضجر، وقد نجد بعض المسلمين - نسأل الله الحفظ والسلامة - نفسه تضحك عليه ويترك الطاعات المفروضات، فتسأله: لم لا تُصلي يا فلان؟ يقول لك: أنا زعلان من ربنا!، وهل الله يحتاج لصلاتك يا أخي؟!! ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ﴾ (١٥الجاثية)، فأنت مسكين نفسك ضحكت عليك، وهل ما تفعله - حاشا لله - سيؤثر على الحضرة الإلهية؟!! أبداً، فقد ورد في الأثر: (من لم يرض بقضائي، ويصبر على بلائي، فليخرج من تحت سمائي، وليتخذ رباً سواي) وقال ﷺ:

---

٧١ كتاب المحن للقيرواني عن أنس رضي الله عنه

{ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَاءِ اللَّهِ، وَيُؤْمِنْ بِقَدْرِ اللَّهِ، فَلْيَلْتَمِسْ إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ }[72]

يبحث له عن مكان آخر، وعن إله آخر، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ }[73]

فهؤلاء الذين سيُحاسبون ليسوا بأهل الأفضلية، لكن أهل الأفضلية هم الذين سيدخلون الجنة بغير حساب، ومع ذلك من يُحاسب اكراماً لحضرة النبي سيُحاسبون حساباً يسيراً، كيف يكون هذا الحساب يا رسول الله؟ قال:

{ إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ}[74]

---

٧٢ معجم الطبراني وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي عن أنس ﷺ
٧٣ جامع الترمذي وابن ماجة عن أنس ﷺ
٧٤ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

يضـــع عليه ســـتائر حتى لا يعرف أحد ماذا يحدث له، ويُقرره بذنوبه، وكيف يُقرره بالذنوب؟ كل واحد يقرأ كتابه، فكيف يقرأه؟ لا يقرأه باللسان، ولكن يراه، فترى فيلمك من البداية إلى النهاية، ترى نفســك وأنت تُصــلي، وأنت تفعل كذا، وأنت تفعل كذا، ترى كل حركاتك وســـكناتك، وبعد أن يقرره الله بذنوبه يغفرها له ويدخله الجنة برحمته... فهذا حساب أُمة محمد، ما عدا صنف واحد وهو الذي فضح نفسه، وقال فيه حضرة النبي:

{ كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إلا الْمُجَاهِرِينَ } [75]

يجلس في أي مكان ويتباهى بالمعاصـــي، ويقول: أنا فعلتُ كذا، وأنا عملت كذا، يا أخي سترك الله فلماذا تفضح نفسك؟! عليك أن ترجع إلى الله، وتندم إلى الله، وتُتوب إلى الله، لكي لا تخلع ستر الله الذي طلبه لك رسول الله ﷺ.

والله غفورٌ رحيم وتوابٌ كريم، ما دُمت أنت لم تفضـــح نفســـك، ولم تُباهي بما فعلت.

فطمأن الله هؤلاء وقال لهم: ﴿ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾ أنا لن أُحزنكم أبداً، وكل ما تريدونه سأعطيه لكم، من هؤلاء؟ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾.

---

[75] البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

البشارة بالجنة

ما البشـــارة الثانية؟ ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ ليســت الملائكة الذين يقولون لهم: ادخلوا الجنـة، ولا ملائكـة العرش، ولا حتى جبريـل، ولكن الـذي يقول لهم هو ربُّ العزة تبارك وتعالى، هيا تفضـــلوا بالدخول، فيقول العبد: يا رب كانت زوجتي تعيش معي وشاركتني في الحياة الدنيا، فهل أذهب لمكان وهي في مكان آخر؟ يقول له الله: ﴿ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ ﴾ كل واحد يأخذ زوجته معه ويدخلا الجنة، يضــع يده في يدها ويدخلا الجنة بهذه الكيفية الإلهية الربانية، وملائكة الجنان يحفونهم بالتحية والإكرام، ويبلغونهم السلام من السلام على الدوام.

وماذا نفعل في الجنة؟ فيقول لهم: ﴿ تُحۡبَرُونَ ﴾ يعني ستشــاهدون فيها الســرور الذي تريدونه كله، كل ما تتمنوه تجدوه عند الله تبارك وتعالى !!! يدخلون الجنة وهي جاهزة بالموائد الإلهية، ونعيم الجنة مهما قيل فيه فإن حضـــرة النبي ﷺ قطع علينا حبل الوهم والخيال فقال:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ أَعَدَّ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ }[٧٦]

[٧٦] صفة الجنة لأبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه

لماذا؟ لأن الإنسان أحياناً يستسلم لعقله الكاسد، وسمعنا بعض أهل العقول عندما ذهبوا لأمريكا فقالوا: إن أمريكا جنة الله في الأرض، وهذا الكلام غير صـــحيح، فهل الجنة فيها فسقٌ وفجور؟!! لا، وهل الجنة أكل وشرب؟ فلو كانت الجنة أكلٌ وشُربٌ فهؤلاء يقول فيهم الله: ﴿ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ ﴾ (١٢محمد).

لكن الجنة أدُخلها فلا أخرج منها أبداً وهذا ما أريده، لكن من يدخل الجنة ويبقى فيها سـنة أو عشــرين سـنة فهل يتهنَّى؟ لا، ولذلك الذي يطمئن المؤمنين قول الله: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ (٥٧النساء).

حقيقة وصف الجنة

بعض السادة العلماء الأجلاَّء من السلف كانوا أحياناً يأتون بأحاديث ضعيفة، أو يرجعوا لكتب أهل الكتاب من التوراة والإنجيل ويبحثوا عن وصـــف الجنة، وأحياناً يتخيَّلوا، لكن مادام حضرة النبي قال عن الجنة:

{ فِيهَا مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ } [٧٧]

[٧٧] صحيح مسلم ومسند أحمد عن سهل بن سعد ﷺ

فلا نبحث في هذا الكلام، ومن أراد مشاهدة الجنة فليُطهِّر القلب، ويضرع إلى الله، ويديم على ذكر الله إلى أن يفتح الله ﷻ له عين البصيرة، وهي الوحيدة التي تستطيع أن يرى بها وهو في الدنيا ما لا يراه الناظرون من غيوب رب العالمين تبارك وتعالى: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ﴾ (التكاثر) تراها وأنت هنا، ولكن بعلم اسمه علم اليقين!! وعلم اليقين لا يؤتى إلا من أهل اليقين، لا من الكتب، ولا من المكتبات، ولا من الفيديوهات، وهذا الذي يريد أن يحظى ولو بنَفَس من نعيم أهل الجنة ليرى ويطمئن إلى نعيم الجنة وهو هنا في الدنيا، لكن لا نحاول أن نُدخل الخرافات والخزعبلات والإسرائيليات في ذكر الجنة، ونحافظ على الكمال الذي قال فيه الواحد المتعال: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

صفات أهل الجنة

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾ الصحاف هي الأطباق الكبيرة، والأكواب للشراب، والأطباق للطعام، والطعام والشراب غير الذي هنا،

لأنك أنت نفسك سيكون جسمك هناك غير الجسم هنا، فهنا الجسم يمرض ويشيب ويهرم، ويُصاب بالمرض والتعب والغم والهم، لكن الجنة ليس فيها هذا، قال ﷺ:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلا يَتْفُلُونَ، وَلا يَبُولُونَ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَمْتَخِطُونَ قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟، قَالَ: جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ }[٧٨]

إن أهل الجنة لا يموتون ولا ينامون ولا يتبولون ولا يتغوطون ولا يسقمون ولا يهرمون، بل يظلون فيها شباباً ما شاء الله... وطعام الدنيا يحتاج إلى إخراج، لكن طعام الجنة لا يحتاج إلى إخراج، ولذلك لا يتبوَّل ولا يتغوَّط فيها.

وهواء الجنة لا يجلب مرضاً: ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ (١٣الإنسان)

التكييف أحياناً يُصيب بالمرض، لكن الجنة ليس فيها ذلك لأنها نظام رباني.

إذاً فالجنة فيها ما فيها من نعيم الله، ونترك هذه الأشياء حتى يكشفها لنا الله، أو سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

---

٧٨ صحيح مسلم ومسند أحمد والطبراني عن جابر ﷺ

وماذا في الجنة كلها؟ ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ ﴾ ما تشـــتهيه النفس إن كان في الطعام أو الشــراب أو النكاح ولذته .. كل شــهوات النفس موجودة هناك ولكنها أعلى وأرقى.

﴿ وَتَلَذ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ ألذُّ شـــيء للعين لأهل الجنان أن يحظوا برؤية الحنان المنان تبارك وتعالى، ويحظوا بجوار النبي العدنان ﷺ، وهذا مختصر نعيم الجنة.

ثم طمأنهم الله وقال لهم: ﴿ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ يعني لن تخرجوا منها أبداً، والجنة لها ثمانية أبواب، قال ﷺ:

{ لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ بَيْنَ كُلِّ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ أَبْوَابِهَا مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً }

يعني عرض كل باب مســيرة ســفر أربعين ســنة، وورد أن ســيدنا علي قال: موجود على باب الجنة عينان، قال فيهما الله: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ (٦٦الرحمن)

عندما يذهب إلى العين الأولى تُخرج له شــربة يشــربها فكل الهم والغم والكرب الذي كان في الدنيا يذهب،

ويقول: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ (٣٤فاطر) يعني لم يعد هناك حُزنٌ ولا همٌ ولا غمٌ، وإنما متعٌ دائمة في جوار الدائم تبارك وتعالى.

ويشــرب من العين الثانية فتظهر عليه نضــرة النعيم على الفور، فيدخل الجنة بهذه الكيفية الإلهية التي قال لنا فيها الله: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ سنأخذ الجنة ميراثاً، يعني لن نتركها.

وهل الدنيا فيها ميراث؟ لا، لأنه لو كان لهم ميراث ســيكون باقياً!، لكن الذي يرث أرضــاً فإنه قد ورثها من فلان، وفلان هذا ورثها من فلان، ولو أتينا بكل السجلات وأنطق الله هذه الأرض لتُبلِّغنا بمن ورثها من أول آدم إلى يومنا هذا، فكيف يكون طول هذه الســجلات؟!! وبعد أن أُنهي مدتي في الدنيا فهل تكون بإســمي؟ لا، لأنه بمجرد أن يخرج من الدنيا فإن الأرض تذهب لفلان، ويتحوّل هذا البيت لفلان، ويتحول هذا المال لفلان، ولم يعد له شــيء من ذلك! ولو حاولنا أن نتصرف فيه بغير ذلك نُحاسب، لأننا خالفنا اللوائح الإلهية.

فكيف يكون الميراث إذاً؟ باقي لا يزول، ولا يوجد ميراث باقي غير ميراث الجنة، ولذلك المؤمن عليه قبل أن يخرج من الدنيا أن يشترى له قطعة في الجنة، ويعقد العقد مع ملك الملوك، حتى إذا ذهب إلى هناك يجد موضعه الذي اشتراه وورثه من الله ﷻ في جنة الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ (١١١التوبة).

الذي يريد الجنة لا بد وأن يشتري، أنت همك كله في الدنيا أن تبني لك بيتاً في مكان، وتشتري لك شقة في مكان آخر، وقد تسعى لتبني لك شقة في الساحل الشمالي، ولا مانع من ذلك ما دام أعطاك الله وسعة، لكن هل جعلت لنفسك شقة في جنة عدن؟! أو هل بنيت لك قصراً في الفردوس الأعلى؟!.

فاجعل هذه تمشي هذه: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١المؤمنون) وبعد أن ذكر الله أوصاف المؤمنين قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (المؤمنون) هل هناك سكن للإيجار؟ لا، يعني من لم يكُن له سكن فلن يجد في الجنة سكناً ولو بالإيجار، وكم أجر هذا السكن؟

هل يوجد من يستطع أن يُهرِّب معه دفتر شيكات ويضعه في كفنه؟! سيذهب للتراب ويبلى، هل يستطيع أن يأخذ عقوده المسجلة في الشهر العقاري؟! لن تنفعه: لأن: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ (٤٠مريم).

فلا بد للإنسان أن يكون حريصاً أن يكون له موضعاً في الجنان، ويشتريه وهو في الدنيا ويعرفه قبل أن يخرج من هنا، والحق ﷻ تكفَّل لمن يشتري موضعاً في الجنة قبل أن يخرج من الدنيا يُعرِّفه قصوره وعنوانها، والحي الذي هي في.

فهل تختار حي (محمد رسول الله والذين معه) وهذا سعره مرتفع، وتجد سعره في كتاب الله لأن كتاب الله يعرض كل شيء، أو تختار لك قطعة صغيرة تسكن فيها بجوار سور الجنة، وتكون مع المخلوقات التي أكرمها الله ككلب أهل الكهف، وناقة صالح، وغيرهم، وهذه أجرها بسيط، ولكن لا بد من الأجر.

فكل واحد يختار ما تتوق نفسه إليه، مع العلم أنها الحياة الباقية، والحياة الباقية لا بد للإنسان أن يستعد لها من هذه الحياة الدنيا:

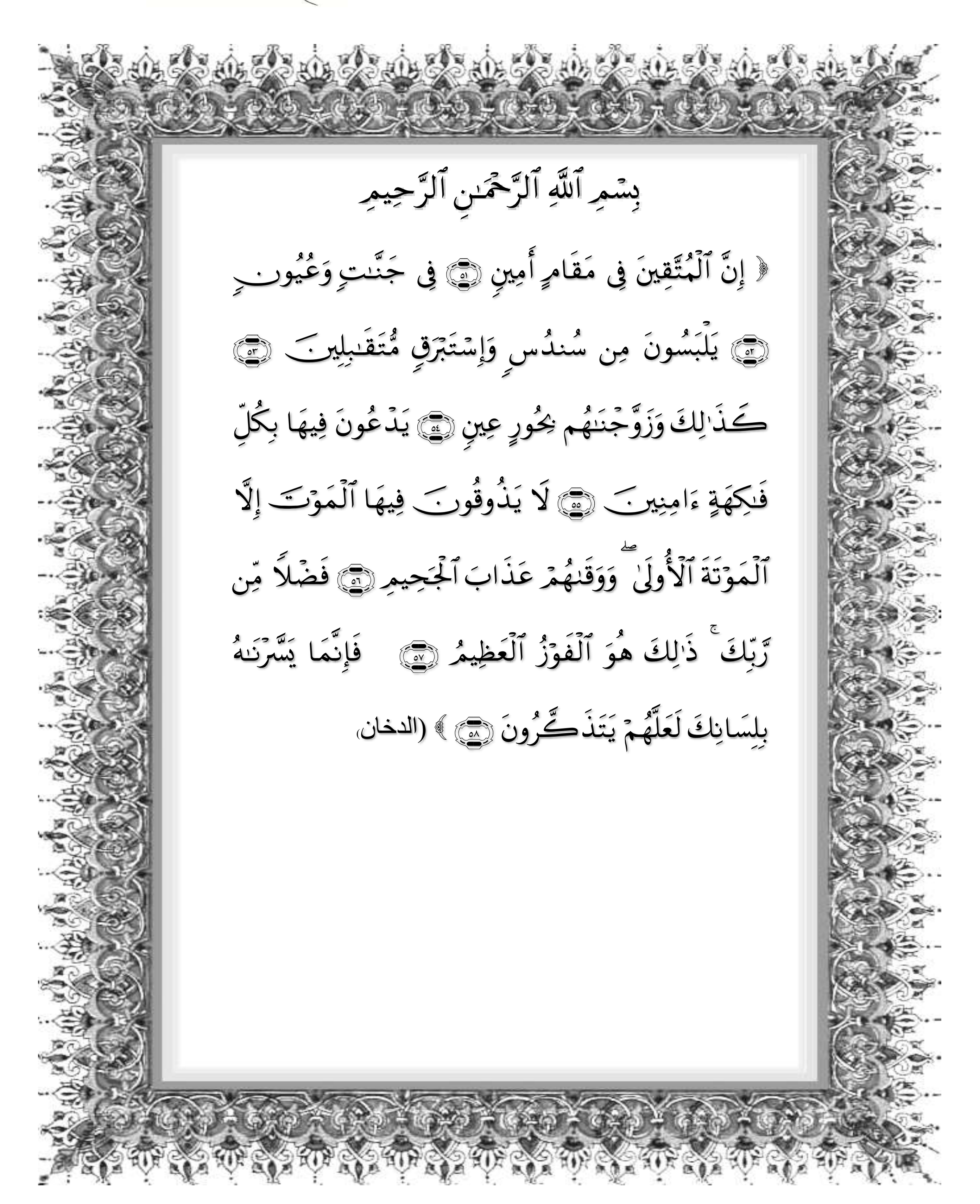
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها   إلا التي كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه   وإن بناها بشر خاب بانيها

والرحمن تبارك وتعالى أراحك، فقد كلَّف لك المقاولون، وهم الذين يبنون لك القصور، وهم الذين يزرعون لك الجنات والحدائق، وهم الذين يجهزون لك كل شيء، ولكن كل ما عليك أن ترسل لهم التموين، وما التموين؟ ذكر الله، وطاعة الله، والأعمال الصالحة التي تتقرب بها إلى الله تبارك وتعالى.

فإذا أخذت راحة في فترة من الفترات، فالشـركة تتوقف عن العمل، وهم الملائكة، فيمرُّ عليهم رضوان ويسألهم: لماذا لا تعملون؟ فيقولون: حتى يأتينا زاد!، لذلك لا بد أن تضع في حساباتك هذا الأمر.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل لنا غُرفاً مبنيةً في الجنان، في جوار النبي العدنان، وأن يرزقنا فيها بالخيرات الحسان، وأن يجعلنا من المصطفين فيها للنظر إلى وجه حضرة الرحمن، وأن يجعلنا من الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ٥١ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٢ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٥٤ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ٥٥ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٥٦ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٥٧ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٥٨ ﴾ (الدخان)

٥. المقام الأمين[٧٩]

بســـم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله الذي بيده الملك، وبيده الملكوت، وبيده كل شيء، وهو على كل شيء قدير، يعز من أطاعه ويجعله في الدنيا مشمولًا برعاية الله، وفي الآخرة في جوار الذين أنعم عليهم الله من النبيين والصـــديقين والصـــالحين والشهداء وحسن أولئك رفيقا.

والصلاة والسلام على مسك الختام، ومصباح الظلام، والشمس الإلهية المضيئة لقلوب من اصـطفاهم الملك العلام؛ سـيدنا محمد وآله الكرام وصـحابته العظام، وكل من اقتدى بهم ومشـــى على هديهم إلى يوم الدين، وانظمنا في عقد معيتهم أجمعين، واجعلنا معهم أجمعين تحت لواء سيد الأولين والآخرين ... آمين آمين يا رب العالمين.

كلما نقرأ في آيات القرآن نجد المولى تبارك وتعالي يطلب منا طلبًا واحدًا، إذا حققناه وتحققنا به أصـــلح الله لنا كل أمور دنيانا وأســـعدنا في أخرانا؛ أن نتَّقِ الله؛ أن يصل العبد لمقام تقوى الله تبارك وتعالى.

---

٧٩ الأقصر – أرمنت – الرزيقات قبلي ١٩ من صفر ١٤٣٩هـ ٨/١١/٢٠١٧م

ولكي لا يظن أحدا أنه بريء من هذا الخطاب وجَّه الله في جلالته هذا الخطاب مباشرة لنبيه مع كماله وجماله وما كمَّله به ربه في كل الأحوال، وقال له: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ (١الأحزاب) لأن هناك بعض الناس عندما تقول له (اتق الله) يحزن ويأخذ موقف منك، مع أنها نصيحة!!.

تقوى الله

وتقوى الله التي يذكِّرنا بها الله في كتاب الله في كل آية لها مقام، ولها شرح، ولها تفصيل، يبينها اللطيف الخبير تبارك وتعالي

وتقوى الله في هذا المقام الذي نعيشه الآن: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ أن يرتفع الإنسان من درجة الإسلام، إلي درجة الإيمان، حتى يصل إلي درجة الإحسان، فيمشي في الكون ينظر بعين فؤاده، ويراقب بعين قلبه مولاه كأنه يراه.

هذا المقام وهو مراقبة الله - أن تعبد الله كأنك تراه - يمنعه من معاصي الله، ويدفعه إلي العمل الصالح الذي يطالبه به مولاه.

لو كان في خلاء أو في ملأ لا بد أن يكون أمام بصيرته: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٤الحديد) وأكثر من ذلك أنه يرى أنه يطلع على خفايا الصدور، وما يدور في خلجات النفوس، فيستحي من الله تبارك وتعالى أن يُحدِّث الخلق ويبدي لهم نية غير النية التي عقد عليها قلبه، وينظر إليها ربه تبارك!.

الذي يصل إلى هذا المقام يبشره الله، لأنه راقب الله، ومن شدة مراقبته لله حفظه الله من كل المعاصي التي نهى عنها الله، ولا يفعل إلا ما يري الخير فيه لنفسه أو لإخوانه المسلمين طلباً لمرضات الله تبارك وتعالى، فيدخل في قول الله تعالي يوم الدين: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٨٢الأنعام) يكون يوم القيامة من الآمنين.

فلا يفزع مع من يفزع، ولا يهلع ولا يجزع عند أهوال القيامة، ولا ينتابه خوف عند تطاير الصحف، ولا يهاب عبور الصراط، لأن الله ﷻ أعطاه لواء الأمان، ولا تحدث له حتى رهبة من النار، لأنه أخذ ضمان من الله، أن الله حفظه من كل ما يخافه ويخشاه من الأحداث التي تحدث في القيامة لمن عصى الله ومشي في الدنيا على هواه، فيكون يوم القيامة من الآمنين، وهؤلاء هنيئًا لهم، نسأل الله أن نكون منهم أجمعين.

هؤلاء يجعلهم الله في الدنيا موفقين، لا يجلسون إلا في المجالس التي يحبها رب العالمين، في مجالس الصديقين، أو في مجالس الصالحين، أو في مجالس العلماء العاملين، أو في مجالس الذاكرين المخلصين، أو في مجالس البر وعمل الخير للناس أجمعين ... تجده يتقلب من طاعة إلي طاعة، وما أحسن هذه البضاعة، كلها مجالس ترضي من يقول للشيء كن فيكون.

فيكون في الدنيا موفق، ودليل توفيق الله تبارك وتعالي للعبد أن يحفظه من مجالس أهل الزيغ والضلال، ويجعله دائمًا في مجالس الموفقين لطاعة ذي الجلال والإكرام، وهذا دليل التوفيق أن الله تبارك وتعالي هو الذي يصونه بصيانته من الوقوع في خطيئة تغضب الله، أو حتى تنتابه غفلة تجعله يغفل عن ذكر الله تبارك وتعالي طرفة عين ولا أقل، وهذا ميزان يجب على كل واحد منا أن يزن نفسه به.

سألوا أحد الصالحين: كيف نعلم أن الله ﷻ يحبنا؟ فقال: إذا أقامك في الطاعات، وحفظك من المعاصي والمخالفات، فهذا دليل على أن الله اجتباك واصطفاك وجعلك من أهل الرضا والدرجات العلا في الجنات إن شاء الله.

وآخر سأل أحد الصالحين يقول له: إني خائف، هل الله راضيًا عني أم لا؟ وأريد أن أعرف مقامي عند رب العزة تبارك وتعالى؟ قال له: إذا أردت أن تعرف عند الله مقامك فانظر فيما أقامك.

أنت في أي شـــيء في الدنيا، إذا كنت قائمًا بكتاب الله آناء الليل وأطراف النهار فقد دخلت في قول المختار ﷺ:

{ أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ }[80]

إذا كنت تحرص على مخالطة الذاكرين في أي وقت وحين فتعرف أن مقامك: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٣٥الأحزاب).

إذا جعلك الله دائمًا في الدنيا تصـــدق القول، وكرَّه إليك قول الزور والكذب حتى المباح الذي يبيحه البعض، فتعلم أن الله ﷻ جعلك من الصـــــادقين الذين يدلون الخلق على أن يذهبوا إليهم وقال عز وجل في شـــأنهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (١١٩التوبة).

[80] مسند أحمد والحاكم في المستدرك عن أنس ﷺ

إذاً التقوى علامتها في الدنيا أن الإنسان يحفظ نفسه وجوارحه من المعاصي والمخالفات خوفًا من مولاه، لا خشية من خلق الله، ويقبل على الطاعات طمعًا في مرضات الله، لا رياءاً ولا سمعه ولا شهرة بين الناس في هذه الحياة، ويجد نفسه دائمًا وأبدًا يتقلب مع الصالحين ومع المتقين ومع رجال الله العاملين فيما يرضي الله تبارك وتعالي في كل وقت وحين.

وهؤلاء وعدهم الله في الدنيا ـ ما دام وصل إلي هذا المقام ـ أنه لا توجد شدة تقف أمامه، ولا يوجد كرب ينزل به ولا يجد له حل، ولا توجد أي مشكلة تعوقه في دنياه، لأنه دخل ومعه مفتاح الله الذي يقول فيه في كتاب الله: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ﴾ (الطلاق).

فيكون معه مفتاح من الفتاح يفتح له كل أبواب الصلاح والأرزاق والإكرامات والنجاح في حياته الدنيا، ولو كان ضعيفاً ليس له سلطان، وليس له ما لأهل الدنيا من الصولجان لأنه معه مفتاح حضرة الرحمن تبارك وتعالي.

وهذا السلاح الذي سلَّح به حضرة النبي أصحابه المباركين، وهذا الذي نحتاجه في هذا العصر لكي تنتهي كل مشاكلنا، فالخلاص لكل ما نحن فيه تقوى الله ومراقبة الله:﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ (٩٦الأعراف).

شبابنا وبناتنا في حاجة إلى أن نُسلِّحهم بهذا السلاح، من الذي يدربهم ومن الذي يسلحهم؟ الأب والأم، ولا يجوز لأحد أن يهرب من المسئولية ويقول أنه سيذهب إلى المدرسة أو المعهد!، فأنت تذهب به للمدرسة لكي يتعلم العلوم الدنيوية فقط، ولن يتعلم العلوم الأخروية ... فهو لو درس الحساب كله من أوله إلى أخره هل سيصل إلى مراقبة الله؟! لا! .. ولو دَرَس الإنجليزي بكل اللهجات هل سيصل إلى مراقبة الله؟! لا !! .. فهذه علوم دنيوية، لكن العلوم الأخروية تعليمها مسئوليتك أنت:

﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ (٦التحريم) التقوى هي الوقاية، تقي أولادك وبناتك وأهلك النار، أي تقيهم من العمل الذي يُدخل النار، وتعلمهم العمل الذي يرفع شأنهم في الجنة في الدار الآخرة إن شاء الله ... فنكون مثل صحابة رسول الله المباركين، منذ بدء الطفل أعلِّمه تقوى الله، ومراقبة الله، لا يوجد أحد يُدَرِّس درس المراقبة للابن أو البنت إلا الأب والأم.

الرجل الذي كان يقوم الليل، وكان له أخت توفي زوجها، ومعها ابنها طفل صغير لم يتجاوز السابعة اسمه سهل التستري، وكانا يعيشان معه، كان هذا الصبي عندما يري خاله يصلي في الليل يقف بجواره، وكان يقلده في حركات الصلاة، فقال له خاله: يا سهل قل ثلاث مرات كل ليلة: (الله معي، الله ناظر إليَّ، الله شاهد عليَّ) وطلب منه التمعن فيهم.

واظب الابن على هذا، بعد فترة زاد له في الدواء وقال له: يا ســـهل قل كل ليلة إحدى عشـــرة مرة (الله معي، الله ناظر إليَّ، الله شــــاهد عليَّ) ليجعله يدخل في مقام المراقبة، وواظب عليهم، وبعد مدة قال له: يا ســـهل واظب على هذه الكلمات عمرك حتى تخرج من الدنيا ولا تقطعها أبداً.

هذه الأحوال التي نحتاج أن نربي أولادنا عليها: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾ (٧المجادلة) هذه التقوى والحبل الأقوى الذي ينجيهم من كل الشدائد، ومن كل المضائق، ويجعل لهم من كل ضـيق مخرجا لأنهم أصـبحوا على صـلة بمن يقول للشـيء كن فيكون تبارك وتعالي

لأن الكثير اعتقد أن العلوم الدنيوية هي الغاية، فهذه العلوم الدنيوية مثلها مثل تعليم أي صـنعة أو مهنة، سـيخرج مثلاً مُدرِّس لغة إنجليزية فهي مهنة، أو أن يكون مترجمًا في أعلى الجهات ولو في رئاسة الجمهورية فهذه مهنة وهكذا قس على ذلك.

لكن أنا أريد أن يكون على صـلة بالله، فهذه مسـئولية الآباء، أراقبه وأتابعه إلى أن يتحقق بهذه الصفة الإلهية، وهذه لو انتشرت في المجتمع انتهت المشكلات، وحلت كل المعضلات وأصبح الناس جميعًا في رعاية الله وعنايته على الدوام.

وصف الجنة

﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ أين هؤلاء؟ ﴿ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴾ :

والجنة أولادنا لم يعد أحد يُحدِّثهم عنها لكي يحبوها ويستعدوا لها ويعملوا العمل الموصـــل إليها، يكفي أن الجنة ليس بها ليل ولا نهار ولا نوم ولا مرض ولا نُخامة ولا تبول ولا تغوط ولا هرم ولا موت خالدين فيها أبداً، قال ﷺ:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟

قَالَ: جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ }[٨١]

وفي رواية أخرى: { لا يَبْلَى شَبَابُهُمْ }[٨٢]

وهنا يقف الكلام، لأن ما بعده لا يعلمه إلا حضـرة الله تبارك وتعالى، نحن الآن كل الذي يســمعه أولادنا أن الجنة في الســـاحل الشـــمالي ويريد أن يراها،!!!! أو الجنة التي في الإســكندرية ويريد أن يراها، وغير ذلك، وهل هذه جنان؟!! هي جنان من نوع آخر تُسمى جُنَّة.

---

٨١ صحيح مسلم ومسند أحمد والطبراني عن جابر ﷺ

٨٢ مسند أحمد والطبراني عن أبي هريرة ﷺ

لكن الجنان العالية التي ليس لها مثيل من الذي يحكي لهم عنها؟! ومن الذي يشوقهم إليها؟! لا بد أن نشوقهم للجنات العالية

﴿ فِي جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ عيون يخرج منها ماء غير آســـن، ولبن لم يتغير طعمه،

وخمر لذة للشاربين، وعسل مصفى، وكل ما يطلبون ويتمنون وما يشاءون: ﴿ لَهُم مَّا

يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ (٣٥ق).

كيف يدخلونها؟ وكيف يعرفون ما فيها؟ لا بد أن يجالسوا أهل الجنان الذين أشار إليهم النبي العدنان في حياتهم الدنيا، لكي يعرفوا هيئة هذه الجنان، وهل يوجد جنة في هذه الدنيا؟ نعم، كالتي نحن فيها الآن، قال ﷺ:

{ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: مَجَالِسُ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ وَحِلَقُ الْقُرْآنِ }[٨٣]، وفي رواية أخرى: { مَجَالِسُ الْعِلْمِ }[٨٤]

وارتع يعني اترك الدنيا والمشــاكل والمشــاغل واجلس فيها، إن كان حِلَقُ ذكر، أو مجالس علم، أو مجالس قرآن، فكل هذه جنان في عالم الأكوان، لأن الإنسان عندما يعيش فيها ينسى الهم وينسى المشاكل، ويخرج منها مغفوراً له الذنوب والآثام،

٨٣ الثاني والعشرون من المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي عن أنس ﷺ
٨٤ المعجم الكبير للطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

وكل ما يطلبه من ربه يجيبه في الحال، وهذا حديث سيدنا رسول الله ﷺ الذي قال فيه:

{ إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ فُضُلا عَنْ كُتَّابِ النَّاسِ، فَإِذَا وَجَدُوا أَقْوَامًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى بُغْيَتِكُمْ، فَيَجِيئُونَ فَيَحُفُّونَ بِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ اللَّهُ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَرَكْتُمْ عِبَادِي يَصْنَعُونَ؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ يَحْمَدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ، وَيَذْكُرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: فَهَلْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولُونَ: لا، قَالَ: فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ لَكَانُوا أَشَدَّ تَحْمِيدًا، وَأَشَدَّ تَمْجِيدًا، وَأَشَدَّ لَكَ ذِكْرًا، قَالَ: فَيَقُولُ: وَأَيُّ شَيْءٍ يَطْلُبُونَ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: يَطْلُبُونَ الْجَنَّةَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لا، قَالَ: فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا لَهَا أَشَدَّ طَلَبًا، وَأَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، قَالَ: فَيَقُولُ: فَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالُوا: يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لا، فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا مِنْهَا أَشَدَّ هَرَبًا، وَأَشَدَّ مِنْهَا خَوْفًا، وَأَشَدَّ مِنْهَا تَعَوُّذًا، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَيَقُولُونَ: إِنَّ فِيهِمْ فُلانًا الْخَطَّاءَ لَمْ يُرِدْهُمْ إِنَّمَا جَاءَهُمْ لِحَاجَةٍ، فَيَقُولُ: هُمُ الْقَوْمُ لا يَشْقَى لَهُمْ جَلِيسٌ }[٨٥]

٨٥ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

الملائكة يبحثون في الأكوان عن مجالس الذكر، ومجالس العلم كالذي نحن فيه الآن، فهل نترك هؤلاء؟! أنت تجلس مع السعداء الذي إذا جالسهم أحد سعد ولا يجد شقاوة أبداً، فهذه هي الجنات التي جعلها الله في الأرض لنا لكي نبلغ بها الجنات العالية عند ربنا تبارك وتعالى.

﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ ما العيون التي في الجنات؟ فيها عيون من العلم الإلهامي الذي يفيضه الله ﷻ على الأتقياء منهم، ويروون الباقين، وفيها عيون من الأحوال النبوية التي تفاض من الله تبارك وتعالى على الصالحين منهم ثم تغشى الآخرين جوداً وفضلا من رب العالمين، وفيها عيون من العمل الصالح المقبول، وعندما يحضر الواحد منا معهم فسيضمن عملاً صالحًا مقبولا عند رب العالمين تبارك وتعالى ... عيون لا عد لها ولا حد لها.

هناك من يكون عنده عين من الحكمة، وهناك من يكون عنده عين من العلوم اللوحية، وهناك من يكون عنده عين من العلوم النبوية .. عيون كثيرة يوزعها الله ﷻ على الصالحين من عباد الله..!!

هذه العين ماذا تروي؟ تروي القلوب لا الأجسام، تروي القلوب من طهور المشروب الذي يقول فيه علام الغيوب: ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (٢١الإنسان)

لأنه هو الشـراب الذي يطهر القلب من الأغيار ولكي يكمل من الأنوار، ويطهر القلب من الأكدار لكي يتنزل فيه عطاء الواحد القهار، ويطهره من الهم والغم والحزن لكي ينزل فيه السـرور والفرح والنور من حضـرة الغفور تبارك وتعالي .. هذه عيون جعلها الله ﷻ للمؤمنين على الدوام، ولذلك قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: إِنِّي لأَهِمُّ بِأَهْلِ الأَرْضِ عَذَابًا فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى عُمَّارِ بُيُوتِي، وَالْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ صَرَفْتُ عَنْهُمْ }[86]

هؤلاء رجال إذا هَمَّ الله بأهل الأرض عذابًا نظر إليهم فصـرف العذاب عن أهل الأرض، وطالما نحن نلتف حولهم، ونتلَّقى منهم لوجه الله يصـلح الله ﷻ أحوالنا وأحوال الكون كله بأمر الله، وبسر سيدنا مولانا رسول الله ﷺ.

أهل الجنة العالية الذين يدخلون هناك: ﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾

السندس هو الحرير الطري الناعم، عن أنس بن مالك ﵁ قال:

{ أُهْدِيَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ثَوْبُ حَرِيرٍ، فَجَعَلْنَا نَلْمُسُهُ وَنَتَعَجَّبُ مِنْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَتَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا؟ قُلْنَا، نَعَمْ، قَالَ: مَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ هَذَا }[87]

---

٨٦ شعب الإيمان للبيهقي عن أنس ﵁

٨٧ البخاري ومسلم عن أنس ﵁

لأن سـيدنا رسـول الله ﷺ في ليلة المعراج دخل الجنة لكي يطمأن علينا ويرى ماذا لنا هناك، ويسأل الله ﷻ لنا المزيد، فرأى قصورنا وجناننا وكل النعيم الذي أعدَّه الله لنا، ولذلك يوم القيامة فإن الجنة تفتح برسول الله، قال ﷺ:

{ آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لا أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ }[٨٨]

فهو مفتاح الجنة، وعندما يقف أمامها تفتح بأمر الله، ومع هذا لا يدخلها، لماذا؟ لكي يطمأن على الأمة كلها، وقد جُهِّز له منبر من نور على يمين عرش الرحمن تبارك وتعالى ينظر منه لمن يذهب إلي الجنة، لكنه يطلب أن يكون له منبر ينظر منه لمن يذهب إلى النار، لأن الذي يذهب إلي الجنة فقد نجا، أما الذي يذهب إلي النار يريد أن يشفع فيه ليأخذ تخفيض في المدة، أو عفو عام من الملك العلام ﷻ.

وعند تطاير الصـحف يأتي لكي يطمأن علينا، وعند الميزان يقف عنده لكي يطمأن علينا، وعند الصـراط يظل واقفاً حتى آخر واحد من أمته يمر على الصـراط، لكي يطمأن علينا صلوات الله وتسليماته عليه.

---

٨٨ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أنس ﷺ

وقبل هذه الأشياء كلها أخذ تفويض عام من رب العزة أن يطلب الذي يريده ولا يرد، فأنزل عليه: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ (٥الضحى) سيعطيك الله كل ما تريد إلي أن ترضي، وسيدنا جعفر الصادق ﷺ قال: (ولا يرضي ﷺ وواحد من أمته في النار) فيظل تحت العرش يسجد ويتضرع إلى الله أن يستجاب له، فيشفع في أهل جهنم من المسلمين، فهناك من يتم تخفيض مدته من العذاب، وهناك من يعفو عنه الله بعد أن أخذ حكماً ودخل جهنم!! لأن الله وعده بذلك في محكم القرآن، صلوات ربي وتسليماته عليه.

﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ والإستبرق هو الحرير الغليظ، فيلبسون هذا وهذا، مع أن الجنة لا يوجد فيها حر ولا برد: ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ (١٣الإنسان) لا يوجد فيها شمس فكيف تنير؟ بنور الله، ونور رسول الله، ونور الصالحين والمؤمنين بالله تبارك وتعالى، فلا يحتاجون شمس ولا قمر ولا كهرباء ولا شيء من هذا القبيل، لأن: ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ (٤٠النور).

فكيف يكون حالهم في الجنة؟ ﴿ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ وجههم في وجه بعضهم في حلقات ملتفين حول واحد من الصحابة الأجلاء، أو واحد من الرسل والأنبياء، ولذلك طلب منا حضرة النبي أن نكون في مجالس الذكر ومجالس العلم حلقات لكي نكون مثل الجنة.

أما في الصــلاة فلا بد أن ننظر للأمام، لكي نتذكر النظر إلى وجه الله، لأننا كلنا سنكون في صف واحد، ومعلقين عين البصر والبصيرة على حضرة الواحد تبارك وتعالى، ونجمع كل ما في خواطرنا وما في نفوســنا وما في قلوبنا ومتفرغين بالكلية للنظر إلي وجه الله تبارك وتعالى.ال الزوجة والحور العين

﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ الحور تطلق على النســاء واســعة العين، والتي تجعل المرأة أكثر جمالًا، لونها أحمر على أبيض وعينها واســعة، لو ظهرت قدم إحداهن لاختفى نور الشمس من شدة جمالها!!.

بعض الســادة العلماء عندما رأى هذه الآية والآيات التي مثلها في القرآن، فأرادوا أن يشــوقوا الناس للحور العين، حتى أن بعض الناس يظن أن الحور العين أعلى في المقام من الآدميات، لكن المرأة التي أنت متزوجها إذا كانت صـالحة ستأخذ يدها بيدك وتدخلا معاً الجنة، فأنت صـاحب مملكتك في الجنة، وهي سيدة القصـور، أنت تخدمك الملائكة، وهي يخدمها الحور، فالحور في خدمة النســوة الصــالحات المتزوجات في الجنات، وقد ورد في بعض الآثار: أن المرأة الصـالحة في الجنة خير من كذا وستين حورية!!.

لماذا؟ لأن مقامها عال عند الله، فقد جاهدت في الدنيا، وتحملت وصــــبرت وقاســـت الآلام، وصـــلَّت في الليل والناس نيام، وغير ذلك من الأعمال الطيبة، لكن الحور لم يجاهدوا هذا الجهاد، فالمرأة التقية النقية أعلى من الحور، لأن بعض الرجال عندما تحدث مشـكلة له مع زوجته فيقول لها: إن شـاء الله سـوف يعوضـني عنك في الجنـة من الحور العين، لكنها ســتكون أحلي وأجمل وأبهى من الحور العين آلاف المرات، فليس كما تراها الآن، لكنها ســتتغير وســتكون صـــورة أخرى، فكما أنت ستتغير كذلك هي ستتغير وتتبدل ما دامت في الدنيا من الصالحات: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ (٩٧النحل) الرجال مثل النساء في العمل الصالح، كما قال ﷺ:

{ إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ } [٨٩]

النساء شقائق الرجال في العمل الصالح، وأحيانًا يكون النساء أكثر من الرجال، مثل النساء الذين مدحهم الله وأثني عليهم في القرآن.

الذي لم يتزوج في الدنيا يتزوج من الحور العين في الجنـة، والذي تزوج في الدنيا ســتكون معه زوجته، ومعه تصـــريح من رب العزة أن يفعل ما يريد بالحور العين، لأنها دار النعيم المقيم، لكن لا نريد أن ننشــغل بالنعيم عن المنعم، فيكون عيننا دائمًا على المنعم تبارك وتعالى فهذا هو الأساس الذي نريده.

٨٩ جامع الترمذي وأبي داود عن عائشة رضي الله عنها

غذاء أهل الجنة

﴿ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴾ الغذاء الأساسي في الجنة وفي الدنيا الفاكهة، حتى عندما عدَّد الله الأنواع قال: ﴿ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ۝٢١ ﴾ (الواقعة) ذكر الله الفاكهة أولاً، لماذا؟ كما قال ﷺ:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلا يَتْفُلُونَ، وَلا يَبُولُونَ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَمْتَخِطُونَ قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟، قَالَ: جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ } [٩٠]

أي أن الأكل ليس له فضلات، فلا يحتاج الإنسان إلى دورة مياة أو غير ذلك، والفضلات تخرج كرشحات العرق، رائحتها كرائحة المسك، ..والله تبارك وتعالى أشهد المؤمنين في عصر النبي الأمين وهم في الدنيا ذلك، كيف؟ رأوا ذلك في رسول الله، فكان ﷺ شديد العرق، وكان عرقه أطيب من رائحة المسك!. وهذا هو حال الجنة، فالنبي - وهو في الدنيا - كان في الجنة العالية، ولذلك عندما كان يريد أصحابه أن يتابعوه في صيام الوصال فقال لهم:

{ إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، قَالُوا: فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَسْتُمْ فِي ذَلِكَ مِثْلِي، إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي } [٩١]

---

٩٠ صحيح مسلم ومسند أحمد والطبراني عن جابر رضي الله عنه
٩١ بحر الفوائد للكلاباذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

فكيف يكون شــكل هذا الطعام؟ لم يصــفه لهم، لأنهم لا يعقلوه ولا يعرفوه، لأنه طعام رباني، وشراب رباني من الله تبارك وتعالى.

فكان ﷺ رائحة عرقه أشد من رائحة المسك، وكان يذهب عند السيدة أم سليم أم سيدنا أنس أبن مالك رضــي الله عنها ويقيل عندها، فذات يوم استيقظ من نومه وكان شديد العرق عند نومه، فوجدها تأخذ من عرقه بمناديل وتعصره في زجاجة فقال لها:

{ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟ قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ، نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ }[٩٢]

وكن نســاء الأنصــار يأتونها فيطلبن عرق النبي ﷺ، لأن العطر الذي ليس له رائحة نفاذه يضعون عليه قطرات من عرق النبي فيصبح من أطيب الطيب الذي ليس له شــبيه ولا مثيل... طيب الجنة هذا كان مع حضــرة النبي على الدوام، حتى أنه صلوات ربي وتسليماته عليه كان عندما يسير في طريق يترك أثراً من رائحته، فإذا أراد شخص حضـرة النبي يتبع ريح حضـرة النبي فيعرف مكانه، لأنها تظل في هذا الطريق.

---

٩٢ البيهقي والطبراني عن أنس ﷺ

ولو ســـلَّم عليه أحد فإن الرائحة تظل في يده ثلاثة أيام!! لأنه عطر من عطور الجنة، وهذه الرائحة يشـمها الصـادقون والصـالحون ونحن هنا في الدنيا، فيعرف أن سيدنا رسول الله مر على هذا المجلس، أو حضر في هذا المجلس، لأنها رائحة مميزة ليس لها شبيه ولا مثيل، خصه بها المولى تبارك وتعالى.

﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴾ كل فاكهة تخطر على باله تأتيه، فكل ما في الجنة له بصـيرة يري بها ما في نفسك بدون أن تتحدث أو تنطق بكلمة، فإذا اشـتهيت فاكهة معينة، فإن الشـــجرة تُنزل لك فروعها في حجرك، وتنزل الثمرة التي تطلبها بإذن من يقول للشيء كن فيكون.

ولو نظرنا للصالحين نجد أن طعامهم الأساسي في الدنيا هو الفاكهة، الإمام أبو العزائم رضـــي الله أراد أن يعطي أولاده الســـالكين درســـاً فقال لهم: الفاكهة طعام العارفين، فقالوا له: لماذا؟ فقال لهم: ســـهلة الهضـــم، وفيها كل المواد الغذائية التي يحتاجها الجسـم، وتحفظ الإنسـان الطائع لمولاه مما يعكر عليه صـفوه في المعدة من الريح وغيره لأنها خفيفة ولطيفة.

ثم أعطاهم مثال، فأثناء سـيرهم رأوا كلباً فرمى له بقطعة لحم فسـعد بها الكلب وأكلها، ثم رمى له تفاحة فتركها وجرى، فقال لهم ﷺ: اللحم يشـــبع منه الكلاب لكن الفاكهة لا يأكلها إلا أولوا الألباب!!.

يستطيع الإنسان أن يعيش على الفاكهة ويستغني بها عن باقي الطعام، ويظل محفوظاً من الأمراض، ومحفوظاً من الأعراض، لأن هذا هو الغذاء المفيد.

فالمريض الذي يُجري عملية جراحية عندما يبدأ يأكل يقول له الطبيب لا تأكل إلا فاكهة فقط لكي يحرك الأسنان والمعدة.

لهذا ذكَّرَنا الله بأن طعام الجنة الفاكهة، وأهل الجنة في الدنيا ليعلموا علم اليقين أن الخير لهم أن يكون طعامهم: ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ (٢٠الواقعة) وحضرة النبي عندما أوصى بطريقة الطعام على المائدة فقال:

{ يَا غُلامُ، سَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ }[٩٣]

لكن الفاكهة قال الله فيها: ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ (٢٠الواقعة) تختار الذي تريده، لو أمامك طبق من التمر فتختار التمرة التي تريدها.

السيدة رابعة العدوية سألت رجلاً فقالت له: هل تحسن الطعام؟ قال لها: نعم، قالت: كيف تأكل؟ قال أسمِّ الله، وآكل بيميني، وآكل مما يليني، قالت له: إنك لا تحسن الطعام، قال: كيف أحسن الطعام؟ قالت: كُل حلالاً طيباً وكُل كيف شئت!! لأن ما ذكرته سنن ولكن الفريضة أن تأكل حلالاً طيباً

---

٩٣ البخاري ومسلم عن عمر بن أبي سلمة ﷺ

﴿ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴾ آمنين من الأمراض، وآمنين من الهم والغم، وآمنين من الخروج منها، وآمنين من انتهاء أملها، لأن أهل الجنة لو عرفوا أنهم سيظلون فيها فترة معينة ويخرجوا فلن يتنعموا ولن يتهنوا، لكنهم آمنين من كل ذلك.

والموت؟ لا يوجد موت: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ هي موته واحدة فقط، وهي الموتة التي قال فيها الله: ﴿ كُلُّ نَفۡسٍ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ ﴾ (٥٧العنكبوت) مرة واحدة عند خروج روحه من الدنيا إن كان من العوام، أو عند موته الموتة الاختيارية إذا أكرمه الله بنظرات الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

وهل هناك من يموت في الدنيا ويظل بيننا يذهب ويأتي؟ نعم، نقرأ كلام الله: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتًا فَأَحۡيَيۡنَـٰهُ ﴾ احتيا بالله ﴿ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورًا يَمۡشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ (١٢٢الأنعام)

وهل نحن لسنا بأحياء؟! نسأل القرآن؟ هناك أناس عائشين، وهناك أناس أحياء في الدنيا.

فمن الذين يعيشـــون؟ غير المؤمنين أو الغافلين من المؤمنين عن طاعة وذكر رب العالمين تبارك وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (١٢٤طه)

فهل يوجد بعد هذا البيان بيان؟!! فكلما تتصـعب علينا الحياة وتضـيق علينا نعرف أن السبب هو تكاسلنا في طاعة الله، وتكاسلنا في ذكر الله، وتكاسلنا في العمل بكتاب الله.

ومن الأحياء يا رب؟ يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (٢٤الأنفال) يخاطب المؤمنين، ومن الحي هنا؟ الذي اســتجاب لله ورســوله، فالذي استجاب وأناب يكون قلبه حي، والحياة هنا في كتاب الله يقصد بها حياة القلب.

أما الآخرين أجســامهم أفضــل منا، وقد لا يتعاطون أدوية مثلنا مثل الأمريكان والأوروبيين وغيرهم، ومثلهم من كـانوا في الجزيرة العربيـة من عتـاة الظـالمين والمشــركين، فكان حضـــرة النبي يذهب لهم ويعظهم ويكلمهم، فقال الله له: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (٨٠النمل) قلوبهم ميتة، والعبرة بالقلوب عند حضرة علام الغيوب ﷻ.

فالحي في نظر الله، وفي كتاب الله، وعند سيدنا رسول الله، الذي استجاب للقرآن، ولسيدنا رسول الله، وعاش في ظلال القرآن على الدوام بالحياة الطيبة التي بشّرنا بها الله فقال: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ (٩٧النحل) بسبب الإيمان والعمل الصالح الذي عمله.

﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ سيدنا رسول الله قال:

{ طَلْحَةُ مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ }[٩٤]

وفي رواية أخرى:

{ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ }[٩٥]

وقضى نحبه يعني مات، مع أنه كان يتحرك بينهم ويذهب ويأتي، وورد كذلك في الأثر: (من أراد أن ينظر إلى ميت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر)، مات عن شهواته، وعن الحظوظ الفانية، وعن الأهواء التي تفرق الجماعات، وحي بطاعة الله، ومتابعة رسول الله ﷺ... فالموت موتة واحدة، لكن يا هنا الذي يموت الموتة الإرادية الاختيارية لأنه سيكون وهو في الدنيا من الأحياء عند ربهم يرزقون.

٩٤ جامع الترمذي وابن ماجة عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ
٩٥ معجم الطبراني عن طلحة بن عبيد الله ﷺ

كل هذا النعيم في الجنات، وفي الحياة الدنيا، لا بعمل نراه أهلا لذلك، ولا بثمن ندفعه، وإنما كما قال الله: ﴿ فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ﴾ كل هذا توفيق من الله، وعطف من الله، قال ﷺ:

{ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلا أَنَا، إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ }[٩٦]، وفي رواية اخرى:

{ إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلٍ }[٩٧]

إياك في يوم من الأيام تعتقد أن سر السعادة هو العمل، لأن الله ﷻ لو حاسبنا حساباً دقيقاً على أرجى عمل عملناه هلكنا، لكنه اكراماً للحبيب قال لنا: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ ﴾ (١٦الأحقاف) نتقبل العمل الصالح ونتجاوز عن السيئات، وهذا فضل الله، فهو يعاملنا بالفضل وليس بالعدل.

٩٦ مسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ
٩٧ معجم الطبراني عن طارق بن شريك ﷺ

﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ أن الله ﷻ يتقبلنا بقبول حســـن، ولا يعاملنا بأعمالنا، وإنما يعاملنا بنياتنا، قال ﷺ:

{ إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ }[98]

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ سيدنا جعفر الصادق يقول: لو لم ييسر الله لنا تلاوة القرآن ما اســـتطعنا تلاوته، فالله قال لنا في القرآن: ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ ﴾ (٤٠القمر).. عندما تذهب للحرم المكي أو النبوي في أي زمن تجد أناس مسلمين لا يعرفون من اللغة العربية حرفًا، تقول له: السلام عليكم، يقول: وعليكم السلام فقط، وتجده يُمسك المصحف ويقرأ بلسان عربي مبين، والأهم أن الدموع نازلة من عينيه، دليل على أنه يفهم ما يقرأه!! وهذا هو تيســـير الله: ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾ (٤٠القمر).

---

٩٨ البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ

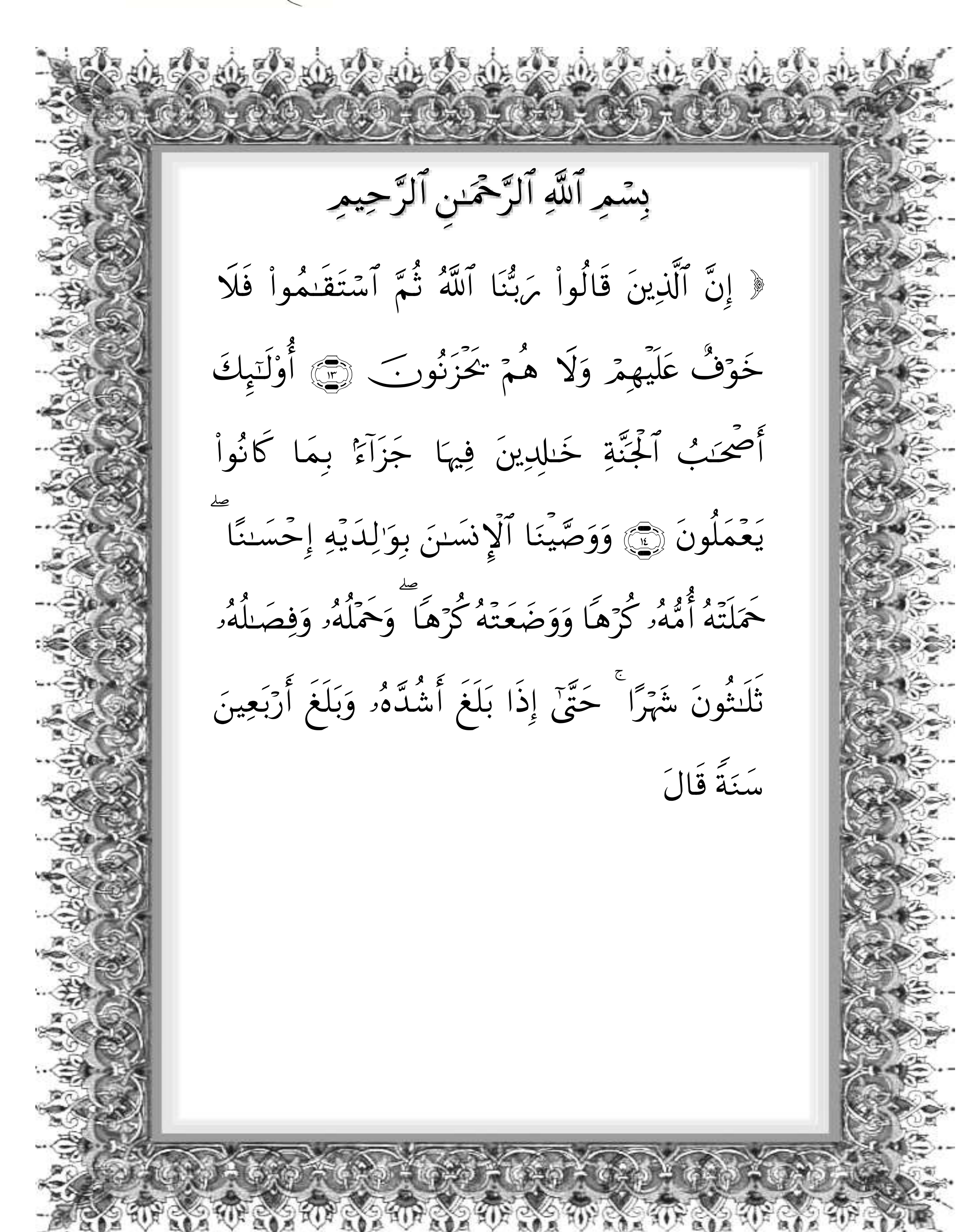
والقرآن كما نعرف غالب لا مغلوب، فالذي يريد أن يصاحب القرآن دائمًا يطلب المساعدة من الرحمن، ويطلب المعونة من الله على الدوام.

وإلا لو حفظه حفظاً جيداً ونسـي نفسـه وتهيأ له أنه لا يوجد أحد مثله، فسيجد نفسـه في محفل من المحافل العظمى يقرأ الآية وينسى بها كلمة أو أكثر!!، وهذا يحدث حتى للقرَّاء الأكابر الذين يقرءون القرآن ويراجعونه على الدوام!!.

لذلك لا بد أن يستعين الإنسان بالله على تلاوة القرآن، لأنه لو حتى قرأت باللسان فالعبرة بالفهم، ومن أين يأتي الفهم؟ معونة من الله، وفضـل من الله، فيعمل المؤمن دائماً بقول رب العالمين: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٥الفاتحة).

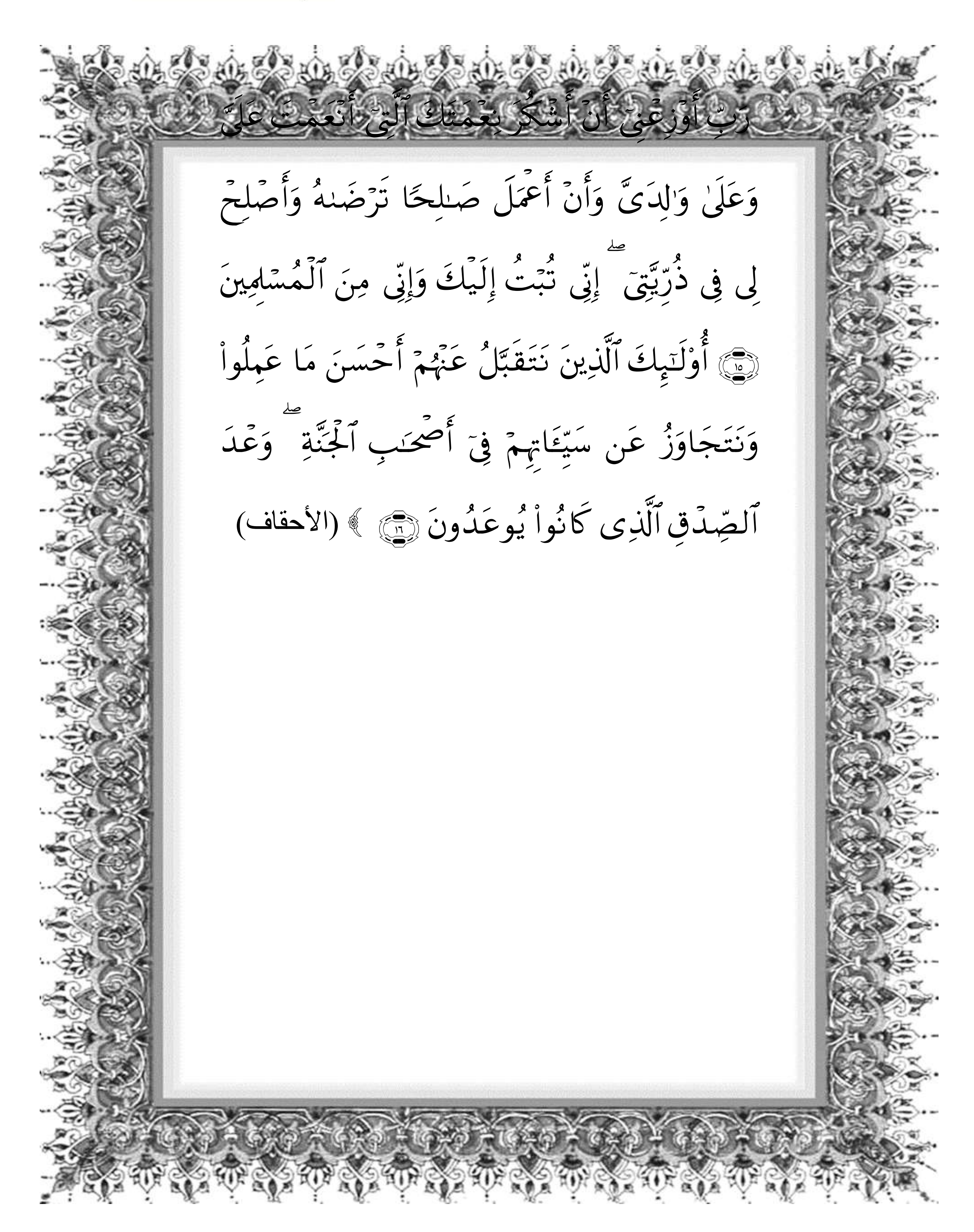
نسـأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا للعمل بالقرآن، وأن يجعلنا من التالين لكتاب الله آناء الليل وأطراف النهار، وأن يحفظنا بالقرآن ظاهراً وباطناً حتى يكون أنيساً لنا في قبورنا، وشفيعاً لنا عند حشرنا، ورفيقاً لنا في كل حياتنا، ونسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من عباده الأتقياء الأنقياء الأخفياء الأصـفياء، وأن يُفرِّج عنا كل كرباتنا، وأن يديم علينا شرح صدرنا، وأن يهيئ لنا على الدوام من أمرنا رشداً، وأن لا يتركنا لانفسـنا ولا إلى غيره طرفة عين ولا أقل، وأن يغنينا بخيره وبره وفضـله عن الخلق أجمعين، وأن يجعلنا في غنى بذاته وبكتابه عن كل ما في الدنيا وأهلها أجمعين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ



رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (الأحقاف)

٦.مقام لا خوف عليهم ولا يحزنون[99]

بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي أهَّلنا في الأزل القديم لتنزُل كلامه الذي أنزله على قلب نبينا الرءوف الرحيم، وشرَّفنا بأن جعلنا أهلاً للقرآن، ورفع شأننا بأن جعلنا أمة القرآن، وجعلنا في الدار الآخرة لنا الشــرف الأعلى يوم القيامة إذا عملنا بالقرآن، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد قرآن الله الحيِّ فيما بيننا، الذي كان يقرأ القرآن بلســانه، ويُبين أعمال القرآن بأعماله الظاهرة، حتى كان قيامه بالقرآن، وقعوده بالقرآن، ومشـيه بالقرآن، ونومه بالقرآن، وخُلُقه القرآن، وكل أحواله بالقرآن؛ سيدنا محمد وآله وصحبه والناهجين على سبيله أجمعين، واجعلنا منهم ومعهم .. آمين يا رب العالمين.

القرآن مأدُبة الله

القرآن مأدُبة الله تعالى في الأرض، فهو الوليمة التي أنزلها لنا الله ســبحانه وتعالى، ولكن لا تأكل منها الأجسـام، ولكنها وليمة خاصَّــة بالقلوب التي طهُرت من الشـرك والعيوب، وتتناول من مائدة حضـرة علام الغيوب من كلام الله تبارك وتعالى ما يصلحون به دنياهم، وما ينالون به السعادة في أُخراهم.

[99] الأقصر – أرمنت – قرية أولاد الشيخ ٢٠ من صفر ١٤٣٩هـ ٢٠١٧/١١/٩م

ولذلك كما أن الإنسـان منا لا بد له لصـلاح الجسـم يأكل كل يوم وجبتين على الأقل، إما فطور وغذاء، وإما فطور وعشـاء، وإما يأكل الثلاثة، فأيضـاً رب العزة تبارك وتعالى جعل لنا خمس وجبات كل يوم، نأكل فيهم من القرآن، ويسـقينا تبارك وتعالى إذا رُزقنا الإخلاص فيهم من شراب معاني القرآن.

فيقرأ القرآن وتتوالى عليه من الرحمن إلهامات القرآن، وأنوار القرآن، وأسرار القرآن، وهذه تجعل الحياة هينةً لينةً سـهلةً في نظره، فلا يحدث له ما يحدث لأعداء الله مما نراهم في عصرنا وفي غيره من العصور، قال ﷺ:

{ مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ }[١٠٠]

فرفع عنا الغفلة أجمعين بالصـلوات الخمس، فكلنا نُصـلي ونقرأ في كل ركعة على الأقل سبع آيات من القرآن، وهي الفاتحة أم الكتاب، فهي مُوجز الكتاب كله، فيها كل ما في الكتاب من علوم وحكمٌ وأنوارٌ وأسـرار، حتى يكون المؤمن على صـلة مباشرة بالواحد القهار تبارك وتعالى.

وجعل الله تبارك وتعالى القرآن كتاب حياة، وليس كتاباً للتعبد فقط، ولكن لا بد أن نسمعه أو نقرأه ونتدبره ونعمل بما فيه، فمن يقرأ القرآن ليل نهار ولن يُطبق عملاً ما قرأه من كلام الرحمن فهذا قد يكون له عند الله حسنات،

١٠٠ سنن أبي داود وابن خزيمة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

وقد تكون الحسنات مضاعفات، لكن لن يتغير ظاهراً ولا باطناً إلا إذا أتم العمل بكتاب الله كما طلب منا المولى تبارك وتعالى، فالأساس كله العمل بالقرآن.

سـيدنا رسـول الله ﷺ كان منهجه مع أصـحابه في القرآن أن من يأخذ آيات لا ينتقل منها إلى آيات أُخرى حتى يُتقنها عملاً، بعد أن يعمل بما فيها يذهب لرسـول الله ويقول له: أُريد آياتاً أُخرى، لماذا؟ ليتدبَّر ويعمل بالقرآن، فيُفيض الله تبارك وتعالى عليه الحياة النورانية القرآنية التي تجعله ظاهراً وباطناً في خير حال على الدوام.

ولذلك سـيدنا عبد الله بن عمر رضـي الله عنهما كان يقول: (كان الذي يحفظ سـورة البقرة من أصحاب رسول الله ﷺ يُدعى عظيماً) يأخذ لقب عظيم.

من الذي يأخذ لقب عظيم؟ الذين يحفظ سـورة البقرة، ويعمل بها، فلا ينتقل من آية إلى آية إلا إذا عمل بالأولى وأتمَّ وأحكم العمل، ثم ينتقل إلى الآية الأُخرى، فهذا هو المنهج الذي كان عليه رسول الله ﷺ مع أصحابه الكرام.

لأن الله عاتب المؤمنين الذين يتلون القرآن ولا يتدبرون فيه، وقال لنا: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ (٨٢النساء) لماذا لا تتدبرون القرآن؟!! والتدبر يعني التمعن والتفكر في معاني كلمات الله تبارك وتعالى.

وإياك أن تظن أن التدبر والتفكر يحتاج إلى قراءة كتب تفسير، أو الحصول على دورات تخصصية، لأن أصحاب حضرة النبي من الذي كان عنده منهم كتاب تفسير؟! لم تكن وُجدت كتب التفسير بعد، ومن الذي كان عنده منهم مكتبة فيها مراجع وكتب؟! لم يكن لأحد منهم ذلك، فما المطلوب؟

هم أهلُّوا أنفسهم لقراءة القرآن، فالقرآن يحتاج إلى طهارة القلب مما سوى الله عند بدء التلاوة في آيات كتاب الله، إذا طهُرت القلوب من العيوب لم تشبع من كلام علاَّم الغيوب!! ويفتح الله ﷻ لهذا الرجل عيناً في قلبه، يُفاض منها له في هذا الكلام عُلومٌ إلهية، وأسرارٌ ربانية، وأنوارٌ قدسية لا حد ولا عد لها، لم يسمعها من عالم، ولم يقرأها في كتاب، وإنما تأتيه فورياً من حضرة الكريم الوهاب تبارك وتعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٢٨٢البقرة) من الذي يُعلِّمه هذه العلوم؟ الله تبارك وتعالى، بلا واسطة ولا وسيلة، لأن خالق الخلق تبارك وتعالى قدير، ويُنزل ما يريد من المعاني على أي مؤمن ولو كان في نظرنا صغير، حتى نجد له مكانةٌ بين القوم يحسده عليها الأكابر.

سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: كان غلاماً صغيراً، وكان سيدنا عمر يعقد مجلس الشورى، ويُصِرّ على أن يحضر هذا الغلام معه، وكان يختصَّ هذا الغلام ويأخذ برأيه، فالكبار في السن قالوا له: لم تُفضِّل هذا الغلام؟ فيقول لهم: إنه ولدٌ مُعلَّم، أي موهوب العلم، فكان رضـــي الله تبارك وتعالى عنه يســمونه من كثرة فهمه في تفســير ومعاني وعلوم كتاب الله (ترجمان القرآن) نحن نقرأ القرآن مثل غير العرب الذين لا يفهمونه، وهو الذي يُترجم لنا المعاني الإلهية الموجودة في آيات كتاب الله الربانية... فالقرآن يحتاج إلى التمعن والتدبر أثناء التلاوة لكتاب الله، ثم العمل به بعد ذلك طلباً لإرضاء الله تبارك وتعالى.

صفات الأولياء

الآيات التي معنا قدمت لنا خطاباً مختصـراً من ملك الملوك، إذا عمل أي مسـلم بما فيه يصـبح من أولياء الله الصـالحين، ومن أهل الجنة العالية يوم الدين ويخلد فيها أبداً

ما الطلبات التي يُريدها منا الله لنصـبح أولياء لله؟ ونكون من أهل الجنة العالية؟ طلب بسيط: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾:

كلمتان اثنتان فقط، قالوا ربنا الله، وبعد ذلك استقاموا عليها.

وكيف يســتقيموا عليها؟ يعملون بما أمر الله، وينتهون عما نهى عنه الله، ولا يحاول واحدٌ منهم أن يتفلسف في الأوامر الصريحة الواردة في كتاب الله، ويدَّعي أن الله يُريد كذا في هذه الآية، ويخرج عن القصـــد الذي قصـــده ملك الملوك في الآية كالفلاســفة الذين كثُروا في هذا الزمان، فعندما يقع في مأزق يؤوِّل القرآن على هواه، ويُفسِّر القرآن على وفق ما يريد، لكن أنا أُفسِّره على وفق ما يُريده منا الحميد المجيد،

فهو كتاب الله الذي أرسله لنا.

نحن كلنا موظفين، فلو جاءنا قرار أو كتاب دوري من الجهات العُليا، فهل ننفذه كما نريد أم كما تُريده الجهات العُليا؟! كما تريد الجهات العليا، والجزئية التي نختلف فيها نقوم بكتابة خطاب للجهات العُليا لنعرف ما مقصودهم فيه لننفذه، لكن لو كل جهة من الأعمال نفذت ما تريد فلم يعد هناك قانون.

ولله المثل الأعلى، فإن رب العزة أرســـل إلينا الكلام الذي به النجاة في الدنيا، والذي به الفوز يوم الزحام، ولكن كيف ننفذه؟ كما يريد الله لا كما نريد نحن.

ولذلك كان الرجل الصـــالح يقول: (ليس الشـــأن أن تفهم القرآن، لكن الشـــأن أن تفقه مُراد الرحمن في القرآن) ماذا يريد منك؟ لابد أن تعرف هذه.

فالله سبحانه وتعالى أنزل إلينا القرآن تبياناً لكل شـيء، وتعهَّد بذاته أن يُيسر لنا تلاوته، وأن يُنزل لنا بياناته، ولذلك لم يبينه حضـــرة النبي ﷺ، فكل واحد له بيان مخصوص، وكل زمن فيه بيان لآيات القرآن، وكل جماعة مطلوبٌ منهم أمراً خاصاً يذهب إليهم بالإلهامات الإلهية في القرآن.

ولذلك لكل واحد منا مَلَك على القلب يأتي لي بما يريده الرحمن ويُلهمه به، لكي نصل إلى فهم القرآن بحسب ما يريد حضرة الرحمن تبارك وتعالى.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾ ومن حلم الله تركنا في مرحلة الاســـتقامة نسـتقيم بالتدريج فجاء لنا بــــ (ثُمَّ) وثم في اللغة العربية للتراخي، يعني لا يقرأ اليوم ويستقيم فوراً، المهم أن تُحاول أن تستقيم على ما أمرك به الله تبارك وتعالى.

فمن ينفذ ما جاء به القرآن من أحكام وتشـــريعات بدون تدخل هوى النفس، وبدون قصـــد دنيوي، ولكن قصـــده رضـــاء المولى العلي، فهؤلاء فوراً الواحد منهم ســـيكون من أولياء الله، وما علامات الولاية؟ ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦٢يونس).

نفس الأوصـــاف في الآيات التي معنا: ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ فهذه علامة الولاية لله ســـبحانه وتعالى، وممَ يخاف الإنســـان؟ يخاف من المجهول في المسـتقبل القادم، هل عندما أموت سـآخذ حُسـن الخاتمة أم لا؟ والموت أقرب إلينا من أنفســنا، بل ومن النَفَس الذي يتردد بداخلنا، فالإنســان أنفاس، نَفَسٌ يخرج ولا يرجع، ونَفَسٌ يدخل ولا يخرج، وينتهي الإنسان.

فعلى أي شـــيء يخرج؟ هذه هي المهمة، ومن شـــدة أهميتها حتى الأنبياء كانوا يطلبون من الله أن يُخرجهم في هذه اللحظة على النسق الذي يُحبه الله ويرضاه، سيدنا يوسف نبي الله يقول: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (١٠١يوسف) وحضرة النبي ﷺ قال لنا:

{ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ } [١٠١]

القلب بين أصـــبعين من أصـــابع الرحمن يُقلبه كيف يشـــاء، مع تنزيه الله عن الحركات والمصنوعات والإشارت، ليس كمثله شيء.

والزمن الذي نحن فيه جعل من علامات الســاعة - نســأل الله على الثبات على الإيمان أجمعين - أن يبيت الرجل مؤمناً ويُصـبح كافرا، ويُصـبح الرجل كافراً ويبيت مؤمناً.

لماذا؟ لكثرة الفتن الموجودة في هذا الزمان، من الذي يستطيع أن يحفظ قلبه؟ لا يوجد إلا الذي خلقه تبارك وتعالى،

١٠١ جامع الترمذي وابن ماجة عن أنس ﷺ

فقد كان حضـرة النبي ﷺ بعد كل صـلاة يدعو ويقول: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ (٨آل عمران) فأخوف ما يخاف منه أي مؤمن الخاتمة، كيف ستكون؟ لأن النبي ﷺ يقول:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ }[١٠٢]

واطمئنوا فلا أحدٌ منا داخل في هذا الحديث، ولكن هذا للمنافقين الذين يعملون الأعمال ليس لوجه الله، ولكن للفخر والتظاهر والمداراة بين الناس، حتى يقولوا عنهم صـــالحين، أو طيبين، لكن هو في ذاته وفي قلبه غير مخلص في هذا العمل لرب العالمين.

وفي نفس الوقت قال ﷺ في المذنبين الذين يرجعون بصدق ويقين لله تائبين:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ }[١٠٣]

---

١٠٢ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
١٠٣ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

إذاً أهم شيء يخاف منه الإنسان هو الخاتمة، والنبي قال:

{ يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ }[١٠٤]

هؤلاء الذين اســتقاموا على ما أمر الله، وانتهوا عما نهى عنه الله، طمأنهم أنهم: ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ أي لا خوفٌ عليهم من الخاتمة، فقد ختم لهم ربهم بالإيمان، ولا خوف من حســـاب القبر لأنهم ســـيدخلون في قول الرحمن: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ (٢٧إبراهيم) يثبتهم عند الخروج من الدنيا، ويثبتهم في الآخرة من أول القبر.

ولا خوف عليهم من يوم القيامة، ولا من الحســـاب، ولا من الميزان، ولا من الصراط، لأنهم تولاهم الله بولايته، وضمن لهم أن يكونوا من أهل جنته.

---

١٠٤ صحيح مسلم ومسند أحمد عن جابر ﷺ

﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ الإنسـان يحزن على ماذا؟ خائف مما عمله، ويقول: لقد ارتكبت كذا من المعاصي والذنوب، فهل سيتوب الله عليَّ منها أم سيحاسبني عليها؟ وخائف مما تركته من الأوامر التي أمرني بفعلها الله وأنا أهملتُ في القيام بها.

وخائف على أولادي الذين تركتهم في الدنيا ماذا يفعلون من بعدي؟ وماذا سيحدث لهم؟ فطمأنهم الله على كل ذلك، فلا تحزن عليه لأن الله سيجبُرك في ذلك كله، فإذا كانت ذنوباً سيغفرها، وإن كان تقصيراً سيجبُره، وإذا كان الأولاد والزوجة فلا تحمل همهم لأنهم سيكونوا في رعاية الله، ويتولاهم الله بولايته، والله أحنُّ عليهم منك، وأكرم عليهم منك، فلا تحزن على ما فات، ولا تخش عليهم شيئاً مما هو آت، فماذا يحتاج الإنسان بعد ذلك؟!!.

وأين يكون هؤلاء في الجنة؟ هل سيأخذون سكناً بالإيجار؟! لا، بل سيتملَّك، ومن الذي سيملِّكه؟ صاحب الجنة تبارك وتعالى

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ :

فهم أصحابها.

ولذلك بعض الدعاة يريدون أن يخوِّفوا المؤمنين، ويُهيئ لهم أن هذا هو المنهج السديد!، فعندما يُصلي بالناس يقرأ آيات جهنَّم لكي يخاف الناس، وكلما خطب خطبة أو ألقى درساً يأتي بوصف العذاب والعقاب، والنار ومن في النار.

لكن ما شـــأن المؤمنين بذلك؟!! فهؤلاء أصـــحاب الجنة، والله أمرنا أن نُعرِّفهم الجنـة: ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ (٦محمد) فمن الذي يُعرِّفنا بها؟ العُلماء العاملين والصالحين حتى يبشرونا بفضل رب العالمين تبارك وتعالى علينا.

فلا شأن لنا بجهنَّم، لأنها للكافرين والمشركين، حتى أن العُصاة والمذنبين منا لو دخلوها فستكون لفترة يسيرة، ويأتي حضرة النبي فيطلب لهم العفو ويخرجهم، فليس لنا فيها شيء، وليس لنا فيها أملاك ولا نزول. .. لكن عندما نريد أن نشاهدها يأمر الله الملائكة بأن يأخذونا وفد وراء وفد، فيشاهدونها حتى يعرفوا فضل الله عليهم.

فعندما ننزل النار، فإن النار تتكلم ...

، فهي ليست كنار الدنيا، ولكنها تتكلم وتفهم، فنار الدنيا تحرق أي شـيء تضعه في طريقها، حتى لو وضـــعت فيها مصـــحف تأكله، لكن نار الآخرة عندما يدخل المؤمن تقول له: جُز بســرعة يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي، يعني أســرع لأن نورك يُطفئني، ولذلك يقولون: النار لا تحرق مؤمن، وهي نار الآخرة، لأنها عاقلة ليســت كنار الدنيا.

ميراث المؤمنين في الآخرة

فنحن ليس لنا شأنٌ بالنار نهائياً، لكن أخذ لنا حضرة النبي تعهُّد مع ملك الملوك أن هذه الجنة لنا نحن، يعني ميراث خاص بنا، وذكر لنا أن الجنة واسعة، وبها أحياء كثيرة، وكل واحد عليه أن يرى الإعلانات التي في القرآن، والتي تنادي على أرض الجنان، وتنظر إذا كنت تريد أن تسكن في الفردوس الأعلى فانظر ما الثمن، وما الملف الذي تجهِّزه لتدخل ويكون لك فيلًا في الفردوس الأعلى.

تريد أن تدخل جنة عدن، فانظر إلى إعلانها في القرآن، وانظر ماذا فيها؟ وما مواصفاتها؟ وما الملف الذي تُجهِّزه لكي تأخذ به مكان في هذه الجنة.

وكذلك جنة المأوى، وكذلك جنة الخُلد، فهي جنان كثيرة، وحضرة النبي يُبين بعضها، فيتكلم عن الحيّ الخاص بالمجاهدين في سبيل الله فقط، ما مساحة هذا الحيِّ؟ قال:

{ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ }[١٠٥]

١٠٥ معجم الطبراني عن أبي مالك الأشعري ﷺ

مائة درجة في الجنة، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض!! وأين الجنان الباقية؟ ليس لها حدٌّ ولا عدٌّ، ولكن المؤمن الحكيم لا بد وأن يختار، ويتعاقد مع العزيز الغفار.

اكتب عقداً وسجله مع الله، ومن الذي يبيع؟ أنت، ومن المشتري؟ الله، وما الثمن؟ أنت بجهادك وجهودك في طاعة الله، ومالك لا يُنفق إلا في البنود التي أباحها كتاب الله، ووضحها سيدنا رسول الله.

وما صيغة العقد؟ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١١١التوبة) من المشتري؟ الله، ومن البائع؟ المؤمنين، وماذا يبيعون؟ ﴿ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾ (١١١التوبة).

وكيف يبيعون النفس؟ يجعل مجهوده كله من لحظة قيامه حتى لحظة نومه في عمل يُرضي من لا يغفل ولا ينام، وهذا كل ما في الأمر، أنت تعمل لنفسك وليس لأحد آخر، ولكن يوافق العمل رضا الله تبارك وتعالى.

والمال لا بد قبل أن أُخرجه أن أنظر إلى البند في القرآن هل يسمح أن أضع فيه هذا المال أم لا؟! وبعض الناس يقول: مالي وأنا حرٌّ فيه، فطالما أنت حرٌ فيه، فلِمَ يحاسبك عليه؟!! هذا مال الله وأعطاه لك الله، وأعطاك هيئة الحساب والإنفاق في كتاب الله، والذي لا تفهمه تراجع توضيحه في سنة رسول الله: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ (٧الحديد) ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ (٣٣النور).

فالمال مال الله، وأعطاه لك وديعة عندك لينظر ماذا تفعل فيه؟ هل تنفقه في المخدرات والمسكرات والمنكرات، وتقول: إنه مالي وأنا حرٌّ فيه؟!! فتكون قد خسرت الدنيا والآخرة، لأنك خالفت الله وأمره تبارك وتعالى في كتاب الله، وهذا معنى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾ (١١١التوبة).

وما الثمن؟ ﴿ بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ (١١١التوبة) وأين يُسجَّل هذا العقد؟ ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾ (١١١التوبة) وهذه مكاتب السجل الإلهي التي يتم فيها التسجيل، وليس الشهر العقاري.

فكل من في الشهر العقاري يأتي يوم القيامة ويأمرهم أن يجمعوا كل هذه العقود: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ (٤٠مريم) ما الذي يوزعوه؟ وما هذه العقود؟ وماذا يسجلوا؟ كل واحد كان له أرض في الدنيا فهي لمهُلة، وبعد ان تنتهي مُهلتة يسلمها لغيره كما يريد ملك الملوك تبارك وتعالى، وليس من حقه أن يتصرف فيها كما يريد.

لكن العقد الذي مع الله هو ما نحتاجه كلنا: ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ﴾ (١١١التوبة) ومن يكتب العقد يقال له: اطمئن: ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١١١التوبة).

لا بد أن يكون لك عقد مع الله!!

وتحدد فيه المكان الذي ستسكن فيه هناك، لأنه لا يوجد سكن في الجنة إلا لمن حجزه في الدنيا، وحتى لو أن هناك سكن للإيجار، فمن أين الإيجار؟!!

ليس معك شيء، لكن هناك ملك يُملكه لك الله من الدنيا.

دار الخلود

﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ كم سـنة يمكثوا فيها؟ طمأننا الله فقال: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾

وخالدين فيها يعني ليس فيها موت، وليس لها نهاية، وليس فيها نوم، ولا ليل، ولا نهار، ولا يوم، ولا مرض، ولا هم، ولا غم، ولا حُزن، وإنما نعيمٌ مقيم في جوار الله تبارك وتعالى، وفي جوار الرءوف الرحيم سيدنا محمد ﷺ.

ولكي نعرف عظمة العظيم سبحانه وتعالى، أيضاً جعل لنا قيمة فذكر أن هؤلاء استحقوا الجنة بتعبهم ومجهودهم وعملهم الصالح: ﴿ جَزَآءٌۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ مع أنه لا يستطيع أحد منا أن يعمل عملاً إلا بمعونة الله، وبتوفيق الله، وبحول من الله، وبطَوْل من الله، لكن الله تعهَّد لنا في كتاب الله فقال: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ (٣٠الكهف).

آية واحدة في كتاب الله فيها كل ما تتمناه، فيها الغاية وهي الجنة، وفيها الوسيلة وهي الاستقامة، وفيها التكريم جزاءً بما كانوا يعملون، ويكرمَّك هناك، وينشر لك الأعلام أمام أهل الموقف، ليُفرحك بأنك كنتَ من المجدين ومن المجتهدين في الدنيا.

وفيها الطمأنينة من كل خوف، وفيها إكرام الأبناء بصلاح الآباء، مادمتَ أنت صالح فاطمئن أن أولادك في عناية الله ورعاية الله، إياك أن تحمل همهم وتقول: كيف أتركهم ولا يزالون أطفالاً صغاراً؟! الله توكَّل لك لأنه هو الكفيل، وهو الذي سيقوم بكل ما يحتاجون إليه، وهو أكرم الأكرمين تبارك وتعالى، هذه آية واحدة، فكيف إذا استرسلنا في كتاب الله؟! ماذا نرى؟ نرى أشياء أُخرى ذكَّرنا بها الله، وطلب منا أن ننتبه لهذه الأمور، حتى لا يكون هناك عائق يعوق من دخول الجنة.

حقوق العباد

إذا أنت استقمت ونفذت أوامر الله، وانتهيت عن المعاصي التي نهى عنها الله، فما الذي يحرمك من الجنة؟ شيء واحد فقط لو لم تنتبه إليه، وهي حقوق الناس من حولك.

إذا اطمأننت أنك محافظ على الصلاة، ومحافظ على صيام شهر رمضان، ومحافظ على تلاوة القرآن وذكر الله، ولكن أهملت أصحاب الحقوق الذين تكفَّل الله سبحانه وتعالى لهم بأن تسعى أنت نحوهم لتقوم بحقوقهم، فماذا يحدث؟ ورد أن المرء بعد ينتهي من الحساب، والملائكة تزُفُّه وسيدخل الجنة، وعند باب الجنة ينادي مناد الله: من كانت له مظلمة عند فلان فليخرج، فيقوم الناس من الموقف، وفيهم من تعرفه، وفيهم من لا تعرفه، وكل واحد يقول: يا رب خذ لي بحقي من هذا، وكل واحد يذكر حقه ويقول: إنه اغتابني مرة، وهذا يقول: إنه كذب عليَّ مرة، والآخر يقول: غشني في البضاعة مرة، وآخر يقول: غشني في تجارة مرة، وآخر يقول: سرق مني مرة، وكل هذه الأمور وأشباهها وأمثالها، فيأمر الله ﷻ الملائكة أن لا يدخل الجنة حتى يرضي خصماءه.

عقوق الوالدين

وهؤلاء كلهم جانب، والأب والأُم جانب آخر، لأن من يخرج من الدنيا عاقٌّ لوالديه حرَّم الله عليه الجنة، وعاق يعني عاصـــي، فلا يقوم لهما بالحقوق التي ذكرها الله في كتاب الله، وبيَّنها رسول الله ﷺ، قال ﷺ:

{ الْجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الأُمَّهَاتِ }[106]

وقال ﷺ:

{ الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَإِنْ شِئْتَ فَاحْفَظْهُ، وَإِنْ شِئْتَ فَضَيِّعْهُ }[107]

وذات مرة صعد النبي ﷺ منبره، وكان منبره ثلاث درجات فقط:

{ فَلَمَّا ارْتَقَى دَرَجَةً قَالَ: آمِينَ، فَلَمَّا ارْتَقَى الدَّرَجَةَ الثَّانِيَةَ، قَالَ: آمِينَ، فَلَمَّا ارْتَقَى الدَّرَجَةَ الثَّالِثَةَ، قَالَ: آمِينَ، فَلَمَّا نَزَلَ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ سَمِعْنَا مِنْكَ الْيَوْمَ شَيْئًا مَا كُنَّا نَسْمَعُهُ، قَالَ: إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَرَضَ لِي، فَقَالَ: بُعْدًا لِمَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يَغْفَرْ لَهُ، قُلْتُ: آمِينَ، فَلَمَّا رَقِيتُ الثَّانِيَةَ، قَالَ: بُعْدًا لِمَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، قُلْتُ: آمِينَ، فَلَمَّا رَقِيتُ الثَّالِثَةَ، قَالَ: بُعْدًا لِمَنْ أَدْرَكَ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ عِنْدَهُ أَوْ أَحَدُهُمَا، فَلَمْ يُدْخِلاهُ الْجَنَّةَ، قُلْتُ: آمِينَ }[108]

---

١٠٦ مسند الشهاب والبروالصلة لابن الجوزي عن أنس ﷺ
١٠٧ مصنف ابن أبي شيبة ومسند أحمد والترمذي عن أبي الدرداء ﷺ
١٠٨ الحاكم في المستدرك والطبراني عن كعب بن عجرة ﷺ

وكلمة آمين يعني اللهم استجب، فمن يُدرك أحد الوالدين ولا يدخل الجنة به، أي بخدمته له والقيام بمهامه له، والحرص على شئونه، فهذا شقي والعياذ بالله، كما قال ﷺ.

وفي الرواية الأُخرى قال:

{ وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلاهُ الْجَنَّةَ }[109]

يعني بعُد من رحمة الله من أدرك والديه أو أحدهما فلم يُدخلاه الجنة، فكأن من يُدخل الإنسان الجنة الوالدين.

وماذا يريد منا الله؟ ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ﴾ يُذكِّر كل واحد منا، لأننا كنا صغار ولم ننتبه، فلم ير أحدٌ منا نفسه وهو في بطن أُمه، وكيف تعبت من الحمل وهو في بطنها؟! ولم ير نفسه وهي تلده وكيف كان مدى تعبها؟! ولم ير نفسه في فترة الرضاعة وكيف كانت مهمومة به؟!.

وبعد ذلك عندما يكبرا في السن فإن الله يُعطينا فرصة لنردُّ لهم بعض ما أدُّوه لنا في الصغر، حتى يُعَلِّم المؤمن الشكر لله تبارك وتعالى، والشكر لخلق الله على أي نعمة قدموها لنا، قال ﷺ:

---

١٠٩ جامع الترمذي وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

{ إِذَا حَشَرَ اللَّهُ الْخَلائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ، اصْطَنَعَ إِلَيْهِ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِهِ مَعْرُوفًا: هَلْ شَكَرْتَهُ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ عَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ مِنْكَ فَشَكَرْتُكَ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: لَمْ تَشْكُرْنِي إِذْ لَمْ تَشْكُرْ مَنْ أَجْرَيْتُ ذَلِكَ عَلَى يَدَيْهِ }[١١٠]

تظنُّ أنك تُصلي وتصوم وينتهي الأمر عند ذلك؟! لا،كل من أجرى الله لك نعمة على يديه فلابد وأن تشكره على هذه النعمة، وكيف أشكره؟ لا أقول له شكراً فقط، ولكن الخدمة التي أدَّاها لي أحاول أن أؤدي له مثلها.

وهل يوجد أحدٌ منا يستطيع أن يؤدي للوالدين وللأُم بصفة خاصة بعض الذي أدَّته لنا؟! لا، سيدنا عمر كان في الحج وأثناء الطواف بالبيت، رأى رجلاً ومعه أُمه كبيرة في السن، ووضعها في قُفَّة ويحملها على كتفه ويطوف بها البيت، ثم ذهب إلى سيدنا عمر وقال له: يا أمير المؤمنين هل أنا قد أدَّيتُ حقها بذلك؟ قال: ولا بطلقة واحدة!!.

كل ما تعمله لا يساوي طلقة واحدة لحظة الولادة، فأنت لم تر هذه الأمور، وشبابنا غير منتبهين، فإن العلم الحديث يُؤيد كلام رب العزة تبارك وتعالى، فمعظم نسائنا بعد سن الأربعين تنتهي أرجلهن، لماذا؟ قالوا: أثناء الحمل فإن الله تبارك وتعالى يبدأ في تكوين الهيكل العظمي للجنين، وهذا العظم يحتاج إلى كالسيوم ليتكوَّن ويكبر.

١١٠ معجم الطبراني وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها

وفي العادة يكون عند النســـاء أثناء الحمل عدم قبول للطعام، لذلك فإن الجنين يأخذ من كالســـيوم عظام الأم، فيتحلل في عظامها ويذهب للجنين، لذلك نجدها بعد بلوغ ســـن الأربعين تشـــتكي من رجليها، ومن الذي ســـبب لها تعب الرجلين؟ أنت وإخوتك، وقد تقول له: أريد أن أذهب للطبيب، فيقول لها: أنا مشـــغول!! أنت الســـبب في هذا الداء، فحاول أن تردَّ لها شـــيئاً لكي تكون قد شـــكرتَ الله ﷻ على هذه النعمة التي أوصى الله بها في آيات القرآن في أكثر من موضع.

﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَـٰنًا ﴾ :

امرأة من الصالحات، وكانت معها ابنها، وكانت كبيرة في السن، فجاءها ضيفٌ قريبٌ لهم، وبعد أن سلَّم عليها وعلى ابنها قال له: يا بنيَّ استوصي بأمك خيراً، فقال له: نحن ضيوفٌ عندها، فقالت له: أنت كنتَ ضيفاً عندنا وأنت صغير، لكن الآن نحن ضيوف عندك أنت، فقال لها: كيف؟ قالت: آيات القرآن تقول ذلك: ﴿ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡ ﴾ (٣١الإســـراء) وكان هذا الكلام وهم صـــغار، يأتي الرزق على الأب والأم والأطفال داخلين فيه، وبعد الكبَر: ﴿ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ ﴾ (١٥١الأنعام) فقد كانوا متكفلين بنا ونحن صـــغار، فالمفروض أن نتكفَّل بهم ونحن كبار، لنردُّ بعض الجميل، كيف أردُّ جميل الوالدين؟ قال ﷺ:

{ لا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا، إلا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا، فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ }[111]

لا تستطيع ردَّ جميلهما إلا إذا كانا عبدين يباعا ويُشترا فتعتقهما وتجعلهما أحراراً، يعني الأمر يحتاج إلى جهاد كبير.

﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ وفصاله يعني فطامه، وهي آية تُثبت الإعجاز العلمي في كتاب الله، الرضاعة سنتين، فيكون أقل الحمل ستة أشهر، يعني من الممكن أن تحمل المرأة ستة أشهر والمولود ينزل سليماً، وقد تصل إلى سبعة أشهر، لكن ابن الثمانية غالباً لا يعيش، لحكمة يعلمها الله تبارك وتعالى.

ولذلك سيدنا عثمان رضي الله عنه وأرضاه جاءه رجلٌ وقال له: أنا متزوج منذ ستة أشهر وزوجتي ولدت اليوم فقال: جهزُّوا لنقيم عليها الحدّ، فجاء سيدنا علي وقال له: ماذا تصنع يا أمير المؤمنين؟! لقد قال الله في القرآن: ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ وقال في الآية الأُخرى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ (٢٣٣البقرة) فعندما نطرح الحولين من الثلاثين شهر فيكون الناتج ستة أشهر، ويكون أقلّ الحمل ستة أشهر، فقال رضي الله عنه: لولا عليٌّ لهلك عثمان، لأنه كان سيقتل امرأة بدون ذنب.

---

[111] صحيح مسلم والترمذي عن أنس رضي الله عنه

منهج القرآن في صلاح الآباء والأبناء

يمكنك الرجوع للتفصيل فى كتابينا(تربية القرآن لجيل الإيمان) و(إصلاح الأفراد والمجتمعات فى الإسلام)

وضـــع الله تبارك وتعالى لنا منهج كريم فيه إصـــلاحٌ للآباء، وصـــلاحٌ للأبناء، وصلاحٌ للذرية، وحياة طيبة في الدنيا، وسعادة أبدية يوم الدين، وأظن أننا كلنا نحتاج إلى هذا المنهج.

الذي يريد أن يســـعده الله في والديه، وفي نفســـه، وفي أولاده، وفي أحفاده في الدنيا وفي الآخرة؟ عليه بهذا المنهج، فهو لم يترك شـــيئاً أبداً .. أعطانا الله هذا المنهج في آية قرآنية، ومعها نموذج عملي، كان ســـبباً في نزول هذه الآية، وطُبقت عليه هذه الآية، والدعاء الذي كان يدعوه، من هذا النموذج؟ هو سيدنا أبو بكر الصديق ﵁.

ســيدنا أبو بكر ﵁ كان قد ذهب مع ســيدنا رســول الله برحلة تجارية كالتي يقوم بها أهل مكة، وكانا شـــاباً، ســيدنا رســول الله كان عنده عشــرين ســنة، وأبو بكر كان عمره ثماني عشرة سنة، أي أن النبي أكبر منه بسنتين.

فلما ذهب إلى هناك قابلهم راهب، ورأى علامات النبوة وذكرها لسـيدنا أبي بكر، وقال له: لا تترك هذا الرجل حتى تكون أول من يؤمن به، ولذلك عمل بالوصية، فعندما بُعث سـيدنا رسـول الله كان في سـن الأربعين، وكان أبو بكر عمره ثمانية وثلاثين سنة، فكان هو أول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال.

ولما آمن وصـدَق - وهو الصـدِّيق - طلب من الله طلبات أجابه فيها كلها مولاه، فبعد أن دخل في الإسلام، وذاق حلاوة الإيمان، وشعر بانشراح الصدر للإسلام في خلال سنتين، وكان عمره أربعين سنة دعا بهذه الدعوات الطيبة:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةً ﴾ :

وأشـدَّه يعني تمام القوة، ففي سـن الأربعين يكون كمال قوة الإنسـان الذهنية والعقلية والجسـدية... قد يكتمل الجسـم في قواه قبل ذلك، لكن العقل يكتمل في سـن الأربعين!

وانتبهوا لأنه ربما البعض يسـمع أن الرُسـل كلهم كان ينزل عليهم الوحي وهم في سن الأربعين، لكن ليس الكل، فسيدنا عيسى نزل عليه الوحي، ورُفع إلى السماء وكان عمره ثلاثة وثلاثين سنة، وسينزل في آخر الزمان ليُكمل، فلم يكن قد وصل إلى سن الأربعين.

وسيدنا يحي كان نبياً من الأنبياء ومات ولا يزال شاباً، يعني ليست قاعدة عامة في الأنبياء، صحيح أن إمام الأنبياء والمرسلين ﷺ نزل عليه الوحي في سن الأربعين، ولكن ليس كل الأنبياء على هذه الشاكلة وعلى هذه الوتيرة.

سيدنا أبو بكر يُعلِّمنا كيف ندعو الله؟ والواحد منا عندما يصل إلى سن الأربعين لم يعُد له من العُمر قدر ما مضى، لأنه من الذي يصل إلى الأربعين ويعيش أربعين أُخرى؟ قلَّ وندر، لقوله الله ﷺ:

{ أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ }[١١٢]

يعني الغالبية ما بين الستين والسبعين، والذي يتجاوز إلى الثمانين قليل، والذي قبل الستين قليل، فماذا يفعل الإنسان؟ إذا كان في فترة الشباب مشغول بالدنيا، ومشغول ببعض الملاهي، ومشغول ببعض الأشياء التي تُبعده عن مولاه، فلا بد أن يكون له وقفة عند سن الأربعين، فقد انتهى الصِبا والصبوة، وانتهى الطيش، وانتهت الغفلة، وأنا أحتاج إلى اليقظة لكي أستعد للقاء الله تبارك وتعالى، والبركة في حُسن الختام.

سيدنا أبو بكر دعا الله وقال:

---

١١٢ جامع الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه

﴿ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ ﴾ وأوزعني يعني ألهمني، فإذا لم يُلهم الله الإنسان بالطاعة، فهل سيُطيعه باجتهاده وبمهارته وحدها بدون معونة الله؟! أبداً، فكلنا محتاجين لمعونة الله، ولتوفيق الله، ولعناية الله تبارك وتعالى.

فطلب سيدنا أبو بكر من الله أن يمده بمدده وعونه لكي يكون من عباده الشاكرين على نعمه: ﴿ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ ﴾:

بماذا يشكره؟ جعل الله لنا الصلوات الخمس شكراً لله على النعم المتجددة التي يُجددها للعبد في كل يوم، كيف؟ يعني لم يُعطني الله ضمانة للأعضاء والجوارح أنها تظل سليمة طوال الحياة، فكوْني أُصبح وأجد العين ما زالت ترى، فأحتاج أن أشكر الله أنه مازال محافظاً لي على نعمة البصر.

وإذا أصبحت ووجدت الأُذن ما زالت تسمع فأحتاج أن أشكر الله على نعمة السمع، وإذا كان اللسان ما زال ينطق فأحتاج أن أشكر الله على نعمة النُطق، وإذا كان العقل ما زال سوياً ويُفكر ولم يذهب، فأحتاج أن أشكر الله على نعمة العقل، ولا توجد نعمة أغلى من نعمة العقل، وإذا كان الجسم ما زال يتحرك، والمفاصل سليمة وأذهب وأتحرك فأحتاج أن أشكر الله على نعمة الحركة والتحرك.

أشـكر الله على هذه النعم كلها، والله جعل الصـلاة نعمة فيها شـكرٌ لله على النعم المتجددة، ولذلك نصـليها كل يوم، لأن هذه النعم لا توجد نعمة منها لمدة سـنة، ولكنها تتجدّد على الدوام، فتحتاج لكي أُجددها أن أشـكر الله: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (٧إبراهيم).

سيدنا أبو اليزيد البسطامي ﷺ وكان من كُمَّل الصالحين، كان عندما يستيقظ من النوم في الصباح يمسح بيده ويُحسِّس على وجهه وعلى أعضائه في الوجه، فتلاميذه لاحظوا هذا الفعل، فسـألوه: لماذا تفعل هذا كل يوم؟ فقال لهم: أخاف أن يحاسـبني الله على ذنوبي مرة فأُصبح وأجد نفسي خنزيراً أو قرداً!!.

لأن الله ذكر ذلك في القرآن، فعندما أمر الله جماعة من اليهود أن لا يصـطادوا في يوم السـبت ولكنهم كالمعتاد أن الحرام يحلو للعين فخالفوه واصـطادوا يوم السبت!!.

هؤلاء القوم كانوا مقيمين في العقبة الآن في الأردن حول خليج العقبة، فيصـبحون في يوم السـبت فيجدون السـمك كثير جداً، وفي الأيام العادية يضـعون الشـباك فلا يجدون السـمك، فماذا يفعلون؟ أرادوا أن يتحايلوا على الله، فصـنعوا أحواض وعملوا فيها فتحات، ويوم السـبت يتوقفون عن الصـيد، لكنهم يفتحوا هذه الفتحات، فينزل السـمك ويحبسـوه وفي اليوم التالي يصـطادوه!!، وهذا تحايل على القوانين الإلهية، فأصبحوا في يوم من الأيام فوجدوا أنفسهم كلهم وقد مسخوا إلى قردة وخنازير.

قد يسأل البعض عن ذريتهم؟ ليس لهم ذرية، لأن الممسوخ لا يتناسل، فيظل إلى أن يموت وينتهي أمره، فليس هذا شـــكله الطبيعي، ولا يخرج منه نســـل على هذه الهيئة، لأن هذا عقاب له وحده فقط، ومن يأتي بعده ليس له شـــأن بهذا الأمر: ﴿ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ (٦٧يس).

فكان الرجل في الصباح يمرُّ بيديه على وجهه خوفاً أن يحاسبه الله على الذنوب، فلا يغفرها ويمسخه مثل هؤلاء اليهود، مع أنه يعرف أنه لا مسخَ في الأُمة المحمدية: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (١٣٣الأنفال)

لكنه خائف من قول الله: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ (٦١النحل).

لكن الله تبارك وتعالى يعاملنا بلُطفه وكرمه ورحمته ومغفرته على الدوام، لذلك يجب علينا كل يوم أن نشـكر الله ما دامت أعضـاؤنا التي خلقها وسـوَّاها الله مازالت على هيئتها، وفيها الحياة، وفيها ما نحتاجه لقضـائه بها، وهذا فضـل الله: ﴿ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ (٣٨يوسف).

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ ﴾ والأرزاق كيف أشكر الرزاق عليها؟ أن أُخرج حق الزكاة، وأُخرج منها بعد الزكاة صدقة للفقراء والمساكين، حتى أن النبي ﷺ جعل لنا في كل شيء زكاة، البيت الذي أسكن فيه هل له زكاة؟ نعم، قال ﷺ:

{ إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةً وَزَكَاةُ الدَّارِ بَيْتُ الضِّيَافَةِ }[113]

زكاة الدار أن يكون فيه مكان للضيف، فكل فترة أُدخل ضيفاً في بيتي وأُطعمه، وخاصة لو كان غريباً، أو أسقيه شيئاً لأن هذه بركة البيت، وزكاة البيت التي حددها رسول الله ﷺ.

والجسم الذي أحياه الله، فما زكاة هذه الحياة؟ قال ﷺ:

{ لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ، وَزَكَاةُ الْجَسَدِ الصَّوْمُ }[114]

هذه زكاة عن الجسد حتى يحفظه الله بتمام صحته وقوته، ولذلك منهج الصالحين، ومن وراءهم من أتباعهم الصادقين أنه لا يكتفي بصيام شهر رمضان، لكن لا بد وأن يكون له ولو ثلاثة أيام في كل شهر، أو يوم في كل أسبوع، حتى يشكر الله على نعمة الصحة والعافية والجسد.

---

113 الجامع لأخلاق الراوي وتاريخ جرجان للسهمي عن أنس ﷺ

114 سنن ابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

ومن يفعل ذلك، يحفظ الله ﷻ هذا الجسـد من الأمراض والأعراض وإن طالت به الحياة!، إلا أشـياءٌ قليلة يسَّـر الله لها الدواء، ويسَّـر الله لها العلاج، ويمُن عليه فيها بالشفاء، لأنه يحافظ على سُنَّة سيد الرُسل والأنبياء ﷺ.

﴿ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ ﴾ طلب سـيدنا أبو بكر من الله أن يُدخل أباه وأُمه في دين الله، ولذلك فهو الوحيد الذي أسـلم أبوه وأمه، فأبوه لم يسـلم إلا في فتح مكة سنة ثمانية هجرية، وهذه الفترة كلها كان معارضاً ولم يدخل في الإسلام، ولما فتح الله على حضـرة النبي مكة ودخل البيت الحرام هداه الله إلى الإسـلام، وكان قد كُفَّ بصـره وكبر في السـن، فجاءه سـيدنا أبو بكر وقال له: تعالى لتُسـلم على يد حضرة النبي، فلما جاء به إلى النبي - وانظر إلى رحمة ورأفة النبي ﷺ - قال:

{ هَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيهِ فِيهِ }[115]

أدب رسول الله وذوقه العالي، من أجل سنه، ومن أجل كف بصره، لكن أبو بكر ﵁، ومن مثل أبي بكر؟!! مثال الذوق والأدب الرفيع، قال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ أَحَقُّ أَنْ يَمْشِيَ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تَمْشِيَ أَنْتَ إِلَيْهِ }[116]

---

١١٥ مسند أحمد وابن حبان عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها
١١٦ مسند أحمد وابن حبان عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها

هو المحتاج أن يأتي إليك لكي ينال الهداية ويأخذ العناية، وهذا أدباً من سيدنا أبو بكر مع رسول الله.

وفي اللحظات الأخيرة لرسول الله ﷺ قال:

{ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ }[117]

فدخل أبو بكر القبلة، وسيدنا رسول الله استند على كتف سيدنا على وسيدنا العباس، وذهب ليُصلي، فأحس أبو بكر برسول الله، فخرج من القبلة فوراً، مع أن الآداب الشرعية التي علَّمها لنا حضرة النبي أنه إذا دخل إنسان القبلة فلا يدخل أحدٌ آخر، حتى ولو كان أعلم منه، لكن سيدنا أبو بكر كان ذوقه عالي ورفيع، فقال له رسول الله:

{ يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا مَنَعَكَ أَنْ تَثْبُتَ إِذْ أَمَرْتُكَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا كَانَ لابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يُصَلِّيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ }[118]

فأبوه أسلم، وأُمه أسلمت، وأولاده كلهم أسلموا، فلم يبق واحد منهم على الكُفر، وكذلك أحفاده كلهم أسلموا.

﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾ :

117 البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها
118 البخاري ومسلم عن سهل بن سعد ﷺ

تعلَّموا من سيدنا أبي بكر ماذا تطلب من الله؟ يريد من الله أن يُلهمه شكر النعم، ويوفقه للعمل الصـــالح، ويوفقه لبر الوالدين، وأكبر بر للوالدين أن يأخذهم إلى طريق الهداية، فهل هناك برٌ أكبر من ذلك؟!.

باب التوبة والاستغفار

ولم ينس أولاده وذريته:

﴿ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ :

سـيدنا أبو بكر ﷺ يُعلِّمنا أن الإنســان مهما يعلو في مقام القرب عند الله، ومهما يرفعه في الصــــالحات مولاه، إلا أنه يحتاج دوماً أن يقف على باب التوبة ويتوب إلى الله، ولا يغترَّ، فربما وقع في أمر ظنه ثواب، وفيه إغضاب لله تبارك وتعالى!!.

ولذلك الصالحون كانوا يوصونا ويقولون: (لا تُحقِّر معصية فعسى أن يكون غضب الله فيها، ولا تُحقِّر صالحاً عسى أن يكون رضا الله فيه) إياك أن تقول أن هذا الذنب صغير وبسيط وسيسامحني الله فيه، وما الذي أدراك؟! من الجائز أن يكون الحق ﷻ كان ينظر عليك وقتها، فتبوء بغضب الله سبحانه وتعالى، وكذلك العمل الصالح الذي تستخِّف به ربما يكون محلَّ رضا الله تبارك وتعالى فيه.

فالإنسان لا يصغِّر ذنباً، ولا يُصغِّر عملاً صالحاً، بل الذنوب كلها صغيرها وكبيرها يمتنع عنها بالكلية، وخوفاً من السهو ومن النسيان يُديم التوبة إلى التواب على الدوام، دائماً المؤمن يُكثر من الاستغفار والتوبة إلى العزيز الغفار على الدوام.

ويكفي أن الذي غفر الله له ذنبه ما تقدَّم منه وما تأخر ﷺ كان يقول:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ، وَأَسْتَغْفِرُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ }[119]

فالمفروض أن لا تقل توبتنا لله عن مائة مرة في اليوم كما كان يفعل سيدنا رسول الله، وخاصة أن الاستغفار لا يحتاج إلى وضوء، ولا يحتاج إلى مسجد، ولا يحتاج حتى إلى الإتجاه إلى القبلة، فيجوز الاستغفار وأنا أمشي، ويجوز الاستغفار وأنا نائم، ويجوز بغير وضوء .. وقد قال ﷺ:

{ مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ }[120]

فكيف أتركه؟!!

فالمؤمن دائم الاستغفار لله تبارك وتعالى آناء الليل وأطراف النهار.

١١٩ مسند أحمد والنسائي
١٢٠ سنن أبي داود وابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنهما

وفي زمان سـابق كنا نفعل شـيئاً طيباً، وآباؤنا كانوا محافظين عليه، لكن الناس في هذه الأيام تأثراً بالمشـددين على الناس، وتعجُّلاً للخروج من المسـجد تركوها، وهي أننا كنا إذا أنهينا الصـلاة نقول وبصـوت عالي: (نستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ونتوب إليه) بصـيغة الجماعة، وآباؤنا وأجدادنا كانوا يحافظون عليها، وكانوا لا يفعلون شـيئاً إلا إذا كان هناك نصٌّ عليه في دين الله تبارك وتعالى، لأن الحديث الصحيح يقول فيه ﷺ:

{ مَنِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ [١٢١] }

يعني لو حتى أنه فر من ميدان القتال وهي كبيرة من الكبائر، فإن الله يغفر له هذه الذنوب! فهل نترك الاستغفار؟!!

لذلك يجب أن نرجع مرة أخرى لمنهج السـلف الصـالح، ونجدِّد لنا وللناس: (نستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ونتوب إليه).

الذي سيمشـي على هذا المنهج الصـديقي للصِـدِّيق، ويمشـي على هذه الأدعية وهذه الأعمال فجزاءه وأجره عند الله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ ﴾:

١٢١ معجم الطبراني والمطالب العالية لابن حجر عن البراء بن عازب ﷺ

يقبل منهم الله الأعمال الصالحة التي عملوها كلها.

والذنوب والمعاصي؟ ﴿ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ لماذا يا رب؟

لأنهم: ﴿ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ فهؤلاء من أصحاب الجنة، ولأنهم أصحاب الجنة فإن الله يتجاوز عن هذه الذنوب، ويصفح عن هذه العيوب ويسترها، لأنه وعد بذلك، وهو لا يُخلف الميعاد: ﴿ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾.

سيدنا أبو بكر هو القدوة والأُسوة بعد النبي ﷺ لشباب الأمة وشيوخها ورجالها.

ولماذا ذكر الله أبو بكر؟

لأن النبوة هبة من الله، وعندما قال لنا الله:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٢١الأحزاب) قد نقول أنه نبي ويهبه الله ما يشاء، لكن كيف لنا أن نُحصِّله؟!

فأتى لنا الله بنموذج مثلنا وهو الصدِّيق رضي الله تبارك وتعالى عنه، حتى لا يكون لأحد منا حُجَّة عند الله تبارك وتعالى.

الصدِّيق إمام أهل الطريق، وخير رفيق لمن أراد أن يكون:

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ (٦٩النساء).

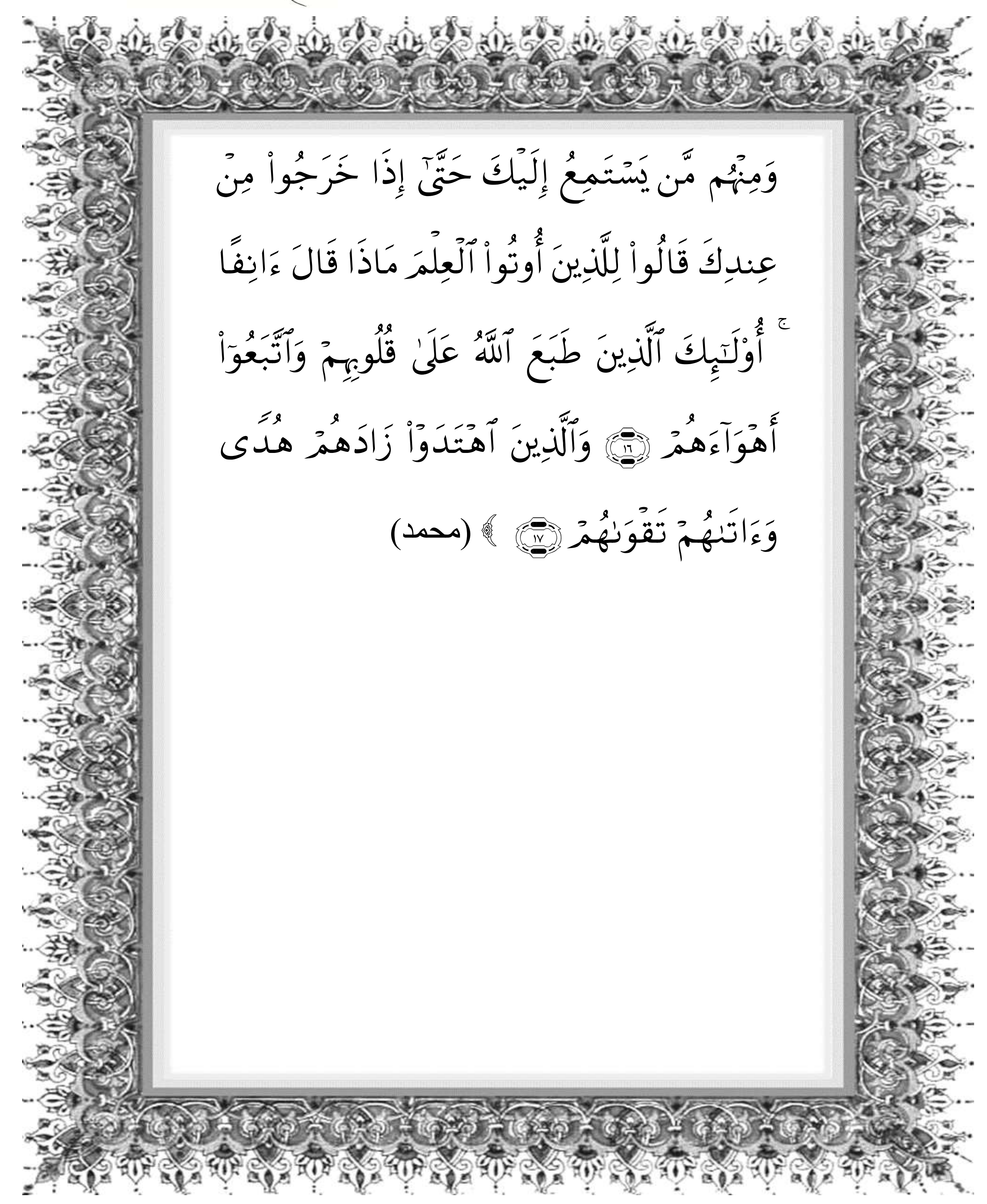
نســـأل الله ﷻ أن يُكرمنا بهذا المقام، وأن يُبلِّغنا هذا المرام، وأن يفتح لنا أبواب فضــله وكرمه وجوده على الدوام، وأن يحفظنا بحفظه من جميع الذنوب والمعاصــي والآثام، وأن يبارك لنا في أجسـادنا وأسـماعنا وأبصــارنا، وأن يغفر لوالدينا ويجعلهم راضـــين عنا، وأن يبارك لنا في أولادنا وبناتنا وذرياتنا وأحفادنا، ويجعلنا كلنا مسلمين، ويرزقنا جميعاً صُحبة النبي الصادق الوعد الأمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ١٥ ﴾



وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدًى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾ ﴾ (محمد)

٧.مثل الجنة [٢]

بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي شرح الصدور، بما أنزله على قلوبنا من هذا النور، وجعلنا أهلاً لطاعة الله ﷻ ونيل مغفرته على مر الدهور، والصلاة والسلام على من علَّمه مولاه، وآتاه علوم الأولين وعلوم الآخرين، ثم قال له: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (١١٤طه) سيدنا محمد أعلم العلماء بالله، وأحكم الحُكماء في إبلاغ دعوة الله، وقائد الغُرِّ المحجَّلين الذين نرجوا أن نكون منهم يوم لقاء الله، صلَّى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصحابته المباركين، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، واجعلنا معهم ومنهم أجمعين آمين يا رب العالمين.

يقول سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (كل ما ذُكر عن الجنة لا يشترك مع حقيقة الجنة إلا في الاسم) لكن ما في الجنة على الحقيقة لم يُعاينه أحدٌ، ولم يطلع الله عليه أحد إلا الحبيب المختار عندما أخذه ربه تبارك وتعالى في رحلة المعراج، وأدخله الجنة وأراه ما أعدَّه فيها لعباده المؤمنين.

لأننا في الدنيا لا يستطيع واحدٌ منا مهما أوتي من رجاحة عقل، وجودة فكر أن يتحمَّل وصف الجنة على الحقيقة.

---

[٢] الأقصر – أرمنت – الرزيقات بحري ٢١ من صفر ١٤٣٩هـ ١٠/١١/٢٠١٧م

فأراد رب العزة تبارك وتعالى أن يُقرب لنا حقيقة الجنة:

فجاء لنا بمثل، فعندما يكون مدرس يشرح لتلاميذه مسألة وهم غير قادرين على فهمها، فيأتي لهم بمثال حتى يصلوا لمعرفة هذه الحقيقة، فلذلك قال لنا الله:

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ :

مثلها وليس حقيقتها، فحقيقتها فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين، وليس بحسب ما هي في الدنيا، ولكن بحسب حالها الذي ستكون عليه عندما تدخل الجنة ويفتح عليها الفتاح العليم تبارك وتعالى.

جنة الرفاهية

لكن هل يوجد أحدٌ منا يستطيع لو أعمل خياله أن يتخيَّل ما في الجنة؟!! وأضرب مثلاً: أصحاب النبي المباركين أجمعين رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين، من منهم كان يتخيَّل أن الجنة كالحياة التي نعيشها الآن؟! تكييفات وثلاجات وسيارات وطائرات وبوتاجازات وكل هذه الأشياء الموجودة، من منهم كان يتخيَّل في أيامهم أن الجنة فيها هذه الأشياء؟! لا أحد، ولم تأت على فكرهم، ولم تمرُّ على خواطرهم.

ولذلك أهل هذا الزمان غير منتبهين أنهم في نعيم لم يحظ به البشـــوات الذين كانوا من زمن قريب قبل الثورة، فلم يتمتعوا بهذا النعيم الذي نحن فيه الآن، أي واحد من هؤلاء البشـــوات الكبار والذي كان عنده إقطاعات وقصـــور فخمة، هل كان عنده سخان يسخن المياه؟! لا، لم يكن عندهم غير الطست، والتسخين إما على الكانون أو على وابور الجاز، فلم يكن عندهم حتى بوتاجاز!!.

مَن منهم كان معه تليفون يحمله بيده ويتكلم فيه؟!! لم يكن عندهم غير التليفون الكبير الذي يعمل بالمانوفيلا، بل كانت البلد كلها لا يوجد فيها تليفون غير تليفون عمدة هذه البلد، لأنهم لا يقدرون على اقتنائه، لكن الآن أولادنا معهم تليفون في يده، ويستطيع على التليفونات الحديثة أن يرى من يُكلمه ومن يُكلمه يراه.

مَن منهم في العصـــر القريب الماضـــي كان يتخيَّل أن المســـاجد فيها تكييف، والبيوت فيها تكييف، فلم يكن عندهم حتى مروحة، كانت المروحة عبارة عن بعض الريش المثبت في عصا، وواحد من الخدم يُحركها من فوقه.

والملوك المشـــهورة على مرِّ التاريخ لم يكن عند أحد منهم شـــيء من هذه النعم التي نحن فيها، الملوك والخلفاء العباسـيين الذين كانوا يحكمون العالم كله وبغداد كان حرها شـديد في الصـيف، واحدٌ منهم أراد أن يُخفِّف الحرَّ عن نفسـه قليلاً، فشـاور من معه، فقالوا له: نصنع لك بُحيرة، ونضع فيها خشب طويل

ونضـع على هذا الخشـب مرتبة، وتنام على المرتبة، وتحتك المياه لتُخفف عنك هذا الحر!!، هذا الرجل لو رأى هذا التكييف الذي عندنا فماذا يقول؟!! وهذه النعم العظيمة التي تفضَّل علينا بها المولى تبارك وتعالى، وهذا ما يقول فيه الله لنا، والباب لا يزال مفتوحاً: ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٨النحل).

فلا يزال في كل يوم نجد أشياء جديدة يُلهم الله بها الإنسان في أي زمان ومكان، ليُظهر فضل الرحمن تبارك وتعالى على الإنسان لعله يشكر الله تبارك وتعالى.

ولو استفضنا في هذا الموضوع سنجد فيه العجب العُجاب، وهذا دليل على أننا في نعم عُظمى أعطاها لنا المولى تبارك وتعالى، ولكننا غير منتبهين وطامعين، والمفروض أن نطمع في فضل الله، ولا نطمع بشدة في الدنيا التي سنتركها، وسنرجع إلى حضـــرة الله تبارك وتعالى، لذلك واجب علينا أن نشـــكر الله تبارك وتعالى على عطاياه التي نتمتع بها الآن.

تقريب وصف الجنة

مثل الجنة التي جهزَّها الله وهيأها لعباده المتقين، ووعدهم بها، ماذا فيها؟

﴿ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾ :

مياه طعمها لا يتغيَّر، ليس فيها طحالب، ولا ميكروبات، ولا عُفونة، ولا شيء مما يغيِّر طعم الماء، لأن مجاري الجنة كلها محفوظة باسم الله تبارك وتعالى الحفيظ.

وحتى المياه التي أعطاها لنا الله في الدنيا، أعطانا خزان كبير وهي المحيطات والبحار، وخزَّان أكبر منه احتفظ فيه بالمياه مُثلجة وهو القُطب المتجمد الشمالي والقطب الجنوبي، وهما اللذان يخاف منهما الناس الآن ويقولون: لو أن هذه المياه ذابت فستُغرق العالم كله وستقوم القيامة.

لأن الله جعل المياه هناك عبارة عن ثلوج، وكلما احتجنا إلى بعض الماء يُسلط عليها الشمس، والشمس لا تطلع في هذه الأماكن إلا ساعتين أو ثلاثة، والجو شديد البرودة، فيُسلط الشمس قليلاً فتُنزل بعض المياه وتمشي في أخاديد أوجدها الحق ﷻ، وتمشي أنهاراً، وهي التي تأتي من الثلوج إن كانت في روسيا أو ألمانيا أو غيرها.

المياة التي في البحار من حكمة العزيز الغفار ﷻ يريد أن يحفظها حتى لا تفسد ولا تُعفِّن، فحفظها بالملح، لأنها خزَّان المياه التي لنا وكل الآدميين والحيوانات والنباتات وكل الكائنات.

نحتاج إلى المياه يا رب، فيُسلط الشمس على خزان البحار، فتُبخِّر المياه، وتترك الملح، فيصعد البخار إلى أعلى ويتجمَّع على هيئة سحاب، فيُرسل الهواء يُسيِّر السحاب للجهة التي حددها الكريم الوهاب، وهو الذي حدَّد وجعل في كل سحابة شرارة سالبة وشرارة موجبة للطاقة الكهرومائية الإلهية وهي البرق الذي نراه أيام الشتاء.

فإذا أراد الله أن يُنزِّل المياه في مكان، يُسلِّط السالب على الموجب فيحتكَّا ببعضهما فيُنتجا طاقة هائلة تُحوِّل البخار إلى سائل ينزل من عند من يقول للشيء كن فيكون.

لو نزل على الدوام لآذى من ينزل عليه، إن كان زرع سيهلك، وإن كان الإنسان فلن يتحمَّل، وتحدث له آلام وأمراض لا يستطيع تحملها، لكن الله يُنزله ويسلط عليه الهواء حتى يُفرقه إلى قطرات ماء تنزل من السماء فلا تؤذي وجه إنسان، ولا تؤذي ورقة الزرع الخفيفة اللطيفة، ولا تؤذي أي شيء في هذه الحياة، ويأخذ الإنسان منها ما يحتاجه، ويأخذ النبات ما يحتاجه، ويأخذ الحيوان ما يحتاجه، والباقي يرجع مرة أُخرى للخزان الذي حفظ لنا فيه الرحمن تبارك وتعالى هذا الماء الذي يحتاج إليه كل كائن حيٍّ في هذه الحياة الدنيا: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ (٣٠الأنبياء).

وهذه المياه في الدنيا، لكن المياه التي في الجنة لا تحتاج إلى هذه الخطوات التي ذكرناها، ولا تحتاج حتى إلى تجاويف تسير فيها، ولا تحتاج إلى شمس لأن الجنة: ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ (١٣الإنسان).

فالجنة ليس فيها حر ولا برد، وكلها مكيفة تكييف مركزي من عند ملك الملوك تبارك وتعالى، فكيف يرى الناس؟! ورد أنهم يرون كما نرى في الصباح الباكر قبل شروق الشمس، عندما يبدأ النهار في الظهور، ونرى بعضنا ونرى الطُرق قبل ظهور ضوء الشمس، فتكون هذه الحالة التي تكون عليها الجنة وأهل الجنة بعناية رب العزة تبارك وتعالى.

سيدنا أنس بن مالك ﷺ يقول في هذه الأنهار: (أنهار الجنة ليس لها أُخدود، وإنما تمشي على أرض الجنة، وتمشي معاً) ليس لها مجرى عميق كالنيل أو الترع، وتمشي مع بعضها، نهر الماء مع نهر اللبن مع نهر الخمر مع نهر العسل، ولا يختلط هذا بذاك، ولا ذاك بهذا، لأن الحفيظ تبارك وتعالى حفظ لكل شيء خصائصه، وهذا على قدر العقول كما قلت.

﴿ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ ﴾ :

وهل هناك مزارع للألبان؟!! والمزارع تُنتج عُبوات، وقد يكون نصيب كل واحد عبوتين أو ثلاثة من اللبن، لكنه قال: ﴿ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ ﴾ :

فلا تتخيَّل ولا تستطيع أن تعقل كيف تَكوَّن هذا اللبن؟! وكيف مشى هذا اللبن؟! وما عناصر هذا اللبن؟! لأن هذا من سر الغيب المصون، والعلم المكنون، الذي ضنَّ به الله ﷻ إلا على عباده المُخلصين، لكن الآخرين لا يستطيعوا أن يعقلوا هذه الأمور.

﴿ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ :

وخلاصة الكلام أن هذه الأشياء خالية من عيوب أشباهها وأمثالها في الدنيا، فالمياه إذا فسدت هل يستطيع أحدٌ أن يشربها؟! لا، ولكنها في الجنة خالية من هذه الأمور، واللبن إذا تغيَّر طعمه وراب واشتَّد فهل يستطيع أحدٌ أن يتناوله؟! لا، ولذلك قال فيه الله:

﴿ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ ﴾.

وخمر الدنيا تُذهب العقل، وتجعل الإنسان في غيبة تامة عن كل شيء حوله، لكن خمر الآخرة: ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ (٤٧الصافات) وغولٌ يعني لا تغتال العقول، فلا تأخذ العقول وتُضللها وتُذهبها، ويُنزفون يعني لا يتيهون بسبب شربها لأنها خمرٌ إلهية، عوضهم الله بها عما تركوه من أجل أحكام شرع الله من أشباهها وأمثالها في الحياة الدنيوية.

العسـل عندنا نحتاج إلى أن نصـفيه لوجود بعض البقايا به من الشـمع، وبعض البقايا من الحشرات، لكن العسل هناك مُصفًّى بدون شيء:

﴿ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ :

هو مُصفًّى في ذاته، ولم يخرج من بطن نحلة، ولم يخرج من مصنع، وإنما سرٌ مكنون لا يعلمه إلا من يقول للشيء كن فيكون.

﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ :

الثمار في الدنيا أحياناً يكون بها بذر، لكن ثمر الجنة كله ليس فيه بذر، في الدنيا ثمرة المانجو بها بذرة كبيرة، وثمرة البرتقال بها بذر صـــغير، وهكذا تتنوع البذور، وهذه البذور للحفاظ على هذا النبات، فنحن نأخذ هذه البذور ونزرعها مرة ثانية حتى يظل هذا النبات قائماً في الوجود إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها.

لكن في الجنـة وجود هذه الفواكـه لا يحتـاج إلى بـذر ولا حـبٍّ ولا حدائق ولا زرع، وإنما كل شيء هناك بأمر كن فيكون، ما يُريده المكوِّن تبارك وتعالى.

فالأسـباب في عالم الأسـباب الذي نحن فيه الآن، لكن هناك عالم الجمال المطلق الذي لا يحتاج إلى الأسباب، وإنما كل شـيء فيه يُسيَّر مباشـرة بأمر مُسبب الأسباب تبارك وتعالى.

ولذلك سيدنا رسول الله ﷺ أعطانا مثالاً للفاكهة في الجنة، وموجودة أيضاً عندنا في الدنيا، فعندما أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِطَبَقٍ فِيهِ تِينٌ فَأَطَلَّ، وَقَالَ لأَصْحَابِهِ:

{ كُلُوا، فَلَو قُلْتُ أَنَّ فَاكِهَةً نَزَلَتْ مِنَ الْجَنَّةِ بِلا عُجْمٍ، لَقُلْتُ: هَذَا التِّينُ }[123]

فاكهة الجنة عجماء يعني ليس فيها نوى ولا حبٍّ صغير كالتين، هل يوجد بذور في التين بداخله؟! فضـــرب لنا المثل ليبين لنا هذه الحقيقة، فتكون فاكهة الجنة كلها بهذه الهيئة وبهذه الكيفية.

فواكهنا وكل مأكولاتنا في الدنيا لها فضـــلات، فيحتاج الإنســـان أن يدخل دورة المياة ليُخرج الفضـــلات، لكن فاكهة الجنة ليس لها فضـــلات، قال رســول الله ﷺ عن الفضلات في الجنة:

{ جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ }[124]

فالفضـــلات تخرج في الجنة كرشـحات عرق رائحتها كرائحة المســك، يعني لا نحتاج في الجنة إلى سـباكين ولا سـيراميك ولا شـيء من هذا نهائياً، لأن الإنســان لن يحتاج في الأصل إلى هذه الأشياء؛ أغناه المولى تبارك وتعالى عن كل ذلك.

١٢٣ الآثار المروية في الأطعمة العطرية لابن يشكوال عن أبي هريرة رضي الله عنه
١٢٤ صحيح مسلم ومسند أحمد والطبراني عن جابر رضي الله عنه

﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ ﴾ :

ما عرفناها وما لم نعرفها، ما أكلناها وما لم نأكلها، ما شهدناها في بلدنا، وما لم نشهدها، كل الثمرات موجودة لأن نعيم الله ﷻ ممدود للمؤمنين والمؤمنات في الجنة اكراماً لسيدنا رسول الله ﷺ، وشجرة واحدة في الجنة يصفها لنا سيدنا رسول الله فيقول:

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لا يَقْطَعُهَا }[125]

ولذلك الظل هناك كما قال الله: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ (٣٠الواقعة) تمشي في الظل على الدوام تتنعَّم بنعيم الحق سبحانه وتعالى إن أردتَ ذلك، وإن سعيتَ إلى ذلك بالعمل الصالح الذي يبلغك ذلك.

كل هذه الأمور معها: ﴿ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾:

وكل ما في الأمر أن ننال المغفرة، نسأل الله تبارك وتعالى أن يغفر لنا أجمعين.

---

١٢٥ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ

أهل النـار

ودائماً يُعطينا الله الصـــورة المقابلة، فالذين ســـيدخلون الســـجون الإلهية هل سيشربون مثلنا ماء ولبن وخمر وعسل؟ لا، ﴿كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾ :

وانظر إلى حكمة العزيز الغفار، يقول هذا الكلام لمن يخلد في النار ولن يخرج منها أبداً، وهم الكافرون والمشركون والضالون، لكن المسلمين حتى الذين سيدخلون النار لينفذوا أحكاماً عليهم يقول فيهم الحبيب صلوات ربي وتسليماته عليه:

{ إِذَا دَخَلَ الْمُوَحِّدُونَ النَّارَ أَمَاتَهُمْ فِيهَا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنْهَا أَمَسَّهُمْ أَلَمَ الْعَذَابِ تِلْكَ السَّاعَةَ }[126]

إذا أدخل الله الموحدون النـار أمـاتهم فيهـا، فـإذا أراد إخراجهم أحيـاهم في هذه اللحظة، حتى لا يشـعرون بما شـعر به الآخرين، فأشـد العذاب للكافرين والمشـركين الذين خرجوا من الدنيا ولم يؤمنوا برب العالمين تبارك وتعالى.

ولذلك أتى بالشرط في الآية ﴿كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾ يعني الكافر،

١٢٦ بحر الفوائد للكلاباذي عن أبي هريرة ﷺ

حتى لا تُعيِّر مؤمن عاصـي بهذا، فهو ليس له شـأنٌ بهذا الأمر، لأنه سـتشـمله رحمة الله إن آجلاً أو عاجلاً بشفاعة النبي ﷺ، يسألون حضرة النبي: شفاعتك لمن؟ قال:

{ شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي }[127]

هؤلاء لا يتركهم، فبعد أن يأخذوا الأحكام ويتمّموا الفترة التي حُكم عليهم بها في النار يشفع لهم لتخفيف الأحكام، أو للحصول على عفو عام من العفوِّ تبارك وتعالى، ويظل يتردد بين النار والعرش يضرع إلى الله، ويستغيث بالله، حتى يُخرج الموحدين أجمعين من النار شفاعةً واكراماً لحضرة رسول الله ﷺ.

والآخرين ماذا يشربون؟ ﴿ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ مياه شديدة السخونة، لكنه يشـربها في البداية باردة، وعندما تنزل في داخله فإنها تُقطِّع أمعاءه وأحشـاءه انتقاماً لكفره وبُعده عن الله تبارك وتعالى.

هل يكون هذا كهذا؟! ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ (٢٠الحشر).

---

١٢٧ جامع الترمذي وأبي داود عن أنس رضي الله عنه

من إشارات العارفين

العارفون الذين يُفيض عليهم الله علوم المعرفة الإلهية، يُرسـل الله في قلوبهم إشـاراتٌ عرفانية في آيات القرآن الكريم، لا تتعارض مع المعنى الظاهر، لأنهم لا يعترضـون على المعنى الظاهر ولا يُنكرونه، ولكن هذه الإشـارت تُقوي الأحوال، وترفع العزائم، وتُنهض بالهمم، حتى يتوجَّه الإنسـان بالكلية إلى الله، ولا يغرق في شهوات الدنيا، ولا يُوحل في نعيم الدنيا الفاني كغيره من الكافرين والعصاة والمذنبين، وإنما يكون دائماً يقطع الطريق نحو رب العالمين تبارك وتعالى.

وإشـارات العارفين كثيرة، يقول فيها بعضـهم: (إن الله يُفيض على قلوب أهل المعرفة سـبعون ألف علمٍ من كتاب الله تبارك وتعالى) فما حدود سـبعين ألف علم؟!..... لكن نأخذ إشارة واحدة.

فقالوا: هذه الجنة التي ذكرها الله للمتقين هي الإسلام، وهي الإيمان، وهي الدين الذي جاءنا به النبي العدنان، لأنها هذه الجنة هي التي فيها الجُنَّة يعني الوقاية من كل ما يُغضب الله تبارك وتعالى.

وجعل الله لهؤلاء المتقين أربعة أنهار، لأنها أربعة درجات، درجة الإسـلام، ودرجة الإيمان، ودرجة الإحسان، ودرجة الإيقان.

الإسلام ظاهر الآيات، والإيمان باطن العلم الإلهي في الآيات، والإحسان النور الذي بثَّه الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات، والإيقان المعاينة والمشاهدة على الحقيقة لما قرأه أو سمعه من هذه الآيات.

فيتلقَّى في مقام الإسلام علوم الشريعة، وهي مثلها مثل الماء الذي لا غنى عنه لبشر، فكما أنه لا يستطيع أحد أن يستغني عن الماء، فكذلك لا يستطيع مسلم أن يستغني عن شرع الله ﷻ.

ويتلقَّى في مقام الإيمان إذا ارتقى فيه من نهر من لبن، واللبن هو حكمة الشريعة فيعرف حكمة الأحكام، ليتعرَّف بها على الحاكم تبارك وتعالى.

فنحن نصلي الصبح ركعتين، والظهر أربع ركعات، والعصر أربعة، والمغرب ثلاثة، والعشاء أربعة، وفي كل صلاة ركوع وسجود، لماذا هذا كله؟! ليس لنا شأن، لكن هؤلاء يأخذون دروساً في هذا الأمر، والدروس بعد موت النفوس من حضرة القدوس تبارك وتعالى، وهي التي نسميها اللبن الذي لم يتغير طعمه.

إذا أشرقت عليه الأنوار، يشعشع كشارب الخمر، فيسكر في حب الله، ويغيب في الإقبال على مولاه عن الدنيا والشهوات والحظوظ والأهواء، ويشهد النور أينما حلَّ وأينما ذهب: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ (١١٥البقرة)،

إذا تيقَّن يُعطيه الله مقام العيان، فيشـــهد حقائق القرآن ظاهرة لعين القلب جلية، بلا دليل ولا برهان: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ (١٥هود) هذه تلاوة أُخرى.. هذه إشارة من إشارات العارفين، لكن الإشارات لا تمنع ولا تُعارض المعاني الظاهرة التي أمرنا الله تبارك وتعالى أن نبدأ بها أولاً، لأنها خطوة أولية في طريق رب البرية تبارك وتعالى.

حلقات السماع للرسول ﷺ

ووضَّـــح الله بعد ذلك حلقات الســـماع لرســـول الله ﷺ، فعندما كان يجلس مع أصـــحابه في درس، فهل كلهم كانوا في اســـتيعاب واحد؟ لا، فقد كان جماعة منهم يكونوا جالسين ومُنصتين ومتطلعين وبعد أن ينتهي الدرس، يذهبون مثلاً لسيدنا عبد الله بن مســـعود أو لســـيدنا علي ويقولون: ماذا قال؟!! ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ﴾ وآنفاً يعني الآن، ماذا قال الآن؟ لماذا يا رب؟

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ وهؤلاء هم المنافقون.

فقد كان المنافقون يجلسون في مجلس النبي ﷺ ويقوموا ولم يُحصِّلوا حرفاً واحداً من العلوم الإلهية التي ساقها الله تبارك وتعالى على لسان حضرته، مع أنهم كانوا جالسين ومنتبهين ويستمعون بآذانهم، لكن القلوب التي بداخلهم طمسها الله، فلم يعُد عندها استعداد، لأن الإيمان لا يُستمع بهذه الآذان، وإنما يُستمع بآذان القلوب التي يقول فيها علام الغيوب: ﴿ وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾ (١٢الحاقة).

الأذن الواعية هي أُذن القلب الذي تطهَّر من الأغيار، ومن الدنيا، ومن الشهوات، وأصبح مُقبلاً على سيدنا رسول الله ﷺ بالكلية.

فضرب الله لنا مثلاً للمنافقين حتى لا نتعجَّب، فهي حلقة واحدة مع رسول الله ﷺ، لكن جماعة من أصحابه كانوا ما يسمعوه يعوه من أول مرة، بدون إعادة ولا استذكار ولا تكرار، فمن أول مرة يسمع ويعي.

وكان سيدنا رسول الله ﷺ عندما يقرأ عليهم القرآن، يقرأه ثلاث مرات، فمنهم من يحفظ من أول مرة، ومنهم من يحفظ من المرة الثانية، ومنهم من يحفظ من المرة الثالثة، وهؤلاء الأصحاب المباركين.

أما المنافقون فلو كرَّره عشـــرات المرات لا يحفظوا، لماذا؟! لأن قلوبهم لاهية، وآذان قلوبهم لاغية، غير صـــاغية ولا واعية، فمهما يقرأ - والقراءة هنا لآذان الرأس - فلا يسمع ولا يحفظ ولا يستوعب، إن كان درس أو قرآن أو أي شيء يقوله حضرة النبي ألهمه به حضرة الرحمن تبارك وتعالى.

ولذلك يقول الله في المهتدين: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾ أهل الهداية الذين لهم عند الله تبارك وتعالى عناية، كلما ســـمع آية يزيد درجة في الولاية، ويرتفع درجات في سُلَّم العناية، ويكون له قدرٌ عند الله تبارك وتعالى لأنه يسمع بآذان قلبه بالكلية.

كالرجل الذي قابل ســـيدنا أبو بكر وهما في طريقهما لحضـــرة النبي ﷺ، وهو سيدنا حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ، فَقَالَ له أبو بكر:

{ كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟، قَالَ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا تَقُولُ؟، قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا!!

.فَانْطَلَقْا حَتَّى دَخَلا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فقال حَنظَلة: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً .. ثَلاثَ مَرَّاتٍ "}[١٢٨]

يعني عندما يكونوا عند حضـــرة النبي ويصـــف لهم الجنة والنار فكأن أمامهم شاشة يرونها، ويسمعوا الوصف من سيدنا رسول الله لما يرونه ويشاهدونه، وهو يريد أن تكون حياته كلها في هذه المشاهدات، ولو كان كذلك سيترك المسئوليات، ولن يقُوم بمصلحة الزوجة، ولا مصلحة الأولاد، ولا أصحاب الحقوق، لأنه انشغل بالكلية بالحياة الأُخروية، وهؤلاء أشـــار الله إلى حضـــرة النبي في القرآن عنهم، وقال في الحلقات في وصفهم:

﴿ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِيٓ أُخْرَىٰكُمْ ﴾ (١٥٣آل عمران).

---

١٢٨ صحيح مسلم والترمذي عن حنظلة بن الربيع رضي الله عنه

عندما يتكلم حضرة النبي معهم لا يكونوا في الدنيا، ولكن يكونوا في الآخرة، هم موجودون بالأجسام، ولكنهم جالسون أمام حضرة النبي والقلوب سابحة في ملكوت الله في الدار الآخرة ...!!!

ولذلك إذا وصف لهم شيء يشاهدوه ويروه رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين، فلذلك قال لهم حضرة النبي:

{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلاثَ مَرَّاتٍ }[129]

لماذا؟ للقيام بالمسئوليات التي كلَّفهم بها الله تبارك وتعالى، وهذا هو الكمال.

الذي شـــرب الخمر الرباني ولم يرجع إلى دار الدنيا الدنية، ونرى بعضـــهم، يمشـــى حافياً، أو يمشـــى عرياناً وليس عليه إلا ما يســـتر العورة، أو خرج في القفار والجبال ...

هل هذا يقوم بمســـئولية يكلِّفه بها الله؟! لا، فهذا ليس من أهل الكمال الذي حببنا فيه النبي ودعانا إليه الله.

١٢٩ صحيح مسلم والترمذي عن حنظلة بن الربيع ﷺ

ولذلك لا يجب أن أتبِّعه، أو أمشـــي خلفه، ولا أقتدي به، لأنه ليس من أهل الكمال:

فأهل الكمال الذي يُعطي لكل ذي حق حقه، فيقوم بحق الأولاد وحق الزوجة كما ينبغي، كما كان يفعل حضـــرة النبي، وحقوق نفســـه، وحقوق أهله، وحقوق كل من حوله كما ينبغي، وفي نفس الوقت نفسه لا يغيب بلقبه عن ربه طرفة عين ولا أقل.

لأن الله ﷻ لا يريد منا أن نُحوِّل الأجســـام إليه، وإنما نحوِّل القلوب إليه، والأجســـام عليها أن تقضـــي المصـــالح للناس الذين حولنا كما كان يفعل الحبيب المصطفى صلوات ربي وتسليماته عليه.

المشهد الأكمل

كان ﷺ يُوفِّر لكل واحدة من زوجاته القوت الذي يكفيها لمدة عام، لكي تطمئن وهو لا ينشــغل بها، وكان كل يوم لا ينام إلا أذا مرَّ على نســائه جميعاً، ودخل منزل كل واحدة منهن وجلس معها واستأنس بها، واستأنست به، وتفقَّد أحوالها.

وبعد أن يمرُّ على الكل يذهب لصــاحبة الليلة قياماً بالحقوق والواجبات، هذا مع مشـاغل النبوة، ومع متاعب الرسـالة، والنبوة لو تعلمون ليس لمن حوله فقط، بل فيها نصـــيب لعالم الجن، فكانوا يأتوه ليُعلِّمهم، هل كان أحدٌ ممن حوله يرى هذا؟! أحياناً، وكانت النبوة فيها نصـــيب لعالم الملائكة لأنه رســـول الكل: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (١٠٧الأنبياء).

وكان عنده غنم، وكان عنده خدم قائمين بخدمة هذه الغنم، حتى إذا أتاه ضـــيفٌ يُطعموه من لبنها، فإذا كانوا كثير يذبحون لهم واحدة، وكان عنده دواجن ونســاؤه كُنَّ قائمات بتربية هذه الدواجن، وكان عنده خيول، وكان عنده جمال.

وكل هذا لم يمنعه من القيام بحق الله تبارك وتعالى، والاشـــتغال به بالكلية، ليُعرِّفنا أن هذا المنهج الأكمل، والذي يمشــي على هذا المنهاج نحن مأمورين بالمشــي خلفه واتباعه.

لكن الذين أخذتهم الجذبة، فهو على خير ولكن لنفسه:

لا تقتدي بمن زالت شريعته ولو جاك بالأنبا عن الله

حتى ولو جاء لكم من اللوح المحفوظ، لكن أنا أتبّع من مشى على نهج سيد الأولين والآخرين ﷺ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾.

نسأل الله ﷻ أن يفقهنا في ديننا، وأن يُلهمنا رشدنا، وأن يُعلمنا ما لم نكن نعلم، وأن يعيننا على العمل بما علمنا، وأن يجعلنا من عباده الصادقين المخلَصين الذاكرين الشاكرين الحاضرين بين يدي حضرته في كل وقتٍ وحين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ٣ ﴾ (الفتح)

٨.الفتح القريب[1] [3]

بســـم الله الرحمن الرحيم ـ الحمـد لله الفتـاح العليم الوهـاب الرزاق الكريم، والصــلاة والســلام على خير نبي علَّمه الله تعالي من لدنه وزكَّاه وطهَّره وأرســله لنا للتعليم؛ سيدنا محمد وآله وصحبه والناهجين على سبيله إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم بفضلك وجودك يا أكرم الأكرمين.

الآيات التي تتحدث عن سيدنا رسول الله ﷺ في كتاب الله تحتاج إلى انتباه شديد من كل المؤمنين، وخاصة السالكين في طريق الله، والواصلين بالله إلى فضل الله، بل والعارفين المتمكنين في طريق الله، لأن الله ﷻ يُجري على حبيبه الأعظم ﷺ أمور كلنا نتعرض لها، فيعلِّمنا على يد نبيه كيف نواجه هذه الأمور؟ وكيف نفعل إذا انتابتنا هذه الأحداث؟.

ونضرب مثالاً للتوضيح: كل واحد فينا له أمنيات لنفسه ولأولاده في هذه الحياة ويوم لقاء الله، فلو كنت أتمنى شيء من الله، وأخذت بالأسباب، ودعوت الله وألححت في الدعاء، وفعلت كل موجبات الإجابة، ولم يستجب الله لي، فماذا يكون حالي؟ أحزن وأفزع وأهلع، وقد أدخل المنزل وأغلق على نفسي ولا أريد أن أكلم أحد، وقد أخاصم أقرب الناس لي، وأكون مهموم، لماذا؟ لأن الشيء الذي أريده لم يحققه الله لي.

---

[1] ١٣٠ إسنا – طفنيس ـ مسجد الشيخ أبودوح ٩ من جمادى الأولى ١٤٣٩ هـ ٢٠١٨/١/٢٦م

ولكن هل أعلم أين الخير لي؟! لا، لكن رب العزة يعلم، فالمؤمن يتعلم من النبي المختار في هذه الآيات الكريمة درســاً عظيماً في مواجهة أقدار الواحد القهار، فالذي علينا الأخذ بالأسباب والباقي على من يقول للشيء كن فيكون.

وهنا يظهر صحة الإيمان وصدق الإيقان، فإذا كنت أنا موقن أن الله لا يفعل لي إلا ما فيه الخير لي في الدنيا والآخرة، فلماذا أحزن؟! لم يحقق الله لي هذه الأمنية لأنها شر لي وأنا لا أراه... والله ﷻ قد أرسل نبي من أولي العزم وهو سيدنا موسى، ومعه ولي من كبار الأولياء وهو سيدنا الخضر، لرجل معه هو وزوجته طفل صغير، فقام سيدنا الخضر بقتل الطفل وسيدنا موسي لأنه متمسك بالشريعة غضب، وقال له: كيف تقتل نفســاً بغير حق؟! فقال له: هذا الطفل إذا كبر ســيكفر، وخشــينا أن يرهق أبويه طغياناً وكفراً: ﴿ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ﴾ (٨٠الكهف) فقتلته لكي يبدلهما الله خير منه رحمة، وأقرب منه قرباً إلى الله تبارك وتعالى.

فهذا الأمر يحتاج من المسلمين أن يكونوا مُسَلِّمين لما يمضيه رب العالمين، فما دمت أخذت بالأسباب، وفعلت ما عليك فلا بد أن ترضــي بما قضــي الله تعالي وقدر، لأنه أعلم بنا منا، وأولي بنا منا، وأعرف بمصالحنا منا تبارك وتعالى.

لكن أنت ســتحمل الهم في قلبك، وتحزن، فهل هذا ســيغير شــيء؟! لا، قد يغير صــحتك فتمرض، لكن هل يغير شـــيء من الأقدار؟ لا، لأنها أقدار يمضــيها الواحد القهار تبارك وتعالى.

رؤيا النبي لعمرته

سيدنا رسول الله ﷺ رأى في رؤيا منامية أنه وأصحابه ذهبوا إلى مكة محرمين، وطافوا بالبيت الحرام وأدوا العمرة، ورؤيا الأنبياء وحي من الله، فأخبر أصحابة بذلك، وأخبرهم بأنهم سيذهبون لتأدية العمرة إلى البيت الحرام.

لكن الرؤيا التي أتت له من الله لم تحدد الزمن، فلم تحدد هذا الشهر، أو هذا العام، بل تركتها مفتوحة، لكي يحدث القضاء، ويعلِّمنا النبي ﷺ أن نرضي بالقضاء.

فنادي أصحابه، وخرجوا في ألف وأربعمائة فرد، كلهم لبسوا ملابس الإحرام، وأخذوا معهم الهدي أي الذبائح التي سيذبحونها بعد تأدية العمرة عند البيت الحرام، ولم يكن معهم من الأسلحة إلا السيف لأن الكفار كانون مسيطرين على مكة وقتها، فعندما يرونهم يعرفوا أنهم لم يأتوا ليحاربوهم بل أتوا ليؤدوا مناسك العمرة فقط.

والقائمين على حراسة البيت الحرام - حتى في الجاهلية - كانوا متعاهدين أنهم لا يمنعوا أي أحد يأتي إلى البيت من الطواف بالبيت، من عصر سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

فسار سيدنا رسول ﷺ وصحابته إلى أن وصلوا إلى مشارف مكة، وسمع بهم الكفار، فأرسلوا إليهم، فقالوا لهم: نحن أتينا لنعتمر وليس للحرب، فقالوا: لا يدخل محمد علينا مكة عنوة!! وهذه عنجهية الكفر.

ولم تفلح معهم المفاوضات، وأرسل لهم الرسول عدة رسل، إلى أن أرسل إليهم سيدنا رسول الله سيدنا عثمان بن عفان وبعض الصحابة فحجزوهم، وخرجت إشاعة أنهم قتلوا سيدنا عثمان، فقال بعض الصحابة: إن قتلوه فلن نرجع حتى نأخذ بثأره، واتفقوا على هذا وتعاهدوا وبايعوا حضرة النبي تحت شجرة، وسماها الله بيعة الرضوان.

وبعد أخذ ورد قال الكفار لا بد أن ترجع هذه السنة ولا تدخل مكة، والسنة القادمة تأتي ونترك لك مكة ثلاثة أيام تؤدي فيها العمرة، وما دام أننا اتفقنا فلا بد أن يكون بيننا وبينك هدنة مدتها عشرة سنين لا يوجد فيها حرب بيننا وبينك، ووضعوا شرط عسير، فقالوا: الذي يدخل من عندنا في الإسلام ويذهب إليك ترجعه إلينا، والذي يترك الإسلام ويرجع للكفر ترده لنا!!، شروط قاسية وغليظة، والصحابة أنفسهم استاءوا من هذا الكلام وقالوا كيف نرضى بهذا الكلام؟!! لكن سيدنا رسول الله ﷺ وافق على هذه الصلح لأمر أعلمه به مولاه تبارك وتعالى.

سبب نزول سورة الفتح

فلم يؤدوا العمرة، وأثناء عودتهم نزلت هذه السورة، فلم يدخلوا مكة ولم يعتمروا ولكن الله أنزل عليه: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ فحضرة النبي قال لهم:

{ لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ثُمَّ قَرَأَ: " إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا " }[131]

لكن أين الفتح الذي حدث؟! عندما حدث ذلك أصـــحاب الفتن وأصـــحاب القلق والجزع قالوا: إن حضـــرة النبي قد رأي في المنام أننا دخلنا مكة وطفنا، فكيف لم تتحقق رؤيا النبي؟!! الشـــخص العادي الذي يري رؤيا ولم تتحقق يحزن، ولكن رؤيا حضرة النبي كيف لا تتحقق؟!! لكن العقلاء كانوا لا يتركوا هذه الهلاوس في نفوسهم، فقال لهم سيدنا عمر: لا تضيعوا أنفسكم، لكن نسأل حضرة النبي ونستريح من الأمر، فقال له:

{ أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ }[132]

الرؤيا ســتتحقق فيما يأتي من الأيام، لكن طبيعة الإنســـان التعجل، فعندما يري رؤيا طيبة يريد في نفس اليوم أن يشـــعر بأثر الرؤيا، ويقول أنا رأيت رؤيا كذا وكذا ولي شهرين ولم يحدث شيء!! لكن لماذا الاستعجال؟! مادام الله بشرك فانتظر الوقت الذي حدده الله لهذا الفرج، لأن الله ﷻ كما قال في كتابه: ﴿ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴾ (٨الرعد) كل شيء مقدر تقديراً شديداً.

---

١٣١ صحيح البخاري والترمذي عن عمر بن الخطاب ﷺ

١٣٢ صحيح البخاري والبيهقي عن المسور بن مخرمة ﷺ

أسباب التسمية بالفتح

كيف يكون هذا فتح ونحن لم ندخل مكة؟! لأسباب كثيرة وعظيمة، فإن الله سبحانه وتعالى رأى المسلمين تعبوا من الحروب، وحضرة النبي يريد أن يفتح بلاد العرب كلها ويدخلهم في الإسلام، وهم لا يستطيعون أن يحاربوا العرب كلهم.

وهؤلاء العرب ما منعهم من الدخول في الإسلام أن عائلته قريش تحاربه، فلما وضعت الحرب أوزارها وهدئت الأمور بدأت القبائل العربية تدخل في دين الله أفواجاً، لا بحرب ولا قتال ولا نزال، فهل هذا فتح أم لا؟! فتح عظيم.

وهناك فتح آخر، فقد كان لا يستطيع أحد من المسلمين – حتى اللذين هم من مكة - أن يذهب إلى مكة، لأن الكفار لن يتركوه، لكن عندما حدثت الهدنة بدأ المسلمون من أهل مكة يذهبوا إلى أقاربهم في مكة، ويجلسون معهم ويتكلمون معهم بهدوء وسكينة، فأغلبهم اقتنع بالإسلام ودخل في دين الله تبارك وتعالى، لأن العند هو الذي كان يمنعهم من الدخول في الإسلام، فعندما حدث الوصل وبدأ هذا يذهب، وهذا يأتي دخلوا في دين الله تبارك وتعالى أفواجاً، ولم يتبق إلا أقل القليل.

حضـــرة النبي ﷺ مرســـل للناس كافة: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ (٢٨سـبأ)

فانتهز حضــرة النبي ﷺ هذه الفرصـــة، وأرســل رســائل لكل الدول التي حوله، فأتي بجماعة من أصـــحابه، ووزع عليهم الرســـائل، أنت تأخذ رســـالة لملك الروم تدعوه للإســلام، وأنت تأخذ رسـالة لملك الفرس تدعوه للإسـلام، وأنت تأخذ رسـالة وتذهب لملك اليمن تدعوه للإسلام، وأنت تأخذ رسالة وتذهب إلى ملك الحبشة تدعوه للإسلام، وأنت تأخذ رسالة وتذهب لملك مصر تدعوه للإسلام، وأنت تأخذ رسالة وتذهب لملك عمان وتدعوه للإسلام، ستة رسل.

هذه البلاد التي يذهبون إليها لا يوجد فيها بلدة تتحدث باللغة العربية، وكل بلد لها لغتها، فكلموا حضـرة النبي فطمأنهم، وكل شـخص أخذ رسـالته، واتفقوا أن يذهب كل واحد منهم بعد صـلاة الفجر إلى جهته، ففوجئوا عند اليقظة من النوم أن كل واحد منهم يتقن لغة البلد التي هو ذاهب إليها كأنه من أهلها!! فلم يأخذ درس ولا دورة ولا معلم ولا أي شيء، فمن الذي علَّمه؟ العليم تبارك وتعالى.

فبلغ حضـــرة النبي ﷺ الرســـالة إلى كل من حوله لأنه تفرغ لدعوة الله، فعندما كانت الحرب مستمرة كان لا يوجد عنده أي فرصـة، فكان دائماً يجهز الجيش ليصـد هجوم أعداءه، ولا يوجد وقت، لكن بعد الهدنة أصـــبح الوقت متاح لفتح لكل الجهات التي حول الجزيرة العربية للدخول في دين الله تبارك وتعالى أفواجاً.

بركة الرضا بالأقدار

سيدنا عمر ﷺ لما قرأ بنود الصلح، ووجد الشرط الذي ذكرناه؛ أن الذي يدخل من الكفار في الإسلام ويأتي المدينة يردوه لهم، والمسلم الذي يشرك ويذهب إلى مكة لا يردوه، فقال لرسول الله:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، فَقَالَ: أَلَيْسَ قَتْلانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلاهُمْ فِي النَّارِ، قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَعَلَى مَا نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا، أَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ!، فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا }[١٣٣]

وهذه التي يعلمها لنا حضـرة النبي لكي نسـير على نهجها (إِنِّي رَسُـولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا) أنا متوكل على الله وهو لا يضيعني أبداً، لأن الذي أسلم وخرج من مكة وسيرجعه حضرة النبي لن يرضي أن يذهب إلى مكة مرة أخرى، وسيذهب إلى أي مكان آخر، والذي يترك الإسلام ويرجع ماذا نصنع به؟! ، فكونه أنه ترك الإسلام بعدما أسلم لا نحتاج إليه.

---

١٣٣ البخاري ومسلم عن سهل بن حنيف ﷺ

ولذلك الذي حدث أن رجل من مكة اسمه أبو بصير، أسلم وذهب إلى حضرة النبي في المدينة، فأخبره النبي بالعهد والشرط، ولا بد من الوفاء به، لأن حضرة النبي يعلِّمنا أن نوفي بالعهد.

فماذا يصنع الرجل؟! أيرجع مكة؟ سيقتلونه أو يحبسوه ويعذبوه، فأتي على طريق التجارة بين مكة وبلاد الشام، وأقام في مكان على البحر الأحمر، وكل رجل يخرج من مكة مسلماً وحضرة النبي يرده يذهب إلى أبو بصير ﵁ و أرضاه، وكثر عددهم إلى أن وصلوا إلى ثلاثمائة رجل، فصنعوا رعباً لتجارة أهل مكة، لأن هذه طريق تجاراتهم، فكل تجارة ذاهبة إلي الشام، أو قادمة من الشام يأخذونها، إلى أن استغاث أهل مكة، وأرسلوا وفداً للمدينة وأعلنوا تنازلهم عن هذا الشرط، حتى يرد هؤلاء الرجال إلى المدينة.

حتى نعلم أن الرضا بالأقدار فيه حسن الاختيار لنا من الواحد القهار ﷻ، من الذي طلب الغاء هذا الشرط؟ هم مع أنهم كانوا متعنتين فيه، وذهب هؤلاء مرة أخرى إلى حضرة النبي ﷺ في المدينة المنورة.

فتح المغفرة

وكان من جملة هذا الفتح؛ فتح أعظم آخر: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ وهل يوجد فتح أعظم من هذا؟! سـيغفر الله لك كل الذي مضـى، وكل الذي يأتي، لكن النبي ليس له ذنوب!، إذاً ذنوب مَن هذه؟ هذه ذنوبنا نحن؛ ذنوب أمته، فقد قال له: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ (١٩محمد) أنت تستغفر لهم.

وإياكم أن تعتقدوا أن أمة النبي من أول بعثته النبي ﷺ، بل أمة النبي من أول آدم إلى قيام الساعة، لأن آدم وما بعده من الأنبياء نواب عن حضرته، حتى أن آدم عليه السلام لما خالف أمر الله وأكل من الشجرة التي نهاه الله عنها أُهبط إلى الأرض، فأخذ يبكي واشتد بكائه حتى ألهمه الله ﷻ بشيء فيه توبته فقال كما أخبر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن سيدنا رسول الله ﷺ:

{ يَا رَبِّ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَا غَفَرْتَ لِي، فَقَالَ اللَّهُ: يَا آدَمُ، وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، لأَنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ رَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَىَ قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللَّهُ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ، إِنَّهُ لأُحِبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ ادْعُنِي بِحَقِّهِ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ وَلَوْلا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ }[١٣٤]

وفي بعض الأثر: (ما نظرت إلى شـــيء في الجنة إلا ووجدت اســـمه بجوار اسـمك) الشـجر مكتوب عليه (لا إله إلا الله محمد رسـول الله) وصـدور الحور العين مكتوب عليها (لا إله إلا الله محمد رسـول الله) وكل شـيء في الجنة مكتوب عليه: (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

ولذلك بعض المفســـرين قالوا في قول الله: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ذنب آدم، فالله غفره من أجل رسول الله ﷺ، وهذا تحديد بسيط، لكن كل ذنوب السابقين واللاحقين لا تغفر إلا ببركة النبي المصطفي ﷺ

١٣٤ الحاكم في المستدرك والطبراني عن عمر بن الخطاب ﷺ

أما بالنسبة لنا فقال:

{ حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنَ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنَ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ }[١٣٥]

يطلع على ملفاتنا، لأن المحامي الذي يدافع في قضية لا بد أن يطلع على الملف، والمحامي لكل الأمة المحمدية هو سيدنا رسول الله، فلا بد أن يري الملفات وما فيها.

فيا فرحتنا باستغفار النبي لنا، وخاصة أن الله وعده في هذه الآية بقبول هذا الاستغفار ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ أليس هذا وعد من الله؟! فهذا فتح من أعظم الفتوح، عمَّ الأمة كلها من آدم إلى يوم الدين، ونحن - والحمد لله - فيه داخلين، وبه مشمولين، فضلا من الله رب العالمين.

تمام النعمة

وهل هذا فقط؟ لا، هناك فتح أعظم: ﴿ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ ﴾ سيتم عليك النعمة، وتمام النعمة مذكور في القرآن، لأن النبي طلب من الله شيئاً، وكان دائماً على لسانه أمتي أمتي، فأنزل الله سيدنا جبريل إليه فقال له:

---

١٣٥ مسندالبزار واتحاف المهرة عن عبد الله بن مسعود ﷺ

{ يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلا نَسُوؤُكَ }[136]

ولم يسكت وظل يقول أمتي أمتي، ولم يقل نفسي أو أهلي بل أمتي أمتي، فأنزل الله تبارك وتعالى له: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ (٥الضحى) سيعطيك كل ما تريده للأمة إلى أن ترضى.

لكن نحن لم نأخذ بالنا، فنريد من الله أن يعطينا ما نريده في الدنيا من عمارات وأرض ومال وأشياء من هذا القبيل، وهذه يعطيها للكفار والفجار والكل، وحضرة النبي قال:

{ إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا لِمَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لا يُحِبُّ، وَلا يُعْطِي الدِّينَ إِلا مَنْ يُحِبُّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ }[137]

فوعده الله سبحانه وتعالى بأن يعطيه حتى يرضى، سيدنا الإمام جعفر الصادق ﷺ وكان فقيه آل البيت قال: (ولن يرضى ﷺ وواحد من أمته في النار).

---

١٣٦ صحيح مسلم وابن حبان عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
١٣٧ شعب الإيمان للبيهقي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

ولذلك يوم القيامة - من تمام النعمة - أن أعطاه الله الشـــفاعة العظمى، فيذهب الناس للأنبياء عند كرب الحســاب فآدم يقول ليس لي شـأن، ونوح يتنصـل، وموســي وإبراهيم والكل، وفي النهاية يقولوا لهم عيسي اذهبوا إلى محمد، فيذهبون إليه فيقول:

{ أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ }[١٣٨]

يلهمه الله بمحامد في تلك الساعة، ولم يذكرها لأننا لا نستطيع أن نعقلها، فيأخذ إذن في الشفاعة لمن يريد، ومن رحمته وشفقته وحنانته صلوات ربي وتسليماته عليه يقول:

{ شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي }[١٣٩]

يريد أن يشـفع في الذين دخلوا جهنم، ويخرجهم منها، ولا يرتاح إلى أن لا يبقى واحد من الأمة في النار، لماذا؟ من شـــدة الحنان والرحمة التي قال الله لنا فيها في القرآن: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٢٨التوبة).

١٣٨ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ
١٣٩ جامع الترمذي وأبي داود عن أنس ﷺ

فالفتح الأعظم؛ الشفاعة والعطاء وقبول الدعاء وتحقيق الرجاء لسيد الرسل والأنبياء، وهو كان لا يطلب شيئًا لنفسه وإنما يطلب للأمة.

نعمة الهداية

﴿ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ وهذا أيضا من أكبر الفتوحات، فكل من كان قبله بدَّلوا وغيَّروا في كلام الله الذي نزل على أنبيائهم، وحرَّفوا الأحكام الذي أمرهم بها الأنبياء، لكن الدين الوحيد المحفوظ هو دين الإسلام، والكتاب الوحيد المحفوظ هو القرآن: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (٩الحجر)

وتعجب كيف حفظ الله القرآن، لأن عندما نزل على حضرة النبي لم يكن هناك ورق، فكان يكتبون الآية على جلد، أو على عظمة، أو على جزع شجرة، ولذلك القرآن الذي جمعه سيدنا أبو بكر ووضعه عند السيدة حفصة بنت سيدنا عمر كان يملأ مثل هذا المسجد وأكثر، وكانت خطوطهم لا يوجد فيها نقط نهائياً، فالسين مثل الشين، والباء مثل التاء والثاء، والصاد مثل الضاد، والطاء مثل الظاء، والنَقْط أتى بعد ذلك بمائة سنة، لكن هل وجدتم شخص حرَّف آية عن ما نزلت به من عند الله؟ لم يحدث، لم يزد ولم ينقص حرفاً، الحرف الذي وضع كما هو.

صـــرَّح بعض الصـــالحين وهذه من علوم المكاشــفة، فقد كان لا يوجد مطابع، وكانوا يكتبون المصـــحف بخط اليد، بالريش والدواية، وهل يوجد شـــخص يكتب صـفحة بيده من غير أن يســهو بها في شــيء؟ لا، فقال الرجل الصــالح: كان الله ﷻ يجعل الملائكة تمســك بأيدي كاتبي القرآن حتى لا يتغير منه حرف عن ما أنزله الرحمن.

فلو تركنا الناس كما هي، وأي إنسان سيكتب المصحف هل سيخطئ أم لا؟! هل يستطيع أن يكتب صفحة كاملة من دون خطأ؟! لن يستطيع، سينسى نقطة، أو حرفاً، أو كلمة، لكن كيف وصـــل القرآن إلينا مكتوبًا بخط اليد من غير طباعة ولا ورق؟! لأنه محفوظ بحفظ الحفيظ تبارك وتعالى، فهذه عناية الله بهذه الأمة.

حضـــرة النبي ﷺ ظهر عليه من المعجزات أكمل وأتم مما ظهر على جميع أنبياء الله ورسله، ولو طالع أحدكم المراجع الكبيرة من السيرة العطرة سيجد أكثر من ثلاثة آلاف معجزة لرسول الله ﷺ، وهذا ما أحصوه فقط، فهناك معجزات لم يحصوها عن رسول الله ﷺ.

الأمم التي قبلنا رأوا معجزات صغيرة على يد أنبيائهم:

فقال بعضهم هذا إله، وقال الثاني هذا ابن الإله وقال الثالث حل فيه، لكن أمة سيدنا محمد لا يوجد فيها أحد زاد على حضرة النبي أنه عبد الله ورسوله، وقبل أن يقول رسوله يقول عبده، (وأشهد أن محمدا عبده ورسوله) الأول عبد لله تبارك وتعالى، وليس لي شأن بالمختلين عقلياً أو المرضى نفسياً.

فلا يوجد أحد من العقلاء أبداً من الأمة المحمدية من البداية إلى النهاية زاد عن البشرية للذات المحمدية!!!

ولكن مثلما قال بعض الصالحين: عبد علَّمه مولاه، عبد أكرمه مولاه، عبد تولاه حضرة الله: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ (٥٩الزخرف) عليه إنعام الله تبارك وتعالى صلوات ربي وتسليماته عليه.

ولذلك: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (١٩آل عمران) لأنه الدين الوحيد الخالي من الشبهات، وخالي من اللغط، وخالي من الإثنينية، وخالي من التثليث، وخالي من التدليس، وخالي من الأخطاء التي وقع فيها السابقين أجمعين، عناية من الله، وفضلاً من الله لهذه الأمة ببركة رسول الله ﷺ.

نصر الله

آخر هذه الفتوحات: ﴿ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ نصــــر فيه عزة، ومادام جاء النصر من عند الله ففيه عزة، ولماذا نصره الله؟ لأنه نصره على نفسه أولاً، فنصره على جميع أعداءه.

وهذا سر نصر كل المسلمين السابقين واللاحقين:

فالذي يريد أن ينتصر ويفتح الله عليه فتحاً مبيناً ماذا يفعل؟

يجاهد نفسه أولًا إلى أن ينتصر على نفسه، فيكبح جماحها عن الشهوات!

ويقيمها على الدوام في ذكر الله والطاعات!

ويحافظ على إخلاصها للوجه الكريم في كل هذه العبادات!

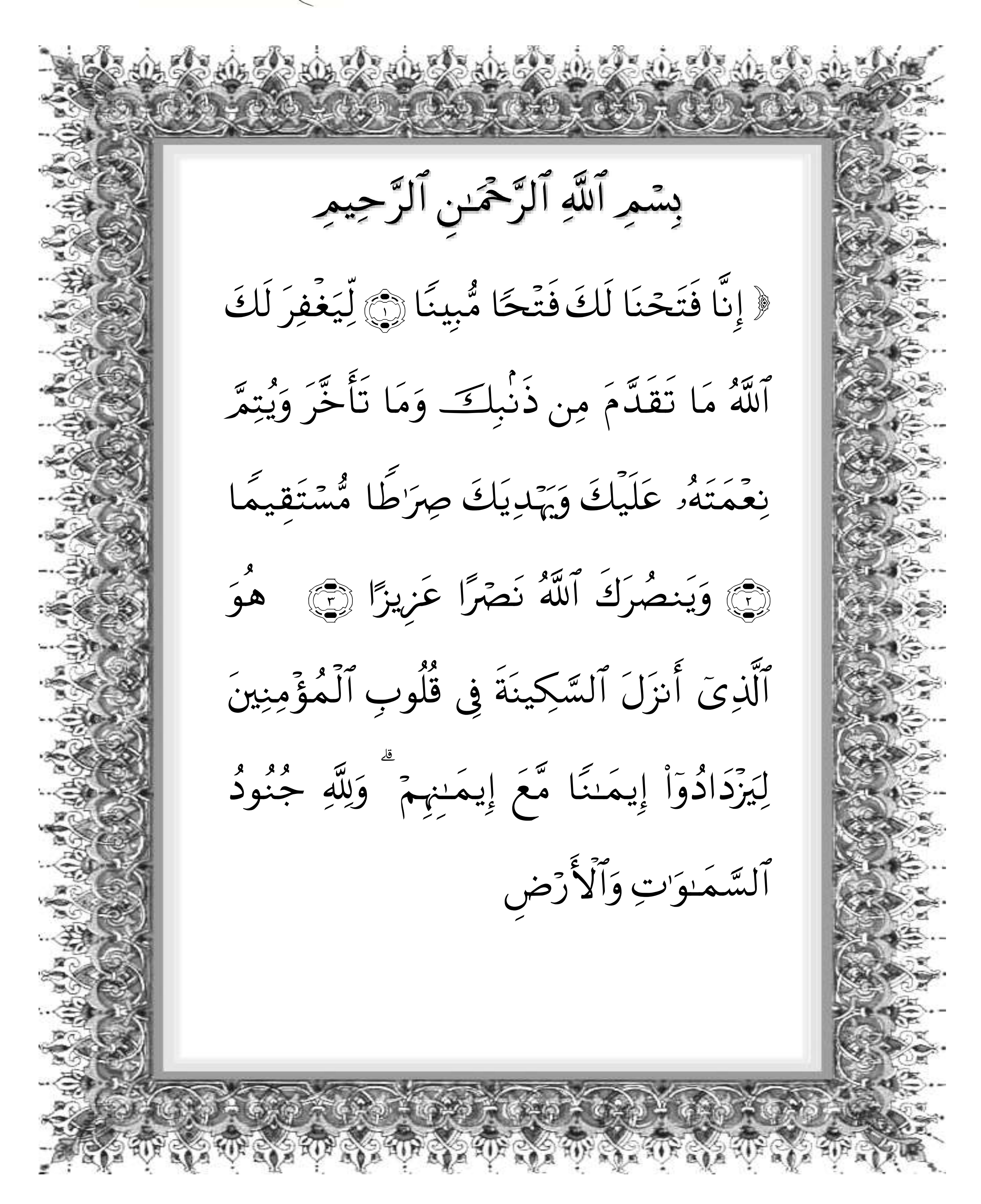
ويجعل الخلق خلف ظهره عند توجهه إلى مولى الموالي !!!

فينصره الله تبارك وتعالى على نفسه، وينصره على جميع خلقه سبحانه وتعالى:

﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ (٧محمد)

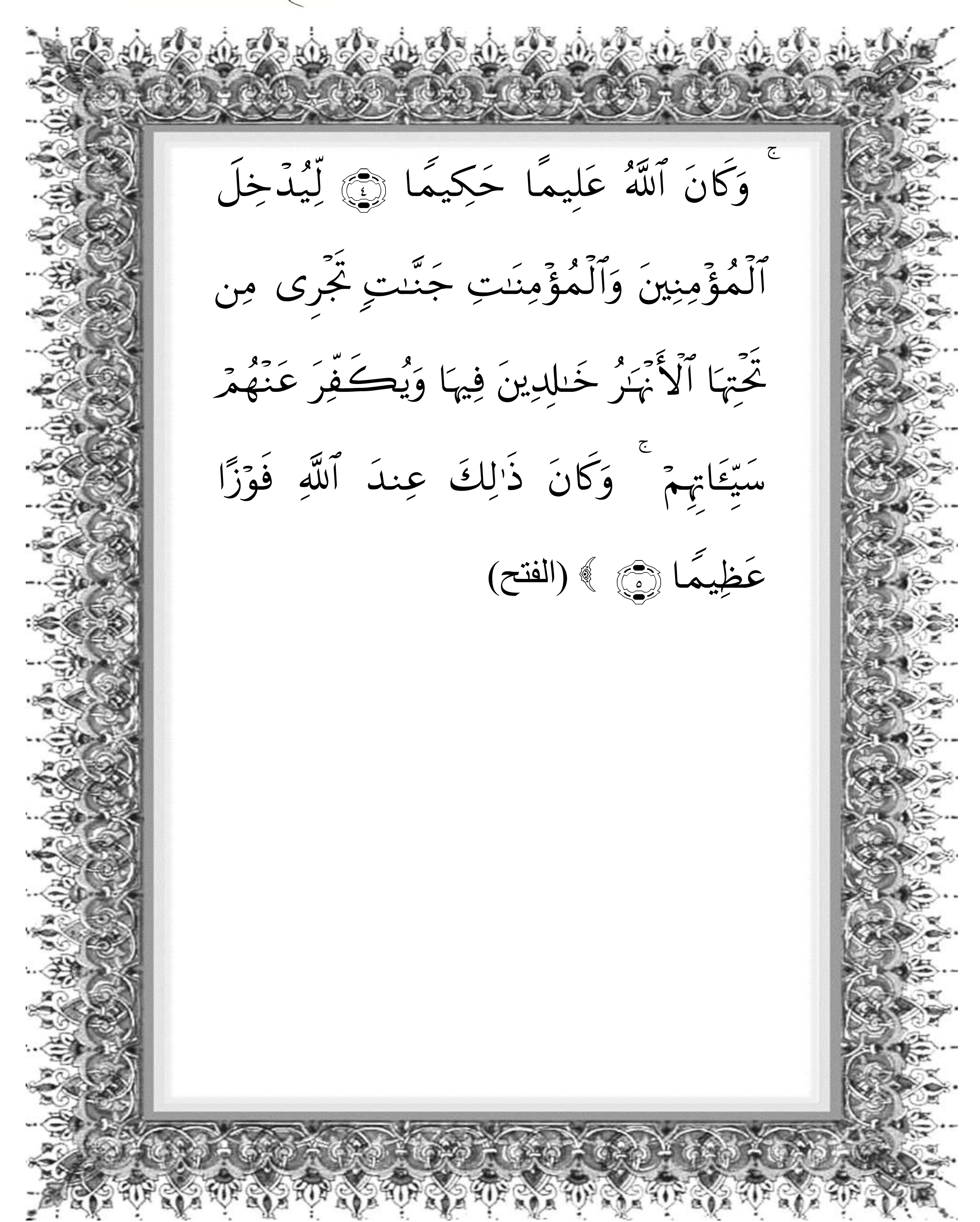
نسأل الله ﷻ أن يفتح علينا وبنا فتحاً مبيناً، وأن يهدينا صراطاً مستقيماً، وأن ينصرنا على أنفسنا نصراً عزيزاً، وأن يوفقنا دوماً لما يحبه ويرضاه، وأن يرزقنا على الدوام حسن المتابعة لحبيبه ومصطفاه

وصلى الله علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ



وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ ﴾ (الفتح)

٩. الفتح[١٤٠]

بسم الله الرحمن الرحيم - نستفتح كنوز الفتاح بخير مفتاح أنزله الفتاح، وهو الصلاة على النبي ﷺ في المسا والصباح والغدو والرواح، اللهم صلِّ وسلم على مَن منه انشقت الأسرار، وانفلقت الأنوار، وزُيِّنت الكواكب والدنيا والجنة بزينة الواحد القهار؛ سيدنا محمد وآله الأطهار، وصحابته الأبرار، والفانين في دعوته إلى يوم القرار، واجعنا منهم أجمعين بمنك وبفضلك وجودك يا عزيز يا غفار.

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ (إنا) من هم؟ حضرة الحق، إنا بجميع أسمائنا وصفاتنا وجلالنا وجمالنا وعزتنا وكبريائنا فتحنا لك فتحًا مبينًا، وهذا الفتح الذي فتحه الله لحبيبه ومصطفاه ومحله قلبه الذي طهره الله وجعله طورًا للتجلي والمناجاة، هل يستطيع أحدٌ أن يعرفه أو يشير إليه من خلق الله؟ كلا وألف كلا.

﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ (١٠النجم) ماذا أوحي؟! ومن الذي يعرف من السابقين أو اللاحقين؟! لا يوجد أحد، لأن الوحي هنا: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ (١١النجم)

---

[١٤٠] إسنا – طفنيس – ديوان البلايكة ٩ من جماد الأول ١٤٣٩ هـ ٢٠١٨/١/٢٦م

مشـــاهدات وتجليات ونحن ليس معنا الآلات التي ندرك بها المشـــاهدات والتجليات، فهذه خصوصية لسيدنا رسول الله ﷺ.

وجعله فتحاً مبينا أي واضـــح كل الوضـــوح ليس فيه ألغاز، لكي يجمِّله الله ﷻ بجمال اسمه الغفار: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ (٨٢طه) ومثلها أيضاً:

﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (٦٤النساء) لوجدوا الله وليس أنت، بمعاني التواب، وبمعاني الرحيم.

فجمَّله الله ﷻ بجمال اسمه العَفُو، واسمه الغفور، واسمه التواب، واسمه الرحيم اكرامًا لنا معشر المؤمنين، لما لنا عند الله من الفضل الكبير المبين......، لكي نعرف معزتنا عند الله تبارك وتعالى.

لا يعرف النبي إلا من أعزه العلي، وأصـــبح له مقام عزة عند الله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (٨المنافقون) والذي لم يعرف النبي - وإن كان يملك الدنيا بما فيها ومن فيها من أولها إلى آخرها - فإنه يموت ذليل ويحيا يوم القيامة ذليل بين يدي الجليل ﷻ، فهذه عزة الله التي أعطاها لنا الله ﷻ.

﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ ذكرنا وجه منها، وهي فيها وجوه لا تعد، ومن جملة الوجوه أن يعصمك الله من الوقوع في الذنب، فلا تحتاج إلى استغفار لأنه عصمك، والعصمة للأنبياء، والحفظ للأولياء.

﴿ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ ﴾ وتمام النعمة سيكون في هذا الزمان إن شاء الله؛ بأن يحقق الله قوله في كتاب الله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ (٢٨الفتح) سيظهر الإسلام على كل الأديان، فهذه بشريات الله لحبيب الله ومصطفاه ﷺ في كتاب الله، ولذا قال ﷺ متحدثاً عن آخر الزمان:

{ وَتُمْلأُ الأَرْضُ مِنَ الإِسْلامِ، وَيُسْلَبُ الْكُفَّارُ مُلْكَهُمْ، وَلا يَكُونُ مُلْكٌ إِلا لِلإِسْلامِ}[141]

إذا كان أخر الزمان أفنى الله جميع الملل والنِّحل ولم يبق إلا الإسلام، وجائز وهذا عن قريب إن شاء الله:

---

١٤١ مسند الروياني عن أبي إمامة رضي الله عنه

في عن قريب يظهر النصـــر الجلي	والكفر يمحي والدماء بنا تعوم
قد كان طه قبلنا في شـــدة	بين العدا والحق ملّكه العموم

فسيحدث مثل الذي حدث قريباً إن شاء الله رب العالمين، وأيضا كما بشرناكم أن مصـر كذلك - والحمد الله - سيجعلها الله ﷻ كما كانت تعطي أغنياء الخليج الذين سيصيرو فقراء، ويغنينا بها الله عن جميع الأعداء والأشقاء، بفضل الله وإكرام الله، وبركة سيدنا رسول الله ﷺ.

ولو أنكم تتابعون على النت أقوال العلماء الكبار تعرفون هذه الحقيقة، فيوجد ما يسمى بـ (تسونامي) حدث من عدة سنوات بين اليابان وإندونيسيا والفلبين، وهو مسلط بأمر الله، فأتي على الجزيرة العربية ونقل البترول والغاز الطبيعي من تحتها وجاء به إلى مصـر، ولذلك بدأ يظهر الآن، وقد ذكروا أن الدلتا كلها عائمة على غاز طبيعي، وليس في البحر فقط، وهذا غير البترول، وغير الذهب فقالوا أن هناك خمسة وثلاثين منجم ذهب في مصر، والذي يعمل منهم واحد فقط، فما بالك إذا اشتغل الباقي؟!!.

فالخير قادم ولكن يحتاج إلى الصبر الجميل والعمل، وعدم اليأس من رحمة الله، فالشباب الذي استلان البطالة وارتاح لها لم يعد يصلح لشيء أبداً، ولنا أسوة في رسول الله وصحبه الكرام، فكانت حياتهم كلها جهاد في جهاد، فنحتاج إلى ذلك من أجل:

﴿ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴾ ومن أجل: ﴿ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ﴾ ونصْر الحبيب هو نصْر أمته في كل المعارك، وفي كل الجولات قديماً وحديثاً، فهناك نصر سيتحقق لنا على اليهود، ومن يعاون اليهود، ومن يساند اليهود، وكل من يعادي الإسلام سيمحق بهزيمة من عند الله تبارك وتعالى

فعندما نزلت هذه الآيات على حضرة النبي، من عجيب القرآن والذي أشار إليه سيدنا أبو بكر ﵁، وهو كان حكيمًا عليمًا بالإشارات:

كم جاهل نال علماً من مجالسهم	أضحي حكيما عليما بالإشارات
أضحي ولياً له قلب ومعرفة	يري النبي عياناً حال خلوات

فسيدنا أبو بكر كان من كبار أهل العلم الإشاري، فقال: (يا رسول الله ما خصك الله بشرف في كتاب الله إلا وقد أشركنا فيه) لأنه يعلم أن سيدنا رسول الله كان حريصاً على أمته صلوات ربي وتسليماته عليه.

سيدنا إبراهيم سأل لنفسه فقط: ﴿ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴾ (٨٧الشعراء) لم يقل أنا وابني إسماعيل، أو أنا وابني إسحاق وهؤلاء أنبياء، أو أنا وأمتي، لكن الله يقول للنبي ﷺ: ﴿ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾ (٨التحريم) من الذين آمنوا معه؟

كل الذين آمنوا معه من البدء إلى الختام، هل نحن في هذه الآية؟ نعم، وبذلك قد ضمنا - والحمد لله - عدم الخزي والفضيحة يوم القيامة.

السكينة

فقال أصحاب النبي ﷺ عندما تلا عليهم مقدمة هذه السورة التي شرحناها الآن: يا رسول الله هذه لك فماذا لنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أدخل معه المؤمنين، فرسول الله فتح له الله فتحًا مبينًا، وأنزل على المؤمنين السكينة، والسكينة في قلوب المؤمنين تجعل القلب يطمأن بالله، ويعتمد في كل أحواله على حضرة الله، ويتوكل في كل أموره على مولاه، ولا يخشى في الكونين أحد سواه: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ (٣٩الأحزاب).

هذه السكينة ما هيئتها؟ هي شيء ينزل من عند علام الغيوب في القلوب، ولا يرى أحد ما في القلوب!! لذلك لا بد أن نُسلِّم علمه لحضرة علام الغيوب، لكن تظهر أثاره عند الذين ينزل الله عليهم السكينة.

لماذا ينزل الله عليهم السكينة؟ ﴿ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ ﴾ ينتقلوا، يعني إذا كانوا في مقام الإسلام يرتقوا إلى مقام الإيمان، وإذا كان الواحد منهم في مقام الإيمان يرتقي إلى مقام الإحســان، وإذا كان الواحد في مقام الإحســان يرتقي إلى مقام الإيقان، وإذا كـان في مقـام علم اليقين يرتقي إلى مقـام عين اليقين، وإذا كـان في مقـام عين اليقين يرتقي إلى مقام حق اليقين.

فالدرجات التي يرتقي فيها المؤمنين والمؤمنات تحصــل بالســكينة التي تتنزل على قلوبهم وخاصة عند الشدائد والنوازل، لماذا أقول هذا الكلام؟ إياك يا أخي نفسك تضـحك عليك وتحضـر لك الهلع والفزع والجزع والشـك والارتياب عند نزول نازلة تهزك، لأن الله ما أنزل لك أمر إلا ليرفعك، فلا بد من ذلك ليرفعك، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ لَيَكْتُبُ لِلإِنْسَانِ الدَّرَجَةَ الْعُلْيَا فِي الْجَنَّةِ، وَلا يَكُونُ لَهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَبْلُغُهَا، فَلا يَزَالُ يَبْتَلِيهِ اللَّهُ حَتَّى يَبْلُغَهَا }[١٤٢]

وفي رواية أخرى:

---

١٤٢ مسند أبي حنيفة عن عائشة رضي الله عنها

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُبْتَلَى بِالْبَلاءِ، وَذَلِكَ مِنْ كَرَامَتِهِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنَّهُ لَيُبْتَلَى بِالْبَلاءِ حَتَّى يَنَالَ مِنْهُ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، لا يَنَالُهَا دُونَ أَنْ يُبْتَلَى بِذَلِكَ، فَيُبْلِغُهُ اللَّهُ تَعَالَى تِلْكَ الْمَنْزِلَةَ }[١٤٣]

الله ﷻ يرفع العبد المؤمن بالبلاء الدرجة في الجنة، لا ينالها بشـــيء من عمله، ونحن جميعًا لو وضـع عملنا على الميزان الحساس الدقيق لرب العزة سيُلقي به في وجوهنا!! مَن فينا يحضر في الصلاة حضوراً كاملاً؟!! لا يوجد! والله يحبنا ويريد أن يرفع قدرنا، فماذا يفعل؟ يبتلينا لكي يرفع شـــأننا، والمطلوب الرضـــا بالأقدار التي يجريها علينا حضرة علام الغيوب، فلا أسخط، ولا أشكو الله إلى خلق الله، ولا أُظهر لمن حولي ضـيقًا، ولا عندما أراهم أتأفف، ولا آخذ موقفًا منهم، لأنه لا دخل لأحد في الأقدار.

فمُقدِّر الأقدار إذا قدَّر قدَراً هل يســتطيع جميع الخلق - لو وقفوا - أن يمنعوه؟!! لا، لو قدَّر الله ﷻ مولوداً من رجل وامرأة وحاولنا بكل السحرة الموجودون في الدنيا، وكل الأطباء الموجودون في الدنيا هل نســـتطيع أن نمنعه؟!! لا، لأنه إذا قدَّر القدير انتهى الأمر.

رجل قدَّر له القدير أن يتزوج فلانة، من الذي يســتطيع أن يقف في طريقه؟! لا يســتطيع أحد ما دام قدَّر مقدر الأقدار ﷻ، فما الذي علينا؟ نرضـــى بمر القضـــاء كما وصفه سيد الرسل والأنبياء ﷺ.

---

١٤٣ المطالب العالية لابن حجر، والطبقات الكبرى لابن سعد عن معيقب بن أبي فاطمة ﷺ

فالســـكينة والطمأنينة ورفع الدرجات تكون من الله في قلوب المؤمنين بالثبات عند الشــدائد والملمات، ولذلك كان أصــحاب حضــرة النبي ﷺ غيرنا، لو كان واحد منهم يسـير في الطريق وعَثَر، فيهنئونه لأنه نال درجة عند الله، لكن لو حدث ذلك في هذه الأيام يقولون له: ما الذنب الذي ارتكبته اليوم؟! لكن الذنب إذا كان كافر أو نافر، لكن المؤمن ليس له شأن بذلك.

وانظر إلى الصـحابية التي تزوجت من رجل وظل معها عدة سـنوات لا يشـتكي وجع، ولا يصـاب بألم، وهو صـحيح سـليم، وفي النهاية قالت له يا فلان هيا بنا نذهب لنتطلق، وهما يســـيران عثر زوجها في الطريق، فقالت له هيا بنا نرجع! ما الأمر؟ قالت أنت في الســنين التي مرت لم تُصــب بأي ألم، فقلت أن الله لا يذكرك، وافتكاره رحمـة، وعنـدمـا عثرت عرفـت أن الله تبـارك وتعـالى تـذكرك، فرأيـت أن الأمر لا يستدعي الفراق.

فالثبات عند النوازل والشـــدائد هو حال المؤمنين، وإذا كان المؤمنين لهم مقام كريم عند الله؛ كلما زادت درجة المؤمن كلما زاد أعداؤه أكثر من أحباؤه، هل يوجد أعظم عنـد الله من الأنبيـاء؟ لا، لكن قـال الله فيهم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ (٣١الفرقان) فهذه سُنَّة الله، ولأن النبي لا يركن إلا لمولاه.

سيدنا رسول الله ﷺ عندما سُلِّط عليه أبو جهل قال كما ورد في بعض الأثر: (فرعوني أشد عليَّ من فرعون أخي موسى عليه) كان أشد في الظلم والشدة على رسول الله.

فكلما زاد الإنسان في الدرجات زاد الحُسَّاد، والحسد يأتي بعده الأحقاد، والأحقاد تولد العداء، هذا أمر مفروغ منه، لأن هذا أمر خص الله به الأحباء.

جند الله

لكنه يعرِّفهم أنه لو اجتمع عليهم كل من في الأرض يكونوا واثقين أن لهم النصر ولو بعد حين، لماذا؟

﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ :

جنود السماء والأرض كلها التي يحركها الله، جنود السماء مثل الصواعق، ومثل الفيضانات التي تؤدي إلى الغرق مثل طوفان سيدنا نوح، وفيها جنود الله، واحد منهم وهو سيدنا جبريل لما ضاق لوط بقومه وكانوا سبعة مدن، مكان الأردن الآن، فحملها سيدنا جبريل السبعة مدن بأناسها وحيواناتهم وكلابهم وكل ما يملكون على ريشة من جناحه، حتى وصلوا إلى السماء

وسمعت الملائكة أصوات الديكة وصياحها، ونباح الكلاب، وقَلَبَهم، وأصبح مكانهم - كما نرى الآن - بحراً ميتا ليس به أحياء أبداً، فلا يوجد به سمك صغير ولا كبير، ولا أحياء، ولا يستطيع أحد من الأحياء أن يعيش فيه، لماذا؟ عظة وعبرة من الله تبارك وتعالى.

وهناك جماعة أخرى أهلكهم بالصيحة، فلما سمعوا الصيحة ماتوا جميعاً، فهذا مَلَك واحد من ملائكة السموات التي يقول فيها ﷺ:

{ مَا فِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ مَوْضِعُ قَدَمٍ وَلا شِبْرٍ وَلا كَفٍّ إلا وَفِيهِ مَلَكٌ قَائِمٌ أَومَلَكٌ رَاكِعٌ أَومَلَكٌ سَاجِدٌ }[144]

هذه جنود السموات، وجنود الأرض الزلازل والبراكين، وكل أنواع القلاقل التي تحدث على وجه الأرض إذا أراد مكون الأكوان سبحانه وتعالى أن ينصر جنده وعباده المؤمنين.

وأنتم تعلمون أنه نصر النبي بشيء مثل ذلك، فعندما تجمع الأحزاب حول المدينة، وكانوا أكثر من عشرة آلاف، ونصبوا خيامهم، فما الذي جعلهم يغادرون؟

---

١٤٤ معجم الطبراني عن جابر بن عبد الله ﷺ

سلَّط الله ﷻ الأرض عليهم فأظلمت حتى لا يرى الإنسان كف يده، وسلَّط عليهم الريح الشديدة فقلعت خيامهم، وقلعت الأوتاد المربوط فيها إبلهم وأفراسهم، وسيَرت الفرسان والجمال هائجة تدوس عليهم، وأصبح الواحد منهم لا يعرف مَن معه ممن ضده، فأمسكوا السيوف وأخذوا يضربون بعضهم في الظلام، وهذه في غزوة الأحزاب، بدون حرب ولا كر من النبي ﷺ.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾:

الله ﷻ يتصرف في كل أمر بالعلم والحكمة، وعلمه لا يحيط به أحد، وحكمته لا يدركها أحد، فعلينا أن نسلِّم للواحد الأحد تبارك وتعالى في كل شئونه وفي كل أحواله.

صحيح كل واحد منا يريد أن الدنيا تسير كما يريد، وسيدنا أبو الدرداء كان مثلنا؛ يريد أن تسير الدنيا كما يريد، فكان سيدنا أبو الدرداء كلما يسير في طريق لا يجد ما يبغيه، فقال بيت جعله حكمته يرددها على الدوام:

يريد المرء أن يعطي مناه ويأبى الله إلا ما يريد

كل واحد يتمنى كذا وكذا، لكن ماذا يأخذ؟ يأخذ الذي قدِّره القدير، والذي دبَّره المدبر اللطيف الخبير تبارك وتعالى.

إذا المؤمنين ساروا على هذه الأمور ماذا لهم عند الله؟

﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾ :

وليس جنة واحدة، كل واحد له جنات هنا، فالذي يخاف من الله له من الجنات أربعة: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ (٤٦الرحمن) ثم عاد وقال: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ (٦٢الرحمن) وحضرة النبي قال فيهم:

{ جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا } [١٤٥]

فالذي يخاف من الله له أربعة جنات، وليس هؤلاء فقط؟!! فالجنات بغير حساب:

﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾:

لا ينزل مطر من السـماء على هضـبة أو جبل ويجري في أخدود، بل الأنهار تجري تحت الجنة مع بعضها ولا تختلط مع بعضها: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ (١٥محمد)

١٤٥ البخاري ومسلم عن عبد الله بن قيس ﷺ

يســـيروا مع بعضـــهم في مجرى واحد، ولا يختلط أحدهم بالأخر، فهذه قدرة القادر تبارك وتعالى.

هذه الجنة عقد الإيجار بها لمدة كم سنة؟ ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ لا يخرج منها أبداً، فهي تمليك: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾ (المؤمنون) يُخرج لكل واحد منهم عقد تمليك: ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ۝١٠ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ۝١١ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ۝١٣ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ۝١٦ ﴾ (الغاشية) وكما قال ﷺ:

{ فِيهَا مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ }[١٤٦]

وماذا لهم أيضًا؟

﴿ وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ ﴾:

[١٤٦] صحيح مسلم ومسند أحمد عن سهل بن سعد رضي الله عنه

لم يقل يغفر، لأن كلمة (يُكفِّر) معناها يستر، أي يمسحها، فالذي كتبه الحفظة في الملفات التي معهم لا يجدوه، والأرض تصور كل شيء يحدث عليها بالصوت والصورة، فتأتي الأرض لتعرضه فلا تجده، والجوارح كذلك تسجل بالصوت والصورة، فكل شيء عملته اليد من ساعة البلوغ إلى ساعة الموت مسجل في الأيدي بالصوت والصورة، لا تقل أين هذا؟!

فهذا علم إلهي غيبي لكنه موجود، وتأتي هناك لتُظهر هذه الأشياء كلها: ﴿ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم ﴾ (٢٤النور) كلهم سيشهدون!!!!، لكنهم لا يجدون شيئاً، قال ﷺ:

{ إِذَا تَابَ الْعَبْدُ مِنْ ذُنُوبِهِ أَنْسَى اللَّهُ حَفَظَتَهُ ذُنُوبَهُ، وَأَنْسَى ذَلِكَ جَوَارِحَهُ، وَمَعَالِمَهُ فِي الأَرْضِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ شَاهِدٌ مِنَ اللَّهِ بِذَنْبٍ } [١٤٧]

لا يوجد أعظم من هذا الفضل الإلهي:

﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ :

---

١٤٧ التوبة لابن عساكر عن أنس بن مالك رضي الله عنه

أعظم الفلاح والنجاح يوم القيامة أن لا يوجد ذنب نُحاسَــب عليه، ولا نعاير بين الخلق به، وبعد ذلك يدخلنا الجنات، والجنات ببركة سيد السادات، قال ﷺ:

{ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلا أَنَا، إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ }[148]

وفي رواية اخرى:

{ إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلٍ }[149]

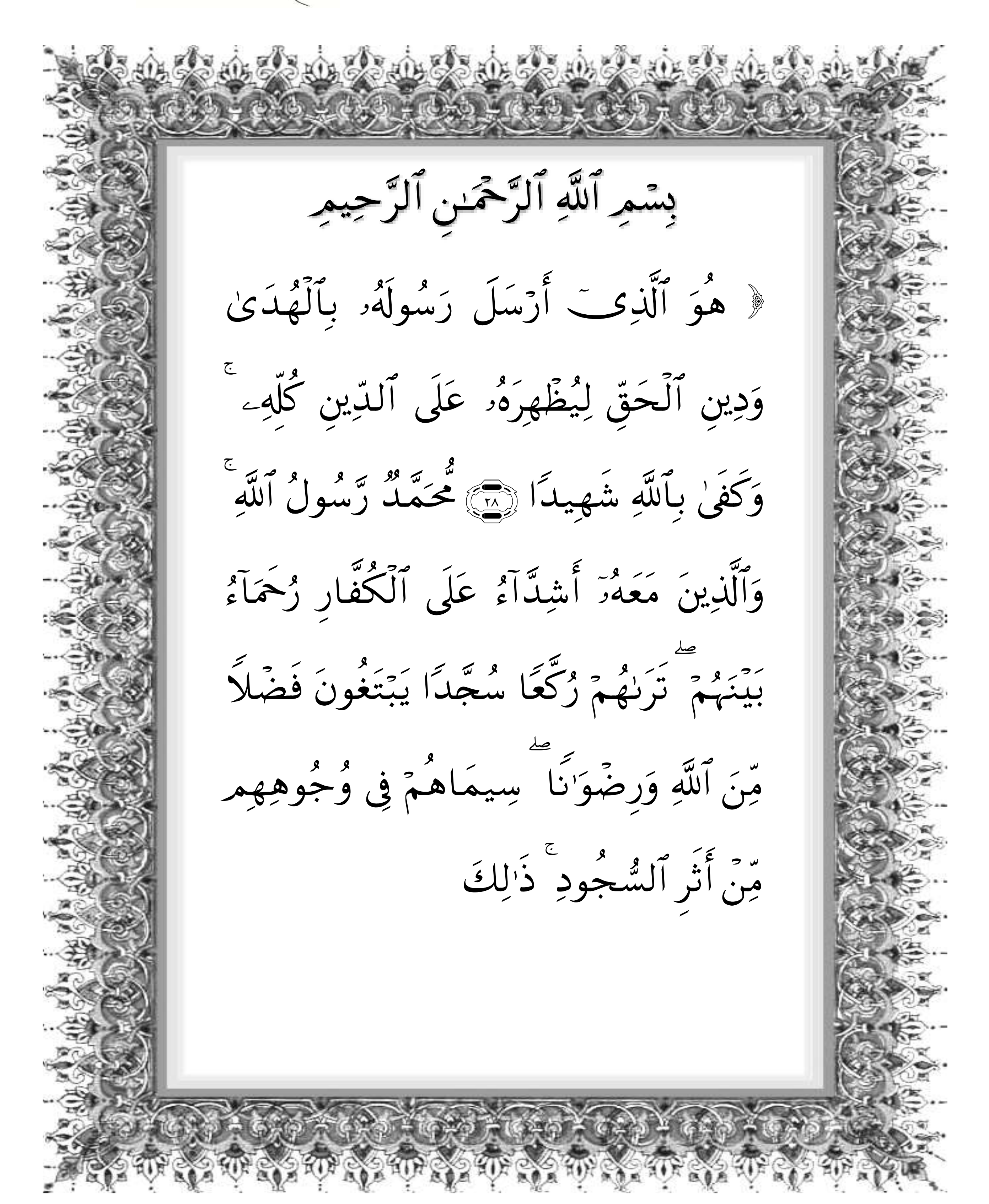
نسأل الله ﷻ أن يغفر لنا كل ما مضى، ونسأله أن يحفظنا فيما بقى

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

١٤٨ مسند أحمد عن أبي هريرة ﵁

١٤٩ معجم الطبراني عن طارق بن شريك ﵁



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ

مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ (الفتح)

١٠. المعية المحمدية[١٥٠]

بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي بشَّرنا في كتاب الله ببشريات عظيمة في دين الله، وبشريات كريمة لنا بأن نكون مع سيدنا رسول الله، اللهم صل وسلم وبارك على علم الهداية الربانية، ونور جميع المكنونات الظاهرة والباطنة في العوالم الإلهية؛ سيدنا محمد وآله وصحبه وكل من مشى على نهجه إلى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين.

كلام الله تبارك وتعالى الذي معنا اليوم يثلج الصدور، لأنها بشريات من الله تبارك وتعالى للمؤمنين، بينما كثير من المتحدثين الكافرين والملحدين والمشركين ويتابعهم ثلة قليلة من المعرضين من هذا الدين يخوضون في الإسلام، ويعلنون على الملأ أنه لا قيامة بعد الآن للإسلام وأنه في اضمحلال وإلى زوال، وإذا بالله تبارك وتعالى يبشرنا بأن كل ما في الأرض من ملل ونحل ستمحى ولا يبق إلا الإسلام: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ لا بد أن تتحقق هذه الآية.

---

[١٥٠] إسنا – طفنيس – المسجد الحسيني ١٠ من جماد الأول ١٤٣٩ هـ ٢٠١٨/١/٢٧م

ولو تتبعنا التاريخ منذ عصر رسول الله ﷺ لا يوجد زمن عمَّ الإسلام فيه الكرة الأرضــية كلها، ونحن الآن أقل في العدد من إخواننا المســيحيين، هذا غير اليهود وهؤلاء قلة قليلة، ويوجد هندوس يعبدون البقر، وغيرهم، حتى أن الهند وحدها يوجد بها أكثر من خمسمائة ديانة، ديانات شتى، وكل واحد متعصب لديانته التي يؤمن بها.

بشائر الله للمسلمين

كل ما حدث في عصر رسول الله ﷺ أن الجزيرة العربية اجتمعت عليه صلوات ربي وتســليماته عليه، لكن الله يقول: ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ فالنبي ﷺ بعد نزول هذه البشريات بيَّنها ووضحها لأن كلام الله يحتاج إلى تبيان، ومن الذي أذن له الله في البيان؟ سيدنا رسول الله ﷺ، فقال ﷺ في حديثه عن آخر الزمان:

{ وَتُمْلأُ الأَرْضُ مِنَ الإِسْلامِ، وَيُسْلَبُ الْكُفَّارُ مُلْكَهُمْ، وَلا يَكُونُ مُلْكٌ إِلا لِلإِسْلامِ}[١٥١]

إذا كان آخر الزمان - ونحن على مشــارفه - أفنى الله جميع الملل والنحل، ولا يبق إلا الإســلام ... الأمريكان والإنجليز وضــعوا لنا عقبة كئود في بيت الله في فلسطين، ونحن في حيرة، ماذا نفعل معها؟! لأنهم يُقووها ويُدعموها، لكن النبي قال:

{ لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا الْيَهُودَ حَتَّى، يَقُولَ: الْحَجَرُ وَرَاءَهُ الْيَهُودِيُّ يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ }[١٥٢]

---

١٥١ مسند الروياني عن أبي إمامة رضي الله عنه
١٥٢ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

فالمحاولات التي يقولون فيها سلام وغيرها لن تنتهي بسلام، حتى يختبأ أحدهم وراء الحجر فينطق الحجر ويقول: يا عبد الله ورائي يهودي فاقتله، فيقتله، فحجارة فلسطين هي التي ستدلنا على اليهود الغاصبين الماكرين لعنة الله عليهم وعلى من عاونهم أجمعين.

هذه ستكون بداية النهاية لكل من ظلم المسلمين، من الذي ظلم المسلمين؟ أهل أوروبا وأهل أمريكا، فأهل أوربا كل الأموال التي معهم والحضارة التي عندهم أتوا بها من بلادنا، فهم استعمرونا وأخذوا ايراداتنا، وأخذوا ثرواتنا، وذهبوا بها كلها إلى بلادهم، ويصنعوها ويبيعوها لنا بأغلى الأثمان.

ويأتي الأمريكان - كما ترون - بالظلم الشديد، فتجدهم مع اليهود على الدوام، يسلحونهم ويساعدونهم إن كان هنا أو هنا، ويريدون دولة اليهود تظل قائمة، لكن رب العزة أكبر من كل ذلك: ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴾ (٢٠البروج) أحاط بكل تدبيرهم وبكل خططهم وسيبطلها سبحانه وتعالى اكراما للمسلمين لأنه وعدنا بذلك: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ (٥٥النور) الصحابة والخلفاء الراشدين والذين كانوا معهم:

﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾ (٥٥النور) سـيتمكن الدين في كل أصـقاع الأرض: ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ (٥٥النور) فهذه بشارة رسول الله بالنسبة لدين الإسلام، فأبشروا يا أهل الإسلام فإن النصر في طريقه إلى ربوع المسلمين .... إن شاء الله رب العالمين.

أحداث النهاية[153]

إذا كان هؤلاء يفتخرون بأن عندهم القاذفات الذرية، والصـواريخ عابرة القارات، وغير ذلك، لكن: ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٧الفتح) كل السـموات وكل الأرض جنود لله تبارك وتعالى، ولو سلَّط بعضها ما بقي على الأرض شيء مما هو عليها الآن، لكن الله يعاملهم بقوله سـبحانه وتعالى: ﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾ (١٨٣الأعراف) يمليهم لأن لله الحجة البالغة، فمن الجائز أن يفيقوا ويرجعوا، ومن الجائز أن يؤمنوا بالله تبارك وتعالى، فيتركهم لينظر ماذا يفعلون؟!.

---

١٥٣ راجع كتابنا (بنو إسرائيل ووعد الآخرة) ففيه تفصيل كامل لهذا الموضوع.

فلماذا أعطى لهم الإلهامات والمخترعات الجهنمية وغيرها؟ قال: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٨٢الأعراف) فهذا اســتدراج، ولهذا طغوا بما ألهمهم به الله تبارك وتعالى.

لكن كل هذا لن يقف أمام المد الإلهي، وأمام الجند الرباني، وســتكون النهاية أن ينتشر دين الإسلام بين ربوع جميع الأنام.

عن عمرو بن أخطب ﷺ قال:

{ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ ثُمَّ نَزَلَ، فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا}[١٥٤]

وفي رواية أخرى عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال:

{ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، إلا حَدَّثَ بِهِ حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ }[١٥٥]

---

١٥٤ صحيح مسلم ومسند أحمد عن عمرو بن أخطب ﷺ

١٥٥ صحيح مسلم وسنن أبي داود عن حذيفة بن اليمان ﷺ

ثُمَّ قَالَ حُذَيْفَةُ:

{ وَاللَّهِ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَائِدِ فِتْنَةٍ إِلَى أَنْ تَنْقَضِي الدُّنْيَا يَبْلُغُ مَنْ مَعَهُ ثَلاثَ مِائَةٍ فَصَاعِدًا إِلا قَدْ سَمَّاهُ لَنَا بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَقَبِيلَتِهِ }[١٥٦]

وكان من ضمن الإعجاز النبوي أن سيدنا رسول الله ﷺ يُلقي الحديث في مجلس عام، فأهل الخصوصية يثبت الحديث في قلوبهم ولا ينسوه، والآخرون يتبخر الحديث فلا يتذكروه!!.

فحدَّثهم ﷺ عن كل شيء سيحدث في أمته إلى يوم القيامة، والإمام أبو داود ﷺ وضع في نهاية كتابه الصحيح باب اسمه (الفتن والملاحم) يقصد الفتن والأحداث التي تسبق الساعة، وجمع فيه كل ما ورد عن رسول الله ﷺ عن الصحابة الأجلاء في هذا الباب، لأن سيدنا رسول الله عرَّفهم كل شيء.

ومن جملة هذه الأحاديث التي أشرنا إليها قال ﷺ:

{ طُوبَى لِعَيْشٍ بَعْدَ الْمَسِيحِ (أي بعد هلاك اليهود) يُؤْذَنُ لَلسَّمَاءِ فِي الْقَطْرِ وَلِلأَرْضِ فِي النَّبَاتِ فَلَوْ بُذِرَتْ حَبَّةٌ عَلَى الصَّفَا لَنَبَتَتْ وَلاَ تَبَاغُضَ وَلاَ تَحَاسُدَ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الأَسَدِ فَلاَ يَضُرُّهُ وَيَطَأَ عَلَى الْحَيَّةِ فَلاَ تَضُرُّهُ}[١٥٧]

---

١٥٦ الشفا بأحوال المصطفى عن حذيفة بن اليمان ﷺ

١٥٧ أبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة.

فهم يقولون القنابل الذرية لا تجعل الأرض تنبت أي نبات بعد ذلك، لكن ليس لهم شأن بقدرة القادر ﷻ: ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٨النحل) هناك علوم أخرى.

وقال ﷺ مُخبراً عن هذه الأحداث فى روية أخرى:

{ وَتُنْزَعُ حُمَةُ كُلِّ ذَاتِ حُمَةٍ، حَتَّى يُدْخِلَ الْوَلِيدُ يَدَهُ فِي الْحَيَّةِ فَلا تَضُرَّهُ، وَتُفِرَّ الْوَلِيدَةُ الأَسَدَ فَلا يَضُرُّهَا }[158]

يتمســـح الســـبع بالمؤمن أي الأســـد، ويدوس المؤمن على الحية فلا تلدغه، والحشرات التي بها السموم مثل العقارب والحيات وغيرها سينزع منها السم، فلمن الســـم؟ لكي تؤذي به الكافرين والظالمين والمُبعدين، ولكن لم يعد في الأرض إلا المسلمين وكأنها جنة يحيا عليها المؤمنين، قال ﷺ:

{ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ فَيَفِيضَ، حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ لا أَرَبَ لِي }[159]

الكل سيغنيه الله بغناء الله تعالى، وتكثر الخيرات ويبارك الله عز وجل فيها، قال ﷺ:

---

١٥٨ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن أبي إمامة ؓ
١٥٩ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ

{ وَتَكُونُ الأَرْضُ كَفَاثُورِ الْفِضَّةِ، تُنْبِتُ نَبَاتَهَا بِعَهْدِ آدَمَ، حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى الْقِطْفِ مِنَ الْعِنَبِ فَيُشْبِعَهُمْ، وَيَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى الرُّمَّانَةِ فَتُشْبِعَهُمْ }[160]

يجتمع الجماعة على الرمانة فلا يستطيعون أكلها، ويجتمعون على قطف العنب فلا يستطيعون أكله!! فهذه ستكون حياة المؤمنين التي وعدنا الله سبحانه وتعالى بها بعد هلاك الكافرين والقضاء على اليهود ومن عاونهم أجمعين

هذا الكلام أوشك على الظهور، ومسرح الكون يُعَد لذلك ويُجَهز لذلك، لكي يظهر الله تبارك وتعالى الإسلام على الدين كله.

المسلم التقي النقي المحافظ على طاعة الله وحفظ نفسه من مخالفة معاصي الله هو الذي يتمتع بهذا الهناء العالي، أما الذي يحيد عن ذلك فسيضيع: ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ (٦١الزمر)

هذه البشري الأولي، والكلام فيها كثير، ونكتفي بهذا النذر اليسير لأن الكلام فيها خطير، وكله جاء عن البشير النذير ﷺ.

﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ :

---

١٦٠ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن أبي إمامة ﷺ

يكفي أن الله ﷻ يشـهد على هذه الأقوال لنتحقق بصـدقها، لأنه: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ (١٢٢النساء) ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (٨٧النساء) فإياك أن تتشـكك في كلام الله، أو يصـيبك قليل من الشـك في كلمات كتاب الله تبارك وتعالى، لأن كلام الله لا بد أن ينفذ لأنه كلام من يقول للشيء كن فيكون.

فإذا قالت لك نفسك كيف؟!

فكيف ليس لها موضـع عند رب العزة، قد تكون عندي وعندك، لكن عند رب العزة لا يوجد شـيء اسـمه كيف: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ (١٦البروج) الذي يريده يفعله تبارك وتعالى.

معية الرسول

وبشّرنا بعد ذلك بالبشارة العظيمة التي نحتاجها:

فكل واحد فينا أمله وعشـمه أن يكون مع حضـرة النبي ﷺ، يكون معه في الدنيا يراه ويكلمه ويتمتع به، وينتظره وهو خارج من الدنيا

ويعاني من سكرات الموت فيجد الحبيب منتظره لكي يستقبله على حافة الحياة البرزخية، ويكون معه في الدار الآخرة في الدرجة، فيكون جاره في الجنة ويسكن معه ويجلس معه على الدوام في الدار التي وعدنا الله فيها بالخلود.

هذا الكلام هل من الممكن تحقيقه؟ انظر إلى الله ماذا يقول؟

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾:

من الذين معه؟ لم يقل أبو بكر أو عمر أو عثمان أو علي، ولا الذين في زمانه، ولا الذين في مكانه إن كان في مكة أو المدينة، لكن الذين معه في الأوصاف الكريمة التي وصفها الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

هل أحد فينا عاش في عصر رسول الله؟ لا، لكنه تحدَّث عنا وقال لأصحابه:

{ وَدِدْتُ أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي، فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: أَوَلَيْسَ نَحْنُ إِخْوَانَكَ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْنِي }[١٦١]

فنحن من هؤلاء، وقال:

---

١٦١ مسند أحمد عن أنس رضي الله عنه

{ إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ لأَنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَعْوَاناً وَلاَ يَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَعْوَاناً }[162]

عملنا مضــاعف، لأن الفتن في الزمان مضــاعفة، وكانت الفتن في أيامهم قليلة، لم يكن هناك تليفزيون ولا نت ولا الأشـياء التي تغري الشـباب والكبار بمعصـية الله، ولهذا عملنا مضاعف.

صلاة النبي على المؤمنين

فكلمة: ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾: فتحت الباب لكل من تنطبق عليه هذه الأوصــاف الإلهية، فيكون مع حضرة النبي ﷺ كما ذكرنا، قال سيدنا رسول الله ﷺ لأصحابه يوماً:

{ يَتَكَلَّمُ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي بَعْدَ الْمَوْتِ }[163]

١٦٢ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه
١٦٣ دلائل النبوة للبيهقي وحلية الأولياء لأبي نعيم عن عائشة رضي الله عنها

مر عصر حضرة النبي، وعصر سيدنا أبو بكر، وأتي عصر سيدنا عمر:

وكانت هناك عائلة، كانوا إخوة مجاهدين في ســبيل الله، ومن كبار أهل الإيمان في دين الله، وأخ لهم اسـمه الربيع بن خراش ﵁ مات، فغطوه وذهب أخوته ليجهزوا الكفن والغسل لكي يغسلوه ويكفنوه ويدفنوه، فعندما رجعوا إذا به يجلس ويرفع الغطاء ويقول:

{ السَّلامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ الْقَوْمُ: وَعَلَيْكُمُ السَّلامُ يَا أَخَا بَنِي عَبْسٍ، أَبْعَدَ الْمَوْتِ؟! قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لَقِيتُ رَبِّي ﷻ بَعْدَكُمْ، فَلَقِيتُ رَبًّا غَيْرَ غَضْبَانَ، وَاسْتَقْبَلَنِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانَ وَإِسْتَبْرَقٍ، أَلا وَإِنَّ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ يَنْتَظِرُ الصَّلاةَ عَلَيَّ، فَعَجِّلُونِي وَلا تُؤَخِّرُونِي }[١٦٤]

أتي ليصـلي عليه، لأن الله قال لحضـرة النبي: ﴿ وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡ ﴾ (١٠٣التوبة) فهل يصلي على من كان معه فقط ونُحرم نحن؟! لا !!

١٦٤ حلية الأولياء لأبي نعيم عن عائشة رضي الله عنها

فالآية صالحة لآخر الزمان مات أحد أصحاب النبي ودفنوه ولم يخبروا النبي لأنه كان نائماً، فلما علم، قال لهم:

{ أَفَلا آذَنْتُمُونِي؟! ثم قال: إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلاتِي عَلَيْهِمْ }[165]

ما الذي ينور القبور؟

صلاة سيدنا رسول الله على المؤمنين إلى يوم الدين.

سيدنا ذا النون المصري رضي الله عنه :

كان في القرن الرابع الهجري أي بعد النبي بأربعمائة سنة، هو من أخميم ولكنه سكن في الجيزة، ولما انتقل إلى جوار الله لم يكن في وقتها تليفونات ولا تلغرافات، وكانت وسيلة الإتصال بين المؤمنين الرؤيا المنامية، وكانت صادقة وقوية، وهي التي تُعرِّف الناس أحوال الناس وأخبار الناس.

فحدث أن سبعين رجلاً من الصالحين كلهم رأوا حضرة النبي في المنام، فسألوه: لماذا أتيت يا رسول الله؟ قال: إن حبيب الله ذا النون يزعم المجيء إلينا وقد جئت لاستقباله!.

---

١٦٥ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

أتي ليستقبل هذا الرجل، فكل واحد منهم أخذ مريديه وأحبابه وذهب ليحضر جنازة ذا النون، ولذلك عدد مصر في ذلك الوقت لم يكن يتعدى اثنين مليون، لكن جنازته حضرها حوالي مليون، لأنهم رأوا حضرة النبي أتى لكي يصلي عليه، ويستقبله صلوات ربي وتسليماته عليه .....

لماذا نقول هذا الكلام؟ لكي نعرف أن المعية مفتوحة منذ البعثة النبوية إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها، ولا يستعظم أحد فينا أن يدخلها، فكلنا سندخلها إن شاء الله رب العالمين، لكن لا بد أن نتحقق بالأوصاف التي ذكرها لنا الله في كتاب الله.

أوصاف أهل المعية

١. التراحم فيما بينهم

فالذي يريد أن يكون من أهل المعية، والمعية أي يكون معه في البرزخ، ومعه في الآخرة، ومعه في الجنة، ومعه في كل المقامات العلية، فماذا يفعل؟ أن يكون كما قال الله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾:

لا يكون عنده شــدة ولا غلظة ولا قســوة ولا فجاجة في المعاملة مع إخوانه المسلمين أبداً، والقسوة والغلظة تكون مع من؟

مع الكافرين الظاهرين الذين ظاهرونا بالعداوة، لكن الكافرين الذين بيننا وبينهم سلم يُظهر لهم جمال الدين.

فتكون الشــدة في ميدان القتال مع الكافرين، والشــدة في أخذ الحقوق إن كانت حقوق للأفراد أو للدولة أو للإســلام من غير المســلمين، لكن مع المســلمين يكون أوصافهم الرحمة والشفقة والمودة والعطف والحنان واللين فهذه أوصاف المسلمين مع بعضهم كما بيَّن الله، وزاد النبي في التوضيح.

النبي ﷺ كان يصلي صلاة الغداة أي الفجر، وتأتي بنت من بنات المدينة وتمسك بيده وتطلب منه أن يذهب معها إلى منزلها لأنهم يريدونه، فلا يقول لها: أنت بنت من؟ ولا أين منزلكم؟ ولا ماذا تريدون؟ بل يسلمها يده ويظل يسير معها إلى أن تدخل به في بيتها الذي يريدونه فيه!! ماذا هذا؟ رحمة تامة عامة لكل الكائنات، ونحن؟ قال لنا:

{ الْمُؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ }[166]

هل يوجد مؤمن شديد مع أخيه المؤمن؟! هل يوجد مؤمن يتعامل بالقسوة والغلظة ورفع الصوت وخدش الحياء مع إخوانه المؤمنين؟! هذا ليس له شأن بالإيمان!!وهذا كيف يكون تعامله مع الكافرين؟!!.

ولو كان هناك شخص يريدك في أمر ما، وطلب منك المجيء عنده، فكما قال ﷺ:

{ وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ }[167]

---

١٦٦ مسند الشهاب والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما
١٦٧ سنن أبي داود والطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما

فلا تتشبث برأيك وتتحكم، وهذا أخيك المؤمن لا بد أن تجبر خاطره، وأكبر عبادة يتقرب بها عبد إلى الله جبر خواطر إخوانه المؤمنين، وهذه عبادة الصالحين، وأخوك المؤمن لا يريد منك إلا الكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة، وهو لا يطمع في مالك، وإن طمع في شيء فالمال كله مال الله، وهو يريد فقط جبر الخاطر، وجبر الخواطر هذه عبادة الصديقين والصالحين التي أسسها لهم حضرة النبي صلوات ربي وتسليماته عليه.

ولذلك كانت أحوال أصحاب رسول الله عجب، ونحن نريد أن نستعيدها مرة أخرى إن شاء الله، فعندما كان يسير أحدهم في الطريق يُسلم على كل من يقابله حتى الأطفال الصغار، لأن رسول الله كان يفعل ذلك عندما يسير في الطريق، فكان يُسلم حتى على الأطفال، وعلى النساء، وكان يضع في جيبه تمر أو حلوى يوزعها على الأطفال لكي يحببهم في دين الله تبارك وتعالى، وقال لهم ذلك حين سأله رجل:

{ أَيُّ الإِسْلامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ}[168]

[168] صحيح البخارى ومسلم عن عبدالله بن عمرو ﷺ

ألق السـلام على من عرفت ومن لم تعرف ينشـرح صـدرك للإسـلام، فلماذا لا تلقي الســـلام إلا على من تعرفـه فقط؟! فكل مؤمن أخ لك، ولـه حق عليك: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١٠الحجرات) كلنا أخوة، من الذي جعل هذه الأخوة؟ رب العزة تبارك وتعالى، لذلك كلما أسـير في الطريق أُلقي الســلام على كل من أراه من إخواني المؤمنين، وإذا صافحته وسلمت عليه فيا هناي ويا هناه لقوله ﷺ:

{ إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا صَافَحَ أَخَاهُ تَحَاتَتْ خَطَايَاهُمَا كَمَا يَتَحَاتُّ الشَّجَرِ }[169]

كوني أسلم على أخي المسلم فإن ذنوبي كلها تنزل، وأيضاً ذنوبه، ألسنا بحاجة إلى هذا الأمر؟!! وقال أيضا في الحديث الآخر:

{ إِنَّمَا مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا الْتَقَيَا مَثَلُ الْيَدَيْنِ تَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى }[170]

هذا يغســل هذا، وهذا يغســل هذا، لماذا؟ لأن ذلك يوجد المحبة، فألقي الســلام وأصافح المؤمنين طالما أنا أسير في طريق، الذي أعرفه والذي لا أعرفه، أسلم على الكبير لأن هذا حق علي والصغير لكي يتعلم أن يُلقي السلام.

---

١٦٩ كشف الأستاروالبيهقي عن أبي هريرة ﷺ
١٧٠ آداب الصحابة للسلمي عن أنس ﷺ

حتى أن أصحاب النبي رضوان الله تبارك وتعالى عليهم كانوا عندما يسيرون في المدينة، وكانت المدينة مشهورة بالنخل، وكان النخل في الطرقات، فكانت أحياناً تقابلهم نخلة فيتفرقوا، فجماعة منهم يسيرون من جهة وجماعة من جهة أخرى، وعندما يتلاقون مرة أخرى يصافحون بعضهم البعض، ما هذا؟ كانوا تجار شطار مع الواحد القهار، يريدون أن يأخذوا الأجر مرة أخرى، مع أن الذي فرَّقهم نخلة في الطريق، لكنهم كانوا حريصين على العمل بقول الله: ﴿ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ﴾ .

وكانوا دائمًا يتحسسون أحوال بعضهم، وكل واحد منهم عالم بحال جيرانه، وحال ذوى أرحامه، وحال أهل شارعه، وحال أهل بلده، لكي يجبر خاطرهم، لقوله ﷺ:

{ لَيْسَ بِالْمُؤْمِنِ الَّذِي يَبِيتُ شَبْعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ }[171]

ليس بمؤمن من بات شبعان وجاره جائع ولم يشعر به، فأنا أكل اليوم لحم وجاري ليس معه رغيف عيش، أيكون هذا إيمان؟!! لا بد أن يكون هناك أحاسيس إيمانية.

رجل طلب قرضًا من أخيه، فدخل وأتى له بالقرض، وبعدما أعطاه له دخل بيته وظل يبكي، فزوجته قالت له: لماذا تبكي وقد أعطيت له ما يفرج به عسرته؟! قال:

---

[171] الحاكم في المستدرك والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها

أبكي لأني لم أعطه حتى أتى إليَّ ولم أشعر به قبل ذلك!!

هؤلاء الذين قال النبي فيهم:

{ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى }[172]

أنتم ترون أن الفظاظة والغلظة والقسـوة زادت بين المسـلمين، ويجب أن نرجع مرة أخرى للتراحم والتوادد بين المؤمنين لكي ندخل في معية سـيد الأولين والآخرين ﷺ.

٢. المحافظة على الصلاة

﴿ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا ﴾ وهذا كان أحرص ما يحرصـون عليه، سـأل سـيدنا عبد الله بن مسعود سيدنا رسول الله: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:

{ الصَّلاةُ لِوَقْتِهَا }[173]

[172] صحيح البخاري ومسند أحمد عن النعمان بن البشير رضي الله عنه

[173] البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

المسلمون في هذه الأيام تهاونوا في إقامة الصلاة في أول وقتها، ففي كل بلادنا تدخل المسجد في ساعة الظهر فتجد خمسة أو ستة، فأين الباقين؟! منهم من يجلس في الشارع يتحدث مع غيره، ومنهم من يجلس أمام التلفزيون، وغير ذلك، وليس معهم مصلحة ضرورية، ولماذا لم يأت لأداء الصلاة لوقتها؟! مع أن هذا أول عمل يدل على علو الإيمان عند الإنسان عند حضرة الرحمن تبارك وتعالى.

سيدنا رسول الله ﷺ كان في سفر، وحان وقت الصلاة، وطلب الماء فلم يجدوا، وكان سيدنا رسول الله منظمًا ويا ليتنا نتعلم منه النظام في كل صغيرة وكبيرة، ومن جملة النظام كان معه فرقة تسبق الجيش لترى أماكن الماء لكي ينزل الجيش على أماكن الماء، فواحد من هؤلاء قال: يا رسول الله بيننا وبين الماء حوالي كيلو واحد، لكن رسول الله تيمم وقال:

{ وَمَا يُدْرِينِي لَعَلِّي لا أَبْلُغُهُ } [١٧٤]

ما الذي يضمن لي أني أصل إلى الماء؟! كما يحدث مع الكثير، يكون في بلد أخرى، ويسمع الظهر يؤذن، فيقول في نفسه، سأصلي عندما أرجع إلى المنزل، ولن أنتظر حتى أتوضأ وأصلي هنا، فمن أين تضمن؟! هل معك تصريح من ملك الملوك أن يظل عمرك ممدود حتى ترجع وتُصلي؟!!.

[١٧٤] مسند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما

إذا سمعت الأذان فوراً تلبي نداء الرحمن، ما دمت لست في ضرورة قصوى، مثل شـــخص يركب طائرة، أو شـــخص يركب القطار أو طبيب في غرفة العمليات، فهل يترك المريض ويخرج للصـــلاة؟! بل ينتهي من عمليته أولًا، فهذه تســـمى ضرورات قصوى، لكن إذا لم يكن معي شيء فعندما أسمع الأذان ألبي نداء الرحمن، لأن الذي ينادي عليك ليس المؤذن، ولكن: ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم ﴾ (١٠إبراهيم) يدعوك لكي يغفر لك ذنوبك، ويغسـلك فتخرج طاهرًا نظيفًا ظاهرًا وباطنًا، وحضرة النبي نبَّهنا فقال:

{ أَوَّلُ الْوَقْتِ رِضْوَانُ اللَّهِ، وَوَسَطُ الْوَقْتِ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَآخِرُ الْوَقْتِ عَفْوُ اللَّهِ }[١٧٥]

أنت الآن تجتهد لتجمع درجاتك، فتعرف في أي درجة وضعت نفسك، فالدرجة في أول الوقت درجة الرضوان: ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (٧٢التوبة) والذي يذهب قبل الوقت ولو بخمسة دقائق فهذه الدرجة الأعظم، قال فيها ﷺ:

---

١٧٥ سنن الدار قطني والبيهقي عن أبي محذورة القرشي ﷺ

{ أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ }[١٧٦]

الذي ينتظر الصلاة إلى الصلاة مثل المرابط في سبيل الله الذي يحرس الحدود ويحافظ على بلادنا من أعداء الله تبارك وتعالى.

ولذلك أصحاب حضرة النبي ﷺ ورضي الله تبارك وتعالى عنهم عندما عرفوا هذا الأمر كان الذي يفوته منهم تكبيرة الإحرام الأولي مع الإمام يظلوا يعزوه ثلاثة أيام على الخسارة التي خسرها، وعلى الفضل الكبير الذي حُرم منه، لأنه حرم نفسه من فضل كبير وخسر خسارة عظيمة لا يبلغها أبداً يأخذها الجماعة الذين يصلوا في الصف الأول ويكبروا تكبيرة الإحرام مع الإمام.

والذي يصل إلى المسجد بعد أن يسلم الإمام وتفوته صلاة الجماعة يظلوا يعزوه لمدة أسبوع، لأنه فاتته خيرات لا يعلمها إلا الله، أولها صلاة الجماعة المقبولة، لأنه إذا قبل الله صلاة واحد منهم فإنه يقبل صلاة الجميع من أجله، ومن فينا يحضر في الصلاة من أولها لأخرها؟! لايوجد، ولو وجد فيكون ذلك فذ، لا يوجد مثله، حضرة النبي قال:

---

١٧٦ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

{ صَلاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً }[177]

والفذ أي الحاضر في الصلاة من أولها لآخرها، فكيف نترك صلاة الجماعة؟!!.

فالذين يريدون أن يكونوا مع رسول الله، ومع أصحاب رسول الله، أول شيء يحرصون عليه بعد الرحمة المحافظة على أداء الصلاة في وقتها في جماعة في بيت الله تبارك وتعالى.

العصور التي قبلنا من آبائنا وأجدادنا كان لهم أعذار، فالمياه كانت باردة، ودورات المياه التي في المساجد غير نظيفة، لكن نحن الآن - والحمد لله - كلنا عندنا مياه ساخنة، حتى الحمامات التي في المساجد فيها مياه ساخنة، وكلها حمامات نظيفة، فما عذرنا في ترك الصلاة لوقتها؟! أي إنسان يترك الصلاة لوقتها يعرف جيداً قوله ﷺ:

{ أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ }[178]

---

177 البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما
178 معجم الطبراني عن أنس ﷺ

أول شـــيء يحاســب عليه المرء عند الله يوم القيامة الصــلاة، فإن وجدت كاملة قُبلت وسـائر عمله، وإن لم توجد كاملة رُدَّت وسـائر عمله، لذلك أول شــيء لا بد أن نحرص عليه الصلاة لكي ندخل في قول الله: ﴿ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا ﴾.

هذه العبادات ماذا نريد منها؟ لا نريد حب الشـــهرة ولا حب الظهور ولا الرياء ولا السمعة، ولكن: ﴿ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا ﴾ :

يريدون فضل الله الذي يتفضل به على المؤمنين والمؤمنات، ويريدون رضوان الله الأكبر، وما الرضوان؟ الجنة أنواع، وكل جنة كما قال ﷺ:

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ }[١٧٩]

هذه الجنة الواحدة، فهناك جنة تسـمي جنة الخلد، ويوجد جنة تسـمي جنة عدن، ويوجد جنة تسمي جنة المأوى، ويوجد جنة تسمي جنة الفردوس .. جنان كثيرة جعلها الله للمؤمنين والمؤمنات.

١٧٩ صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة ﵁

وفوق الجنان يوجد مقام آخر يســـمي مقام الرضـــوان، هؤلاء الذين يتمتعون بالنظر لوجه الحنان المنان، فعندما يدخلون الجنة يقول لهم الله تبارك وتعالى:

{ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ، فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لا نَرْضَى، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا }[180]

قال ﷺ:

{ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ }[181]

١٨٠ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ
١٨١ صحيح مسلم والترمذي عن صهيب الرومي ﷺ

هؤلاء يقول الله فيهم: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾ (٨البينة)

فمقام الرضوان فوق الجنان، وهؤلاء لا يريدون

الجنة للأكل والشرب والحور، بل يريدون وجه الله، وجوار رسول الله ﷺ، وهذا في مقام الرضوان الذي فيه سيدنا رسول الله، وفيه الأحباب المحيطين برسول الله، نسأل الله أن نكون منهم أجمعين.

٣. السيميا

هؤلاء كيف يعرفونهم يوم القيامة؟

﴿ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾:

لهم علامة في الوجه، هل يوجد أحد عندما ندفنه نضع معه بطاقته أو جواز سفره؟!! لا، فكيف يعرفونه يوم القيامة؟ كما قال الله: ﴿ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡ ﴾ (٤٦الأعراف) بعلاماتهم.

هل يوجد أحد من الصالحين يحفظ كل أسماء المريدين وألقابهم؟! أبدًا، فكيف يعرفهم؟ بسيماهم، فهؤلاء رجال يعرفون كلًا بالسيميا وهي نور يضعه الله في وجوههم يعرفون به بعضهم بعضاً: ﴿ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾.

البعض لجهلهم يقولون أن السيما هي الزبيبة التي تظهر في وجه الإنسان، لكن هذه الزبيبة تظهر لو أن الإنسان حكَّ وجهه كثيراً!! لكن السيما نور يظهر، وقد يظهر في الدنيا، قال ﷺ:

{ مَنْ كَثُرَتْ صَلاتُهُ بِاللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ }[١٨٢]

من أدام على الصلاة والناس نيام استنار وجهه بين الأنام، ولو ركعتين فقط، وانظر لحديث سيدنا رسول الله:

{ مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ }[١٨٣]

لكن المهم في المداومة، فمن الممكن أن نسير على ذلك أسبوع أو شهر وبعد ذلك نتوقف!، لكن الصالحين بلغوا ما بلغوا بالمداومة، قال ﷺ:

{ أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ }[١٨٤]

فهذه الأوصاف مَن سيتجمل بها سيكون في معية حبيب الله ومصطفاه، ولذلك قال الله لحضرة النبي: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾ (١٥٩آل عمران)

---

١٨٢ سنن ابن ماجة ومسند الشهاب عن جابر بن عبد الله ﷺ
١٨٣ سنن أبي داود وابن ماجة عن أبي سعيد الخدري ﷺ
١٨٤ صحيح مسلم والترمذي عن عائشة رضي الله عنها

الآية واضحة، لكن - سبحان الله!! - في الزمن الذي نحن فيه أناس من المسلمين يأخذون الجزء الثاني ويتركون الجزء الأول في التعامل مع المسلمين، فيعاملون المسلمين بالشدة والعنف والغلظة والقسوة، وأين الرحمة التي مدح الله بها حضرة النبي؟ لا يوجد، مع أن النبي ﷺ قال:

{ الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ}[185]

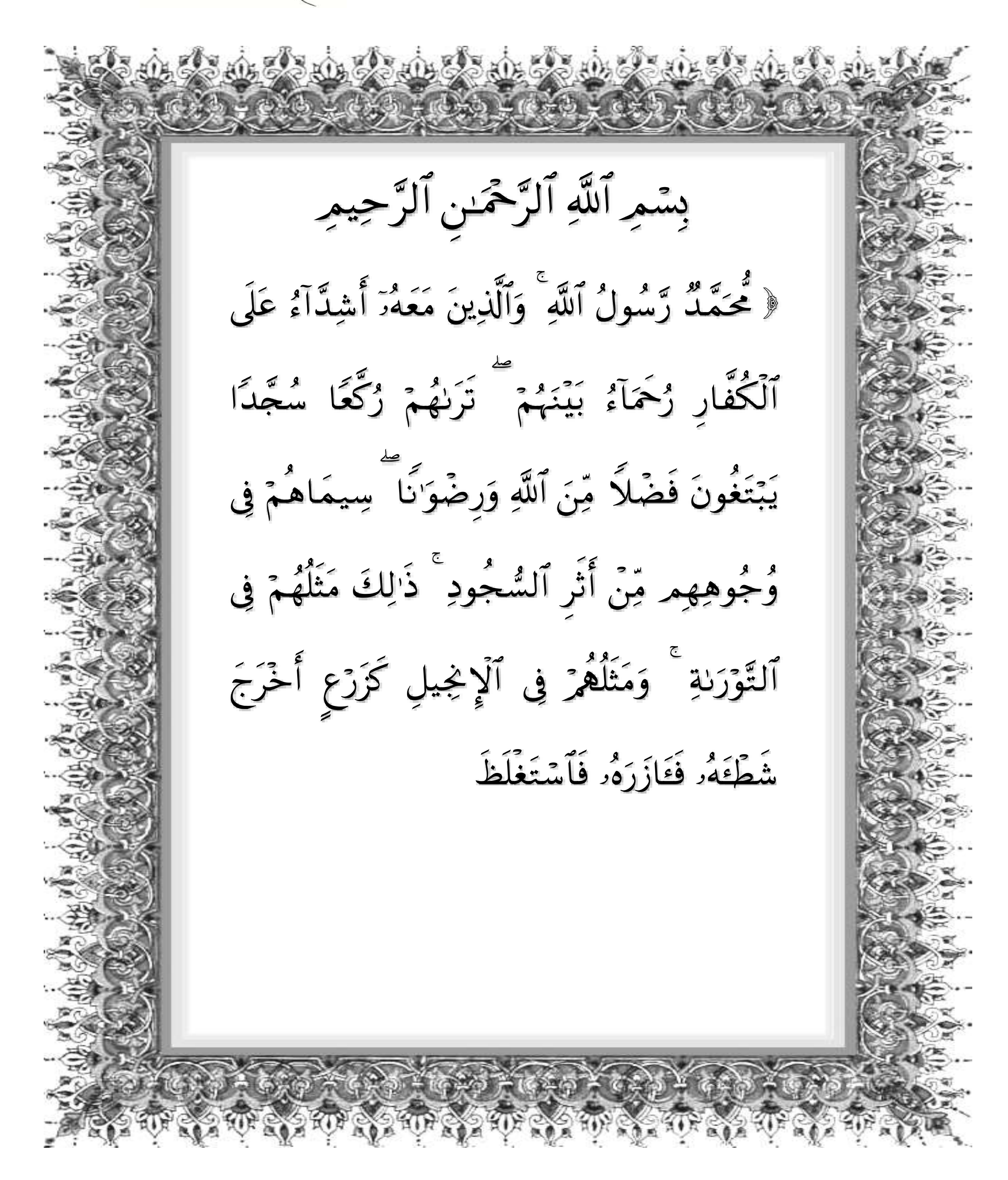
هؤلاء الذين شوَّهوا صورة الدين عند الآخرين، وبيَّنوا لهم أن الإسلام غلظة وقسوة وقتل وترويع وغير ذلك، لأنهم أخذوا غير سبيل سيد الأولين والآخرين ﷺ.

فالرحمة والمحافظة على الصلوات في أوقاتها إذا واظب الإنسان على ذلك فيبشر نفسه ويبشر غيره ممن مشى على ذلك، لأنه سيدخل في قول الله: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ (٦٩النساء) سيكون مع هؤلاء.

185 جامع الترمذي وأبي داود عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

نسأل الله تعالى أن يدخلنا في هذا المقام، وأن يجملنا بجمال هذه الآية، وأن يكتبنا في ديوان أهل العناية، وأن يتوجنا في الآخرة بتاج الولاية، وأن يجعلنا في الدنيا حاملين لواء الرحمة والهداية، وأن يرزقنا على الدوام حسن التأسي بسيد الأنام، وأن يجعلنا رحمة للخاص والعام، وأن ينفعنا بما علَّمنا، وأن ينفع بنا الأنام

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ



فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾

(٢٩الفتح)

١١.المعية[186]

بســـم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي فتح علينا بهداه، وقيَّض لنا مفتاح العناية وباب الهداية وجعله نبينا وحبيبنا؛ سيدنا رسول الله، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وامددنا أجمعين بنورك الواصـــل إليه، واجعلنا أجمعين نســـتمد منه الأنوار والأســـرار والعلوم والأحوال حتى يكون أحب إلينا من أنفســـنا وأولادنا وبناتنا وكل شيء لنا .. آمين يا رب العالمين.

بينَّا كيف فتح الله لنا من فضـــله ومن جوده ومن رحمته، ونحن مقصـــرين في الأعمال، ومقلين في الإقبال على حضـــرة الواحد المتعال، وضـــعفاء في طاعة الله، وشـغلتنا الدنيا والأموال والأولاد والأهواء، لكن مع ذلك جبر الله كسـرنا ببركة حبيبه ومصطفاه، وجعلنا نكون معه، كيف ذلك؟!! ومن نحن لكي نكون مع رسول الله؟!!

ومن قبل كنا ظلاماً وجهلاً فصرنا بطه رجالاً فحولا
أتانا بنور كتاب مبين فأحيا القلوب أعز الذليلا

صاحب الشفاعة

يا هنانا بحضرة النبي ﷺ، سنكون معه في الآخرة ..

[186] إسنا – طفنيس – ديوان الحميرات ١٠ من جماد الأول ١٤٣٩ هـ ٢٠١٨/١/٢٧م

حتى أن بعضنا حضرة النبي سيتنازل له عن بعض خصوصيات حضرته ليتصرف فيها، كيف ذلك؟! خصه الله تبارك وتعالى بالشفاعة، فهو صاحب الشفاعة، والخلق جميعًا يوم الحساب يتوجهون إلي الأنبياء من آدم إلي عيسي يطلبون الشفاعة، والكل يقول: ليس لي شأن بذلك، فيذهبون إلي رسول الله، فيقول:

{ أَنَا لَهَا }[١٨٧]

لكن لماذا لم يذهبوا إلى رسول الله من البداية؟ لو ذهبوا إلى رسول الله من البداية لقال الناس لو ذهبنا إلى أي واحد من الأنبياء كان سيقوم بالمهمة، لكن لا بد أن يأخذوا الدورة لكي يعرفوا أنه الوحيد الذي معه تصـــريح من الحميد المجيد بهذه المهمة: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ ﴾ (٧٩الإسراء) نافلة له فقط، لكن نحن لو صلينا بالليل فذلك حتى نُكمل بها الصـــلاة، فمن منا يصـــلي صـــلاة كاملة؟! لا يوجد، والعبد يأتي يوم القيامة ليحاسب عن صلاته فيقول الله:

{ انْظُرُوا فِي صَلاةِ عَبْدِي، فَإِنْ كَانَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ تَامَّةً، وَإِنْ وُجِدَتْ نَاقِصَةً، قَالَ: انْظُرُوا، هَلْ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَإِنْ وُجِدَ لَهُ تَطَوُّعٌ تَمَّتِ الْفَرِيضَةُ مِنَ التَّطَوُّعِ }[١٨٨]

---

١٨٧ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ
١٨٨ مسند أبي يعلي الموصلي عن أنس ﷺ

لكن من الوحيد الذي صلاته كاملة والباقي نوافل؟ سيدنا رسول الله: ﴿ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ ﴾ (٧٩الإسراء) لك وحدك، لكن نحن لا نستطيع على ذلك: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ (٧٩الإسراء) والمقام المحمود أن كل أهل الموقف سيحمدوه ويشكروه لأنه المنقذ والمغيث من أهوال يوم القيامة، قال ﷺ:

{ أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا، لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلا فَخْرَ }[١٨٩]

وفي رواية أخرى:

{ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ إِلا تَحْتَ لِوَائِي }[١٩٠]

كلهم مستظلين بلواء سيدنا رسول الله ﷺ، وفي بعض الأثر: (وأنا إمامهم إذا صلوا) فأول شيء يحدث في أرض القيامة الصلاة، يدعي الناس للصلاة:

١٨٩ جامع الترمذي والدارمي عن أنس ﵁
١٩٠ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري ﵁

﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴾ (٤٢القلم) الكـاذبـين والمنافقين تطاوعهم الأجسام في الدنيا، لكن يوم القيامة يأتي ليسجد فلا يطاوعه جسمه فينكشف.

من الذي يصلي إمام بكل الأنام؟

الحبيب المصطفي عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، قال:

{ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ }[191]

كل الذي تريده تأخذه إلى أن ترضى: ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ (٥الضحى)

فيُكْرم سيدنا رسول الله ﷺ المُبرزين والمحبوبين من أهل أمته ويوزع عليهم الشفاعات، وكل واحد منهم يأخذ كشفاً يسجل فيه الذي يريد أن يشفع فيهم، سيشفعون في من؟ يقول سيدنا رسول الله:

{ الشَّهِيدُ يَشْفَعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ }[192]

١٩١ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ
١٩٢ سنن أبي داود وابن حبان عن أبي الدرداء ﷺ

وقال:

{ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَحَفِظَهُ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، وَشَفَّعَهُ فِي عَشَرَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلُّهُمْ قَدِ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ }[193]

والعلماء لهم شـــفاعة يوم القيامة، وكل مؤمن له شـــفاعة لكن على قدره، ولذلك قال ﷺ:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَقُولُ فِي الْجَنَّةِ مَا فَعَلَ صَدِيقِي فُلانٌ؟ وَصَدِيقُهُ فِي الْجَحِيمِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَخْرِجُوا لَهُ صَدِيقَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ مَنْ بَقِيَ: " فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ " } قَالَ الْحَسَنُ:(اسْتَكْثِرُوا مِنَ الأَصْدِقَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ لَهُمْ شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ).[194]

استكثروا من الإخوان فإن لكل أخ شـفاعة يوم القيامة، كل واحد فينا له شـفاعة من الشفيع الأعظم سيدنا رسول الله ﷺ.

---

193 سنن ابن ماجة وأحمد عن علي بنأبي طالب رضي الله عنه

194 معالم التنزيل تفسير البغوي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

هذا الفضـــل الكبير الذي حبانا به الله ببركة رســـول الله لا نســـتطيع عده ولا احصـــاءه ولا حتى الإشـــارة إليه لأنه أمر خارج عن الطوق، فإن الله ﷻ أعطاه من فضـــله ما لا طاقة لبشـــر أياً كان بحصـــره أو عده: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ (١٨النحل) لم يقل نِعَم الله، ولكن نعمة واحدة، والنعمة التي هنا هي نعمة سـيدنا رسـول الله، كما قال الله في الآية: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ أي نعمة؟ ﴿ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءً فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنًا ﴾ (١٠٣آل عمران) أصبحتم بنعمته صلى الله عليه وسلم إخواناً.

معرفة أهل الكتاب بالنبي وصحابته

هل نسـتطيع أن نعد هذه النعمة وما فيها من فضـل الله وإكرام الله وعطاءات الله تبارك وتعالى؟ أبدًا، فمن فضل الله ﷻ علينا أنه تفضل علينا وجعلنا من أهل شفاعته، ومن أهل معيته، وبيَّن الله ﷻ لنا - حتى تطمئن قلوبنا - أنه ذكر ذلك حتى للســـابقين، فيما أنزله على موسـى في توراته الصـحيحة، وفيما أنزله الله على عيسـى في إنجيله الصحيح الذي لم يحرف، ذكر هذه الأوصاف،

ولذلك كان اليهود العلماء، والنصارى العلماء في عصر حضرة النبي كما قال الله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ (١٤٦البقرة).

هل يوجد أحد لا يعرف أبناءه؟!! لا، فهم كذلك كانوا يعرفونه ويعرفون الذين معه، ولو استطردنا فيما ورد في هذا الباب سنحتاج إلي وقت طويل، لكنهم كانوا يعرفون أبو بكر بأوصافه، وعمر بأوصافه، وعلي بأوصافه.

وسأذكر مثلاً واحداً فقط: سيدنا عمر بن الخطاب عندما كان خليفة على المسلمين وأمَّر أبو عبيدة بن الجراح قائداً لجيش المسلمين في بلاد الشام، وحاصروا بيت المقدس - الذي سيرجع للمسلمين عن قريب بأمر من يقول للشيء كن فيكون- فالذين كانوا مسيطرين على بيت المقدس من الأحبار والرهبان اليهود والمسيحيين قالوا لأبي عبيده بدلاً من أن ندخل في حرب طويلة نحن مستعدين أن نسلم البلد لكن يأتي لنا عمر بن الخطاب بنفسه ونحن نسلم له المفتاح.

فأرسل أبو عبيدة إليه، فجاء سيدنا عمر وأخذ معه خادمه، وليس معهما غير ركوبة واحدة، وقال لخادمه: أنا أركب بعض الوقت وأنت تسير، وأنت تركب بعض الوقت وأنا أسير!! هؤلاء رجال ربَّاهم رسول الله: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ (٢٣الأحزاب)

اتصــلت بي محبه لنا من الســالكات من المحلة الكبرى بالتليفون وقالت لي: أنا رأيت مولانا الشيخ محمد على سلامة ﷺ وأرضاه وهو قادم من عند حضرة النبي، فقلت له: يا مولانا أنت كنت في زمن الشيخ الشعراوي لماذا لم تشتهر مثله؟! قال: الله يقول: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ ﴾ أي أخذ شهرته في الدنيا مثل الشيخ الشعراوي ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾ الشهرة في الآخرة!!.

فســيدنا عمر كان من هؤلاء الرجال، ولمَّا وصــلوا إلى قريب من بيت المقدس كانت الدنيا أمطرت مطرًا شديدًا، وصنعت ما يشبة بحيرة من الماء، فكان الذي يسير لا بد أن يخوض فيها، وكان الدور في الســير على ســيدنا عمر، والرهبان والأحبار منتظرين على الجانب الآخر، فقال الخادم: يا أمير المؤمنين أنا متنازل عن نوبتي في الركوب لأن الرهبان والأحبار منتظرين، قال له: لا، ورفع ثيابه وخاض في الماء، والخادم راكب، والأحبار واقفين معهم التوراة والإنجيل، فقالوا: أين عمر؟ فأشـــار البعض لهم على الراكب، فقالوا لهم: ليس هذا! عندنا في التوراة والإنجيل أنه يتخوض في الماء حتى يدخل بيت المقدس!! فعندهم حتى كيفية دخوله بيت المقدس، فهي سيرة كاملة أنزلها رب العزة تبارك وتعالى.

﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ ﴾ مثلهم في التوراة الذي ذكرناه، وفي الإنجيل مثل زرع يكون صغيراً في أوله، ثم يُنبت الزرع ويُخرج الورق ﴿ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ ﴾ أي الورق، والورق يكبر ويغلظ وأصبح له ساق، وهذا يُعجب الزراع، أي يكبر رويداً رويداً ليغيظ بهم الكفار.

﴿ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ ﴾ وهنا وقفة لا بد منها لنقف عندها أجمعين، سيدنا الإمام مالك أبن أنس رضي الله تبارك وتعالى عنه صاحب المذهب وكان من الصالحين، فكان عالم وولي، فلما تليت هذه الآية عنده قال: أرأيتم تنبيه الله الذي ذكره في الآية؟ قالوا: ما هذا التنبيه؟ قال: ﴿ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ ﴾ فكل من لا يعجبه ويستهزأ أو يُنزل من مكانة أصحاب رسول الله يدخل في هذه الآية، فيصبح من الكفار.

لماذا أقول هذا الكلام؟ لأنه استشرى في هذا الزمان قنوات فضائية متخصصة في سب الصحابة، مع أن حضرة النبي قال:

{ إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا } [195]

يأتي أحدهم ويقول: هل تعلم ما دار بين الإمام على ومعاوية؟ أنا لم أحضر ولم أره، والذين كتبوا التاريخ كان معظمهم أصحاب أهواء، فالذين مع معاوية قالوا في حق سيدنا علي مالا يليق، والذين مع سيدنا علي قالوا في حق سيدنا معاوية مالا ينبغي أن يقال، لكنهم كلهم وصلوا إلى مقام الاجتهاد، والمجتهد إن أخطأ فله أجر وإن أصابه فله أجران.

كان الأمويين يجعلون الخطبة الثانية في زمانهم في سب الإمام علي - سبحان الله!! – فلما جاء سيدنا عمر بن عبد العزيز وقيَّض الله له أن يتولى الخلافة، فاحتار في هذا الأمر، فرأى في المنام سيدنا رسول الله ﷺ جالس في بهو قصر عظيم، ووراءه ستارة، ووراءها محكمة، وعلى يمينه سيدنا أبو بكر وعلى يساره سيدنا عمر، وبعد لحظات دخل الإمام علي ودخل وراء الستارة، وبعد ذلك دخل سيدنا معاوية ودخل وراء الستارة، وبعد لحظات خرج الإمام علي وقال: قُضي لي ورب الكعبة، وخرج بعده بلحظات سيدنا معاوية وقال غُفر لي ورب الكعبة، وبذلك يكون قد حُفظت القضية!، فما شأننا إذاً؟!!.

---

195 معجم الطبراني عن ثوبان رضي الله عنه

وأنا أقول (سـيدنا) معاوية لأن بعض الناس يقول: لا تقول سـيدنا! لماذا؟!! إنه كاتب وحي، ونسيب حضرة النبي، لأن النبي كان متزوج من أخته السيدة رملة بنت أبي سفيان، وسيدنا عمر عيَّنه حاكم على بلاد الشام، وكان سيدنا عمر صاحب فراسة فلا يعين إلا الرجل الذي يتفرس فيه ويعلم ما بداخله.

فجمع سيدنا عمر بني أمية، و قال: شيء لم نحضره ولم نشارك فيه بسيوفنا لا نخوض فيه بألسـنتا، وألغى ما كانوا يقولونه في الخطبة الثانية، وأمرهم أن يقولوا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٩٠النحل) فهو الذي سنَّ هذه السنة الحسنة حتى لا نخوض في أصحاب رسول الله أبداً، فالذي يخوض في أصحاب رسول الله ويغتاظ منهم يكون من الكفار، الشيعة الذين يخوضون في السيدة عائشة رضي الله عنها، والتي برأها الله تعالي في كتاب الله، ويخوضـون في سـيدنا أبو بكر، ويخوضـون في سـيدنا عمر، ويخوضون في سيدنا أبو هريرة، ويقولون أنه ألَّف أحاديثاً ونسبها لرسول الله! فهؤلاء لا نفتح قنواتهم وهي كثيرة، ولا نسمعها ولا نقف عندها، ولا نتحدث مع أي إنسان أياً كان في أي زمان ومكان في تفضيل صحابة النبي، فليس لنا شأن بذلك، مَن الأفضل؟ مَن الذي على الحق؟ لا شأن لي بذلك، إنا ليس لنا شأن بهذا، قال ﷺ:

{ لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ}[196]

لا يساوي قدح من الذي أخرجه صحابة النبي، ويكفيهم شرفاً أنهم رأوا حضرة النبي، وتملوا بحضرة النبي ﷺ .... أصحاب حضرة النبي على العين والرأس، والذي حدث بينهم اجتهاد، وهم بلغوا مقام الاجتهاد، والمجتهد إن أخطأ فله أجر، وإن أصاب فله أجران كما أخبر حضرة النبي ﷺ، ولا يوجد حديث يذكر أنَّ عليه وزر.

إذاً لا شأن لنا بهذه الأمور، ولا نقف عندها، ولا نتحدث بشأنها أبدًا، وشبابنا إذا كان يريد أن يستزيد بالمعرفة بهذه الأحوال فهناك كتاب عظيم يوجد مخارج طيبة لكل هذه القضايا للقاضي بن العربي ﷺ وأرضاه اسمه (العواصم من القواسم) يعني الذي يقع في أصحاب رسول الله سينقصم ظهره، ما الذي يعصمه من هذه القواصم؟ يعرف الردود الطيبة، وهو موجود في السوق ومتوفر، فيه رد لكل الشبهات الموجودة في كتب التاريخ عن صحابة رسول الله ﷺ، وأتى فيه بالحجج التي يقبلها العقل ويقبلها القلب، لكي نخرج من هذه الأمور سالمين غانمين في الدنيا ويوم الدين إن شاء الله رب العالمين.

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾ الذي يسير على هذه الأوصاف القرآنية التي ذكرناها في هذه الآيات، يكفيه أن الله سيغفر له.

---

١٩٦ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ

بدأ السورة بحضرة النبي وقال له: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾

(٢الفتح) وختمها بأصحاب أحباب النبي، ونحن منهم، ووعدنا بالمغفرة والأجر العظيم، والأجر العظيم من العظيم هل يستطيع أحد أن يصفه أو يحده أو يعده أو يعرفه؟!!.

الأجر العظيم من العظيم سبحانه وتعالى أعلاه وأرقاه وأبهاه هو أن يبيحه النظر إلي جمال وجهه تبارك وتعالى، ويدخل في قول الله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة) وهؤلاء لا يرضوا بغير ذلك.

سيدنا رسول الله وعدنا أن كل مؤمن ساعة الموت سيرى درجته ومنزلته في الجنة لكي يطمأن ويفرح بلقاء الله، فلا يوجد مؤمن يخرج من الدنيا وهو حزين، لأن الحزين هو الآخر الذي يخرج منها بمعاصي ولم يتب منها، ولا يوجد فرصة عنده للتوبة، لكن المؤمن يخرج فرح بلقاء الله ﷻ.

سيدنا عمر بن الفارض ﷺ وأرضاه في اللحظات الأخيرة أروه منزلته في الجنة فقال:

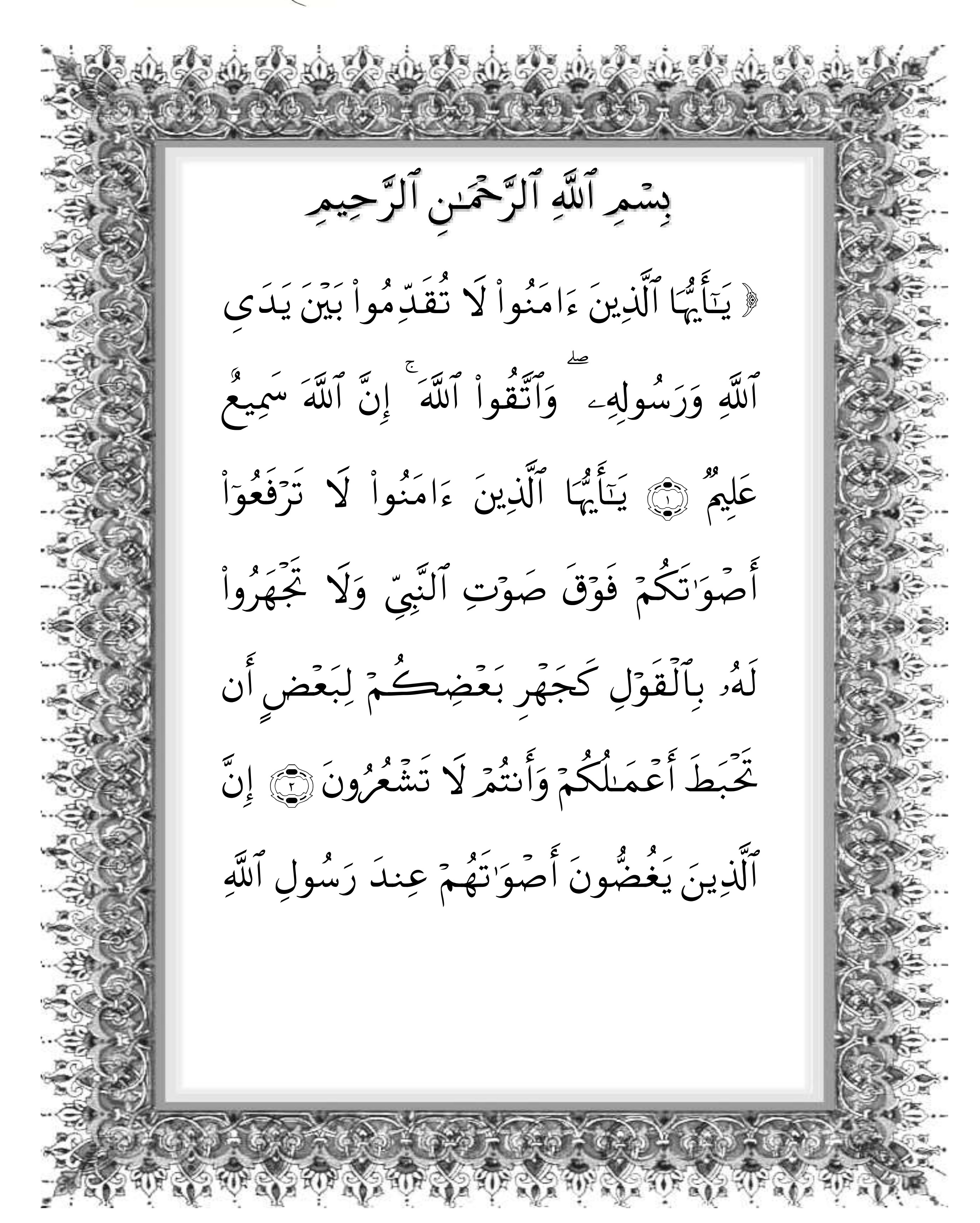
فإن تك منزلتي في الحب عندكم ما قد رأيت فقد ضيعت أيامي
أمنية ظفرت روحي بها زمناً واليوم أحسبها أضغاث أحلامي

أنا لا أريد الجنة، فماذا تريد؟ كل أمنيتي وجه الله: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ (٢٨الكهف) ليس جنته، ولكن يريدون وجهه.

فكشـف الله ﷻ له الغطاء، بعد أن أعطاه العطاء، الذي يسـتطيع به أن ينظر إلى مُشَـيِّئ الأشـياء، لأنـه لا يسـتطيع أحد أن ينظر لحضـرة الله إلا إذا أعطاه الله من نوره وجماله ما به يتملى بوجه الله جل في علاه، وخرجت روحه على هذه الهيئة وعلى هذه الصفة إن شاء الله.

نســأل الله تبارك وتعالي أن يجعلنا أجمعين من طلاب الوجه العلي، وأن يجعلنا من أهل المزيد عند الحميد المجيد، وأن يجعلنا من الذين لا ينشــغلون عن الله طرفة عين ولا أقل، وأن يجعلنا من خيار المقبلين إليه، ومن أحب المقربين لديه، وأن يقيمنا في مقعد الزلفى بين يديه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ

أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٤ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥﴾ (الحجرات)

١٢.الأدب مع رسول الله[١٩٧]

بســـم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي أنزل لنا في كتاب الله ما به رفعتُنا في الدنيا وسـعادتُنا يوم نلقى الله، والصــلاة والســلام على سـيدنا محمد نبي الله ومجتباه، الذي أدبَّه مولاه فأحســـن تأديبه، وبيَّن أنه وصـــل في مقام الأدب مع مولاه إلى ما لم يصل إليه أحدٌ من خلق الله، حتى أنبياء الله ورُسل الله، فقال مثنياً عليه في كتاب الله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤القلم) صلَّى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصحابته المباركين، وكل من اهتدي بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

أعلمنا الله تبارك وتعالى في قرآنه، والرسول صلوات ربي وتسليماته عليه في بيانه، أن أحوج ما يحتاج إليه العبد لينال رضا مولاه، ويفوز بالمقام العظيم في القُرب من حضـــرة الله، هو الأدب مع مولاه، والأدب مع رســـول الله، والأدب مع إخوانه المؤمنين، والأدب مع جميع خلق الله ... لو كان أقرب ما يتقرب به العبد إلى مولاه هو العبادات والطاعات، فقد بيَّن الله لنا أنه كان هُناك عابد عبد الله اثنتين وسبعين ألف سنة، لم يغفُل عن الله ﷻ طرفة عين فيها،

---

[١٩٧] إسنا – طفنيس – مسجد الطومية ١٢ من جماد الأول ١٤٣٩ هـ ٢٠١٨/١/٢٨م

ولم يترك موضع أربع أصابع في السماوات السبع إلا وسجد فيه سجدة لله، لكنه في لحظة أســـاء الأدب مع مولاه، فكانت النتيجة أن طُرد من رحمة الله في الدنيا والآخرة!!، وهو إبليس، فمن الذي يســـتطيع أن يعبد الله كهذه العبادة؟ لا يوجد، إذاً العبرة بالأدب.

فضل الأدب

الإمام مالك ﷺ وأرضـــاه، وكان من العلماء العاملين، لأن البعض يظن أن التقرب إلى الله بالعلم فقط، فكان له شـــيخٌ يتعلم على يديه اســـمه الربيع، يقول الإمام مالك: تعلمتُ على يد الربيع عشرين سنة، ثماني عشرة سنة في الأدب، وسنتان منها في العلم، ويا ليتها كانت كلها في الأدب.

لأنه عرف أن الغاية كلها في الأدب، وهذا الذي جعل الصـــالحين أجمعين؛ أهم ما يُركزون عليه في تربية المريدين الآداب التي كان عليها الصـــحابة والتابعين مع النبي الأمين، والتي كان عليها الصـالحون إلى يومنا هذا، وستستمر إن شاء الله إلى يوم الدين، وكان إمامنا أبو العزائم ﷺ له الباع الطويل في ذلك، فكان يقول: (حافظ على الأدب ولو رُقِّيت إلى أعلى الرتب) حتى ولو كان في أعلى رُتبة في القرب من الله وأســـاء ربما تكون عقوبته الطرد من حضـــرة الله تبارك وتعالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ (٢٣الأنبياء) أو تكون عقوبته الحرمان أو الصد أو الهجران.

أو - والعياذ بالله - السلب بعد العطاء، كالرجل الذي ضربه لنا الله مثلاً في كتاب الله من قوم سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾ (١٧٥الأعراف) كان يتقرَّب إلى الله، ويجلو صـــدأ قلبه، حتى وصـــل في مقام الكشف إلى أنه كان يطَّلع على اللوح المحفوظ وهو في مكانه، وكان يُستشفى بدعائه ولا يُردُّ له دعاء، هذه الإكرامات جذبت الطلاب حوله فكان مريديه ســـبعين ألف مريد!! ولكنه أســـاء الأدب مع الله تبارك وتعالى، كأنه لم يرضَ بما قدَّره عليه مولاه، فحكم الله تبارك وتعالى عليه بالطرد من حضرته: ﴿ فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾ (١٧٥الأعراف) يعني سُلب، فسلبه الله تبارك وتعالى كل ما أعطاه له من عطاءات، وضـرب له مثلاً قبيحاً فقال: ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث ﴾ (١٧٦الأعراف).

وكـان هـذا عظـة وعبرة للعلمـاء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليهـا، ولـذلـك الإمام أبو العزائم يُبين ما ينبغي أن يكون عليه العلماء، فقال:

العلم يجعلني أخشى من الرب	أراقب الله بالأعضاء والقلب
إن لم أكن أخشى من ربي فمن	جهلي وإن علمت علوم الكشف والغيب
وإن تحصَّلتُ من علمٍ ومن فقهٍ	مثل الجبال الرواسي لم يزُل حجبي

فالغاية من العلم الوصول إلى خشية الله: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ﴾

(٢٨فاطر) والأدب قال فيه إمامنا أبو العزائم للمبتدئين وللمنتهين، فقال للمبتدئين: (الزم الأدب، وإلا فانتظر العطب) وقال للمنتهين: (حافظ على الأدب ولو رُقيت إلى أعلى الرُتب).

فكل السالكين والواصلين والعارفين والمتمكنين والأفراد والوارثين، في حاجة ماسة شديدة إلى الأدب مع الله، ومع حبيب الله ومصطفاه، ومع إخوانهم المؤمنين، ومع خلق الله تبارك وتعالى أجمعين... والرسول ﷺ كان شديد الحياء، كان من شدة حيائه لا يواجه إنساناً بما يسيئُه وإن أخطأ، والخطأ ظاهر، فيستحي أن يقول له: أخطأت في كذا، ولكي يُوجهه كان يأتي في مجلس كمجالسنا هذه ويقول: ما بال أقوامٍ يفعلون كذا؟! ما بال أقوامٍ لا ينتهون عن كذا؟! فإذا فهم الإشارة فيا هناه لأنه سيفوز، وإذا قال: هذا الكلام ليس لي، هذا الكلام لغيري من الحاضرين وأنا لستُ منهم، فقد ضاع لأنه لم يفهم إشارة حبيب الله ومصطفاه ﷺ!!

فتولَّى الله تبارك وتعالى بذاته تأديب أصـــحابه حتى يكون قانوناً ثابتاً للآداب الإلهية إلى يوم الدين، وعلَّمهم كيف يتأدبون مع حضـــرة النبي في الجلوس بين يديه؟ وكيف يتأدبون في زيارته؟ وكيف يتأدبون في الحديث معه؟ وكيف يتأدبون إذا دعاهم إلى طعام؟ كل الآداب التي يحتاجون إليها ذكرها الله تبارك وتعالى.

فجاء السادة العُلماء الحُكماء العُرفاء وقالوا: أدب الصحابة الأجلاء مع حضرة النبي هو ما ينبغي أن يكون عليه المريد السالك مع الشيخ الولي.

نشرب هذه الآداب لأنفسنا لكي نرتقي كما ارتقوا، ونصل إلى ما وصلوا إليه، وإياك أن تتهاون بشـــيء من الأدب ولو قليل، لأن الأدب عنوان الذوق الرفيع، والفهم البديع والإقبال الأفضـــل على الله تبارك وتعالى.. الرســول ﷺ علَّمهم أنهم لا يفعلون شيئاً إلا بعد أن يروا حضرته، لكي يتبعوه ويقلدوه في العمل، أرادوا أن يُصَلُّوا، فقال لهم:

{ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي }[198]

ليس شـــرحاً نظرياً فقط، ولكن لا بد وأن يشـــاهدوا المثال العملي، حتى تكون الصلاة مطابقة لما يُحبه الله ويرضاه.

١٩٨ البخاري ومسلم عن مالك بن الحويرث ﷺ

أدب المتابعة

إذا أرادوا أن يعملوا أي عمل لله، فلا بد أن يعملوه على النُموذج الأمثل الذي فعله سيدنا رسول الله: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١الأحزاب).

فلما نزل قول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ (٢الكوثر) لمن هذا الأمر؟ لرسول الله ومن معه، فما الواجب عليهم أن يعملوه؟ ينظرون ماذا يفعل وينفذون، ينظرون متى يذبح ثم يذبحوا، فلا يسبقوه ولا يتعجلوا، لأن النفس جُبلت على العجلة: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولاً ﴾ (١١الإسراء) فماذا نفعل يا رب؟ قال: ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ (٣٧الأنبياء) دائماً سكِّن العَجَلة الموجودة عند النفس بالتأنِّي والحذر.

فجاء جماعة يوم عيد الأضحى وكانوا متعجلين كعادة الإنسان النفساني، وأسرعوا إلى أُضحايتهم وذبحوها قبل أن يُصلي حضرة النبي صلاة العيد، وقبل أن يذبح حضرة النبي،

فعلَّمهم الله ﷻ على الفور الأدب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ وهذا نداء لكل المؤمنين من بدء الدنيا إلى يوم الدين، لأنهم كما أنهم مُخاطبين، فنحن أيضاً مُخاطبين؛ أننا لا نقدم رأي ولا عمل إلا بعد أن نتيقَّن من عمل النبي ﷺ لهذا الأمر.

وهذه كارثة كبيرة ظهرت في زماننا هذا، فكثير من الناس الآن يُفتي لنفسه ويُفتي لغيره، ولا يعرف صحيح الدين، لكنه يظن أن الموضوع (فهلوة)!! لكن الفهلوة في الدنيا، لأنك تضحك على فلان وتغُشُّه في كذا، أو تخدعه في كذا، مع أن هذه لها عقاب أليم في الدنيا ويوم الدين، لكن هذه الفهلوة لا تجب مع رب العالمين.

إذا عرفتُ وتأكدتُ أعمل كما كان يعمل النبي، فإذا شككتُ في أمري: ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (٤٣النحل) من يتكبَّر أن يسأل فهذا يسيئ الأدب مع الله، ويقع في خطأ فادح ليس له ردٌّ، لأن المفروض أن لا يعمل شيئاً ويقدمه على ما فعله أو رآه أو أمر به أو نهى عنه سيدنا رسول الله ﷺ.

ولذلك أنا أُحذِّر الأحباب جميعاً ليس لنا شـــأنٌ بالإفتاء، فلا نُفتي أحداً، إلا إذا كانت مسألة أنا متأكد منها، وموضوعات الطلاق إياكم أن تفتوا فيها، ومشيخة الأزهر جعلت في كل مركز لجنة للفتوى، فمن يأتيك قل له: اذهب للجنة الفتوى التابعة لمشيخة الأزهر، وخذ فتواك منهم، ودار الإفتاء يردون على بعض الفتاوي بالتليفون، لكن الفتوى الممنوعة عندهم على التليفون هي فتوى الطلاق، والذي يريد فتوى في الطلاق لا بد أن يذهب إليهم هو وزوجته، حتى يكون الكلام في مواجهتهما، لماذا؟ لأنهم رأوا أن الناس تكذب، ويريد أن يفتي له المفتي، ويقول: ضــــعها في رقبة عالم واطلع منها سالم!!!.

لذلك نحن ليس لنا شأنٌ بهذه الأخطاء الشنيعة، كأن يتكلم معك زميل في العمل، في أمر طلاق، فهل تقول له: لا تذهب هنا أو هناك وأنا سأُفتيك!! وهذا الكلام يحدث، فتجد مفتين في كل زمان ومكان، وليس معهم شــــهادة افتاء، وليس معهم علم كامل يؤهلهم لهذا الأمر وهو الإفتاء، وهذه كارثة انتشرت في هذا الزمان وفي هذا العصر والأوان، وأنتم أحسبكم والحمد لله من الثُلة المباركة الذين يقول فيهم حضرة النبي ﷺ:

{ لا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ }[199]

[199] البخاري عن معاذ بن جبل ومسلم عن ثوبان

استفت دائماً، حتى ولو أنك تعرف رأي فلا مانع من معرفة رأي جديد، أو حكم جديد، حتى يكون عملك كله مُسدَّد ورشيد على نهج النبي، وعلى كتاب الله الحميد المجيد سبحانه وتعالى ... فهؤلاء عندما ذبحوا قبل حضرة النبي عاتبهم الله تبارك وتعالى فقال لهم:﴿ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ لا تقدموا أمراً على أمر الله ورسوله، وهناك قراءة أُخرى: ﴿ لا تُقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيِ الله وَرَسُولِهِ ﴾ وهذه ظهرت في هذا العصر من الجماعة المتفرنجين، يقول: الدين يقول كذا، ولكن هذا الكلام كان في عصر النبي وعصر الصحابة، لكننا في عصر جديد ونريد أن نُغير هذا الكلام!!

فهل أنت من يُغير؟!! وهذه مصيبة كبرى ... الإسلام سمته الأساسية أنه صالحٌ لكل زمان ولكل مكان، فكل أحكام الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، ولكنها تحتاج لرجال علِموا وعملوا ففقههم الله سبحانه وتعالى أحكام كتابه، وبيَّن لهم النبي ﷺ في صدورهم أو في أذانهم الحُكم الصواب الذي يقتضيه هذا الأمر.. الإنسان فينا لا يقدم عملاً إلا إذا كان قد تأكد أنه على هدي النبي، وأنه يتأسى فيه بحضرة النبي، وأنه يتابع فيه حضرة النبي ﷺ: ﴿ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ الذي يخالف هذا الأدب يتقي الله، يعني يخاف من الله، لأنه كيف يخالف رسول الله ﷺ؟!!

والله ﷻ حذَّر في القرآن وقال لمن سيمشي خلفه: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾ (٥٤النور)

وقال للمخالفين: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٦٣النور).

انذار شديد اللهجة من رب العالمين، لمن يخالف هدي النبي، وسنة النبي في أي أمر في حياته الدنيا، إن كان لأمر دنيوي تشـــريعي، أو لعبادة يقصـــد بها وجه الله، ويريد بها رضـــاه تبارك وتعالى ... وعرَّفنا لكي نعرف دائماً أن كل ما ينطق به اللســان، حتى ولو لهو، حتى ولو عبث، فأول من يســمعه حضــرة الرحمن: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ إذا عرفت أن كل كلمة تخرج من لســاني ســيســمعها أولاً الله، فأرعوي وأردع نفســي، فإما أن أقول الحق وإما أن أسـكت، إما أن أقول الكلام الذي يُحبه الله، وإما أن أصمت، لأن كل كلمة يسمعها رب العزة تبارك وتعالى ... وهل يسمعها فقط؟ لا، بل عارف وعالم وعليم بالنية المصاحبة للكلمة التي في صدري، فكل كلمة تخرج لها نية، فأنت عندما تريد أن تتبرأ من كلام قلته تقول: كانت نيتي حســنة في هذا الكلام، وهذا للأنام، لكن عند رب العزة ماذا تقول له؟!!

﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ (٢٨٤البقرة) يعلم ما في حنايا الصدور، ويعلم ما في طوايا القلوب، ويعلم كل شيء تظن أنه خاف على الخلق، لكن لا تخفى على الله فيك خافية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ (٥آل عمران).

وهذا هو الأدب الأول الذي علَّمه لنا الله، أننا لا نعمل أي عمل إلا إذا تأكدنا من المتابعة فيه لرسول الله ﷺ، فإذا لم نعرف لا نتحرَّج أن نسأل، لأن كل إنسان فينا ولو كان عالم العلماء سيظل طالب علم حتى يلقى الله، وحتى رسول الله الذي علَّمه الله علوم الأولين والآخرين قال له الله: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ (١١٤طه) فلا نهاية للعلم، لأنه لا نهاية لحضرة العليم سبحانه وتعالى.

الأدب في مخاطبة النبي ﷺ

موقف آخر يعلِّمنا كيف أن سيدنا رسول الله ﷺ تحمَّل هؤلاء الناس الجُفاة الغِلاظ قُساة القلوب، الذين كانوا أشدُّ من الوحوش في التعامل فيما بينهم، لكنه تحمَّل وصبر إلى أن غيَّرهم رأساً على عقب وبدَّلهم من هذه الأخلاق الوحشية إلى أخلاق ملكوتية، فأصبحوا كأنهم ملائكة يمشون على الأرض.

عائلة اســمها (بنو ســليم) وكانوا قريبين من المدينة في البادية، وأخلاق البادية لوجود الجبال والصحاري دائماً يكون فيها جفاء وغلظة، فجاءوا إلى حضرة النبي ﷺ في أمر، ووصــلوا بعد أن صــلَّى النبي الظُهر بفترة، والنبي كان حريص أن ينام في هذه الفترة وهي فترة القيلولة، وكان يقول للذين يريدون أن يكونوا معه:

{ اسْتَعِينُوا بِالْقَيْلُولَةِ عَلَى الْقِيَامِ }[٢٠٠]

هذه القيلولة كان ينام فيها لحظات، لأن الله قال له: ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (٢المزمل)

فيأخذ هذه اللحظات ليســتعين بها على القيام، فســألوا: أين الرســول؟ قالوا لهم: نائم، فماذا يفعلون؟ والرسـول ﷺ كان عنده تسـع بيوت بتسـع زوجات، فقسَّمُّوا أنفسـهم كل جماعة تذهب لبيت وينادون بصوت عال: يا محمد يا محمد يا محمد، ما هذا الأدب؟!!

فالله ســبحانه وتعالى علَّمهم وأمثالهم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾.

[٢٠٠] العلل لابن أبي حاتم

لا بد أن يكون هناك فرقٌ بين الأستاذ والطالب، الأستاذ يتكلم بصوت عالٍ ليُسمع الكل، لكن الطالب يتكلم بصوت خافت أدباً مع أستاذه!! كيف تنادون عليه هكذا؟! وكيف توقظوه من النوم؟! وهل من الأدب أن توقظوه من النوم؟! لا، وهذا الكلام أيضاً يحدث مع بعض المريدين مع مشايخهم، كثيرٌ منهم يتصل بالتليفون: أين فلان؟ يقولون له: إنه نائم، يقول لهم: أيقظوه لأنني أريده في أمر ضروري، لماذا لا تؤجل أمرك هذا ساعة حتى يأخذ الرجل حظه من النوم؟!! لكن هذا يكون من عدم التوفيق، فأكبر نعمة يمُنها الله تبارك وتعالى على المريد نعمة التوفيق، لأن التوفيق عزيز لم يُذكر في كتاب الله إلا مرةً واحدة وعلى لسان نبي: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ (٨٨هود).

الموفَق علامته قال فيها الإمام أبو العزائم ﷺ: (المريد الصادق يفهم إشارة المرشد قبل كلامه) ، فكنا نعرف ماذا يريد الشيخ بدون أن يتكلم، وهذا إحساس رباني نوراني دليل على توفيق الموفق تبارك وتعالى.

عقوبة ترك الأدب

فعاتب الله هؤلاء القوم وقال لهم: ﴿ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ وأيضاً لا تتكلموا معه كما تكلمون بعضكم: ﴿ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ﴾ فأنتم تنادون على بعضكم: يا فلان يا فلان، ولكن لا تقولون لرسول الله: يا محمد، ولكن تقولون له: يا نبي الله أو يا رسول الله أو يا حبيب الله أو يا صفيَّ الله، لأنه ليس مثلكم، ولا بد أن يكون مميزاً!! والذي سيقع في ذلك ستكون مصيبته الكبيرة: ﴿ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ وهذه خطورة هذه الآداب، تُحبط العمل، يعني تُبطله، يأتي العمل يوم القيامة فيجعله الله تبارك وتعالى هباءاً منثورا: ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴾ (٢٣الفرقان) عندما نزلت هذه الآية فإن الصفوة ومنهم سيدنا أبو بكر قال له:

{ وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لا أُكَلِّمُكَ إلا كَأَخِي السِّرَارِ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ ﷻ }[٢٠١]

٢٠١ الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة رضي الله عنه

يعني كمن يهمس في أذن صاحبه، ومشى على ذلك، وكانوا إذا ذهبوا إلى بيت حضرة النبي ينقرون البيت بأظافرهم، فلا يطرق الباب بيده، ولكن بالأظافر، مع أن أبواب البيوت قديماً لم تكن كأبوابنا، بل كانت أبواباً كبيرة، فماذا تفعل فيها الأظافر؟! لكن كان ذلك من حرصهم على الأدب مع حبيب الله ومصطفاه، كان رجل من أصحاب رسول الله اسمه ثابت بن قيس ﷺ، وكان صوته جهوري، وكان النبي ﷺ إذا أراد أن ينادي أمراً في مجتمع كبير كالجيش أو ما شابه ذلك فإنه يتكلم وثابت يُبلِّغ، كالبلاغ في الصلاة، فكان يبلغ في الصلاة ويبلغ كلام رسول الله ﷺ في الجموع الكثيرة.. هذا الرجل عندما نزلت هذه الآية قال: أنا صوتي مرتفع وقد حبط عملي، وحبس نفسه في حُجرة، وقال لزوجته: ثبتي الباب من الخارج بالمسامير حتى لا يفتح عليَّ أحد ولن أخرج لأنني ضعت!!، كانت قلوبهم حساسة في الأدب مع الله ورسوله.. ولما افتقده النبي ﷺ مدة من الزمن سأل عنه، فقالوا له: صنع كذا، فطلب منهم أن يأتوا به، فجاءوا به للرسول، فَسَأَلَهُ عَنْ أَمْرِهِ، قال:

{ إِنِّي امْرُؤٌ جَهِيرُ الصَّوْتِ، وَأَخَافُ أَنْ يَكُونَ قَدْ حَبِطَ عَمَلِي، فَقَالَ: بَلْ تَعِيشُ حَمِيدًا، وَتَمُوتُ شَهِيدًا، وَيُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِسَلامٍ }[٢٠٢]

٢٠٢ الحاكم في المستدرك والطبراني عن قيس بن ثابت ﷺ

لماذا؟ لأنه كان ينفذ ما يريده الرسـول ﷺ، وظل حتى موقعة اليمامة مع سـيدنا خالد بن الوليد وحارب في الموقعة، وفعلاً مات شـهيداً كما أخبر النبي ﷺ!!حتى قالوا أن سـيدنا عمر كان أيضـاً صـوته جهوري، لكنه كان إذا تكلم مع حضـرة النبي لا يسـتبين النبي كلامه من شـدة خفض صـوته، فيطلب النبي منه أن يُعيد الكلام ويرفع صـوته قليلاً، مع أنه جهوري الصـوت!. هؤلاء وأمثالهم قال فيهم الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾ نجحوا في امتحان التقوى.

جزاء أهل الأدب

هؤلاء ماذا لهم؟ ﴿ لَهُم مَّغۡفِرَةٌ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾ والأجر العظيم لا يعلمه إلا حضـرة العظيم تبارك وتعالى، وهذا كله بالأدب مع رسـول الله، وبغض الصـوت عند الحديث مع حبيب الله ومصطفاه صلوات ربي وتسليماته عليه.

والذين نادوا من وراء الحجرات قال فيهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ هؤلاء ليس معهم عقول، لأنهم لو كان معهم حتى عقول عادية وذهبوا إلى أي إنسان لمصلحة وعلموا أنه نائم في وقت الظهيرة، يجب أن يتركوه حتى يستيقظ.

سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان لا يتحرَّج عن طلب العلم من صحابة النبي، مع أنه ابن عم النبي!!، وكان يذهب إلى الصحابة الأجلاء في وقت القيلولة، وينتظر خارج البيت حتى لا يتركوه وهم ذاهبون إلى الصلاة، والرياح في المدينة في الصيف سموم، والجو شديد الحرارة، وأحياناً الرياح يكون معها رمال، ولكنه يتحمَّل في سبيل أن يأخذ هذا الرجل من البداية ويمشي معه.

وليس ذلك فحسب بل كان يذهب إلى سيدنا زيد بن ثابت يتعلم منه علم الفرائض أي علم الميراث، الذي علَّمه له رسول الله، فكان ينتظر حتى يخرج الرجل، ويأتون له بالبغلة يركبها حتى مسجد رسول الله، فيسحب سيدنا عبد الله البغلة، فيقول له سيدنا زيد: يا ابن عم النبي لماذا تفعل ذلك؟! فيقول: هكذا أُمرنا أن نفعل بعلمائنا، فيقول له: هات يدك لتسلم عليَّ، فيُقبِّل يده ويقول له: وهكذا أُمرنا أن نفعل مع آل بيت نبينا، أدب مع أدب، آداب عالية، فكانوا في غاية الأدب مع بعضهم.

فكان طُلاب العلم - مع أن العلم فريضة - لا يذهبون إلى عُلمائهم ليطلبوا العلم في وقت القيلولة، وإذا ذهبوا يجلسون خارج المنزل حتى يتأكدوا أنهم استيقظوا وتهيأوا لصلاة العصر، فيخرجون معهم، لماذا؟ حتى يخرجون من القوم الذين نعى عليهم الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾.

والحجرات هي مساكن زوجات حضرة النبي، لأن كل واحدة منهن كان لها حُجرة واحدة وفيها كل شيء، ولذلك عندما تزوج سيدنا رسول الله السيدة زينب بنت جحش، ودعا أهل الصُفَّة ليأكلوا الوليمة، فماذا تفعل وهم جالسون في الحجرة؟! جلست ووجهها للحائط، وظهرها لهم حتى ينتهوا من الأكل، لكن جماعة منهم كانوا غير مهذبين، فبعد الأكل جلسوا يستأنسوا ويتكلموا!!، وحضرة النبي تركهم وقام حتى يفهموا، ودار على زوجاته وعاد فوجدهم كما هم، فرجع مرة ثانية إلى أن قال لهم أحد الصحابة الأجلاء: ما دمتم قد أكلتم فقوموا، فأنزل الله تبارك وتعالى في سورة الأحزاب آداب الطعام عند رسول الله ﷺ.

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ لو انتظروا حتى تستريح كان ذلك أفضل لهم في الأدب، وفي رفعة المقام، وفي الدرجة عند الله تبارك وتعالى، وفي الخيرات المباركات الكثيرات التي تتنزل عليهم ممن يقول للشيء كن فيكون.

ومن عظمة المولى تبارك وتعالى من أجل هؤلاء - مع ما عملوه – حتى لا يحزنوا ولا ينكسروا ولا يبعدوا، قال لهم: ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ لقد سامحناكم هذه المرة، ولكن لا تعودوا لها مرة ثانية، يعني حتى أن الإنسان لو أخطأ فلا مانع ولكن يسارع إلى التوبة، ويسارع إلى المغفرة، ويسارع إلى الإنابة لله تبارك وتعالى، العلماء الأجلاء قالوا: رفع الصوت لا ينبغي أن يكون عند الرسول حياً ولا في روضته.

فعبارتهم التي كتبوها في كتب الفقه لا أحب أن أقولها لأن لنا عبارات خاصة مع رسول الله، يقولون: لا ينبغي رفع الصوت مع رسول الله حياً ولا ميتاً، ولكن هل هو ميت؟! هذا الكلام لايصِحّ، فنحن نراه حياً دائماً، فمن الذي يردُّ علينا السلام؟ هو، وتعرض عليه الأعمال، فهو حيٌ حياة كاملة، ولذلك نقول: لا يجوز رفع الصوت عنده حياً ولا في روضته.

حتى أن الإمام مالك ﷺ أيضاً كره أن يُقال: قبر رسول الله، فهو ليس قبر، ولكنه روضة من رياض الجنة، بل هي أعلى من روضات الجنان، بل قال بعض الصالحين والعارفين: إنها أعلى من الفردوس الأعلى.

ولذلك الذين يقرأون في كتب السادة الفقهاء ويذكرون أن الشيخ العُتبي كان جالساً في الروضة ورأى أعرابياً دخل الروضة وناجى رسول الله:

يا خير من وُضِعت في القبر أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ونحن لا نقول مثلما قال هذا الرجل، ولكن نلتزم الأدب مع رسول الله ونقول:

يا خير من وُضِعت في الروض أنجمه فطاب من طيبهن الروض والأكم
نفسي الفداء لروض أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

فالعارفون لهم ملاحظ ذوقية في الخطابات الموجهة للحضرة المحمدية، ولا بد أن ينتقوا فيها الكلام الذي يليق مع هذه الذات العلية التي شملها الله ﷻ بعطفه وجوده وكرمه، وأعطاها مفاتيح الخير والفلاح والنجاح في الدنيا والاخرة.

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾:

وخير ختام: ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾:

لنعرف كلنا أن رحمة الله الواسعة مفتوحة للجميع، مهما أذنب الإنسان، ومهما ارتكب من جُرم، المهم أن يشعر أنه أخطأ ثم يتوب، فإذا شعر أنه أخطأ وتاب يتوب الله تبارك وتعالى عليه، لكن أخطأ ويتمادى في الخطأ ويظن أنه على الصواب، فمن أين تأتيه المغفرة؟!.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا الأدب مع حضرته، والأدب مع حبيبه ومصطفاه، والأدب مع أولياء الله، والأدب مع إخواننا المؤمنين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ

﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (الحجرات)

١٣.علامات صدق الإيمان[٢٠٣]

بســـم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي حبَّب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكرَّه إلينا الكُفر والفُســوق والعصـــيان، وجعلنا بفضـــله ومنه وجوده وكرمه من الراشـدين، والصـلاة والسـلام على مصـدر الإيمان، ومنبع الإحسـان، وسـرُّ الإيقان، ومفتاح الجنان؛ سـيدنا محمد وآله وصـحبه وكل من مشــى على نهجه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين يا رب العالمين.

الآيات التي معنا اليوم من سـورة الحجرات، وسـورة الحجرات يجب على كل مســلم أن يقرأها ويقرأ تفســيرها، لأننا نحتاجها كلنا في حياتنا، ففيها كل ما يحتاجه المؤمن لنفســه ليتعامل مع من حوله، وليتعامل مع ربه تبارك وتعالى، وليتعامل مع نبيه ﷺ.

أصحاب المصالح

ككل زمان هناك أُناس أصــحاب مصـــالح، يتظاهرون بأنهم مع أهل الإيمان، ومؤمنين مثلهم، ولكن هدفهم ليس الإيمان بالله للدار الآخرة، فالإيمان لم يســتقر في قلوبهم، ولكنهم يريدون المنافع الدنيوية، وهؤلاء في كل زمان ومكان.

٢٠٣ إسنا – طفنيس – ساحة الشيخ حسن الدح ١٣ من جماد الأول ١٤٣٩ هـ ٢٠١٨/١/٢٩م

على ســـبيل المثال: كل طريقة من طرُق الله تبارك وتعالى، وكل عارف من العارفين يذهب إليه أُناس صـــادقين، ويذهب إليه أُناس يمشـــون معه ليســـتفيدوا من المصالح حول هذا الرجل.

وهؤلاء في كل زمان ومكان، ونحن نراهم، ومعذرةً - من غبائهم - يظنون أنه لا أحد يراهم، ولا يعرفهم، ولا يطلع على نواياهم، لكن هذه سُـنَة الله، ولن تجد لسـنة الله تبديلاً.

جماعة من الأعراب، والأعراب هم الذين يســكنون الصــحراء ولا يســكنون المدينة، كانوا في الصحراء التي بجوار المدينة وكان إسمهم (بنو سليم).

حدث قحطٌ وقلَّت الأقوات في عصـــر رســـول الله ﷺ، فماذا يفعلون؟ جميعهم أخذوا نســاءهم وأولادهم وبناتهم وذهبوا إلى المدينة، وقالوا: يا رســـول الله نحن مؤمنوين ولم نحاربك كما حاربك الآخرون، فجئناك لتطعمنا وتســقينا وتُعطينا كل الطلباتالتي نحتاجها من الدنيا، لكن الله ســبحانه وتعالى الذي لا تخفى عليه خافية فضحهم وأنزل: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾.

ما الفارق بين الإســـلام والإيمان؟ الآراء كثيرة، لكن الرأي الذي أجمع عليه العلماء الأفذاذ أهل الوســـطية الإســـلامية، قالوا: الإســـلام هو أن ينطق الإنســـان بالشــهادتين بلســانه لكي يأخذ مصــلحة، أو لينجو في قتال من الذبح أو غيره، وهو لم يستقر الإيمان في قلبه، وهذا نسميه مسلم، لأن النبي قال لأصحابه ﷺ:

{ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ، وَنَفْسَهُ إِلا بِحَقِّهِ }[٢٠٤]

من قال لكم: (لا إله إلا الله محمدٌ رســول الله) لا تؤذوه ولا تســلبوه أمواله، لأنه أسلم بحسب هذا الأمر.

أما الإيمان فهو أن الإنسان إذا نطق بلسانه بالشهادتين يتوافق القلب مع اللسان، نسأل الله أن نكون من أهل الإيمان أجمعين.

فالإنســان إذا نطق بالشــهادتين بلســانه ولم يوافقه القلب فهذا ليس بمؤمن، ولكنه مســلم، وإذا نطق باللســان ومعه القلب فهذا يكون مســلم كامل الإســلام ومؤمن كامل الإيمان، لأنه عبَّر عما في قلبه بلسانه، والإيمان مستقرٌ في قلبه.

لذلك أمر الله نبيه أن يخبرهم ويُعرِّفهم: ﴿ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا ﴾ لماذا؟

---

٢٠٤ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

لأنهم فعلوا ذلك ..... ليأكلوا ..... ويشربوا ..... ويأخذوا المعايش من رسول الله ....فهل ينفع هذا الإسلام؟ لا.

كما يحدث الآن كثيراً، يأتي أحدهم بشهادة لا أعلم من أتى بها؟ ويدور في أنحاء الجمهورية ويقول: أنا كنتُ مسيحي وأسلمتُ، وهذه هي الشهادة، وأريد أن تساعدوني بشيء، وكثير من المسلمين يتعاطف معهم!!.

لكن إن كنت قد أسلمت فهل أسلمت لتتسوَّل؟!! إذا أسلمت وآمنت بصدق فالله ﷻ سيُغنيك، ولو وُجد في أي مكان واحد بيننا دخل في الإسلام عن يقين فهل سنتركه؟! لا، ولن نجعله يتسول، لكنه جعلها سبباً ليحصل على الأموال، لكن الإيمان الصادق صاحبه يتوكَّل على من يقول للشيء كن فيكون.

﴿ وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَـٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾ كما ذكرنا، الإيمان في القلب غير موجود، وغير مستقر في القلب، وانظر إلى حكمة كلام الله ، فلم يقل الله (لم يدخل الإيمان في قلوبكم) لأنه لو قال لك لم يكن لأحدٌ منهم أن يدخل في الإسلام مرةً ثانية أبداً، لكن قال: ﴿ وَلَمَّا يَدۡخُلِ ﴾ يعني أعطاهم فرصة ومعناها: راجعوا أنفسكم واقتنعوا وأدخلوا الإيمان في القلوب حتى تصبحوا من المؤمنين.

كلام رب العزة عجيب وغريب: ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلاً ﴾ (١٢٢النساء) ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (٨٧النساء).

علامة صدق الإيمان

متى تكونوا مسلمين؟ قال لهم: ﴿ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ إذا أطعتم الله ورسوله فهذا دليل الإسلام والإيمان الصحيح، لكن يقول أنا مسلم ويخالف رسول الله، ويخالف كتاب الله، فهل هذا يكون إيمانه إيماناً صحيحاً؟! لا.

الإيمان يعني التصديق، يعني أنا أُصدق بكلام الله وكلام النبي، وكوني صدقته يعني أنا أتبعه، وأمشي وراءه، وأُنفذ ما أمر به، وأنتهي عما نهى عنه، وأعمل بقول الله: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ (٧الحشر) و هذه علامة الإيمان السديد السليم عند الله تبارك وتعالى، وعند رسوله، وعند المؤمنين.

ولكي يفتح الله لهم الباب أكثر، وهو رءوف ورحيم ولطيف بكل عباده، قال لهم إذا أطعتم الله ورسوله: ﴿ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔا ﴾ يلتكم يعني يُنقصكم،

فكل الأعمال التي عملتوها سنحسبها لكم بشرط أن تؤمنوا بالله ورسوله، وتطيعوا الله ورسوله، فنحسب لكم هذه الأعمال ولا تضيع عليكم لأنكم آمنتم بالله ورسوله.

وفتح الباب أكثر وقال لهم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ اعرفوا خطأكم، وارجعوا وتوبوا إلى الله، وامشوا وراء رسول الله، وكل أعمالكم السابقة سيحسبها الله لكم، وسيغفر لكم وسيرحمكم الله تبارك وتعالى.

اقتضى كلام رب العزة بعد أن بيَّن أحوال الذين لم يستقر الإيمان في قلوبهم أن يُبيِّن أحوال المؤمنين الصادقين، الذين نسأل الله أن نكون منهم أجمعين.

موازين المؤمنين الصادقين

وهذا الميزان الذي وضعه لنا الله في القرآن لنزن أنفسنا به، ونعرف أين نحن؟ مَن المؤمنين الصادقين؟ ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ ﴾ لم يحدث عنده في يوم من الأيام شكٌ في حضرة الربوبية، أو شكٌّ في صدق الرسالة المحمدية، بل عنده يقين كامل في أن الله رب الوجود، وهو الخالق لكل موجود، وهو الممد لكل موجود بأرزاقه، والهواء الذي يتنفسه، وكل ما يحتاج إليه في دنياه، وبيده الخير كله وهو على كل شيء قدير.

هذا اليقين هو دليل الإسلام الصادق؛ أن يعلم أن الله واحدٌ أحد، فردٌ صمدٌ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

الجهاد بالمال والنفس

لكن آمنوا وعندهم يقين، فهل هذا يكفي؟ لا، لا بد أن يجاهد، وبماذا يجاهد؟ ﴿ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ يجاهد بماله وبنفسه في سبيل الله، ولماذا بدأ بالمال قبل النفس؟ لأن الناس دائماً عندهم شُحٌّ على بالمال، فالكثير قد يُضحِي بنفسه ولا يُضحي بشيء من ماله!!.

فبدأ بالمال لأن الإنسان إذا كان كريماً ببذل المال، يهون عليه كل شيء في عالم الدنيا، لأنه صادق في حبه لله، ومتابعته لسيدنا رسول الله ﷺ.

كيف يجاهد بماله وبنفسه في سبيل الله؟ هل الجهاد قاصر على المعارك الحربية؟ لا، يجاهد لكي يأخذ بيد إخوانه الفقراء ويجعلهم لا يتكففون الناس، ولا يسألون الناس إلحافا، ويُغنيهم عن الحاجة.

فلو أن كل جماعة من المسلمين في أي مَحلَّة - إن كان قرية أو عزبة - تجمعوا وبحثوا عن الفقراء عندهم في القرية، الذين ليس لهم مصدر دخل، ولا يستطيعون العمل، لأغنوهم عن الحاجة.

لكن لا أُعطي من يستطيع العمل، لأني أرى شباباً كثيراً قوياً ويتسول!!، رأيتُ شاباً في سن التاسعة عشر عند المسجد، وقال: أنا من سوريا ومعي جواز السفر وأُريد المساعدة، فقلت له: كيف تسأل وأنت لا زلت شاباً وصحيح وقوي البنيان؟!! لِمَ لا تعمل؟!! اذهب وابحث عن عمل، والسوريون النشطاء عملوا مصانع وعملوا محلات، حتى أننا نضرب بهم المثل لأولادنا.

الذي يسأل من يعجز عن العمل، كأن يكون عنده إصابة تمنعه من العمل، أو كبر سنه ولا يستطيع العمل، أو مريض مرض مزمن ولا يستطيع العمل، فهذا من له الحق في أن يسأل.

لكن الشاب الفتيُّ الذي يستطيع أن يعمل فهل يجوز له أن يسأل؟! لا، ونحن لا نعوِّد شباب المسلمين على هذا الكسل، لأن الإسلام دين العزة، وعلَّمنا أن نكون أعزاء: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨المنافقون) والنبي كان يُحب هؤلاء.

فعندما هاجر ســـيدنا عبد الرحمن بن عوف إلى المدينة المنورة، وأهل المدينة كانوا أُناسٌ كرام ولا يزالون، كانوا عندما يأتيهم مهاجر يسـارعون ويتنافسـون ويُريد كل واحد منهم أن يأخذه عنده، حتى روت كتب الســيرة أن المهاجر كان يتنافس عليه أكثر من خمسـين رجلاً!!، وكل واحد يريد أن يأخذه عنده فيُضـيف ضـيف رسـول الله ﷺ، ويأخذه ويقوم بكل شئونه، ولا يطلب منه شيئاً، بل يكفيه كل طلباته.

فعندما ذهب ســيدنا عبد الرحمن بن عوف، آخى الرســول بينه وبين واحد من الأنصار في المدينة، وكان رجلاً من الأغنياء، وبعد أن جلسا في البيت وقدم له واجب الضــيافة، قال له: أنا من أغنى أغنياء المدينة، وهذا البيت أُقســمه نصــفين، واختر النصـف الذي يروق لك، ومالي كله أُقسـمه نصـفين واختر النصـف الذي يروق لك، وهل أنت متزوج؟ فقال له: لا، قال له: أنا متزوج من اثنتين فانظر إليهما واختر ما تعجبك منهما أُطلقها، وبعد انتهاء عدتها تتزوجها.

انظروا إلى الإيمان ماذا يصنع في الصدور؟! إيمانٌ غريب!، فماذا قال له سيدنا عبد الرحمن؟ قال له: بارك الله لك في مالك، وبارك الله لك في أهلك، وبارك الله لك في صحتك، ولكن دلني على السوق، يعني أن النبي عرَّفني وعلَّمني أن لا أكون عالة على غيري.

وعندما علم سـيدنا رسـول الله ﷺ ما حدث منه سـعد كل السـعادة لأنه يريد هذه النوعية، ودعا له بالبركة، فكان أي شيء يبيعه يكسب فيه أضعافاً مضاعفة.

فذهب سيدنا عبد الرحمن إلى السوق ولم يكن معه شيء عدا شيء قليل، وفتح الله عليه ببركة دعاء النبي ﷺ له، حتى أنه - وانظروا لفضل الله - عندما انتقل إلى جوار الله، وكان متزوجاً من أربعة نسوة، وعنده أولاد، فقسموا التركة، والأربع نسوة نصيبهن ثُمن التركة، فكان نصيب كل واحدة منهن أكثر من ثمانين ألف دينار من المال فقط، فانظر إلى البركة بدعوة النبي ﷺ.

لأن النبي يُريد العصاميين الأعزاء الذين لا يكونون عالةً على غيرهم، ولكنه ينفع نفسه، ويتصدق على غيره من إخوانه المؤمنين.

فلو كل مكان قام بمن حوله من المحتاجين، فلن يكون هناك أي مسلم فقير في أصقاع الأرض، لماذا؟ لأن أهل كل مكان قائمون بأهل هذا المكان، وهذا ما يطلبه منا دين الله في جهاد الأموال.

وأيضاً نجاهد بالأموال بأن نحج بيت الله الحرام، فالإنسان ينوي الحج ويدَّخر مبلغاً بسيطاً، وكلما جاءه خيرٌ من عند الله يُكثِّره، فسيأتي في يوم من الأيام يجد عنده نفقة الحج جاهزة إن شاء الله، ويوفقه الله لأداء فريضة الله تبارك وتعالى.

ويجاهد بماله في بناء المساجد، وفي بناء المعاهد، وفي عمل تحفيظٌ للقرآن، وفي بناء المصحات والمستشفيات التي نحن في أمَّس الحاجة إليها، وفي عمل المشاريع الخيرية التي نحتاجها كلنا، كل هذا جهادٌ في سبيل الله بماله.

وكيف يجاهد بنفســــه؟ بأن يتخلق بأخلاق النبي، ويعمل بما طلبه القرآن الذي أنزله الله على النبي، فيكون صـــورة طيبة، فعندما يراها الآخرون يرون صـــورة الصـــدق والوفاء والشـــهامة والمروءة والكلام العفُّ اللطيف، يرون هذه الصـــورة فيحبون الإسلام ويدخلون في دين الله تبارك وتعالى أفواجاً.

ما الذي نفَّر العوالم الأخرى التي حولنا من المسلمين؟

ليس الإسـلام، لأنهم ظنوا أن الإسـلام هو الذي عليه المسـلمون في هذه الأيام، فيقرأ عن الإسـلام ويجد أن الإسـلام يأمر بالأخلاق الكريمة، ويرى أحوال المسـلمين فيجدها كلها مخالفة عما جاء عن الله وعن رسول الله.

دولة من الدول الخليجية أقامت معرضـــاً كبيراً في لندن تعرض فيه الإســـلام، وجهزته بالإمكانيات لأن معهم المال، فجاء رجل إنجليزي وكان دارس وقارئ للإســـلام، فجاءه أحد المنظمين في المعرض ليريه ما في المعرض، فقال له: ماذا تفعل؟ قال: أُريك المعرض، قال: وماذا أفعل بالمعرض؟! أنتم الذين يجب أن تكونوا المعرض للإسـلام وليس هذا المعرض الذي صـنعتموه، فدينكم يأمر بالصـدق وأنتم تكذبون، ودينكم يأمر بالأمانة وأنتم تغشُّـــون، ودينكم يأمر بالمروءة وأنتم تخونون، وأخذ يعد له إلى أن ســـكت الرجل ولم يســـتطع الرد عليه، وهذه الحقيقة!!.

الله عز وجل يقول: ﴿ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ ﴾ (٨٥الأعراف) فتجد الكثير من الصــــنف الآخر، ينقص الكيل وينقص الميزان، وكل ما يأمر به الله لا يسير عليه!!.

فماذا يُريد هؤلاء الناس؟ يُريدون رؤية الإســـلام مُترجماً عملياً في أخلاق وســلوكيات وتعاملات المســلمين، فلو حدث ذلك لن تجد واحداً في الكون كله يتخلف عن الدخول في دين الله تبارك وتعالى، لكن الآن إذا تعامل تاجر أجنبي مع تاجر مسلم، وهو يعرف أن تجار الإسلام يقول فيهم النبي:

{ التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[205]

هذه فكرته عن التجار المســـلمين، لكن عندما يتعامل مع أحدهم يجد أن التاجر يريد أن يخونه ويغدر به ويسلب كل أمواله ويُجردِّه باسم الإسلام والعياذ بالله تبارك وتعالى.

فنحن نحتاج أن نجاهد في سبيل الله بأنفسنا بأن نُصلح أخلاقنا، ونُصلح معاملاتنا ونجعلها على نسق القرآن، وعلى نهج النبي العدنان ﷺ.

---

٢٠٥ سنن الدار قطني والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

قد يقول البعض: ماذا أفعل وحدي؟! أنا مثلي مثل الناس!! وهذا ما نســـمعه، والنبي يعرف هذا الكلام، وقال:

{ لا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ أَسَاءُوا أَسَأْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنُوا أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا أَلا تَظْلِمُوا }[٢٠٦]

لا شأن لي بغيري، لأننا سنخرج من الدنيا، ولا نعرف متى الخروج، ويُقال لنا: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ (٢٣الأحزاب).

البعض قد تضـحك عليه نفسـه ويقول: لو أنا فعلتُ ذلك فإن الناس سـيسـتغلوني ولن أعرف أن أعيش، كما يفعل التجار مع بعضـــهم، إذا وجدوا تاجراً أميناً، والناس ترغب في الشـــراء منه، فيقول له التجار: كيف تعيش كذلك؟! ما ذنب أولادك؟! ويحاولون أن يغيروه بأن يبدل في الصــنف، أو يُنقص الوزن، أو يزيد في السـعر!!، لكن المؤمن لا يفعل ذلك، لأن المؤمن يتوكَّل على الله ســبحانه وتعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ (٣الطلاق) يعني يكفيه ويُغنيه، ويجعله لا يحتاج إلى أحدٍ في الدنيا، ويجعله عزيزاً كريماً في الدار الآخرة.

---

٢٠٦ مسند البزار وجامع الترمذي عن حذيفة بن اليمان ﷺ

وهذه النماذج الطيبة التي أعطاها لنا الله في الدنيا حتى نعرف أن الإسلام لا زال بخير، وهم الصالحون، فمهما يحدث في الدنيا تجدهم لا شأن لهم بالنصب ولا الاحتيال، ولا الكذب ولا الخداع ولا أحوال النفاق والمنافقين، ونجد أن الله يُعزِّهم ويغنيهم فلا يحتاجون إلى أحد بل يُعطون، ويُيَسِّر لهم كل أمورهم بغير طلب من الناس، وإنما يكفيهم رب الناس تبارك وتعالى، لماذا؟ ليكونوا حُجة علينا، كيف؟! لأنك قد تقول: كيف أعيش؟ فيقولون لك: هذا الصالح فلان والصالح فلان والصالح فلان كانوا يعيشون في عصرك وكانوا ملوكاً، والناس كانوا يتهافتون عليهم، لماذا؟ لأنهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

الذي يكون عنده يقين في الله ورسوله، ويجاهد بماله وبنفسه في سبيل الله:

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ هؤلاء الذين صدقوا في الإيمان مع حضرة الرحمن، ومع النبي العدنان ﷺ.

من طبيعة الإنسان الجدل: ﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَـٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلاً ﴾ (٥٤الكهف) فالذين نزلت فيهم هذه الآيات وهم بنو سليم خرج منهم كثير لحضرة النبي وأخذوا يحلفون أنهم مؤمنون بقلوبهم، وهم يعتقدون أن الأمر كذلك، ولا يعلمون أنه يرى ما في قلوبهم، فقال لهم الله: ﴿ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ ﴾ :

هل تُعلِّمون الله الدين؟! هو يرى ما في القلوب:

﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ل:

يس ما في صدوركم وقلوبكم فقط، بل يعلم ويرى كل ما في السموات والأرض:

﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ وعلمه بما كان، كعلمه بما هو كائن، كعلمه بما سيكون،

لأنه سبحانه وتعالى بكل شيء عليم.

النهي عن المنّ

صنف آخر وقضية أخرى جاءت بها الآيات، وهي موجودة في كل زمان وكان، في أيام حضرة النبي، وتحدث مع الصالحين في كل زمان ومكان، يأتي أحدهم ويصحب الصالحين، ويفعل شيء، مثلاً إذا بنوا مسجداً فإنه يتبرع بمبلغ، هل هذا التبرع لنا أم لله؟

إذا كان لله فيجب أن تنساه.

كذلك إذا دعانا مرة للطعام، فهل نرد له الدعوة أم كانت لله؟ إذا كانت لله يجب أن تنسى ما فعلت، فإذا عاير ويقول: أنا فعلت للشيخ والأتباع والمحبين كذا وكذا، فهل يصح ذلك؟!! لا، وهذا صنفٌ موجود، وهذا الصنف حبط عمله، لأن عمله ليس خالصاً لخالق الوجود تبارك وتعالى.

لكن الذي يعمل العمل الصالح كما قال الله:

﴿ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ﴾ (١٠فاطر) يرفعه الله، ولا يضعه أمام عينيه، وينظر إليه كل فترة، ويقول: أنا فعلتُ لك كذا، وأنا عملتُ لك كذا، فهذا يخسر هذا العمل، واسمع حضرة النبي ﷺ وهو يُنوِّه لنا على أمر خطير، يقول ﷺ:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الْعَمَلَ فَيُكْتَبُ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ مَعْمُولٌ بِهِ فِي السِّرِّ يُضَعَّفُ أَجْرُهُ سَبْعِينَ ضِعْفًا، فَلا يَزَالُ بِهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى يَذْكُرَهُ لِلنَّاسِ وَيُعْلِنَهُ فَتُكْتَبَ عَلانِيَتُهُ، وَيُمْحَى بِضَعِيفِ أَجْرِهِ كُلِّهِ، ثُمَّ لا يَزَالُ بِهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى يَذْكُرَهُ لِلنَّاسِ الثَّانِيَةَ، وَيُحِبُّ أَنْ يُذْكَرَ وَيُحْمَدَ عَلَيْهِ فَيُمْحَى مِنَ الْعَلانِيَةِ، وَيُكْتَبَ رِيَاءً }[٢٠٧]

٢٠٧ شعب الإيمان للبيهقي عن أبي الدرداء رضي الله عنه

يعمل العبد العمل لله فيما بينه وبين مولاه، فلا يزال به الشـــيطان، ولا تزال به نفســـه حتى يُحدِّث به الناس، فإذا حدَّث به حبط عمله... مثلاً: عملت عملاً لله مع أحد من عباد الله، كان في ضـــيق شـــديد وفرَّجتُ عنه كربه، فتظلُّ نفســـي تُذكِّرني به ولا تتركني، فتجعلني جالســـاً مع جماعة في يوم من الأيام، ويدور الحديث عن مســـاعدة الناس وتفريج الكروب، فأقول: كان فلان الفلاني ظروفه كذا وكذا، وعملت معه كذا!!، فيضـــيع العمل على الفور، ولا أجر له: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلاً صَٰلِحًا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ (١١٠الكهف) ... جماعة من العرب في المدينة جاءوا لرســـول الله ﷺ، وقالوا له: نحن قاتلنا معك وجاهدنا معك وعملنا كذا وكذا، ونريد أن تســـاعدنا مما أفاء الله به عليك، يعني يُريدون الأجر في الدنيا، وقد أســـلمنا - وهذه المهمة - بدون قتال ولا حرب، فقال الله لحضرة النبي:

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْ ﴾ :

والمنُّ يعني تعداد الأعمال التي عملوها، أو المعايرة كما نقول.

هداية أهل الإيمان

﴿ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ ﴾ :

هل يوجد أحدٌ يستطيع أن يهدي نفسه إلا بأمرٍ ربه؟!! من يضمن هدايته حتى يلقى الله؟ لا أحد، حتى أن حضرة النبي ﷺ نفسه كان بعد كل صلاة يدعو ويقول:

{ اللهم يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ }[208]

ومن هذا؟! حضرة النبي، فهل أحدٌ فينا يضمن عدم تقلب قلبه؟!! لا، لأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، فالهداية من الله لأنه هو الذي حبَّب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، فلو لم يُحبب إلينا الإيمان فكيف كنا سنؤمن؟! الإيمان ليس بالمال ولا بالنسب ولا بالشهادة ولا بالجهاد، لكنه فضلٌ من الله تبارك وتعالى.

فالهداية من الله، والإيمان من الله، والنور الذي يدخل في القلب وهو نور الإيمان الذي يهبه هو الله تبارك وتعالى، وحضرة النبي تكلم عنه وجعل له علامات، وقال:

{ إِذَا دَخَلَ النُّورُ الْقَلْبَ انْشَرَحَ وَانْفَسَحَ، قالوا: فَمَا عَلامَةُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالتَّأَهُّبِ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِ الْمَوْتِ}[209]

٢٠٨ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أنس رضي الله عنه
٢٠٩ رواه البيهقي والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

فشــرح الصــدر للإســلام من الله: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ (٢٢الزمر).

﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾:

ولذلك الصــادقون في عصــر النبي ﷺ ..... كانوا دائماً ينشــدون في رواحهم ومجيئهم، ويقولون:

اللـهـم لـولا الله مـا اهـتـديـنـا ولا تصـــدقـنـا ولا صـــلـيـنـا
فـأنــزلــن ســـكـيـنـةً عـلـيـنـا وثــبــت الأقــدام إذ لاقــيــنـا

إذاً فالفضــل في الإيمان للرحمن تبارك وتعالى، فهو الذي يُنزل الإيمان، ويُنزل نور الإيمان في القلب، وهو الذي يحفظ القلب من تقلبه بعد دخول الإيمان فيه، ويحافظ على إيماني حتى أفوز بخاتمة الحُسنى.

من الذي يضمن لنفسه حُسن الخاتمة؟ لا أحد إلا الذي يتولاه مولاه، ويجعله من أهل قُربه ونجواه تبارك وتعالى، ولذلك ما غاية الصالحين وكل المؤمنين والمسلمين؟ ﴿ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (١٠١يوســف) أن يختم لـه بـالإيمـان ويكون مع الصالحين يوم لقاء حضرة الرحمن تبارك وتعالى.

فالذي يعمل عملاً لفقير لا يمنُّ عليه به، ويجعل عمله لله، لكي يأخذ الأجر من الله، ولا يُحبط عمله، وإذا أراد أن يزور مريضـــاً، يزوره لله، وإذا أخذ له شــيئاً يأخذه لله، ولو حدث له مرض فلا يُرسل له ويقول: يا فلان أنا زُرتك في مرضك وأعطيتك كذا، فلِمَ لم تأتني؟ فهل يكون هذا العمل لله؟! لا.

يريد أن يســاعد أحد الشــباب ليتزوج فيســاعده لله، فيُعطيه ما تيسَّــر ولا ينتظر الرد، صــــحيح نحن مأمورين بقول الله: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ (٨٦النســـاء) لكن نفرض أنه لم يرُد، فلا أنتظر الرد، ولا أغضــــب، لأنني أُخرجها لله تبارك وتعالى.

أريد أن أُساعد أحد الصــالحين، لأني رأيت المريدين كثيرين، وأريد أن أساعده بما تيسَّر إن كان من المال أو الطعام أو غيره، هو لم يطلب مني شـيئاً، وليس هو من يشرب ومن يأكل، لكن نحن نساعد أنفسنا، وكل ما يُحضره المريدون فلأنفسهم، فهم من يأكلون وهم من يشربون.

وماذا يأكل منه الشـيخ؟! وهل يُخزن منه شـيئاً؟! لا شــيء، وإذا بقي منه شــيء فهو لهم أيضاً عندما يعودوا مرةً ثانية.

إخلاص العمل لله

لذلك يجب أن أجعل عملي لله، فلا آتي في يوم من الأيام وأقول للشـــيخ: أنا لي عدة سـنوات معك، وأعمل كذا وأعمل كذا، فلماذا لم تجعلني في مقام الكشـف؟ أو في مقام كذا أو كذا؟!! أنا بذلك أُريد الثمن، لكن لا بد أن أجعل العمل لله.

أي عمل تعمله لأي أحدٍ من خلق الله، اجعل تعاملك فيه مع الله تبارك وتعالى، ولا تنتظر رداً، ولا تنتظر حتى كلمة شُكر من الخلق.

وهذا الإمام علي ﷺ، والسيدة فاطمة النبوية رضي الله عنها، لما نذرا أن الحسن والحسين - وكانا مريضين - إذا شُفيا يصوما لله ثلاثة أيام، فشفاهما الله، فصاما، وسيدنا علي كان يعمل بيده، فلم يكن عنده زراعة ولا تجارة، لكن يُصبح في الصباح ويذهب للمكان الذي يتجمع فيه العمال إلى أن يستأجره أحد، فيعمل عنده ويشتري بما أخذه من مال بعض الشعير، فلم يكن عندهم قمح، ويُعطي الشعير للسيدة فاطمة رضي الله عنها، فتجلس على الرحاية، والرحاية هي التي تطحن الشعير- تطحن الشعير، ثم تعجنه وتخبزه وتسويه.

فماذا تسوّي؟ رغيفٌ واحدٌ، لها ولزوجها ولأولادها، وقبل المغرب بدقائق يأتي رجلٌ على الباب ويقول: مســكين يا آل بيت رســول الله ولم أذُق طعاماً منذ يومين، فأعطوه الرغيف وأفطرا على الماء وصاما اليوم الثاني بدون طعام إلا الماء.

وخرج ليعمل وهو بهذه الكيفية، وصـــنعت الســـيدة فاطمة الرغيف في اليوم الثاني، وقبل المغرب بخمس دقائق جاء رجل وقال: يتيم يا آل بيت النبي ولم أذُق طعاماً منذ ثلاثة أيام، فأعطوه الرغيف، وفي اليوم الثالث جاءهم أسير.

فماذا قال الله فيهم؟ ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (٨الإنســـان)

ليس على حب الطعام، ولكنه على حب الله، وإياك أن تقول على حب الطعام فتكون قد أســـات لآل بيت النبي، ولكن على حب الله، وما هدفهم؟ ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (٩الإنسان) حتى كلمة شكر لا يريدونها.

وهذا حال من يُريد اللحاق بالصـالحين، يمشـي على هذا النهج، فكل عمل يعمله لله، إذا كان لمســلم محتاج، أو إذا كان لعالم، أو إذا كان لأخ، أو إذا كان لأخت، لا ينتظر منه دعاء، ولا كلمة شُـكر، ولا ردّ للجميل، وإنما يرجو الجزاء ممن بيده وحده خير الجزاء وهو الله تبارك وتعالى.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ :

كل شــيء غائب عنا في السـماوات والأرض يعلمه الله، وما أكثر الغيوب، نحن معنا من غيوب الله الكثير، أليس لكل واحد منا مجموعة من الملائكة؟ فهل يراهم أحدٌ منا أو يشعر بهم؟ لا، المساجد أليس لها عماراً من ملائكة السماوات؟! ولا يغادرونها ليل أو نهار، أليس يعيش معنا في الدنيا عالمٌ كبير ودول وملوك وجيوش اسـمهم عالم الجن؟! يعيشون معنا في الأرض، ولا يراهم أحد.

فكل غيوب الأرض، وكل غيوب السـماوات يعلمها عالم الغيب والشـهادة تبارك وتعالى.

وأهم شيء ننتبه إليه ما ختم لنا الله به الآية:

﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ :

كل شــيء تعمله بعينك، أو بلســانك، أو بيدك، أو برجلك، وأي شــيء يمر على قلبك ولا يخرج، فالله تعالى يعلم السر وأخفى، حتى ما بداخلك يراه ويطلع عليه، حتى تراقب الله سبحانه وتعالى مراقبة من يعلم ويطلع على سره ونجواه.

الذي يصـــل لهذا المقام وهو مقام المراقبة لله فهذا يكون من أولياء الله الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون.

نســأل الله تعالى أن يُثبت الإيمان في قلوبنا، وأن يُنزل نوره دوماً في صــدورنا، وأن يجعل القرآن أنيســا لناً في حياتنا ونوراً في قبورنا، وشــفيعاً لنا في حشــرنا، وأن يجعل النبي ﷺ يأخذ بأيدينا على الدوام في الدنيا ويوم الزحام، وأن يجعلنا في الدنيا من أهل الإستقامة، وفي الآخرة من أهل الكرامة

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ (ق)

١٤.صفات الأوابين[210]

بســم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي أكرمنا بهداه, وخصَّــنا بخير رســول أرسـله إلى خلق الله, وجعلنا أكثر أهل الجنة يوم القيامة إن شـاء الله, اللهم صـلِّ وسـلم وبارك علي سـيدنا محمد؛ الســابق للخلق نوره, والحاضــر في كل مجالس المؤمنين ببشــره وســروره, والشــفيع الأعظم يوم الدين لنا وللخلائق أجمعين, صــلَّى الله عليه وعلي آلة الطيبين, وصــحابته المباركين, وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

المؤمنون في هذا الزمان الذي كثرت فيه الهموم, وزادت فيه الغموم, يحتاجون إلى بشريات تبشرهم بإكرام الله, وبإسعاد الله؛ لمن صبر علي أمر الله في هذه الحياه, ولذلك نحن أولى في هذا العصر إلى قول الحبيب ﷺ:

{ بَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا }[211]

نحتاج إلى البشـارة كلنا جماعة المؤمنين, وأعظم بشـارة بشرنا بها الله في كتاب الله ﷻ هي دخول الجنة وما فيها من نعيمٌ مقيم, وأنواع من الملذات الحسية والمعنوية, يحتار فيها كل لبيب، وكل فصـــيح, وكل هُمام, لأن الذي وصـــفها هو الملك العلام تبارك وتعالى.

[210] إسنا – ترعة ناصر ٨ من جماد الأول ١٤٣٩ هـ ٢٠١٨/١/٢٥م
[211] البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

فنحن جماعه المؤمنين في هذا الزمان أغلبُنا سيخرج من القبور إلى القصور, ما دام يحافظ على فرائض الله, ويحفظ نفسه - بحفظ ربه - من الكبائر, أين هذه البشرى؟ قال الله: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ (١٠الزمر) لا كتب، ولا صحف, ولا ميزان, ولا صراط, لكن على الجنة مباشرة لأن الله ﷻ ابتلاهم في الدنيا فصبروا لأمر الله, ولم يخرجوا عن طاعه الله طرفة عين ولا أقل.

نحن نعلم أن الجنة لها ثمانية أبواب, والباب يقول فيه حضرة النبي:

{ إِنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيِ الْجَنَّةِ مِقْدَارَ أَرْبَعِينَ عَامًا، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ يُزَاحَمُ عَلَيْهِ كَازْدِحَامِ الإِبِلِ وَرَدَتْ بِخَمْسٍ ظِمَاءً }[٢١٢]

ما بين مصراعي الجنة مقدار مسيرة سفر أربعين عام, ومع ذلك فإن أكتاف الرجال تنخلع من شدة الزحام في الدخول!!.

أصناف أهل الجنة

هؤلاء الذين سيدخلون الجنة كم صنف؟ وكيف سيدخلون الجنة؟ جماعه منهم بعد الإنتهاء من الحساب تسوقهم الملائكة إلى الجنة: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ (٧٣ الزمر) يسوقونهم إلى الجنة زمراً يعني جماعات,

٢١٢ معجم الطبراني عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه

وبعض الناس تعتقد أن هذه الآية للكُمَّل والأكابر, لكنها للناس العاديين من المؤمنين, ويدخلون الجنة في جماعات حتى يأخذ الناجي بيد أخيه, فقد ورد في بعض الأثر أن العبد يؤمر به إلى الجنة فيقول: يا رب أين أخي فلان الذى كان يجلس معي في الدنيا؟ فيقول له الله: إنه لم يعمل بمثل عملك؟ فيقول: يا رب إني كنت أعمل لي وله، فيقول له الكريم ﷻ: خذ بيد أخيك وادخلا معاً الجنة.

وهناك جماعه أخرى أبهى وأرقى, عملهم الصالح سيتمثل لهم بصورة ركوبه, لا نستطيع وصفها في عالم الدنيا, إن كان طائرة أو سيارة, فهذه كُلها أشياء دنيوية, لا تساوى ذرة من نعيم الله في الجنة في الحياة الأُخروية، فالجنة كما قال ﷺ:

{ فِيهَا مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ }[٢١٣]

فيصبح العمل الصالح للمؤمن ركوبة يركبها، ويذهب كما قال الله: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴾ (٨٥مريم) وفداً يعني راكبين, والملائكة تزفهم إلى أبواب الجنة.

وهناك جماعه يقومون من القبور إلى القصور, قال ﷺ:

---

٢١٣ صحيح مسلم ومسند أحمد عن سهل بن سعد ﷺ

{ إذا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أَنْبَتَ اللهُ تَعَالَى لِطَائِفَةٍ مِنْ أُمَّتِي أَجْنِحَةً فَيَطِيرُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَى الجِنَانِ يَسْرَحُونَ فِيها وَيَتَنَعَمُونَ فِيها كَيْفَ شَاؤُوا، فَتَقُولُ لَهُمُ المَلائِكَةَ: هَلْ رَأَيْتُمُ الحِسَابَ؟ فَيَقُولُون: ما رَأَيْنَا حِسَاباً، فَتَقُولُ لَهُمْ: هَلْ جُزْتُمُ الصِّرَاطَ؟ فَيَقُولُونَ: ما رَأَيْنَا صِرَاطاً، فَتَقُولُ لَهُمْ: هَلْ رَأَيْتُمْ جَهَنَّمَ؟ فَيَقُولُونَ: ما رَأَيْنَا، فَتَقُولُ المَلائِكَة: مِنْ أُمَّةِ مَنْ أَنْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ، فَتَقُولُ: نَاشَدْنَاكُمْ اللهَ حَدِّثُونا ما كَانَتْ أَعْمَالُكُمْ فِي الدُّنْيَا، فَيَقُولُونَ: خَصْلَتَانِ كَانَتَا فِينا فَبَلَغْنَا هذِهِ المَنْزِلَةَ بِفَضْلِ رَحْمَةِ اللهِ، فَيَقُولُونَ: وَما هُمَا؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا إذا خَلَوْنَا نَسْتَحِي أَنْ نَعْصِيه، وَنَرْضَى بِاليَسِيرِ مِمَّا قُسِمَ لَنَا، فَتَقُولُ المَلائِكَةُ: يَحِقُّ لَكُمْ هذا }[214]

الخصلة الأولى: (كُنَّا إذا خَلَوْنَا نَسْتَحِي أَنْ نَعْصِي الله) وهذه هي المهمة، لأن الإنسان لن يعصي الله والناس تراه، لكن متى تظهر حقيقة التقوى؟ عندما يكون في خلوة ولا يطلع عليه إلا مولاه.

214 أخرجه الحافظ العراقي في الإحياء عن ابن حبان وأبو عبد الرحمن السلمي عن أنس ﷺ

الخصـــلة الثانية: (كنا نرضـــى باليســـير من الرزق) الذي أتعب الناس في هذا الزمان أنهم غير راضـــين عن الرزق الحلال الذي قســـمَه له الله, فيريد أن يزيد من رزقه, فيزيده من الحرام, يغش في الكيل، ويغش في الوزن، أو يكذب، أويســـرق، أو يخدع, مع أنه لن يأخُذ إلا ما كتبه الله له, فقد قيل: (لا يسرق السارق إلا من رزقه, ولو أنه صبر لأخذه من حلال).

من تشتاق إليهم الجنة

وهناك جماعة أعلى من هؤلاء, ما حالهم؟ هؤلاء الجنة هي التي ســوف تتحرك وتذهب إليهم في الموقف العظيم, لكي تحتضـــنهم وتضـــمهم إلى رحابها وقصـــورها ونورها وبهائها: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ أزلفت يعني قُرِّبت, الجنة هي التي تشتاق إليهم، وهي التي تبحث عنهم، وهي التي تذهب إليهم، وحضرة النبي ﷺ ضرب المثل في زمانه وقال ﷺ:

{ اشْتَاقَتِ الْجَنَّةُ إِلَى أَرْبَعَةٍ: عَلِيٍّ، وَالْمِقْدَادِ، وَعَمَّارٍ، وَسَلْمَانَ }[215]

والجنة غير المباني التي تُحيط بنا, ولكن لها شوق، ولها فهم, ولها ذكاء،

215 حلية الأولياء لأبي نعيم، والطبراني عن أنس ﷺ

لأنها مخلوق نوراني خلقه الله ﷻ ليُهنِّي به المؤمنين والمؤمنات: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ عندما تذهب إليهم ويرونها, تقول لهم: ﴿ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ ﴾ شاهدوا ما كنتم تطمعون فيه من حضرة الله، فهذا الذي وعدكم به الله, وقد وفىَّ الوعد، فهذه هي الحور, وهذه هي القصور, وهذا هو النعيم المقيم في الجنان بجوار الحبيب الأعظم ﷺ, وفي جوار أصحابه من النبيين, والصحابة, والتابعين, والأولياء والصالحين رضى الله عنهم أجمعين، وجعلنا في زمرتهم أجمعين.

١. الأواب

الذي يريد أن يكون من أهل هذا المقام العالي ماذا يفعل؟ الحق ﷻ بيَّن الأوصاف التي إذا اتصف بها الإنسان يكون من أهل هذه الدرجات العالية، وتذهب إليه الجنان بأمر الله ﷻ فقال: ﴿ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ كل مسلم فيه هذه الصفات سيكون من أهل هذه الآية، وستشمله هذه العناية.

أول صفة من هذه الصفات: (أَوَّاب) يعني رجَّاع، أي يرجع الى الله على الدوام, كلما يقع في ذنب, وكلما ينتابه سهو, وكلما تأتي له غفله عن ذكر الله ﷻ, يتيقظ ويرجع إلى الله نادماً وحزيناً على ما فرط فيه في حق الله تبارك وتعالى، ويداوم على هذه الحالة حتى يخرج منه النَفَس الأخير,

لأنه لا يوجد أحدٌ من الأولين أو الأخرين يستطيع أن يقوم بالعبادة التي ينبغي أن نقوم بها لله رب العالمين, حتى الملائكة الذي خلقهم الله ولا يوجد عندهم نَفْس ولا شـــهوة, ومنهم القائم أبداً، ومنهم الراكع أبداً, ومنهم الســـاجد أبداً, يعني منذ خلقهم الله وهم في ســـجدة وحيدة لا يقومون منها إلى يوم القيامة، ولا ينامون, ولا يموتون, من لحظة أن خلقهم الله إلى يوم القيامة وهم على هذه الحالة, ومع ذلك يقول فيهم حضـــرة النبي ﷺ:

{ مَا فِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ مَوْضِعُ قَدَمٍ وَلا شِبْرٍ وَلا كَفٍّ إلا وَفِيهِ مَلَكٌ قَائِمٌ، أَومَلَكٌ رَاكِعٌ، أَومَلَكٌ سَاجِدٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالُوا جَمِيعًا: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ }[216]

فمن فينا يستطيع أن يوفي الله حقه في العبادة المنوطة بذاته تبارك وتعالى؟!! لا يوجد أحدٌ, حتى إمام الأولين والآخرين, والذي أعطاه الله رتبة عظيمة وجعله أول العابدين من الجن والإنس والملائكة وكل خلائق رب العالمين: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ (٨١الزخرف) ومع ذلك كان يقول:

---

٢١٦ معجم الطبراني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ، وَأَسْتَغْفِرُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ }[217]

فالأوَّاب هو الدائم الرجوع إلى الله, والندم على الأوقات التي فرط فيها في حق الله, أو الندم على الذنوب التي ارتكبها مخالفة لأمر الله, أو الندم على الأحوال التي لم يتابع فيها سيدنا رسول الله, ويبدأ بعد الندم بالأوبة والرجوع إلى الله ﷻ.

٢. الحفيظ

وبيَّن الله ﷻ لنا أمراً غريباً عجيباً؛ أن الأوبة هنا ليست من الذنوب والمعاصي, وإنما من السهو، ومن الغفلة عن الذكر, ومن تضييع الوقت في غير ما يحبه الله، فذكر أن الأواب شرطه أن يكون (حَفِيظٍ) أي يحفظ جوارحه كلها من عصيان الله ومخالفة أمره, ومع ذلك دائم الرجوع إلى الله, لأنه لا يوجد أحدٌ فينا أبداً سيسلم من أوقات قد لا يقضيها في ذكر الله, وسيدنا رسول الله ذكَّرنا فقال لنا:

{ لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى شَيْءٍ إِلا سَاعَةً مَرَّتْ بِهِمْ، لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا }[218]

---

٢١٧ مسند أحمد والنسائي
٢١٨ معجم الطبراني والبيهقي عن معاذ بن جبل ﷺ

لا يندم أهل الجنة وهم فيها إلا على الســاعه التي مرت عليهم دون ذكر الله ﷻ، لأنه عندما يدخل الجنة ويرى المنازل العظيمة فيها, يقول لماذا كنت أســـهو عن ذكر الله لحظة؟!!.

الشـــيخ كمال الدين الأخميمي كان إمام المذهب الحنفي في عصـــره, وكان من الصالحين والعلماء العاملين، ذهب لزيارة سيدى عبد الرحيم القنائي ﵁ في ضريحه، فرآه وأخذ يحادثه, وبعد أن انتهت المحادثة بينهما قال الشيخ كمال: يا سيدي أوصني، فقال ﵁: يا بني لا تغفل عن ذكر الله طرفه عين, فأنا كما ترى في روضـــات عالين، ومع ذلك أقول: ﴿ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ (٥٦الزمر).

إذاً الأوَّاب هنا ليس من المعاصـــي لأنه حفظ جوارحه من المعاصـــي, وإنما من السهو, ومن النسيان, ومن الغفلة, ومن الخوض فيما لا يحبه الله ويرضاه, فيرجع إلى الله على الدوام، لذلك نجد كُمَّل الصـــالحين حتى النَفَس الأخير؛ الورد الذي لا يتركوه هو التوبة والاستغفار, لا يوجد أحد من الصالحين يستغني عن التوبة والاستغفار: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (٣١النور) الذي يريد الفلاح والنجاح لا يترك التوبة طرفة عين أبداً.

ما الذي يحمي الإنسان من مقت الله، وغضب الله، وعقاب الله، والبلاء بأنواعه؟ الذي قاله الله في القرآن: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٣٣الأنفال).

ولذلك سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ كان يقول: (لو نزلت صاعقة من السماء ما نزلت على مستغفر لله ﷻ) الذي يستغفر الله ويداوم على الاستغفار لا تنزل عليه صواعق ولا أوبئة ولا بلاءات, لأنه في حفظ الله ورعايته على الدوام, لذلك أهم شيء يجب على الإنسان أن يحافظ عليه التوبة والإستغفار لله على الدوام.

٣.خشية الله

الصفة الثالثة: ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ قلبه امتلأ بخشية الله, في سيره يشعر أن الله يطلع عليه ويراه, وإذا جلس في منزله أو في حجرة وأغلق عليه الأبواب, يجد قلبه يقول له: لا تخفى على الله خافيه في ظاهرك أو باطنك، لأن الله يعلم ظاهرك وباطنك على الدوام.

وهذا الحال لو وصل إليه المؤمنون, فوراً تُحل كل المشاكل والبلاءات، وسيكون المؤمنين وهم في الدنيا كأنهم في الجنة: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٧النحل) يعيش في الدنيا حياة طيبه, لأن الله يشمله بعنايته ورعايته تبارك وتعالى.

خشـيه الله في الغيب هي الدليل الأول على أن هذا الإنسـان يحبه الله تبارك وتعالى, لأنه يراقب الله في السـر والعلن, وفي الجهر والخفاء, يراقب الله سـبحانه وتعالى حتى في حركات سـره، وفي خواطر باطنه, لأنه يعلم أن الله سـبحانه وتعالى يطلع عليه ويراه, وهذا مقام عالي يحتاج إلى جهاد عظيم, لكى يصل الإنسان إلى هذا خشيه الله بالغيب.

٤. القلب المنيب

الصـفة الرابعة: ﴿ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ غسـل قلبه ونظّفه، وأزال الصـدأ الذي فيه ولمَّعهُ، وجعلهُ صـالحاً لأنوار خالقهِ وباريه, فيغسـل القلب من كل ما نهى الله تبارك وتعالى عنه نحو ذاته، أو نحو مخلوقاته, يغسله من البغض,

ويغسـله من الكراهية, ويغسـله من الشُـح, ويغسـله من الطمع، ويغسـله من الحرص, ويغسـله من حب الدنيا, ويغسـله من الأثرة, ويغسـله من الأنانية, ويملأهُ بالمحبة والمودة والشفقة والعطف والرحمة والحنان لكل بني الإنسان, حتى يكون فيه سر من أسرار النبي العدنان ﷺ، والذي أرسله الله رحمة عظمى لكل كائن من كائنات الله علواً وسفلاً, ويغسله من صدى الغفلة, كيف؟ قال ﷺ:

{ القَلْب يَصْدأُ كَمَا يَصْدَأ الحَدِيد، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا جِلاؤُه؟ قَالَ: تِلاوَة القُرْآن وَذِكْرُ الله تَعَالَى }[219]

فلا بد أن أُديم على ذكر الله باللسـان, وأسـتمر حتى يمنَّ الله عليَّ ويجعل القلب يتحرك مع اللسـان, وأسـتمر حتى يزيد الله ﷻ في المنَّة عليَّ فيجعل القلب يتحرك ولا يستطيع أن يلحق به في الذكر اللسـان, لأن ذكر القلب سـريع جداً, وهذا الذي قال فيه الله: ﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ (٢٨ الرعد).

---

٢١٩ الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين للدمشقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

﴿ وَجَآءَ بِقَلۡبٍ مُّنِيبٍ ﴾ وجاء إلى الله بقلب منيب، فكل الذي يريده منا ﷻ: ﴿ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩الشعراء) قلب سليم كالذي وصفناه، أخرج منه الأوصاف السيئة التي ذكرناها, وملأة بالأوصاف الحسنة التي وضحناها.

لماذا أحب الله الأنبياء والصالحين؟ لأن الله عندما تكلم عن سيدنا ابراهيم مثلاً قال: ﴿ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٤الصافات) وليس بالجسم, لأني لو ذهبت لأقابل الله في بيت الله، واغتسلت قبل الذهاب عدة مرات، وتطيبت بأفخم العطور، وارتديت أرقى الملابس, ووقفت أمام الله في بيت الله بالجسم, ولكن القلب سارح في البيت, والعقل سارح في المشاكل في العمل, فهذا كما قال حضرة النبي:

{ إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ }[٢٢٠]

فالله ﷻ يريد القلب السليم, ولذلك الذي يتفضل عليه الله فيستطيع أن يُطهِّر الفؤاد فهذا قد أمِن من البُعاد, وأصبح من الذين يسمح الله لهم بأن يجلسوا دوماً على بُساط القرب والوداد ... إذاً الشرط الصفاء والنقاء وسلامة القلب, فلو عاش الإنسان عابداً لله وأعطى الله له عمر ألف سنة, ويصلى ألف ركعة بالنهار,

٢٢٠ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه

وألف ركعة بالليل, ويصـــوم النهار, ويقرأ القرآن كل يوم مرة, ولكن قلبه ليس نظيف من ناحية الناس, يكره هذا، ويحقد على هذا، ويتمنى الشر والضر لهذا, فهذا لا يوجد أي عمل من أعماله سيخرج منه ذرة مقبولة عند الله ﷻ, قال ﷺ:

{ تُعْرَضُ أَعْمَالُ النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّتَيْنِ: يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ، إِلا عَبْدًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: اتْرُكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَفِيئَا}[221]

إن الله ﷻ يرفع الأعمال في يوم الإثنين ويوم الخميس فيتقبلها، ويترك صـــاحب الشـــحناء على ما هو عليه، لا يقبل منه عملاً، والشـــحناء يعني الكُره الذي بينه وبين أخيه المسلم, كيف أكره مسلما وحضرة النبي قال:

{ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ }[222]؟!!

حتى يكون الإيمان كامل وســـليم، لكن الذي يحب نفســـه فقط ليس له شــــأن بالمؤمنين الصـــــادقين, لأن المؤمنين الصـــــادقين كل واحد منهم يتمنى الخير لإخوانه أكثر مما يتمناه لنفسه, لأن الله يُحب منه ذلك, والنبي ﷺ طلب منه ذلك ... الذي يتحلى بهذه الأوصــــاف الأربعة التي ذكرناها, يوم القيامة يكون من الذين تأتي إليهم الجنة وتأخذهم من الموقف, فتستقبلهم وهم في أرض الموقف.

---

٢٢١ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ
٢٢٢ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

الخالدون في الجنة

﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴾ سلَّمهم الله ﷻ من أهوال الموقف, وسلَّمهم الله ﷻ من جهنم ونيرانها, وسلَّمهم الله ﷻ من غضبه في يوم الدين ... سلَّمهم الله من كل ذلك، فيدخلون الجنة خالدين فيها، لأن الجنة ليس فيها موت, وليس فيها هِرم ولا شيخوخة, قال ﷺ:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلا يَتْفُلُونَ، وَلا يَبُولُونَ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَمْتَخِطُونَ }[٢٢٣]

نعيم مقيم يظهر عليهم كما قال فيهم الله تعالى: ﴿ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٣ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (المطففين).

٢٢٣ صحيح مسلم ومسند أحمد والطبراني عن جابر ﵁

هؤلاء لهم في الجنة؟ ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا ﴾ لهم ما يريدون، وهؤلاء الذين وصلوا إلى هذا المقام لن يكون همهم في الطعام والشـــراب والحور والقصـــور وغيره, فهذا تفكير دني, لكن فكرهم يكون في أن يكون بجوار حضرة النبي, أو يريد أن يُمتع عينيه بالنظر إلى وجه الله ﷻ, أو يريد أن يجمع له الله أهله وأولاده وأحفاده ونســـاؤه، وإن كانوا مقصرين، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ ذُرِّيَةَ الْمُؤْمِنِ فِي دَرَجَتِهِ، وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ، لِتَقَرَّ بِهِمْ عَيْنُهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ }[٢٢٤]

الله ﷻ يرفع ذرية الرجل الصــــالح إلى درجته في الجنة، وإن كانوا دونة في العمل، إكراماً لصــــلاحه وتقواه، فلهم كل الذي يريدونه, ولكنهم في هذا الوقت لا يريدون إلا البضاعة الغالية الراقية التي يتمناها الصادقين والمخلصين وصحابة النبي الأمين ﷺ.

---

٢٢٤ القضاء والقدر للبيهقي ،ومعالم التنزيل تفسير البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما

طلاب المزيد

﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ بعد أن يأخذوا كل الذي يريدونه, يقول لهم الله لدينا لكم زياده من ألوان النعيم, والطُرف والتكريم، فضلاً من الله ﷻ لهؤلاء الأقوام, قال ﷺ:

{ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ }[225]

يكشف الله لهم عن بديع جمال وجهه فينظرون إليه، وهذا هو المزيد, قال ﷺ:

{ الزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ }[226]

---

٢٢٥ صحيح مسلم والترمذي عن صهيب الرومي رضي الله عنه
٢٢٦ حلية الأولياء لأبي نعيم عن كعب بن عجرة رضي الله عنه

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة) وكل واحد سيرى على قدر نعيمه الذي قدَّره له المولى تبارك وتعالى في هذا اليوم العظيم.

نسأل الله ﷻ أن يكرمنا أجمعين بهذا المقام العظيم في الجنة, وأن يتفضل علينا بصحبة سيد الأولين والآخرين, وإخوانه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين, وأن يُمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم, وأن يجمعنا وأولادنا وزوجاتنا وأحفادنا أجمعين في جواره تبارك وتعالى, ويجعلنا من الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آلة وصحبه وسلم



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ (ق)

١٥.الجنة العاجلة؛ معرفة الله ﷻ [٢٢٧]

بســم الله الرحمن الرحيم- الحمد لله الذي قال وهو أصــدق القائلين: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ (٤٦الرحمن) والصــلاة والســلام على جنة العارفين، ومهبط أســرار المقربين، وبهجة نظر الصالحين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

آيات كتاب الله تبارك وتعالى فيها من وجوه البيان وأنواع التبيان ما يُعجز أي إنسان، لأنها آيات الله تبارك وتعالى.

الجنة المعنوية

وقد أخذنا وجهاً واحد في هذه الآيات، وهي الجنة الحسية، وسنأخذ وجهاً آخر، ولا نســتطيع أن نأتي بكل الوجوه، وهي الجنة المعنوية، أو الجنة الروحية، أو الجنة العرفانية، يقول فيها بعض الصــالحين: (إن لله جنة عاجلة من دخلها لا يحتاج إلى الجنة الآجلة، ألا وهي المعرفة بالله تعالى)

[٢٢٧] إسنا – ترعة ناصر ٨ من جماد الأول ١٤٣٩ هـ ٢٠١٨/١/٢٥م

وقبل أن ندخل على هذه الجنة العرفانية، نأخذ معنى يلوح للجميع، فكل واحد فينا يستطيع أن يقضي كل حياته الكونية، وأطواره الإنسانية متنقلاً في الدار الجنانية، يعني من جنة لجنة، فنحن الآن في جنة وصفها الحبيب وقال فيها ﷺ:

{ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: مَجَالِسُ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ وَحِلَقُ الْقُرْآنِ }[228]

وفي رواية أخرى:

{ مَجَالِسُ الْعِلْمِ }[229]

وارتعوا يعني اجلســوا ولا تتعجَّلوا في القيام، فهذه المجالس كلها عبارة جنان، وكون مجلس علم يعقد في مســجد بجوارك، فقد قُرِّب لك، وما عليك إلا أنك ســتقطع خطوات، وهذه الخطوات بأجور مضاعفات، لكي تدخل الجنة.

لكن - ســبحان الله – الناس في هذا الزمن الذي نحن فيه عن الجنة مُعرضــين، وعلى النار مزاحمين، فالأمور التي تؤدي لجهنم تجد عليها تزاحم شديد، وأمور الجنة كما نرى: ﴿ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ (٢٠يوسف).

---

٢٢٨ الثاني والعشرون من المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي عن أنس ﷺ

٢٢٩ المعجم الكبير للطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

الإمام إذا أقام درس علم في المسجد تجد حوله عدد قليل، والباقي يتركه ويمشي، مع أن مجلس العلم أياً كان من مجالس الجنة، فلماذا تحرم نفسك من الجلوس في الجنة؟!!.

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ جنة القُرب، وجنة الحُب، وجنة الأُنس، وجنة اللُّطف ... جنان كثيرة، ولكن لكل جنة طعمها، ولها ذوقها، ولها مشاهدها، ولها حالها، ولها علومها، ولها أسرارها، ولكن لا تُفك إلا لأهلها.

الجنة القريبة جداً من كل مؤمن هي الجنة المعنوية، وتحتاج فقط لطهارة السر مما سوى رب البرية، طالما الإنسان مملوء بالأغيار فهو محروم من الأنوار، ولا بد له أن يتخلص من الأغيار لكي تتنزل عليه الأسرار، وتظهر له لوائح الأنوار، وفي نهاية الأنوار يلوح وجه النبي المختار ويُقال له: ﴿ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ ﴾ هذا ما تريد رؤيته، وهذا من تتمنَّى رؤيته، فتملَّى وتهنَّى بحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

هذه الجنة فيها ما فيها، فيها أنهار من العلوم الإلهية، وفيها عيون من الحكم الربانية، وفيها أسرار قُدسية لا تُفك رموزها إلا لأهل الخصوصية، وفيها كل ما يخطر على البال ولا يخطر على البال من ألوان التكريم من الله سبحانه وتعالى لكل عبد كريم أكرم نفسه وأخذها أخذاً حثيثاً إلى حيث رضوان الله الأكبر تبارك وتعالى.

أوصاف أهل الجنة

فالذي يُريد دخول هذه الجنة لا بد وأن يكون أواب، يعني محافظ على نفسه جيداً من أي خطأ يدعوه إلى عدم الرجوع إلى الله، فيرجع إلى الله سـبحانه وتعالى طالباً رضاه ونادماً على ما فعله في مواجهته تبارك وتعالى، ولا بد أن يحبس نفسه عن كل ما لا يُحبه الله تبارك وتعالى ... وهنا نبين حال الصالحين في تهذيب المريدين، الذين يريدوا أن يبلغوا هذا المقام الأمين: .... تجد مريدي هذا الزمان مشغولون بأمور لا تُقدم ولا تُؤخر في طريق الله، ولا تنفعهم في الدنيا، ولا ترفعهم يوم لقاء الله، فينشغلون بأمور مثل: من هو القطب؟ وكم عدد الأقطاب؟ ومن هم الأقطاب المدرَّكين بالكون؟ وهل الخضر حيٌّ أم ميت؟ وغير ذلك، بماذا يفيدك كل هذا الكلام؟!!.

واحد من السابقين ذهب إلى الشيخ أحمد رضوان ﵁ وأرضاه، وقال له: يا مولانا هل الخضر حيٌّ أم ميت؟ فقال له: وبماذا ينفعك هذا الكلام في الدنيا أو في الآخرة؟! كل من مات فهو حي، لكن هل تستطيع مقابلته؟! لا، إذاً ماذا تفيد معرفتك بذلك؟!!.

الله ﷻ أغناك وكفاك بحبيبه ومصطفاه، فلماذا تبحث عن غيره؟! وهل بعد رسول الله يُوجد أحدٌ آخر؟!!

فكان هذا أدب السـالكين الذين كان يؤدبهم عليه الصـالحون، وفي زمننا هذا قلَّ التأدُب، فأصبح كل كلام السالكين كما يُقال في المثل العربي: (جعجةً ولا أرى طحناً) أسـمع أصـواتاً تُجعجع كأن الطاحونة تعمل ولا يخرج منها طحين، ونفس الأمر، تجدهم في الموالد يتكلمون في هذا الكلام الذي نشـير إليه، وهذا الكلام ماذا تفعل به؟! وبماذا يُفيدك؟! أو بماذا يُغنيك في الدنيا أو الآخرة؟!.

والله ﷻ - وهو العزيز الحكيم - لو علم أن هناك فائدة واحدة تعود علينا من ذكر اسـم الخضـر حياً أو ميتاً لذكرها، ولو علم أن هناك فائدة واحدة تعود علينا من ذكر عدد أصحاب الكهف، ومن هم لذكرها، وقس على ذلك في كتاب الله.

فماذا يُريد الله منا؟ يريد منا أن نأخذ الموعظة والعبرة في الآيات القرآنية، ولا نقف عند المعاني الظاهرية التي تشغلنا عن الإقبال عن الله تبارك وتعالى بالكلية.

السـالك الذي يشـتغل بهذه الأمور متى سـيتفرَّغ ويتوجه إلى الله؟!! والإمام أبو العزائم ﷺ كان يقول على لسان الحضرة الإلهية:

فرغ القلب من سـوانا ترانا يا مريداً جمالنا وبهانا

نحن هل نفرِّغ أم نَشغَل القلب الآن؟ نَشغل القلب، ومثلها تماماً الذي يشغل نفسه بالتفاضـل بين الصـالحين، فيقول:إن فلان من الصـالحين قد بلغ مقام كذا، وفلان أقل منه في مقام كذا، وفلان زاد عنه، ومن أين عرفت هذا؟!! هل يصِّح للجنود أن يتكلموا عن قادتهم ويقولون اللواء فلان أفضـل من اللواء فلان؟!! لا، ليس لك شـأن بالقادة، لكن الذي يتكلم عن رتبة من هو أعلى منها.

ومن منا بلغ رُتب الصـــالحين حتى يميِّز بين هذا وذاك؟!! الســـيد أحمد البدوي وظيفته كذا، وســيدي إبرهيم الدســوقي وظيفته كذا، وســيدي أبو الحجاج الأُقصــري وظيفته كذا، فكيف عرفت هذه الوظائف؟! ومن أين أتيت بها؟! ولماذا تشـــغل بها نفسك؟!.

معرفة الله

فنحن، ومن كان قبلنا، ومن ســيأتي بعدنا من الصــالحين بماذا ينشــغلون؟ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦الذاريات) ليعرفون، أي لمعرفة الله، فنريد أن نعرف الله، وغير معرفة الله لن نستفيد بها في هذه الحياة.

نفرض أن الله ﷻ منَّ عليك وأعطاك كلمة (كن) وأعطاك قدرة تحويل كل الأحجار والمعادن إلى ذهب، فماذا تفعل بها؟ وماذا تســـتفيد منها؟ وهل تكون هذه كرامة أم استدراج؟! استدراج، لأنك ربما تغترُّ فتنضرُّ وتبعد عن فضل الله وكرم الله تبارك وتعالى، لكن يجب أن تُركِّز في غاية واحدة وهدف واحد، وهو معرفة الله تبارك وتعالى: (أرى فؤادي يطالبني برؤيته).

الأمور التي تشغل الذين يحضرون الموالد وفي الساحات وهنا وهناك، هذه الأمور تستطيع أن تسميها: (فزلكة) أو تسميها (فراغ) واستغلال الفراغ في غير ما يحب الله ويرضى، لأن الأفضل من هذا وذاك أن يناجي الله بكلامه، أو يتملق إليه بإنعامه، أو يذكره بأي ذكر يرجو منه دوام وِدِّه وكرمه وإنعامه.

لكن لماذا تشغل نفسك بهذا الكلام؟ ربما يريد أن يُظهر نفسه بأنه يعرف أحوال الصالحين، لا مانع، فقد عرفنا أنك تعرف الصالحين كلهم، فهل سنعطيك نيشان؟! أو نعلق لك وسام؟! وهل سنمنع عنك شيئاً يوم الدين؟!.

هب أن الخلق كلهم تابعوك ومشوا خلفك، قد يضروك، لكن هل ينفعوك؟ لا ينفع الإنسان إلا ما قدمت يداه، وقُربه من حبيب الله ومصطفاه، ومن الصالحين على المنهج الذي رسمه كتاب الله، ووضحه سيدنا رسول الله ﷺ.

ولذلك أنا أتعشَّم في الأحبة أن يكون ليس لنا شأنٌ بهذه المسائل نهائياً، لا من بعيد ولا من قريب.

الناس يشغلون أنفسهم في هذا الزمان، فيملأون مواقع التواصل والصُحف والمجلات، ويتحدثون عن المهدي المنتظر، لكن ما شأننا وشأن المهدي المنتظر؟ وماذا أصنع به؟ هل تريد الهادي أم المهدي؟ أنا أُريد الهادي سبحانه وتعالى ليهديني به إليه، لكن المهدي ما اسمه؟ ومتى ينزل؟ وما أوصافه؟ وماذا سيفعل؟ فهذه مشاغل كونية تشغل القلب عن الذات العلية، وليس لنا شأن بها.

إذا ظهر ونحن موجودين فسيُكاشفنا بذلك رب العالمين، ويظهر لنا كل شيء في وقته، فلماذا نتعجَّل هذه الأمور؟! ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ (٣٧الأنبياء) فلماذا تتعجَّل؟! فهذه كلها شواغل كونية تشغل البال عن الذات العلية، الإمام أبو العزائم ﷺ ينصحنا نصيحة أرجو أن نأخذها بالطريقة الصحيحة:

لا تعلق بالقلب غير إلهٍ قد تجلّى في العالمين عُلاهُ

الذي يُريد الجنة العلية، ويريد العلوم الوهبية، ويريد الأسرار الكنزية، ويريد المكاشفات النورانية، فكل هذا يحتاج منه أن لا يُعلق بالقلب غير رب البرية تبارك وتعالى، وقالوا في الحكمة: (من كان الله مراده، كان مقعد صدق وراء ظهره) لا يريد مقعد الصدق لأنه يريد الله، ولا يريد أن يلتفتُ إلى سواه أبداً: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ (٢٨الكهف).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم


بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ ﴾ (الذاريات)

١٦.جنات وعيون[230]

بســـم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أعد لعباده المؤمنين في جنات النعيم مالا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، والصلاة والسلام الأتَّمان الأكملان على رسول حضرة الرحمن، الداعي إلى الجنان؛ سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

رُوى عن رسول الله ﷺ حديثاً عظيماً، فيحكي جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ فيَقُولُ:

{ جَاءَتْ مَلائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الْجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ }[231]

---

٢٣٠ إسنا – المسجد النموذجي بالقرايا ١٣ من جماد الأول ١٤٣٩ هـ ٢٠١٨/١/٢٩م
٢٣١ صحيح البخاري والأنوار في الشمائل للبغوي

اختيار المؤمن لمنزلته في الجنة

نحن كلنا لا بد في لحظة لا نعرفها سنتحوَّل عن هذه الدار، ونذهب إلى دار القرار، ولا بد للمؤمن أن يُجهِّز لنفسه السكن الذي يسكن فيه، ويختار الحيَّ العظيم الذي ينزل فيه، ويختار الجيران الذين سيكون في جوارهم، وقبل أن يخرج من الدنيا يكون عارفاً لكل شيء بالنسبة لترتيب حياته في الجنة في جوار الله تبارك وتعالى، وقد قال ﷺ:

{ مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إلا يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ }[٢٣٢]

والجنة درجات، وأعلى شيئ في الجنة أن يكون الإنسان في جوار النبي المختار، والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين والأبرار، الذين قال لنا فيهم الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٦٩النساء).

---

٢٣٢ الزهد لهناد بن السري عن ابن عمر رضي الله عنهما

فكيف نختار الجنة التي سندخلها؟ وما الملف الذي نجهِّزه ونقدمه لرب العزة لننال هذا الموضع الذي نطلبه من الجنة؟ رب العزة تبارك وتعالى ملأ القرآن إعلانات، فالذي يُريد الفردوس فهذا إعلانه في أول سورة المؤمنون، والذي يُريد جنة عدن فهذا إعلانه، والذي يُريد جنة الخُلد فهذا إعلانه .. فكل جنة من جنان الله لها إعلانها في كتاب الله.

والإعلان فيه الملف الذي يحتوي على الطلبات لنُجهزِّه في الدنيا، لأنه كما قال الإمام علي رضي الله عنه:

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها	إلا التي كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخيرٍ طاب مسكنه	وإن بناها بشرٍ خاب بانيها

هل هناك من يسكن بالإيجار؟ لا يوجد، فلا بد وأن يكون وارث، والميراث من حضرة الوارث الأعظم عز وجل، فليس هناك سكنٌ بالإيجار، ولا يوجد أحد يُضيِّف أحداً، ولكن لا بد للإنسان أن يُجهِّز نفسه من الدنيا.

سيدنا الإمام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وأرضاه في اللحظات الآخرة قبل مفارقة الدنيا حدَّق ببصره وأطال النظر، وقال لأهله ومن حوله: إني أرى حضرة ما هم بجنٍ ولا إنس، فماذا يكونون؟ ملائكة أتوا ليستقبلوه، وبعدها تبسَّم وقال: ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ (٦١الصافات).

ورجلٌ من الصالحين ضريحه في القاهرة اسمه أبو علي الروزباري ﷺ، كان يعالج سكرات الموت وأُخته بجواره فبكت، فقال لها: لِمَ تبكين يا أُختاه؟!! وها أنا ذا أرى الجنات وقد زُينت، وأرى أبواب السماوات وقد فُتِّحت، وأسمع قائلاً يقول: يا أبا عليّ لقد بلغناك الدرجة القُصوى في الجنة وإن لم تكن تُردها!! يستبشر المؤمن بفضل الله ليفرح فيفرح به الله تبارك وتعالى.

جنات وعيون

والإعلان الموجود في الآيات التي معنا اليوم للذين يريدون أن يكونوا في الدرجة العُظمى مع النبي العدنان ﷺ، هؤلاء ماذا قال فيهم الله: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴾ وهم هنا في الدنيا في جنات وعيون، لأن هناك جنَّة حسيِّة وسندخلها يوم القيامة إن شاء الله، وهناك جنة معنوية، وهذه أهل العزة الإلهية يدخلونها وهم في الدنيا، ليستبشروا بفضل الله، وبكرم الله، وببشريات سيدنا رسول الله ﷺ، حضرة النبي قال لأصحابه:

{ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: حِلَقُ الذِّكْرِ }[٢٣٣]

وفي رواية أخرى:

{ مَجَالِسُ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ وَحِلَقُ الْقُرْآنِ }[٢٣٤]

وفي رواية أخرى: { مَجَالِسُ الْعِلْمِ }[٢٣٥]

هل الجنة هنا ونمر عليها؟! نعم، تارة يقول: مجالس العلم، وتارة يقول: حِلق الذكر، وتارة يقول: مجالس القرآن، .. كل هذه المجالس عبارة عن روضة من رياض الجنة، تحفُّهم الملائكة بأجنحتهم، وتتنزل لهم الرحمة من الله، ويُباهي بهم الله تبارك وتعالى أهل الملأ الأعلى، وفي آخر الحلقة يقول الله للملائكة:

{ أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَيَقُولُونَ: إِنَّ فِيهِمْ فُلانًا الْخَطَّاءَ لَمْ يُرِدْهُمْ إِنَّمَا جَاءَهُمْ لِحَاجَةٍ، فَيَقُولُ: هُمُ الْقَوْمُ لا يَشْقَى لَهُمْ جَلِيسٌ }[٢٣٦]

فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، كأن جاء ليُنادي على أحدهم ولم يأت خصيصاً للمجلس، لكن رب العزة يقول: (هُمُ الْقَوْمُ لا يَشْقَى لَهُمْ جَلِيسٌ).

---

٢٣٣ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أنس ﷺ
٢٣٤ الثاني والعشرون من المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي عن أنس ﷺ
٢٣٥ المعجم الكبير للطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما
٢٣٦ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ

إذاً فالجنان المعنوية في الدنيا جنة الطاعة، فأي طاعة لله، يقوم الإنسان بأدائها مُنشغلاً بمولاه، تاركاً وراء ظهره هموم دُنياه، وليس في قلبه إلا المناجاة والمصافاة لحضرة الله، فهذه على الفور جنة في الدنيا، وهي بُشرى له بأنه سيكون من أهل الجنان العالية في الدار الآخرة إن شاء الله.

وهناك جنة العلم كالتي نحن فيها الآن، وهي بداية جنة العلم، لكن لو أن الإنسان أكرمه الرحمن وتعلم ولو مسألة وعمل بها سيدخل في جنان عالية: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥الكهف).

الرجل الذي يعلِّمه الله سيكون في جنة ليس لها شبيه ولا مثيل، لأن الله تبارك وتعالى بذاته ـ مع أنه تعالى عن جميع كائناته ومخلوقاته ـ تنزَّل له، ويُعلِّمه العلم الوهبي الذي لا يخُصُّ به إلا كل وليٍّ تقيٍّ نقيٍّ لله تبارك وتعالى.

جنان الدنيا المعنوية كثيرة، لكننا أيضاً نريد في الآخرة أن نكون مع رسول الله ﷺ في الجنات، وليست جنة واحدة فقط، فكل مؤمن له جنات، مثلاً الذي يخاف من الله، له كم جنة؟ أربعة: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ (٤٦الرحمن)

وعاد مرةً ثانية وقال: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ (٦٢الرحمن) فيكون له أربع جنات، لأنه خاف الله تبارك وتعالى، فما بالك بالذي يخشى الله؟! ومن يراقب الله؟! ومن يكون حاضراً على الدوام مع مولاه؟! ومن يحرص في كل أنفاسه على ذكر الله؟! له جنانٌ كثيرة لا نستطيع حصرها ولا ذكرها وإنما نكتفي بقول الحبيب ﷺ فيها:

{ فِيهَا مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ }[٢٣٧]

﴿ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ كل ما سيهبُه لهم الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة سيأخذونه ويفرحون به، فإذا كانوا في الدنيا يعملون به، وإذا كانوا في الآخرة سيتلذذون به، لأن الآخرة ليس فيها عمل، ولكن فيها ذكر، فأهل الجنة يذكرون الله سبحانه وتعالى تفكُّهاً وتلذُّذاً، يتفكَّهون ويتلذذون بذكر الله تبارك وتعالى.

---

٢٣٧ صحيح مسلم ومسند أحمد عن سهل بن سعد رضي الله عنه

مقام الإحسان

الذي يُريد أن يكون مع حضـــرة النبي فتكون عينه على هذا المقام: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾ يُركِّز على مقام الإحســـان، ســـيدنا جبريل عندما جاء لرســـول الله والصحابة كانوا معه، وأخذ يسأله ليُعلِّمهم، ولذلك بعد أن مشى جبريل قال لهم:

{ إِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ }[238]

فسـأله عن الإسـلام، والإيمان، وفي النهاية سـأله عن الإحسـان، فعرَّفنا أن الدين درجات، درجة الإســلام، ودرجة الإيمان، ودرجة الإحســان، وأعلى درجة فيهم هي درجة الإحســـان، وبعد ذلك درجة الإيقان وهي موجودة في القرآن، وهي خاصَّـــة لخواص أصحاب النبي العدنان ﷺ، فقال له:

{ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ }[239]

درجة الإحســـان أهلها هم الذين ســـيتمتعون بهذه الجنة العالية في جوار النبي العدنان ﷺ.

---

٢٣٨ جامع الترمذي وأبي داود عن عمر بن الخطاب ﷺ
٢٣٩ جامع الترمذي وأبي داود عن عمر بن الخطاب ﷺ

فيُرقِّي نفســـه، ويُعلي همته إلى أن يراقب الله آناء الليل وأطراف النهار بقلبه وفؤاده، يعني يرى في كل لحظاته أنه لا يغيب عنه مولاه طرفة عينٍ ولا أقل، ويعلم علم اليقين أن الله يطَّلع على حركاته، وهو أول ســـامعٌ لكلماته، بل إنه يطَّلع على وساوسه في صدره وخطراته، ولا تخفى عليه خافية، لأن الله ﷻ كما قال في قرآنه:

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٤الحديد).

كيف يصــل الإنســـان إلى مقام الإحســـان؟ أن يُحســـن ويُتقن كل عمل كُلِّف به: ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٩٥البقرة) ســـواء إن كان من عمل الدنيا، أو من عمل الآخرة، فأي عمل يُكلَّف به يعمل فيه بقول النبي ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَهُ }[٢٤٠]

٢٤٠ معجم الطبراني والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها

وقد تكون هذه هي المشكلة التي جدَّت على المسلمين في هذا الزمان، فلم يكن هذا حال المسلمين الأُوَل، فقد كان الواحد منهم إذا عمل شيئاً يُراقب الله، وليس من أجل الأجر الذي يأخذه، ولكنه يُحب أن يُتقن العمل الذي يعمله، لأن الله قال في كتاب الله:

﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ (١٠٥التوبة).

البركة واتقان العمل

من الذي يستلم منك أي عمل في الدنيا؟ ليس الرجل الذي تعمل له، ولكن أول من يستلم العمل هو رب العزة تبارك وتعالى، ليُقرر إن كان هذا المال تنزل له البركة، أم تُمحق منه البركة!!، فهو أول من يرى العمل.

لكننا نسينا هذه الجزئية، ونظن أن من يستلم العمل هو فلان، وأقول في نفسي: إن فلان هذا لا يفهم في هذه المهنة، فأخدعه وأغشُّه لكي أنهي العمل وأبحث عن غيره!!، فأنت تغُّش نفسك!!

لأنك حتى ولو أخذت منه مليون جنيه وليس فيها بركة فماذا تساوي؟!! ستصرفها فيما يُغضب الله تبارك وتعالى، وهي سُنة الله ولن تجد لسُنة الله تبديلاً

هارون الرشيد عيَّن أخاه مفتش تموين على الأسواق، وبعد شهرين أو ثلاثة استدعاه، وسأله: أين المحاضر التي سجلتها للتجار؟ وهل كلهم منضبطين؟ فقال له: يا أمير المؤمنين رأيتُ الله يقتصُّ من الظالمين أولاً بأول، فقال له: كيف؟ قال: كل مال جمعوه من حرام سلَّطهم الله على إنفاقه في الذنوب والآثام، وهذا أمر الله تبارك وتعالى.

ولذلك يجب أن أُتقن كل عمل أعمله ليكون مالي حلال، ويبارك الله لي في صحتي، ويبارك لي في أولادي فيكونوا كما أُريدهم بررة وأتقياء، ويُبارك في بيتي، فالطعام الذي يكفي الثلاثة يكفي العشرة ويفيض، ويبارك في زوجتي ونكون في وفاق واتفاق ولا يكون بيننا شقاق ولا مشاكل، لأننا نأكل من حلال يُرضي ذي الجلال والإكرام، وتعمُّ البركة كل النواحي التي أنا فيها، لماذا؟ لأنني أُتقن العمل، ولأنني أعرف أن الله ﷻ يُراقبني.

إذا أتقن الإنســـان المؤمن العمل، عليه أن يأتي بأعمال الآخرة بنفس الطريقة، نسـمع البعض يقول: سـأدخل المسـجد وأخطف الركعتين وأخرج!! فهل الصـلاة فيها خطف؟!! الله غنيٌّ عن هذه الطاعة، وعن هذه العبادة، فبعد أن أنعم عليك بنعم لا تُعد ولا تُحد ولا تستطيع حصرها ولا احصائها، أفلا تريد أن تتأنَّى وأنت تشكره؟! وتتأنَّى وأنت تذكره؟! فأنت عندما تقرأ الفاتحة يكون خطاب بينك وبين رب العزة، يقول الله تعالى كما أخبر النبي ﷺ:

{ قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ }[٢٤١]

---

٢٤١ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

لو أتقنتَ العمل ستسمع كلام رب العزة في حال الصفاء والنقاء، ويأمر الله ﷻ الملائكة المكلفين بأرزاق العباد بأن يجيبوه فى ما يطلبه، لماذا؟ لأن الإنسان يُتقن هذه الصـــلاة لله تبارك وتعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ (المؤمنون).

أُتقن الأعمال كلها، وأُصـــلي بين يدي الله حاضـــر القلب مع الله، وأتكلم مع الله، وكل كلمة أقولها أعقل معناها، وأفهم فحواها لأنه ليس للمرء من صـــلاته إلا ما عقل منها.

قيام الليل

فإذا مشـيت على هذا الدرب فهذا هو الشـرط الأول وهو إتقان العمل لله ﷻ إلى أن أصل إلى مقام الإحسان، فأُريد أن أدخل مع حضرة النبي ﷺ، وحضرة النبي ﷺ كلَّفه الله تكليفات زائدة على أُمته، ففرض علينا خمس صلوات، والرسول فرض عليه ســـت صـــلوات، وتدرج معه، ففي البداية قال له: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ ﴾ (٧٩الإسـراء) لك وحدك، ونحن حتى لو صـــليناها لن تكون نافلة، لأنه ســيُكمل لنا بها الصلوات الفرائض، كما يقول سيدنا رسول الله:

{ إِنَّ أَوَّلَ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ مِنْ دِينِهِمُ الصَّلاةُ، وَآخَرَ مَا يَبْقَى الصَّلاةُ، وَأَوَّلَ مَا يُحَاسَبُونَ بِهِ الصَّلاةُ، يَقُولُ اللَّهُ: انْظُرُوا فِي صَلاةِ عَبْدِي، فَإِنْ كَانَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ تَامَّةً، وَإِنْ وُجِدَتْ نَاقِصَةً، قَالَ: انْظُرُوا، هَلْ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَإِنْ وُجِدَ لَهُ تَطَوُّعٌ تَمَّتِ الْفَرِيضَةُ مِنَ التَّطَوُّعِ }[٢٤٢]

أي أكملوا له هذه الصلاة من تطوعه، ومعظمنا يُصلي سنن ولا تُكتب له سنن، بل يُكملوا له بها الصلوات المكتوبات كما بيَّن سيدنا رسول الله.

من الذي تُكتب له النافلة سُـنة؟ الذي تكون فريضــته لا يغيب فيها عن الله طرفة عين، ومن كان هذا؟ سـيدنا رسـول الله، ولذلك قال له الله: ﴿ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ (٧٩الإسـراء) لك أنت وحدك.

٢٤٢ مسند أبي يعلي الموصلي عن أنس رضي الله عنه

ثم قال له بعد ذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ ﴾ (المزمل) و هذا أمر، فأصـــبح قيام الليل عليه فرض، والذي يُريد أن يكون معه، وضــــعه الله معه في آخر الســورة: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ (٢٠المزمل) ليس كل من معك، لكن الذين يريدون أن يكونوا معك فلا بد أن يكون لهم نصيبٌ من قيام الليل.

ولذلك هل سـمعتم عن أحد من أصـحاب النبي ترك صـلاة قيام الليل؟! لا، وهل سـمعتم أن أحداً من الصــالحين ترك قيام الليل؟! لا، بل كانوا كما قال الله: ﴿ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴾ والهجوع يعني النوم الخفيف بالليل، يعني عندما يشعر بأي حركة يستيقظ فوراً، فلم يكونوا ينامون في الليل إلا نوماً بسيطاً خفيفاً.

هم لم يكونوا كثيرين في كل زمانٍ ومكان، ولذلك عندنا وقفٌ جميل في الآية: ﴿ كَانُواْ قَلِيلٗا ﴾ وتقف في القراءة على ذلك، ثم تُكمل بعدها: ﴿ مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴾ فلم يكونوا كثير، لكن هؤلاء سيكونون مع: ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩الفتح) والذين سيكونون معه هناك يا هناهم، ويا بُشراهم.

والذي يريد أن يكون معهم لا بد أن يكون له نصـــيبٌ من قيام الليل، وكما قلت بعد أن يُتقن العمل ســـواء الدنيوي، أو الديني، أو الأُخروي لله تبارك وتعالى، فلا يتعجَّل في أي عمل، ولكن يتأنَّى، ولا بد أن يُقيم العمل كما يُقيمه ســـيدنا رســـول الله صلوات ربي وتسليماته عليه.

تيسير النبي لأمته

ولأن ســيدنا رســول الله كان رحمةً تامة عامة لنا أجمعين فتح الباب ليُدخلنا مع هؤلاء كلنا، فكان يقوم الليل إلا قليلا، وكان يقوم الليل أحياناً كثيرة واقفاً على قدم واحدة زيادة في التبتُّل والتضـرُّع لله تعالى، لكنه خفَّف عنا، وكان مبدأ رسـول الله ﷺ أن يأخذ نفســه بالأشـقِّ، ويأمر أحبابه وأتباعه باليُسـر، وهذه رحمة النبوة، فيأخذ هو الشاق، فيحاولون متابعته فينهاهم.

كان يصـوم الأيام المتتابعة بدون فُطور ولا سُـحور، واسـمه صـيام الوصـال، فيحاولون أن يفعلوا مثله، فيقول لهم:

{ إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، قَالُوا: فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَسْتُمْ فِي ذَلِكَ مِثْلِي، إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي، فَتَكَلَّفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ }[243]

لستُ كهيئتكم، إني أبيت عند ربي فيُطعمني ويسقيني، فخففوا عن أنفسكم، ويقوم الليل فتقول له السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: أَفَلا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا }[244]

وبعض أصحابه من الشباب وكانوا في صحة وعافية، وأرادوا أن يعرفوا عبادة النبي حتى يكونوا معه، فذهبوا ومعهم حميَّة الشباب إلى زوجات النبي ليسألوهن عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروهم استقلُّوا عبادة حضرة النبي، وقالوا: سنزيد عنها، فأحدهم قال: أنا أقوم الليل أبداً، يعني لا أنام الليل أبداً في أي ليلة من الليالي وفي أي عامٍ من الأعوام، والثاني قال: وأنا أصوم الدهر أبداً، والثالث قال: أنا لا أتزوج النساء، فسمعهم الرسول ﷺ وخرج عليهم وقال لهم:

---

٢٤٣ بحر الفوائد للكلاباذي عن أبي هريرة ﷺ
٢٤٤ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

{ أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ،لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ،فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي }[245]

لماذا؟ لأنه يُيسِّر، فقد كان ﷺ مبدأه التيسير على الأمة، فالذي يُريد أن يُشدد من رجال الأُمة فليُشدد على نفسه، ولا يُشدد على المسلمين، ولكن يُيسر عليهم، قال ﷺ:

{ يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا }[246]

بلغ التيسير برسول الله ﷺ أنه ذكر لنا شيئاً سهلاً جداً، وكل واحد منا يستطيع أن يفعله ويكون من القائمين لله، ومع سيدنا رسول الله ﷺ، فماذا قال؟ قال:

{ مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ }[247]

كم ركعة؟

اثناتن فقط، فهل صعب على كل مسلم أن يُصلي ركعتين لله تعالى قبل صلاة الفجر؟! يقوم ويتوضأ ويُصلي ركعتين، فيكون في أعلى مقام من المقامات التي ذكرها الله في سورة الأحزاب:

---

٢٤٥ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ
٢٤٦ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ
٢٤٧ سنن أبي داود وابن ماجة عن أبي سعيد الخدري ﷺ

﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٣٥الأحزاب)

ولا يعرف الأجر العظيم إلا العظيم تبارك وتعالى.

إذا كان متعبا، ولن يقوم إلا على صلاة الفجر مباشرة، فينوي عندما يُصلي العشاء في جماعة، وينوي عندما يصلي الفجر في جماعة قيام الليل، لأن الرسول قال لنا وهو أيضاً من التيسير:

{ مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ، كَانَ كَقِيَامِ نِصْفِ لَيْلَةٍ، وَمَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ، كَانَ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ }[٢٤٨]

هل يوجد تيسير أكثر من ذلك؟! فأنت لا بد أن تُصلي العشاء والفجر، ولكن لا تُصلي الفجر بعد طلوع الشمس، ولكن في وقته الأول مع الإمام، لأنها صلاة الشهود: ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (٧٨الإسراء) واستحضر نية قيام الليل،

لأنك ربما لا تستطيع قيام الليل لأنك في تعب طوال النهار، وربما يكون عندك في الصباح عمل شاق، وتريد أن تأخذ قسطاً من النوم لتقضي هذا العمل، كل هذه الأمور وغيرها من الأعذار يقبلها الواحد القهار إذا نويتُ في صلاة العشاء وصلاة الفجر في جماعة قيام هذه الليلة.

---

٢٤٨ مسند أحمد وصحيح ابن حبان عن عثمان بن عفان ﷺ

حتى أنه ﷺ يسَّر لنا أيضاً في حديث عظيم قال فيه ﷺ في ليلة القدر:

{ مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَقَدْ أَخَذَ بِحَظِّهِ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ }[249]

صلاة العشاء فقط في جماعة في هذه الليلة، فهل يوجد تيسير أسهل من ذلك؟!.

كان أصحاب رسول الله كما علَّمهم رسول الله، فسيدنا رسول الله كان يقوم في الليل يتوضأ ويُصلي ركعتين خفيفتين، ثم يُصلي أربع ركعات، تقول فيهن السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ فَلا تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ }[250]

يطيل فيهن قراءة كتاب الله، وفي الركوع والسجود بين يدي الله، ثم يصلي أربع ركعات، ويختم بالوتر، وكان حريصاً على صلاة القيام في وقت السحر، ووقت السحر هو الثُلث الأخير من الليل وهو قبل الفجر، وهذا هو الوقت الذي يتنزل فيه رب العزة إلى السماء الدنيا كما أخبر حضرة النبي ﷺ.

---

٢٤٩ معجم الطبراني عن أبي إمامة ﷺ

٢٥٠ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

وليس معنى يتنزل كما ننزل نحن، لكن يتنزَّل بخيره، وبره، وفضـــله، وجوده، وكرمه، وعطاءاته، وهباته، وإجابة الدعاء، وتحقيق الرجاء .. يتنزَّل بهذه الأشـــياء كلها في الســـماء الأولى في الثُلث الأخير من الليل، وينادي علينا وهو الغني في هذه الساعة:

{ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيبَهُ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ }[٢٥١]

فلو أردنا شـيئاً يقضـيه لنا الله فهذا هو الوقت المفضَّـل للإجابة، فكيف نترك هذا الوقت؟! فلا بد أن نقوم لنُناجي الله حتى يستجيب لنا الله تبارك وتعالى.

الاستغفار بالأسحار

فكان سيدنا رسول الله ﷺ بعد أن يُنهي الصلاة يستغفر الله تبارك وتعالى، وعلَّم أصحابه أنهم بعد أن يُصلوا يختموا الصلاة إلى أذان الفجر بالاستغفار، فقد رُوي أن كل رجل منهم كان يســـتغفر الله ســـبعين مرة، ولذلك مدحهم الله وقال: ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾.

٢٥١ مسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

فإذا كان عليه ذنوب، فهذا وقت مغفرة الذنوب، فيغفر له الله، وإذا كان ليس عليه ذنوب فيستغفر من تقصيره وقصورة في طاعة علام الغيوب، وهل يوجد أحدٌ منَّا يستطيع أن يعبد الله حق عبادته؟!.

فكانوا يقومون بين يدي الله، وبعدها يستغفرون الله وكأنهم يقولون لحضرته: هذه طاقتنا، وهذا وسعنا، ونحن مقصرين فاعذرنا يا إلهنا ويا ربنا، فكانوا يختمون بالاستغفار: ﴿ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾.

الإنفاق على الفقراء

وعندما يطلع النهار، فكانوا يعرفون أن أفضل عمل يرفع الله به مكان العبد في الجنة هو الإنفاق، قال ﷺ:

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ }[٢٥٢]

٢٥٢ صحيح ابن خزيمة ومسند أحمد عن أبي مالك الأشعري

وفي رواية أخرى:

{ لِمَنْ أَلانَ الْكَلامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ لِلَّهِ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ }[253]

فكانوا حريصين على الإنفاق، وليست الزكاة فقط، لأن الزكاة حق الله ولا بد أن يُخرجه، لكن لا بد أن يجعل لنفسه نفقة أخرى للمساكين والمحتاجين من أُمة محمد أجمعين، رغبةً في ما عند الله تبارك وتعالى: ﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾.

ونحن في هذا الزمن ـ الحمد لله ـ الخيرات كثيرة ووفيرة، والإنفاق زاد عن الحد، لكن لو طُلب منه أحد شيئاً لله، يقول: ليس معي شيئاً، وعليَّ ديون وغير ذلك، لكن أنت تُنفق على بطنك بدون حساب، أنت وأولادك، فاجعل شيئاً من ذلك لله.

الشيخ ابن عطاء الله السكندري ﵁ وأرضاه كان يقول لأحبابه من المريدين: (تصدَّق كل يوم ولو بدرهم تُكتب في ديوان المتصدقين) يوجد ديوان للمتصدقين كل يوم، وماذا تصنع هذه الصدقة؟ قال ﷺ:

{ الصَّدَقَةُ تَسُدُّ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ السُّوءِ }[254]

---

٢٥٣ مسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
٢٥٤ معجم الطبراني عن رافع بن خديج ﵁

الصدقة تدفع سبعين باباً من البلاء، وقيل: أدناها الهَمْ، والهَم لو أصاب إنسان قد يموت، لكن سبعين باباً من البلاء تمنعهم عنك الصدقة، فلا بد للإنسان أن يكون له حرصٌ شديدٌ على أن يُنفق مما آتاه الله على فقراء الله ولو قليل، وليس هناك حد معين.

السيدة عائشة رضي الله عنها كانت تأكل عنباً، فجاءها سائل فأعطته حبة عنب واحدة، فقالوا لها: حبة عنب واحدة يا أُم المؤمنين؟! قالت: (إن فيها مثاقيل كثيرة من الحسنات!!) المهم النية وليس المهم قدر العطية، لأن النية فيها البركة.

إذاً لا بد أن يكون للإنسان في كل يوم نصيبٌ من الصدقات لكي يدفع الله عنه البلاء، ويرفع الله عنه وعن أهله الأذى، ويشمله وأهله برعايته على الدوام، ويكون أيضاً مع الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

سيدنا رسول الله كان أجود بالخير من الريح المرسلة، يعني أجود من الريح، وحتى عندما لا يكون معه شيء كان جواداً، فقد جاءه رجلٌ فقير يسأله، فقال النبي ﷺ:

{ مَا عِنْدِي شَيْءٌ، وَلَكِنِ ابْتَعْ عَلَيَّ فَإِذَا جَاءَنِي شَيْءٌ قَضَيْتُهُ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَعْطَيْتَهُ، فَمَا كَلَّفَكَ اللَّهُ مَا لا تَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ قَوْلَ عُمَرَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْفِقْ وَلا تَخَفْ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلالا، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَرَفَ الْبِشْرَ فِي وَجْهِهِ لِقَوْلِ الأَنْصَارِيِّ، ثُمَّ قَالَ: بِهَذَا أُمِرْتُ }[٢٥٥]

٢٥٥ الأحاديث المختارة لضياء المقدسي والشمائل المحمدية للترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

﴿ وَفِىٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾ والسائل الذي يطلب، والمحروم الذي يستحي أن يطلب ولكنه محتاج، و هذا الذي ينبغي أن نبحث عنه: ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبًا فِى ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافًا ﴾ (٢٧٣البقرة) وفسَّر سيدنا رسول الله ﷺ هذه الآية فقال صلوات ربي وتسليماته عليه:

{ لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنْ الْمِسْكِينُ الَّذِي لا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلا يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ، وَلا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ }[٢٥٦]

المسكين هو المتعفف أبا العيال، كما قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ يُحِبُّ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ الْفَقِيرَ الْمُتَعَفِّفَ أَبَا الْعِيَالِ }[٢٥٧]

---

٢٥٦ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ
٢٥٧ سنن ابن ماجة والطبراني عن عمران بن حصين ﷺ

الرجل الذي عنده عيال كثيرة، ودخله لا يكفيهم، وعنده عزّة نفس فلا يســـتطيع السؤال، ولا يعرض حاله على أحد، من الذي يبحث عنه؟ إخوانه المسلمين، لأن النبي قال لنا:

{ لَيْسَ بِالْمُؤْمِنِ الَّذِي يَبِيتُ شَبْعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ }[٢٥٨]

لا بد أن نبحث عن بعضنا، ونساعد إخواننا المسلمين المحتاجين.

الذي يمشــي على هذه الشــروط والمواصـفات، ويُجهز هذا الملف، فهذا يا هناه، لأنه سيكون يوم القيامة مع سيدنا رسول الله ﷺ في الموقف العظيم، ومع سيدنا رسول الله ﷺ تحت المقام المحمود، ومع سيدنا رسول الله ﷺ في دار الخلود.

آيات الآفاق وآيات الأنفس

خُتمت هذه الآيات التي معنا بقول الله تعالى: ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٌ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ ﴾ نحن جماعة المسـلمين أحوج ما نكون في هذا العصــر إلى هذه الآيات القرآنية وتفســيرها بحســب ما وصــلت إليه المخترعات العصــرية في اكتشــاف الوظائف الإلهية لكل الكائنات الأرضـية والسـماوية التي حولنا، والوظائف الإلهية لكل الأعضاء التي ركَّب الله تبارك وتعالى منها أجسامنا.

٢٥٨ الحاكم في المستدرك والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها

ولذلك أنا دائماً أُنوِّه مراراً وتكراراً؛ أن أحسن طريقة لترسيخ العقيدة للأطفال أن أحضر لهم البرامج العلمية التي فيها الإعجاز العلمي للآيات القرآنية، ولكن على قدرهم، وتكون بشرح مُصوَّر وأُريها لهؤلاء الأولاد على شاشة أو على كمبيوتر، وأربطها بآيات كتاب الله تبارك وتعالى.

وكلنا نحتاج إليها لأن الله يقول لنا: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ (٥٣فصلت) لماذا؟ ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (٥٣فصلت).

القرآن كتاب مسطورٌ، والكون كتاب منظور، فنقرأ فيه الآيات الكونية، والله ﷻ سمَّاها آيات: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ ﴾ (١٩٠آل عمران) وهي غير الآيات التي بالمصحف.

فهذه الآيات هي التي تُرسِّخ العقيدة، وتُثبِّت التوحيد في نفوس أولادنا وبناتنا، وكذلك في نفوس كبارنا عندما تُشرح لهم بتبسيط وتسهيل مع ربطها بالآيات القرآنية.

واقترحت على السـادة المدرسـين الذين يدرسـون الأحياء والفيزياء والعلوم في المرحلة الإبتدائية والإعدادية، أنهم أثناء شـــرحهم لهذه المواد من الناحية العلمية يربطوها بالآيات القرآنية، مثلاً يُبيِّن للأولاد إعجاز الله في الجهاز الهضمي، وإعجاز الله في العين، وإعجاز الله في السمع، وإعجاز الله سبحانه وتعالى في الجهاز الدوري، وإعجاز الله في الجهاز العصبي، وإعجاز الله في المخ، فعندما يرى الصغير أو الكبير هذه الأشياء يزيد يقينه، ويثبت إيمانه بالواحد الأحد تبارك وتعالى.

عبادة التفكر

ولذلك العبادة التي بدأ بها ﷺ مع صـــحبه الكرام، وتخَّلى الناس عنها في زماننا!!، هي عبادته التي بدأ بها عندما كان يختلي في غار حِراء قبل البعثة، فماذا كان يعمل في غار حراء؟ هل كان يُصـلي؟ أو يصـوم؟ أو يقرأ القرآن؟ القرآن لم يكن قد نزل بعد، فماذا كان يفعل؟ قالوا: كان يجلس أو يقف في الغار يتفكَّر في خلق الله تبارك وتعالى.

لكن عبادة التفكُّر تحتاج لمنهجها من العرش إلى الفرش، فلا أتجاوز العرش، لأنني سأدخل في متاهات لا أستطيع معرفتها، ولا الإحاطة بها، قال في ذلك ﷺ:

{ تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ، وَلا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ فَتَهْلِكُوا }[259]

لأنه ليس معك الأدوات ولا الآلات التي تُدرك بها حضـــرة الذات - حاشـــا لله سبحانه وتعالى - ولكن تطَّلِع على قدرك ما تستطيعه آلاتك التي أعطاها لك ربُك من الآيات.

ما الآيات التي نقرأها؟ عندنا كتابين، كتاب الكون وكتابك، أما كتاب الكون: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ ﴾ (٥٣فصـــلت) وأما كتابك: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (٥٣فصلت) والإمام عليّ رضي الله عنه وكرَّم الله وجهه كان يقول:

---

[259] العظمة للأصبهاني عن أبي ذر رضي الله عنه

أتــزعــم أنــك جِــرمٌ صـــــغــيــرٌ وفـيـك انـطـوى الـعــالـم الأكـبـرُ
دواؤك فـــيـــك ومـــا تُـــبصـــر وداؤك مـــنـــك ولا تشــــعـــرُ

أنت يُهيئ لك أنك شـــيء بســيط، ولكن أنت فيك كل ما في الأكوان!!، أنت باختصار الريموت الذي فيه كل شاشات الحق تعالى في الأكوان، ومعك هذه المفاتيح، ولكن تبدأ بالتفكُّر، والتفكُّر لا يكون إلا بعد طهارة القلب، ونقائه وصـــفائه حتى يؤتي الثمرة المرجُوَّة.

عبادة التفكر ما الذي يســاوِّيها من النوافل التي نحرص عليها؟! هل قيام الليل؟! أم صيام النهار؟! أم صلاة التراويح؟! حضرة النبي قال:

{ لا عِبَادَةَ كَالتَّفَكُّرِ }[260]

لا عبادة في الأجر والثواب عند الله كعبادة التفكُّر، وما قدر أجرها؟ قال ﷺ:

{ تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ }[261]

وفي رواية أخرى:

{ فِكْرَةُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً }[262]

---

٢٦٠ معجم الطبراني ومسند الشهاب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
٢٦١ الفوائد المجموعة للشوكاني
٢٦٢ العظمة للأصبهاني عن أبي هريرة رضي الله عنه

وكلمة ســاعة إذا ذُكرت في القرآن أو في الحديث ليس معناها ســتين دقيقة، لأن هذه الســـاعات لم تكن موجودة، ولكن الســـاعة يعني لحظة: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ (٥٥الروم) وســاعة هنا يعني لحظة، ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ﴾ (١٨٧الأعراف) يعني اللحظة التي تقوم فيها القيامة.

علم الآيات

وقد لفتُّ أنظار أحبابنا الذين عندهم مكاتب تحفيظ قرآن أنه يوجد على الإنترنت قرآن مُصوَّر بحسب ما وصل إليه العلم الحديث، يعرض الآية، ثم يأتي بفيلم يشرح الآية حسب ما وصل إليه العلم.

صحيح أن العلم لم يصل إلى الحقائق الثابتة، لكن هي وسيلة لتقريب الفهم إلى أذهان أولادنا وبناتنا وشـــدُّهم إلى كتاب الله، وتثبيت الإيمان في قلوبهم بهذه البيانات التي بيَّنها وسخَّرها لنا الله تبارك وتعالى.

مثال: عندما نعرض لأولادنا قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ۝١٤ ﴾

(المؤمنون) وأُريه فيلم لشـرح هذه الآيات بحسـب ما صـوَّره المُحدثين، وأقول له: لماذا جاء الله بثُمَّ في بعض الأطوار، وجاء بالفاء مباشـرةً في أطوار أخرى، وأُبين له هذه المعلومة، فما الذي سيحدث؟ سيزيد يقينه في الله تبارك وتعالى، ويزيد عنده الإيمان.

إذاً هذه الأمور التي نحتاجها في هذا الزمان، لأنني أرى حيرة كبيرة بين الآباء مع الأبناء، فالأبُ يظل مشـغولاً ويعتبر أنه مسـئول، وكل مسـئوليته أنه يُوفِّر للأولاد الطعام والملبس والدروس والتعليم، فيكبر الولد ويُصبح رجلاً ....

ويبلغ ولا يُصلي، فيُكلمه فلا يستطيع!!.

وهناك مصيبة كُبرى حلَّت في بعض الأماكن الآن كالجامعات وغيرها، فيتصيَّده الملحدون، ويأخذوه ويُشكِّكوه في الله وفي رسول الله وفي دين الله تبارك وتعالى، وقد يستجيب لهم، لماذا؟ لأنني لم أُحصِّنه.

فكما أني حريص على أن أُحصِّنه وهو طفل صغير من الأمراض، يجب أن أُحصنه تحصين إيماني حتى لا يستجيب للملحدين، ولا للوجوديين، ولا للبهائيين، ولا لغيرهم من الفرق الشاذة التي كثُرت في هذا الزمان، لأني أنا المسئول، لقول رب العزة تبارك وتعالى: ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ (٦التحريم).

فلا تبحث عن نفسك فقط، فأنت مسئول عن أولادك، منذ متى؟ من البداية، نبدأ معه بعلم آيات الله التي في الأكوان، وآيات الله ﷻ التي في الإنسان.

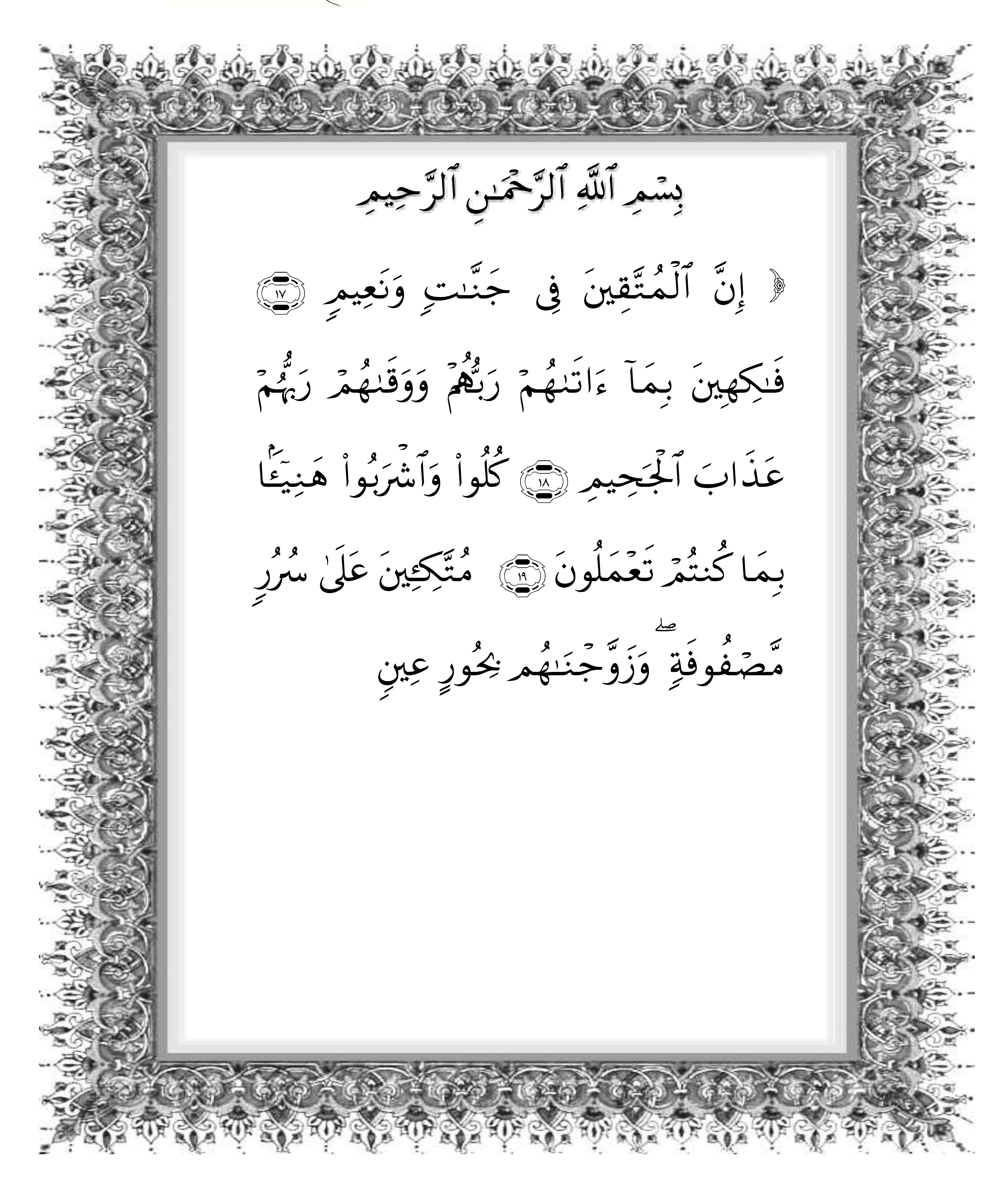
وهذا أكبر دليل وبرهان على قدرة حضرة الرحمن تبارك وتعالى، وطبعاً لا يسع الوقت لذكر هذه الآيات في هذه الآنات، لكن ألفت النظر أننا نحاول أن نتفكَّر في النفس وفي الآفاق.

وهناك قراءة أُخرى لآية النفس يقول فيها الله تعالى: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَهُ ﴾ يعني ألا ترى قدرة رب العزة وإبداعه وجميل صُنعه فيك؟!! لا بد وأن تعرف قدرة الله فيك وتتفكَّر، لماذا؟ لتشكر الله على عطاياه، وتزيد في شكر الله على نعمه في صُنعك، وفي تيسير الأمور لك: ﴿ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ ﴾ (٧إبراهيم).

الذي يكشف عن هذه الآيات عن طريق التفكر والتذكر يُصبح من الموقنين، أي يصـــل إلى مقام الإيقان، والإيقان يعني أن لا يتزحزح ولن يتحوَّل ولن يتغير مهما تعرض لفتن أو آراء شاذَّة، فيكون كالجبل لا يُحركه شيء، لأنه أصبح راسخ الإيمان، وثابت اليقين في الواحد الديان تبارك وتعالى.

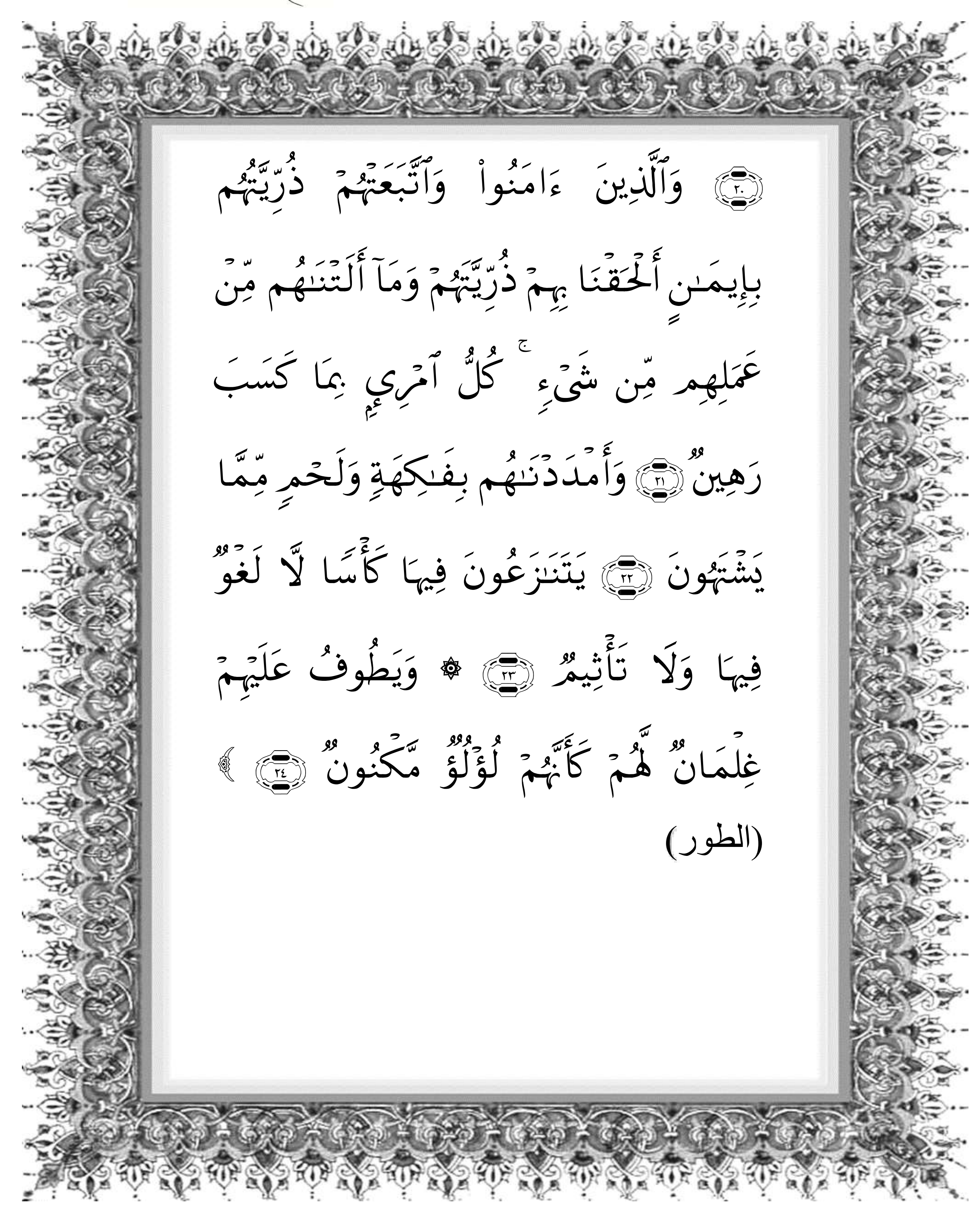
نســـأل الله تبارك وتعالى أن يُعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يجعل أولادنا وبناتنا يسـارعون في الخيرات، ويسـابقون في الطاعات، وأن يهديهم الله بهُداه للتفكر في أنفسـهم، وفي خلق الأرض والسـماوات، حتى يصـيروا من الراسـخين في العلم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ١٧ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ١٨ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٩ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ



﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾ وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الطور)

١٧.جنات ونعيم[٢٦٣]

بسم الله الرحمن الرحيم - نحمد الله على جميل هُداه، ونشكره سبحانه وتعالى على ما ملأ قلوبنا من تقواه، ونسأله ﷻ أن يديم علينا فضله وجوده وعطاياه، حتى نستديم على التقوى حتى نلقاه، ونكون يوم القيامة من الممدوحين بتقوى الله في كتاب الله في تقواه، ومن الثُلة المباركة في معية رسول الله أجمعين.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد مصدر كل خير، ومنبع كل برٍّ، وسرُّ كل سر، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه وحزبه والناهجين على هديه إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين بمنك وفضلك وجودك يا أرحم الراحمين.

الآيات التي معنا اليوم آياتٌ تشرح الصدر، وتُثلج الخاطر والبال، وتسر القلب والفؤاد، لأن الله تبارك وتعالى فتح لنا فيها من العطايا الإلهية ما نعجز أجمعين عن شُكره حتى ولو رزقنا أعماراً من عنده حتى انتهاء دار الدنيا الدنية، لأن الله جعل فيها من الخير ما لا نستطيع عده ولا حده.

---

[٢٦٣] المنيا – مركز شباب العدوة ٢٠ من رجب ١٤٣٩هـ ٢٠١٨/٤/٧م

وصف المتقين

نســـأل الله أجمعين أن نكون من المعنيين بقول رب العـالمين: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾

والتقوى الكلام فيها واسع لا نهاية له، لكن باختصار شديد هي فعل ما أمر الله، وترك ما نهى عنه حضـرة الله، ـــــ فمن المتقي؟ هو الذي يفعل ما أمره به مولاه، ويتجنَّب ويترك فعل ما عنه نهاه.

ويجب أن يستديم المرء على ذلك، ولا يستطيع أحدٌ منا أن يستديم على ذلك إلا بتوفيق من الله، ومعونة ورعاية من الله، فإن رعاية الله لو تخلَّت عنا طرفة عين، ما استطعنا أن نصنع طاعة، ولا أن نمنع أنفسنا عن معصية، فلله الحمد في الأولى وفي الآخرة.

الذي يســـتطيع بتوفيق من الله، ويســـتمد العون من مولاه ليعينه على طاعته، ويحفظه من الوقوع في مخالفته وعصيان أمره، فهذا يكون من المتقين.

وبدأ الآية بحرف (إنَّ) للتأكيد، يعني ليس ظناً وإنما هو أمرٌ أكيد أنه اندرج في صفوف المتقين.

جنات المتقين

أين هؤلاء المتقين؟ ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ﴾ لم يقُل سيدخلون، وإلا قلنا أنهم سـوف يدخلون في الآخرة، لكنهم الآن ﴿ فِي جَنَّٰتٖ ﴾ وليسـت جنة واحدة ولكنهم في جناتٍ ونعيم، وما هذه الجنات التي هم فيها الآن؟ جنات طاعة الله سـبحانه وتعالى، فمجلسـنا هذا روضـة من رياض الجنة، ومجلس تلاوة القرآن روضـة من رياض الجنة، ومجلس الصُلح بين المتخاصمين من المؤمنين روضة من رياض الجنة .. أيُّ مجلس لفعل الخير والبر والمعروف في الدنيا يكون روضة من رياض الجنة.

فالمؤمن لا يتقلب في الدنيا إلا فيما ذكرناه، أو قريباً منه بما جاء في كتاب الله، وما وضـحه سـيدنا رسـول الله، فالمؤمن يتقلب في جنات، من جنة إلى جنة، ومن روضة إلى روضة، وهو في الدنيا في جنات الطاعة على الدوام.

وهذا غير جنات الآخرة، فهذه أمرها محفوظ وهي لا شـك فيها، بل نعلم علم اليقين - والحمد لله - أننا جميعاً إن شـاء الله من داخليها، إن لم يكن بأعمالنا فسـندخل بشفاعة نبينا، وشفاعة إخواننا المسلمين، وبفضل الله وإكرام الله وعطف الله ورحمة الله سبحانه وتعالى لنا جماعة المسلمين.

فالمتقين في الدنيا في جنات، لأنهم بعيدين عن مجالس الغفلة، ومجالس السوء، ومجالس الشَّر، وكل المجالس التي نهى عنها الله لا يخوضون فيها.

دائماً يُذكِّرون أنفسهم بقول الله: ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٦٨الأنعام) إياك أن تضحك عليك نفسك وتجلس مع هؤلاء الظالمين ولو طرفة عين، لماذا؟ لأنك لا تعرف الختام، فربما يأتيك الختام وأنت وسط هؤلاء الأقوام، وقد قال ﷺ:

{ إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا }[٢٦٤]

وقال ﷺ: { يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ }[٢٦٥]

ماذا تفعل لو جاءك الختام وأنت وسط هؤلاء الأقوام الذين ظلموا أنفسهم؟!! هل يؤذن لك بأن تأخذ من الله ﷻ حيناً من الزمن أو فرصة من الوقت حتى تغادر هذا المجلس؟!! كلا، ولذلك المؤمن دائماً حريص وينتظر على الدوام كما قال الله لنا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ (١٨الحشر) وبعد التقوى ماذا ننتظر؟ ﴿ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ (١٨الحشر) تنتظر النداء من ملك الملوك سبحانه وتعالى، وهذا أمر لا شك فيه، فيكون دائماً بعيداً عن هذه المجالس حتى يكون في روضات الجنات.

---

٢٦٤ صحيح البخاري ومسند أحمد عن سهل بن سعد رضي الله عنه
٢٦٥ صحيح مسلم ومسند أحمد عن جابر ﷺ

نعيم الطاعة

الذي يكون في هذه الروضات في ماذا يكون؟ ﴿فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ﴾ يكون في نعيم، نعيم حلاوة طاعة الله، وطاعة الله لو ذاقها الإنسان وذاق حلاوتها فلن يجد في الوجود حلاوةً تضاهيها أو تساويها.

وقد يُضحي بنفسه استساغةً لطاعة الله ﷻ، كالرجلين الجليلين اللذين أوكل إليهما سيدنا رسول الله ﷺ مهمة حراسة الجيش في إحدى الغزوات، الجيش كله ينام، وهما الإثنان يتوليان الحراسة، فرضيا ولم يكن أحدٌ منهم يعترض ظاهراً أو باطناً على أمر الحبيب ﷺ.

وبعد ذلك تشاورا مع بعضهما: ما رأيك يا فلان أنك تأخذ نصف الليل الأول في يقظة وأنا أنام بجوارك، وبعد ذلك تُوقظني في منتصف الليل وتنام أنت بجواري، فوافق، فقال له: ماذا ستفعل؟ قال: سأُصلي، فقال له: إذا حدث لك مكروه أيقظني حتى لا نملِّك العدو من سيدنا رسول الله ﷺ وصحبه المباركين.

ودخل الرجل في الصلاة، وشعر بحلاوة طاعة الله، وحلاوة طاعة الله تجعل الإنسان في غيبة عن كل الأكوان بما فيها فرحاً بفضل مولاه.

وكما تعلمون أن سيدنا الزُبير عندما طلبوا منه قطع رجله، فقال لهم: وأنا في الصلاة أتذوَّق حلاوة الطاعة فاقطعوها ولن أشعر، لا يحتاج إلى مخدِّر ولا مسكنات ولا ما شابه، لأن أعظم المسكنات السكينة التي تنزل على القلوب من حضرة علام الغيوب ﷻ.

فالرجل وهو يُصلي رآه الأعداء، والجيش كله نائم، فضربوه بسهم جاء في رقبته، فأخذ السهم ونزعه ولكن الدم ينزف، وواصل الصلاة، فأصابوه بسهم آخر وهو في ركوعه فأصابه في ظهره، فنزع السهم ولم يخرج من الصلاة وواصل، وهو ساجد ضربوه بسهم جاء في مقتله، فشعر أنه سيموت، فتعجَّل الصلاة وسلَّم وأيقظ من بجواره، فلامه أخاه وقال له:لِمَ لم تُوقظني مع أول سهم أصابك؟! قال: كنتُ أستشعر حلاوة لا أستطيع وصفها ولا أجد لها شبيهاً ولا مثيلاً، ولولا أني خشيتُ أن أموت فأُمكِّن الأعداء من رسول الله ﷺ وصحبه الكرام ما أيقظتك!!، هذه هي حلاوة الطاعة، قال ﷺ:

{ ذَاقَ طَعْمَ الإيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا رَسُولا }[٢٦٦]

ذاق طعم الإيمان، وحلاوة الطاعة لحضرة الرحمن سبحانه وتعالى.

---

٢٦٦ صحيح مسلم ومسند أحمد عن العباس بن عبد المطلب ﷺ

وهنـاك من هو في نعيم أرقى، وهو نعيم الأُنس بـذي الجلال والإكرام، ونعيم الأُنس بالله لا نستطيع وصفه ولا الحديث عنه، يكفي فيه قول الإمام أبو العزائم ﷺ:

الأنــس بـــالله أغــنـــانـــي عــن الــنـــاس والأنــس بـــالله مــعــراجــي ونــبــراســـــي

إذا أنس الإنســان بالله غُيِّب عن الكون كله بما فيه شـغلاً بمولاه، فلا يشـعر بأي شيء أبداً من حوله، وهذا اسمه نعيم الأُنس بالله.

نعيم القرب

وهناك نعيم القرب من حضـرة الله، فيُحسُّ بتلاشـي المسـافات، وزوال الجهات، والأنوار تتلألأ في قلبه من كل النواحي والجهات، وتغمره الهبات والعطايا من الله سبحانه وتعالى متتابعات ومتتاليات، ومثل هذا في نعيم يقول فيه كُمَّل العارفين: (نحن في نعيمٍ لو يعلم الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالســيوف) ما هذا؟ نعيم القرب بالله سبحانه وتعالى.

فكيف إذا فُتحت له عين البصـيرة، وكُشـفت له عين الســريرة، وشــاهد الحقائق الإلهية في العوالم المنيرة؟! فماذا يكون حاله؟ ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥الأنعام)

هؤلاء أهل مقام الإيقان؛ يشهدون هذه المشاهد العالية، كما كان سيدنا علي ﷺ وأرضاه يقول: (لو كُشف عني الحجاب ما ازددتُ يقينا) لماذا؟! كان نائماً في مسجد حضرة النبي، وكان حضرة النبي داخلاً للمسجد، فقالوا له: إن علياً نائماً، فهل نوقظه؟ فقال لهم ﷺ كما ورد في الأثر: (دعوه عليٌّ وإن كان جسمه على الثرى إلا أن قلبه بالملأ الأعلى).

إن الرجال كنوزٌ ليس يدريها ... إلا مرادٌ تحلّى من معانيها
في الأرض أجسامهم والعرش مقعدهم ... قلوبهم صفت والله هاديها
هم الشموس لشرع المصطفى وهمُ ... سفينة الوصل باسم الله مجريها

فبمجرد أن الإنسان تغفُل عينه في الأكوان، فإن الروح تسرح في عوالم حضرة الرحمن، وليس الملكوت فقط، لأن الملكوت أول العوالم الإلهية، ولكن في عوالم حضرة الرحمن سبحانه وتعالى، إذاً ألوان النعيم التي يعيش فيها المقربين والمتقين في الدنيا أشرنا إلى بعضها، لكنها لا نهاية لمنتهاها وحسبنا قول الله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴾.

﴿ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ ﴾ وكلمة فاكهين يعني يتلذذون بما أعطاهم الله مباشـــرة من المشـــاهدات، ومن الفتوحات، ومن العطاءات، ومن الإكرامات .. يتلذذون بهذه الأحول لذة لا يستطيع أن يصفها إنسان، لأنها لذة معنوية قلبية وروحية لا تُوصف ولكن تُذاق، ذُق تعرف.

حفظ الحفيظ

﴿ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ هذه الآية ككل آية في القرآن لها ظاهر وباطن، كما قال ﷺ:

{ أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، لِكُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ } [٢٦٧]

٢٦٧ صحيح ابن حبان والطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

وفي رواية أخرى:

{ أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، لِكُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَلِكُلِّ حَدٍّ مُطَّلَعٌ }[268]

ظاهر هذه الآية أنهم سيأخذون من الله سبحانه وتعالى شهادة أمان مكتوب عليها: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ (٨٢الأنعام) عندما يخرج من هذه الدنيا يجد في البرزخ روضة من رياض الجنة، والملكين يستقبلاه ليهنئاه ويُعظماه ويكرماه وليس ليسألاه، وفي الآخرة له ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

إما أن يخرج على قصوره في الجنة فوراً، أو يكون على منابر من نور قدام عرش الرحمن، وإذا كان عالي الشأن يشفعونه في عدد من أهل النيران اكراماً له من ربه ومن بركة النبي العدنان ﷺ، وإما أن يكون لك مقعداً عظيماً تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله .. وكل واحد على حسب ماله عند مولاه مما كان في قلبه من إخلاصه لله عند نواياه:

{ إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ }[269]

---

٢٦٨ مشكل الآثار للطحاوي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

٢٦٩ البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ

وما دام سيأخذ شهادة من ملك الملوك أنه ليس له علاقة بالجحيم، فسيأخذ هنا في الدنيا حفظ من الحفيظ من الوقوع في الغفلة، ومن أي ذنب يُغضب الله تبارك وتعالى، فالعصمة للأنبياء والحفظ للصالحين والمتقين والأولياء، فيتولاه باسمه الحفيظ فيحفظه من الوقوع في الزلل حتى ولو همَّ به أو خطر على باله.

لأن الأنبياء لا يخطر الذنب على قلوبهم، لكن المؤمن قد يمر الذنب على باله، وقد يخطر على فؤاده، لكن عند التنفيذ إذا كان من المكرمين يحفظه الحفيظ ﷻ فلا يُنفِّذ، وينطبق عليه القرار الإلهي:

{ مَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً }[٢٧٠]

لماذا لم يعملها؟ لأن الذي حفظه الحفيظ ﷻ، فيحفظه الله تعالى من الوقوع في ما يُغضب الله، وما يؤدي إلى دخول النار والعياذ بالله تبارك وتعالى، ويُقال لهم: ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾.

وإذا كان من أهل القرب وقاه الله في الدنيا من الحجاب عن حضرته، ومن البعد عن طريق أهل طاعته، ومن سلوك غير طريق أحبته، ومن الصدود عن العمل الصالح الموصل لرضاء حضرته .. يقيه الله من كل ما ذكرناه من البعد ومن الحجاب ومن الصدود، لأن الله سيُحبب إليه الطاعات ويُلذذه في ذكر الله في كل الأوقات.

---

٢٧٠ البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما

الحال الهني

ويُقال له في الآخرة: ﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا ﴾ وهنيئاً يعني إذا كان الطعام والشـرب لن يحدث منه ضرر ولا مرض ولا حتى انتفاخ ولا شيء يُعكر صفو الإنسان.

وإذا كان في الدنيا من أهل الفتح فيأكل من العلوم الإلهية، والحكم الربانية، والأسرار القرآنية، وفصوص الحكم للأحاديث النبوية .. طعام شهي تشتهيه الأرواح، ولها شـهوةٌ أكثر من شـهوة الأشـباح، ولكن لمن ذاق هذا الراح، وهذا كان يقول فيه الإمام أبو العزائم ﷺ:

جعنا فاطعمنا الحقائق ربنا واسقِ الجميع محبة الغفار

يطعمهم الحقائق للقلب والفؤاد والروح والسـر وهذه العوالم العلية، وماذا يشربون؟ قال: (واسقِ الجميع محبة الغفار) يشربون في الجنة من ماءٍ معين، أو عند حوض الكوثر للنبي الكريم، أو من عينان نضاختان.

ويشربون في الدنيا من شراب المحبة من سيد الأحبة: ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (٢١الإنسان) وشراب المحبة لو شربت منه حبَّةٌ لا تُبقي في القلب لغير المحبوب حبَّة؛ شراب طهور يُطهِّر القلب من الأغيار ليتأهل لتَنَزُّل الأنوار، ثم إفاضة الأسرار من عالم الأسرار ﷻ، ونحن نأخذ الآيات من المشهدين، لنُعطي كل واحد مشربه، لكننا مع أهل الظاهر بالظاهر فقط، لأنهم لا يعرفون غير ذلك، حتى لا يُظهر أحد ما لا يُطاق.

﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ إذاً كل الذي أشرنا إليه من المُتع نتيجة العمل، فما بالك كيف يكون الفضل؟ ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٥٨يونس) والذي يقول فيه: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (٢١الحديد) كيف يكون هذا؟ هذا شيء آخر، وهو خصوصيات لأهل الخصوصيات، وإكرامات ذاتية لمن عليهم توصية من الحضرة المحمدية.

ومثلها:

﴿ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ ﴾ (١٠٥البقرة) فهذا اختصـــاص، لكننا نتكلم عن المقام العام، ونحن والحمد لله كلنا من الخواص ولســنا من أهل المقام العام، وهذا من فضل الله علينا وعلى الناس.

نعيم الجنة

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ ﴾ :

نعيم الجنة ليس فيه كدٌّ ولا تعب ولا ألم ولا نَصَب، فيكون الإنسان متكئ، يعني نائماً أو نصف نائم على سريره، وكل ما يخطر على باله يأتيه فوراً في وقته.

- إذا كان من أهل اليمين سيكون له خدمٌ يأتون له بالنعيم!
- وإذا كان من المقربين فليس في حاجة إلى خدم لأن كل شـــيء في الجنة ســيكون في خدمته، فلا يحتاج لأحد أن يذهب إلى الشـــجر ليأتيه بالفاكهة، ولكن الشـــجرة هي التي تتحرك نحوه بمجرد أن يخطر على باله فاكهة يريدها، وتُنزل له ما يريد ...

- وإذا خطر على باله أخاه فلان، فإن السـرير يتحرك ويأخذه إليه ويستأذن حتى يكون بجواره أخاه فلان على سُررٍ مصفوفة، لذلك المحبون يكونون بجوار بعضهم في الجنة، فكما كانوا يأتنسون ببعضهم في الدنيا سيأتنسون أيضاً ببعضهم في الآخرة، ولكن ليس بالأحاديث الدنيوية والشواغل الكونية، ولكن بالأحاديث القدسية، والمؤانسات الإلهية، والإكرامات المحمدية التي رأوها في حياتهم الجنانية، وهذه مادة ليس لها نهاية .
- إكرام واسع وعطاء شاسع ليس له عدٌّ ولا حدٌّ.

زوجات الجنة

﴿ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ الزوجات سيكون فيهن كل مواصفات الجمال التي تخطر على بال الإنسان، إن كان زوجاته الدنيوية، أو إن لم يكن له زوجة في الدنيا سيكون من الحور الجنانية، ولكي نعرف أيضاً أن الزوجات في الحياة الدنيوية اللائي كنَّ سائرات على نسق الحضرة المحمدية، وعملن بقول خير البرية:

{ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ}[٢٧١]

---

٢٧١ الحاكم في المستدرك والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

فهذه ستكون من ملكات الجنان، في الحلاوة والحُسن والشكل وكل شيء، وسيكون الحور خدم عندها ووصيفات لها، لأنها هي صاحبة العرش، وستكون في حالة أُخرى غير التي كنت تراها بها في الحياة الدنيا، ويكفي قول رسول الله ﷺ:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلا يَتْفُلُونَ، وَلا يَبُولُونَ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَمْتَخِطُونَ }[٢٧٢]

أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتنخمون ولا يسقمون ولا يشيبون، وبالنسبة للنساء لا يحضن، وكل المشاكل التي كانت تسبب لهن متاعب في الدنيا فلن تحدث في الجنة.

فعندما يخرج الإنسان من الدنيا، وقبل خروج روحه يرى ما له في الجنة فيقول: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ (٣٤فاطر) لا يوجد شيء اسمه حُزن في الجنة، ولكن فرحٌ وسرورٌ وطرب وحبور ولذَّة ما بعدها لذَّة في حضرات القرب من القريب تبارك وتعالى.

زوجتي تعبت معي في الدنيا، وشاركتني همومي ومشاكلي، وساعدتني في تربية أولادي، وكانت مستقيمة، وفي الآخرة أجلسوني في أعلى قصور الجنة، وزوجتي لا أراها، ولا أعرف أين ذهبت؟! فهل أتمتع بشيئ هناك؟!

---

٢٧٢ صحيح مسلم ومسند أحمد والطبراني عن جابر رضي الله عنه

لا، لأني أريد أن أطمئن عليها، وهذا حال أهل الوفاء، ونحن أهل الوفاء، فهل تكون معي في الشـــدة وعندما أكون هناك في النعيم أنســـاها؟! لا، لكن لا بد أن أبحث عنها.

وهل أبحث عن زوجتي فقط؟ لا، وإلا لا يكون عندي برٌّ، ولكن أبحث عن أبي وأُمي وأولادي.

وإذا كان هناك إنسان له شأنٌ في الدنيا، وأقامه الله لإرشاد الخلق، وشيَّخه رسول الله، فهذا أيضاً يبحث عن أحبابه، ليعرف أين ذهبوا لأنه لن يطمئن وهو في الجنة من غير أن يعرف عنهم شيئاً، لأنهم كانوا معه في الدنيا.

إكرام الله للصالحين في أهليهم

كل هؤلاء داخلين في قول الله:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾ :

كل المؤمنين الذين عملوا الصـــالحات سـيُطمئنهم الله على ما ذكرناه، قال الله في كتاب الله عندما بيَّن ما يقوله لعباده الأخيار:

﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ۝٦٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٦٩ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ۝٧٠ ﴾ (الزخرف) كل واحد يبحث عن زوجته ويأخذ بيدها ويُدخلها معه، وقد لا تكون مثله في العمل، لكن يُكرمه الله ﷻ ويرفع درجة زوجته إلى درجته وإن كانت دونه في العمل اكراماً لصـــلاحه وتقواه، وإذا كان أولاده ملتزمين بالإيمان، ولكنهم مقصـــرين قليلاً في طاعة الرحمن، أيضـــاً يُكرمهم الله ويرفعهم إليه ويُلحقهم به، فيحصِّـلوه، لماذا؟ اكراماً لصــلاحه وتقواه، قال ﷺ في حديثه الجامع:

{ إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ ذُرِّيَةَ الْمُؤْمِنِ فِي دَرَجَتِهِ، وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ، لِتَقَرَّ بِهِمْ عَيْنُهُ، ثُمَّ قَرَأَ: " وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ " }[٢٧٣]

إذا دخل الرجل الصـالح الجنة رفع الله إليه ذريته إلى مقامه، وإن كانوا دونه في العمل اكراماً لصلاحه وتقواه، وكذلك الأبوين، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَّى لِي هَذِهِ، فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ }

---

٢٧٣ القضاء والقدر للبيهقي ،ومعالم التنزيل تفسير البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما

يرفع الله ﷻ العبد الدرجة في الجنة لم ينلها بشيء من عمله، ولكن باستغفار ابنه له، فكلنا نُكرم ببعضنا البعض.

هذه الذرية النَسَبية مثلها تماماً الذرية السببية، والتي سببها المحبة، ونسبها المحبة بين الأحبة: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ (الزخرف).

وقد ورد في بعض الآثر: (إذا تآخى اثنان في الله تعالى وأدخل الله أحدهما الجنة، فيقول: يا رب أين أخي فلان؟ فيقول الله تعالى: إنه لم يعمل بمثل عملك، فيقول: يا رب إني كنت أعمل لي وله، فيقول الله تعالى: خذ بيد أخيك وادخلا معاً الجنة).

وهذا إذا كانا من أهل الجنة، لكن إذا تحولوا إلى الدوائر الجنائية، وأخذوا أحكاماً، وذهبوا لتنفيذها في السجون الجهنمية، فهل نستطيع عمل شيء لهم؟ نعم بالشفاعة، سيدنا رسول الله قال:

{ شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي }[٢٧٤]

من أخذ حكماً يُخفِّض له الحكم، اكراماً لرسول الله، ويستأذن الله أن يُشفعه فيمن دخل النار من أمته، فيأذن له الله.

٢٧٤ جامع الترمذي وأبي داود عن أنس ﷺ

وهناك أيضاً عباد يكرمهم حضرة النبي فيعطي لكل واحد منهم كشفاً من معارفه وأحبابه ليشفع فيهم، قال ﷺ:

{ يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلاثَةٌ الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْعُلَمَاءُ، ثُمَّ الشُّهَدَاءُ }[275]

وقال: { الشَّهِيدُ يَشْفَعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ }[276]

وقال: { مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَحَفِظَهُ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، وَشَفَّعَهُ فِي عَشَرَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلُّهُمْ قَدِ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ }[277]

العالم يشفع، والشهيد يشفع في سبعين من أهله، وقارئ القرآن يشفع في عشرة من أهله ، وهل وقف الحد عند ذلك؟ لا، قال ﷺ:

{ لَيَشْفَعَنَّ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي لأَكْثَرِ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، وَمِنْ مُضَرَ }[278]

كل مؤمن له شـــفاعة على قدر جاهه عند الله تبارك وتعالى، المهم أن كل مؤمن له شفاعة، ولذلك قال ﷺ:

---

٢٧٥ سنن ابن ماجة عن عثمان بن عفان ﷺ

٢٧٦ سنن أبي داود وابن حبان عن أبي الدرداء ﷺ

٢٧٧ سنن ابن ماجة وأحمد عن علي بنأبي طالب ﷺ

٢٧٨ كرامات أولياء الله عز وجل للألكائي عن أبي هريرة ﷺ

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَقُولُ فِي الْجَنَّةِ مَا فَعَلَ صَدِيقِي فُلانٌ؟ وَصَدِيقُهُ فِي الْجَحِيمِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَخْرِجُوا لَهُ صَدِيقَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ مَنْ بَقِيَ: " فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ " قَالَ الْحَسَنُ: اسْتَكْثِرُوا مِنَ الأَصْدِقَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ لَهُمْ شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ}[٢٧٩]

وجدت صــاحبك الذي تعرفه قد نفد ما في كشــوفاته، تبحث عن صــاحب ثان وثالث، وهكذا.

فيُكرم الله هذه الأمة ببعضـها، وخاصـة المتحابين في الله، والمتجالسـين في الله، والمتبـاذلين في الله، والمتوادين في الله، فيجعلهم يُـدخلون إخوانهم في الجنــة إلى درجاتهم بفضل الله، وإن لم يصلوا إلى ذلك بأعمالهم.

وهذا اسمه حساب الفضل الإلهي الذي يحاسب به الله أُمة النبي، وحتى من خسر وأخذ أحكاماً سيترافعوا له عند الحق ﷻ ليأخذوا له عفو أو يُخففوا عنه الأحكام، المهم أن النفع محقق وليس في ذلك شكٌ كما قال الله تبارك وتعالى، وكما بيَّن رسول الله ﷺ:

﴿ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴾ (٣٨المدثر) لم يقُل كل مؤمن، ما المستثنى؟

٢٧٩ معالم التنزيل تفسير البغوي عن جابر بن عبد الله ﷺ

﴿ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ﴾ (٣٩المدثر) هؤلاء لهم استثناء خاص، فالكل يُحاسَب بالعدل، وهؤلاء يحاسبون بالفضل الإلهي.

أظن أن هذه البشريات تجعل الإنسان يفرح فرحاً ما بعده فرح بما أعطانا مولانا تبارك وتعالى.

المعاملة بالفضل

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾:

وهناك قراءة أخرى: ﴿ ذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾ والإلحاق لا يكون على حساب أعمالهم الصالحة، فليس معنى أنك تنفع أخاك وتقول: (كنتُ أعمل لي وله) أن الله سيقسم العمل بينك وبينه، لأنك هل تتسخَّى على الله رب العالمين؟!! فهو الذي خلق الجود والسخاء، فإذا سخيت وتريد أن تُعطي أخاك فإن الله بالفضل يُدخله الجنة ولا ينقص من عملك شيء!!.

﴿ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ ﴾:

يعني ما أنقصناهم ولا أخسرناهم من عملهم شيء،

فعملك الصــالح الذي تهبه لمن تشـاء - حتى وأنت حيٌّ في الدنيا - لا ينقص من عملك أنت، مثلاً: قرأت ما تيسَّـر من كتاب الله، ووهبته لمن شـئت من عباد الله، فهل يذهب إليه العمل وأنت تُحرم؟ لا، لكن عملك يكون تام عند الله، ويذهب له مثل عملك، وهذا من فضل الله، وهذا اسمه المعاملة بالفضل الذي سيواجهنا به الله يوم القيامة.

إذاً عندما تُكرم أولادك أو أبويك أو زوجك أو إخوانك المؤمنين فهذا ليس من عندك، ولكنه من فيض الكريم ﷻ، ولن يُنقص من عملك شـــيء، فما المانع أن تهب ثواب أي عمل لغيرك؟!!.

الشيخ ابن الموفق ﵁ وأرضـاه كان يحُجُّ، فحجَّ عن سيدنا رسول الله ﷺ، وهل سيدنا رسول الله يحتاج إلى حجته؟! أ

بداً، لكن الرجل لأن نيته طيبة فلا بد أن يكون:

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ (٨٦النساء) فجاءه سيدنا رسول الله

في المنام وقال له: يا ابن الموفق حججت عني؟ قال: نعم، قال: ولبيَّت عني؟ قال: نعم، قال: وطُفتَ عني؟ قال: نعم، قال: وسعيْتَ عني؟ قال: نعم، قال: وأنا أُكافئك بها فآخذ بيدك في الموقف العظيم وأُدخلك الجنة!!، فمن الفائز؟! وأخذ أيضاً أجر حجه تماماً بتمام، ولم ينقص من عمله شيء.

وهذا الباب الذي فتحه لنا عباد الله الصالحين، وجاء المتشددون في هذا الزمان ويريدون أن يغلقوه، ويقولون: أن العمل الصالح لا يذهب إلى أحد غير صاحبه، مع أن كلام الله واضح: ﴿ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾:

يعني لن ننقص من عملهم شيء.

وبنفس بند الفضل: ﴿ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾:

لن يحمل أحد وزر أحد: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (١٦٤الأنعام) وهذه هي العدالة

الإلهية، فأنا رجلٌ أُحاول جدِّي وجهدي أن أستقيم على تقوى الله، وابني ضحكت عليه نفسه وعصى مولاه، وأنا كنت نصحته وربيته، فهل أُحاسب معه؟ لا، وهذا من الفضل الإلهي علينا جماعة المؤمنين.

أُحاسب معه! لو أنا الذي أمرته، أو شجعته، أو أنا الذي رسمت له الخُطة، أو تركتُ تربيته، لكن ما دُمت أنا أدَّيت ما عليَّ لله، وهو نفسه التي ضحكت عليه فحسابه على نفسه: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ (٤٦فصلت) وهذا المبدأ العام.

ولكن المبدأ الخاص جعله لنا الله، فجعل العمل الصالح للمؤمن لنفسه، وله أن يهدي به غيره من فضل ربه تبارك وتعالى، لكن العمل السيئ لا يحمله أحد بل هو مسئول عن نفسه: ﴿ كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾:

ولم يقُل كل مؤمن أو كل مسلم، ولكن (كل امرئٍ) وهذا أمر عام، ورهين يعني يُحاسب عليه ويُحبس به.

هدي الله في الطعام

﴿ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾:

هذه الآية من إعجاز الله ﷻ في القرآن الكريم، فالله ســبحانه وتعالى - عندما ننظر في القرآن - يُسيرنا على المنهج العلمي الذي وصلت إليه أحدث العلوم الكونية، ما الأفضل لنا حتى نعيش في صحة وحياة هنية؟ هل نجعل الفاكهة في آخر الطعام أم قبل الطعام؟ العلماء يقولون: قبل الطعام.

لكننا رغم كلام ربنا وكلام العلماء نجعلها بعد الطعام، ولا نريد أن نُغير أبداً!!، فالله يقول: ﴿ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ ﴾:

أولاً، ثم: ﴿ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ :

أي مما يحبوه، ولكن بعد الفاكهة، وفي الآية الثانية:

﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ (الواقعة) أيضـــاً ذكر الفاكهة أولاً، فمن منا ينفذ هذا الكلام؟ لا أحد غير ســيدنا رســول الله وصــحبه المباركين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

لكننا لأننا غير منتبهين فالنفس شــهوتها الأولى للحم وما حوله، وإذا بقي مكان للطعام نأكل الفاكهة، ولذلك نرى الأمراض والأسقام والعلل، لماذا؟ لأننا لم نتبع هدي الله تبارك وتعالى.

الفاكهة فيها العناصـــر الغذائية التي يحتاج إليها جســم الإنســان، فعندما يكون مريض وأجرى عملية جراحية ويصوم بأمر الطبيب عن الطعام، فيبدأ أولاً بالسوائل، ثم يقول له كل فاكهة.

ففيها كل العناصــر الغذائية، ولا يحتاج إلى شــيء آخر، فعندما يأكلها الإنســان أولاً يستفيد منها استفادة تامة ويأخذ كل العناصر الغذائية التي يحتاجها الجسم، وفي نفس الوقت تُقل الشهوة للطعام، لأن الجسم قد اطمأن ببعض الشيء، فبعد ذلك سيأكل القليل.

وقد علَّمنا سيدنا رسول الله ﷺ أمراً في الصيام، فنحن نصوم عدد ساعات قد يصل إلى ستة عشر ساعة، فماذا نفعل يا رسول الله؟ حذرنا من أن تأكل اللحم أولاً بعد أذان المغرب، أو غيره مثل الفول أو العدس وغير ذلك، وماذا نأكل أولاً؟ بعض البلح، لأن البلح كان الفاكهة المفضـــلة عندهم في المدينة المنورة وغيرها، وبقية الفاكهة الأُخرى كلها دواء، لكن البلح دواء وشفاء.

فلماذا البلح؟ لأن الجسم محتاج للطاقة، بسبب الخمدان والكسل والتراخي الذي يحدث له آخر النهار، فبمجرد أن يأكل البلح فإن المادة السكرية التي فيه تُحدث للجسم نشاط وحيوية وحركة.

وفي نفس الوقت تُقلل الشهوة للطعام، فلن يُضار الإنسان، ويُحفظ من الأسقام، وقد ورد:

{ الْمَعِدَةُ بَيْتُ الدَّاءِ وَالْحَمِيَّةُ رَأْسُ الدَّوَاءِ }[280]

والحمية يعني أن أعطيها بقدر وحكمة كما علَّمنا النبي ﷺ، والإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه كان يقول لإخوانه: (الفاكهة طعام العارفين) والعارفون يركزون على الفاكهة لأن فضلاتها خفيفة، وتجعل المعدة دائماً في راحة، وليس هناك غازات، فيستطيع الإنسان الإحتفاظ بوضوئه مدة طويلة، وتُعطي الجسم كل ما يحتاجه من العناصر الغذائية اللازمة له.

هل يستطيع الإنسان أن يعيش على الفاكهة فقط أم لا؟ يستطيع، والإمام أبو العزائم أراد أن يضرب لبعض تلاميذه في ذلك مثلاً عظيماً، فخرج ذات يوم وكانوا معه، وأخذ معه فاكهة، وأخذ معه قطعة من اللحم، فرمى لكلب كان في الطريق الفاكهة فلم يقترب منها، ولم يشُمها، فرمى له قطعة اللحم فجرى عليها ليأخذها ويأكلها، فقال لهم: لذلك الفاكهة طعام العارفين.

فالجنة ليس فيها فضلات، ولذلك الطعام الأساسي لأهل الجنة الفاكهة:

﴿ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ ﴾:

---

٢٨٠ ورد في الإحياء، وذكره الشوكاني في الفوائد

أي فاكهة؟ كل ما خطر على بالك والذي لم يخطر على بالك تجده هناك.

﴿ وَلَحْمِ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ وفســـر ها في الآية الثانية وقال: ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ (٢١الواقعة) لأن أفخر أنواع اللحوم هو لحم الطير.

الشراب الطهور

وماذا يشربون؟ ﴿ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا ﴾ ولكن الكأس ليس ككئوس الخمر في الدنيا التي تجعل الإنســـان يتكلم مع من حوله بما لا يليق إذا غاب عن الوعي، وهذا يجعله يكتسب الآثام والذنوب، أما الثاني: ﴿ لَّا لَغْوٌ فِيهَا ﴾ يعني ليس فيها أحاديث غير لائقة ﴿ وَلا تَأْثِيمٌ ﴾ يعني إثم، فلا يســتطيع أن يرتكب إثماً بعد أن يشــربها، فهذه خمر أهل المحبة والتي قال فيها الله: ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (٢١الإنسان).

قلنا أن المقربين في الجنة غير محتاجين للخدمة، فكل من في الجنة يخدمهم، وكل شيء في الجنة يعقل ويعلم ما يجول بخاطرك بدون أن تتكلم، فما يجول بخاطرك يطلع عليه ويراه بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

الغلمان المخلدون

فمن الذي يطوف في الجنة؟ لكي يُفرح المؤمنين، فكل من مات له طفلٌ صغير إن كان رضيع أو لم يبلغ، فهؤلاء الولدان المخلدون الذين يطوفون علينا في جنة النعيم ليضفوا علينا البهجة والسرور والفرح والنور، فنحن نراهم يحملون الأكواب والصحاف ويذهبون ويجيئون في الجنان فرحين، وليس ذلك لأننا محتاجين لهم، ولكن لكي يُفرحنا الله بما وصلوا إليه:

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٌ لَّهُمۡ ﴾.

ناهيك أيضاً كما تعلمون كما أخبر سيد الأولين والآخرين ﷺ بأن أطفال المسلمين الذين يدخلون الجنة عندما تأتي القيامة العُظمى يقومون بعمل مظاهرة على أبواب الجنة، وصفها سيدنا رسول الله فقال:

{ إِنَّهُ يُقَالُ لِلْوِلْدَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا، قَالَ: فَيَأْبَونَ، قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: مَا لِي أَرَاهُمْ مُحْبَنْطِئِينَ، ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ آبَاؤُنَا، قَالَ: فَيَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ }[٢٨١]

سبحان الله!! انظر إلى إكرام الله سبحانه وتعالى لنا جماعة المؤمنين، فقد يموت طفل صــغير لمؤمن، وينســاه بمرور الوقت، لكن القدير ﷻ يجعل هذا الولد هو الذي يشُدَّه هو وأُمه ويدخلهما الجنة!!.

فإذا مات لي ولد كبير وحزنت من أجله، ولكني صبرتُ، فيقول الله للملائكة كما أخبر النبي ﷺ:

{ذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ، قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ }[٢٨٢]

---

٢٨١ مسند أحمد ومعرفة الصحابة لأبي نعيم
٢٨٢ جامع الترمذي ومسند أحمد عن عبد الله بن قيس ﷺ

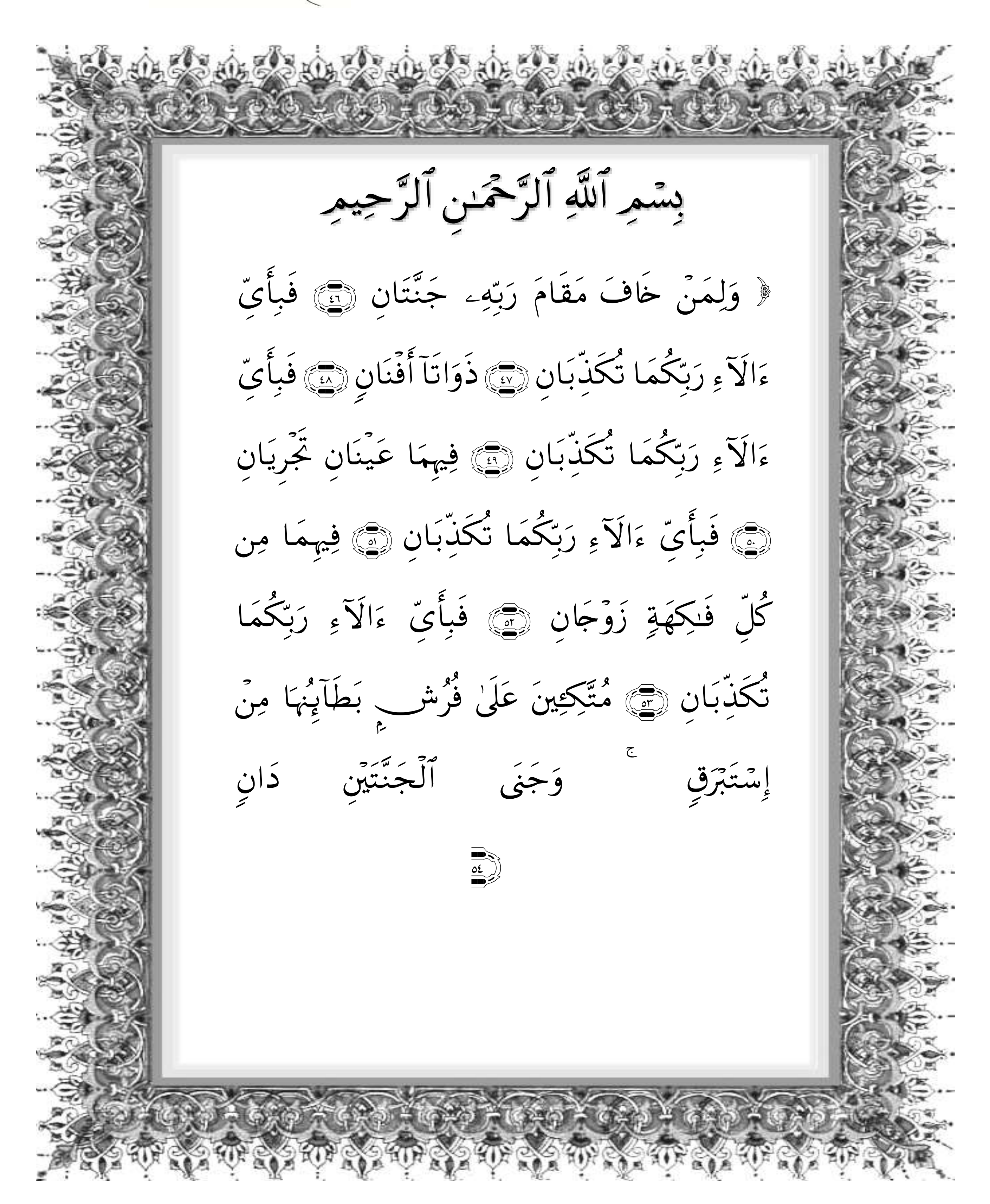
إذا قلت (الحمد لله، إنا لله وإنا إليه راجعون) يبنون لك قصراً بسبب الولد الذي استرجعت فيه إلى الله، وحمدتَ الله على قضاء الله، ولم تصنع ما نهى عنه رسول الله ﷺ.

فالله يطمئننا بأنه حتى الأولاد الصغار الذين ماتوا سيكونون معنا في الجنة، فيكون معك زوجتك، ومعك أولادك، ومعك أبويك، ومعك أيضاً صغارك الذين ماتوا وهم صغار: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ ﴾

وكيف يكون جمالهم وبهاؤهم؟

﴿ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ كاللؤلؤ المكنون في البهاء والنور والجمال وهم يطوفون في قصور الجنة، لكي تفرح بفضل الله، وتشكر الله على عطاياه، وتسأل الله ﷻ أن يجعلك الله دائماً في هذه الحياة الدنيا ممن يُطيعه ويخشاه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴿٥٤﴾

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن)

١٨.جزاء الخوف من الله[283]

بِسْـــمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي خصَّـــنا بجميل آلائه، وعميم نعمائه، وجعلنا في الدنيا من خير أمة أُخرجت للناس؛ أمة خير رُســـله وأنبيائه، وجعلنا في الآخرة أول الناس خروجاً إذا بُعثوا، وأول الناس حساباً إذا وفدوا، وأول الناس دخولاً للجنة إذا فتِّحت أبوابها، اللهم صــلِّ وســلِّم وبارك على ســيدنا محمد، ســرُّ كل هذه العناية، ومصـــدر كل هذه العطايا، وآله الكرام، وصــحابته الأتقياء الأنقياء، وكل من تبعهم على هـذا الهُـدى إلى يوم الـدين، وعلينـا معهم أجمعين .. آمين آمين يـا رب العالمين.

ســيدنا رســول الله ﷺ عندما أُنزلت عليه هذه الســورة؛ ســورة الرحمن، وتلاها على أصحابه المباركين، فاستمعوا إليها خاشعين، ولكن صامتين لم يتكلموا، فقال ﷺ:

{ مَا لِي أَرَاكُمْ سُكُوتًا!، لَلْجِنُّ كَانُوا أَحْسَنَ مِنْكُمْ رَدًّا، مَا قَرَأْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَرَّةٍ: " فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ " إلا قَالُوا: وَلا بِشَيْءٍ مِنْ نِعْمَتِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ فَلَكَ الْحَمْدُ}[284]

وهي تتكرر في الســـورة حوالي ٣٣ مرة، وآلاء يعني نِعَم، فلا نكذب بأي نعمة من نعم الله الظاهرة والباطنة التي أنزلها لنا الله تبارك وتعالى.

---

٢٨٣ المنيا – مطاي – مسجد الشيخ أبو بكر ٢١ من رجب ١٤٣٩هـ ٢٠١٨/٤/٨م
٢٨٤ الحاكم في المستدرك والبيهقي عن جابر بن عبد الله ﷺ

خشية الله

هذه الآيات التي معنا تُعطي أملاً عظيماً لكل مؤمن تقيٍّ نقي يخشى الله ويخاف من عصيانه في الحياة الدنيا، فدائماً القرآن يدعو المسلمين والمؤمنين، علماء وغير علماء إلى الخوف من الله، وخشية الله، وتقوى الله تبارك وتعالى.

الذي يخاف من الله، يخاف أن يعصى الله، ويخاف أن يفعل ما يُغضب الله، ويخاف أن يسيئ إلى خلق الله، خوفاً من الحساب الذي سيتعرض له يوم لقاء الله، وخائف من الموت لأنه لا يعرف كيف تكون الخاتمة، وخائف من الآخرة لأنه لا يعرف هل سيكون من أهل اليمين، أم من المقربين، أم - والعياذ بالله - من الضالين والهالكين.

الخوف هو شعار المؤمن في كل وقت وحين، ما دام يتردد فيه نفسٌ في الحياة الدنيا، وقد قيل في المثل الشعبي: (من خاف سلِم) لماذا؟ لأنه لن يفعل الأشياء التي يخشى من سوء عاقبتها، ويخشى من مآلها، وخاصة إذا كان المآل عند الواحد المتعال عز وجل.

الذي يخاف من الله، حتى ولو ضحكت عليه نفسه ووقع أحياناً في الذنب، فخوفه من الله يجعل نفسه تؤنبه، وتوبخه، ويؤلمه ضميره، ولن يستريح حتى يرجع إلى الله ويتوب ويندم على ما فعله، وهذا هو المطلوب، لأنه لا يوجد منا أحدٌ معصوم، لكن المؤمن دائماً منتبه وخائف من لقاء الله.

ولذلك سيدنا أبو الدرداء ﷺ يقول: { سَمِعت النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقُصُّ عَلَى الْمِنْبَرِ: " وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ "، فَقُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ النبي اللَّهِ ﷺ الثَّانِيَةَ: " وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ "، فَقُلْتُ في الثَّانِيَةَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ الثَّالِثَةَ: " وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَان "، فَقُلْتُ الثَّالِثَةَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي الدَّرْدَاءِ}[٢٨٥]

لماذا؟ لأنه ما دام قلبه فيه الخوف من الله، فإن الخوف يظل يلاحقه حتى يرجع إلى الله، ويندم على ما فعل، ويتوب إلى الله، والله قال لنا جميعاً في كتاب الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ (٢٢٢البقرة) فهو يريد التوابين الذين يتوبون إليه ﷻ في كل وقت وحين.

الذي يخاف من الله علامته - كما قلت - لو وقع في ذنب، أو قصَّر في طاعة، أو أقدم على معصـــية، فإن نفســـه لا تتركه، فتلومه وتؤنبه وتوبخه حتى يرجع إلى الله تبارك وتعالى.

الذي يفعل ذنباً، أو يقع في معصـــية، ويفرح، وربما يتباهي بها ويقول في مجالسه التي يجلس فيها: أنا أفعل كذا وكذا، ويتباهى بهذه الشرور والآثام، فهذا ليس له حظ في العفو الإلهي يوم القيامة أبداً، لأن حضرة النبي قال:

٢٨٥ مسند أحمد والنسائي عن أبي الدرداء ﷺ

{ كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلا الْمُجَاهِرِينَ }[286]

يجلس هنا وهناك ويقول: أنا فعلت بالأمس كذا، وفي السنة الماضية كذا، وصنعت في فلان مكيدة صفتها كذا ... أنت سترك الستار وتفضح نفسك أمام الخلق!!، فهذا يتباهى بالذنب لأن الخوف مات في قلبه، فلم يعد يتألم ولا يتبرم ولا يحزن ولا يندم عندما يُقدم على معصية أو شر أو إثم، أو يُقصر في طاعة من يقول للشيء كن فيكون.

بشائر الخائفين من الله

لكن الذي معه الخوف من الله، وعُرض عليه معصية - ولو مرة واحدة - فخاف أن يفعلها وتركها خوفاً من الله، فهذا يكون قد انطبقت عليه الشروط، وماذا له؟ ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾.

ما الذي منعه من الوقوع في الذنب أو الإثم؟ ليس الناس، ولكنه الخوف من الله، وخوفه من لقاء الله، وخوفه من عقاب الله، وخوفه من الموت وبعده لقاء مولاه، وما دام الذي منعه هو الخوف من الله فيكون له ليس جنتان فقط، ولكن كما قال حضرة النبي:

[286] البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

{ جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا }[287]

فيكون له أربع جنان، لماذا؟ لأنه خاف من الله سبحانه وتعالى.

وسبب نزول هذه الآية أن سيدنا أبو بكر ﷺ كان حارساً لفمه وبطنه، فكان يضع دائماً حصاة تحت لسانه حتى لا يتكلم إلا في الضرورات مع خلق الله، وينشغل بذكر الله، وتلاوة كتاب الله، والاستغفار لله، والصلاة على رسول الله .. يشتغل بالأعمال الصالحة التى تقربه إلى مولاه.

رآه سيدنا عمر فقال له: ما هذا يا أبا بكر؟ فقال له: (هذا الذي أوردني الموارد) هذا هو سبب المشاكل كلها، فكلمة ترفع الإنسان أعلى الدرجات في الجنة، وكلمة تجعل الإنسان يهبط إلى أدنى الدركات في جهنم والعياذ بالله، قال ﷺ:

{ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَهَا بَالا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ }[288]

وفي رواية أخرى:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ لا يَرَى بِهَا بَأْسًا، فَيَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا }[289]

---

٢٨٧ البخاري ومسلم عن عبد الله بن قيس ﷺ
٢٨٨ صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ
٢٨٩ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

يعني سبعين سنة، ولذلك سأل عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رسول الله، فقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا النَّجَاةُ ؟ قَالَ:

{ أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ }[290]

وسيدنا معاذ كان مع رسول الله، فَأَخَذَ بِلِسَانِ معاذ وقَالَ:

{ كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟! }[291]

لأن كل كلمة تخرج أول من يسمعها السميع ﷻ: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (١٨ق) حتى ولو كان جزءاً من كلمة يســـمعه رب العزة تبارك وتعالى، وهو الذي سنُعرض عنده للحساب، وسنتعرَّض أمامه للسؤال والجواب والاستجواب.

وكان سـيدنا أبو بكر حارسـاً لبطنه، فأي لُقمة يأتون له بها لا بد أن يسـأل عنها قبل أكلها، ليعرف هل هي من حلال أم من حرام، فلا يُدخل في جوفه إلا اللقمة الحلال، لأن حضرة النبي قال ذلك:

---

٢٩٠ جامع الترمذي ومسند أحمد

٢٩١ جامع الترمذي وابن ماجة عن معاذ بن جبل رضي الله عنه

{ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا }[292]

لا صـــلاة، ولا صـــيام، وإن كان حتى ذاهب للحج، فيقال له: حجك هذا مردودٌ عليك، ولا يُقبل منه أي عمل ما دام دخل في بطنه حرام.

ســـيدنا أبو بكر ذات مرة كان جائعاً جداً لأنه لم يأكل منذ فترة طويلة، وجاء له خادم عنده بكعك - كالذي نصـنعه في العيد - فمن شـدة الجوع أكل، فقال له الخادم: لم تســألني هذه المرة من أين أتيتُ بهذا الطعام؟! فقال له: من أين أتيت به؟ قال له: كنت أتكهن لقوم في الجاهلية قبل الإسلام - والكهانة هي الكتابة والسحر، وهذه مالُها حرام حرَّمه الله تبارك وتعالى - ودعوني إلى عرس عندهم فأعطوني هذا الكعك، فحاول ســيدنا أبو بكر أن يتقيأ ليخرج ما في جوفه، وأخذ يشــرب ماءاً كثيراً ويزيد حتى ملأ معدته، وتقيأ ما في معدته حتى خرجت، وبعد أن خرجت قال: اللهم لا تؤاخذني بما خالط العروق!!، فقالوا له: لِمَ قسوت على نفسك؟! فقال لهم: لو لم تنزل إلا مع خروج روحي لأنزلتها، فنزل القرآن يبشـــره ويبشـــر أمثاله الذين يتحرون المطعم الحلال والكلم الطيب للمؤمنين: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ فهذه الآية نزلت في سيدنا أبي بكر ولكنها سائرة مع كل المؤمنين إلى يوم القيامة.

٢٩٢ معجم الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

جنان الخائفين

هذه الجنان التي وعد بها الله أهل الخوف من الله، ماذا فيها؟ ﴿ ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ﴾ يعني أغصـــان مليئة بكل الطيبات التي تحتاجها الأبدان في الجنان، من غذاء، ومن روائح طيبـة، ومن زهور، ومن ورود .. مملوءة بكل مـا يخطر على البـال، ومـا لا يخطر على البال من الرياحين والورود، ومن الفواكه التي لا تُعد ولا تُحد من حضـــرة الله تبارك وتعالى.

﴿ فِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ ﴾ فسَّــر ســيدنا الإمام علي هذه الآية فقال: موجود على باب الجنة عينان، العين الأولى يشـــرب منها الإنســـان فيذهب عنه كل همٍّ، وكل غمٍّ، وكل حُزن، فيقول كما قال الله: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ ﴾ (٣٤فاطر) ولذلك الجنة ليس فيها همٌّ، ولا غمٌّ، ولا مرضٌ، ولا سِقمٌ .. ليست فيها الأمور التي نتعب منها في الدنيا، قال ﷺ:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلا يَتْفُلُونَ، وَلا يَبُولُونَ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَمْتَخِطُونَ قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟، قَالَ: جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ }[٢٩٣]

أهل الجنة لا يتبولون، ولا يتغوطون، ولا يتنخمون، ولا يسقمون، ولا يهرمون، ويظلون في شباباً دائم، في سن الثلاث والثلاثين، وفي طول أبينا آدم سبع وستين ذراعاً.

فتكون حياة كلها هناء في هناء، ليس فيها تعب ولا عناء ولا مرض ولا هم ولا غم ولا حُزن أبداً.

ويشرب من العين الثانية فيظهر عليه نضرة النعيم، يعني حلاوة الجنة، ويأخذ صفة الشباب الدائم الذي وعدنا به الله في الجنة.

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ نحن لا نكذب بأي نعمة من نعم الله في الدنيا ولا في الآخرة إن شاء الله.

﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَـٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ أشجار الجنة نحن الذين نزرعها،وتقاويها معنا في الدنيا، وعرَّفها لنا المهندس الخبير سيدنا رسول الله ﷺ، وأوصاه سيدنا إبراهيم الخليل في ليلة الإسراء والمعراج أن يُبلِّغنا هذه الرسالة، عندما عُرج به في السماوات، وعند السماء السابعة وجد سيدنا إبراهيم سانداً ظهره على البيت المعمور -

٢٩٣ صحيح مسلم ومسند أحمد والطبراني عن جابر ﷺ

والبيت المعمور قبالة الكعبة مباشرة - فنحن نطوف حول البيت الحرام، والملائكة تطوف حول البيت المعمور، ولكننا من فضل الله نطوف مراراً، أما الملائكة فإن الواحد منهم منذ أن أحياه الله إلى يوم القيامة يكون في طاعة الله، لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يتزوج ولا يموت، ولكنه رغم ذلك لا يحج إلا مرةً واحدة فقط حول البيت المعمور.

فوجد سيدنا إبراهيم مسنداً ظهره بالبيت المعمور، فسأل: من هذا يا أخي يا جبريل؟ قال: هذا أبيك إبراهيم ألقِ عليه السلام، فألقى عليه السلام، فقال له سيدنا إبراهيم:

{ يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَغِرَاسُهَا قَوْلُ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ }[٢٩٤]

وقيعان يعني أحواض، فكل واحد منا على حسب سعة حسناته عند الله، فمنهم من له حوض، ومنهم من له حوضين، ومنهم من له أكثر .. كل واحد على حسب ما له عند رب العزة تبارك وتعالى من الباقيات الصالحات.

---

٢٩٤ معجم الطبراني والترمذي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

فهذه شـتلات الجنة، من يزرع لك ويأتيك بالشـتلات؟ أنت الذي تزرع لنفسـك، فكلما زدت، كلما زاد لك الحميد المجيد في دار الرضوان، ولذلك سيدنا رسول الله ﷺ قال لنا:

{ مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ }[295]

هذه النخلة متى تُثمر؟ عندنا تُثمر بعد خمس سنين، وتُثمر مرة واحدة في السنة، لكن النخلة في الجنـة تُثمر فوراً، والملائكة تجنيها، فتُثمر مرة ثانيـة، وكلما تجنيها الملائكة تُثمر مرة أخرى: ﴿ تُؤْتِيَ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ (٢٥إبراهيم).

سيدنا رسول الله ﷺ أخذه الله ﷻ ليشهد المزارع النموذجية في هذه الجنة، فرأى الملائكة وأمامهم زرع، كلما حصـــدوه يرجع كما كان، لا ينتظر قليلاً، ولا يحتاج لتسـميد، ولا يحتاج إلى التعرض للشـمس، ولكنه يُثمر فوراً، وهذا كله يذهب لرصـيد المؤمن عند حضرة الرحمن سبحانه وتعالى، فقال:

{ يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذَا؟، قَالَ: هَؤُلاءِ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، تُضَاعَفُ لَهُمُ الْحَسَنَةُ بِسَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَمَا أَنْفَقُوا مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ }[296]

٢٩٥ جامع الترمذي وابن حبان عن جابر رضي الله عنه
٢٩٦ تهذيب الآثار للطبري والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه

ولذلك قال لنا الله: ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (٤٦الكهف)

قال ﷺ:

{ اسْتَكْثِرُوا مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ، قِيلَ: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: التَّكْبِيرُ، وَالتَّهْلِيلُ، وَالتَّسْبِيحُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ }[٢٩٧]

فهذا زرعك الذي تزرعه في الجنة، وستجد ثمرته هناك إن شاء الله، هذه التسبيحات كم تكلفنا في الدنيا لكي نعملها؟!! لن ندفع فيها مالاً، ولا تحتاج إلى وضوء، ولك أن تقولها في سيرك، أو وأنت نائم، حتى ولو كنت على جنابة، فالممنوع هنا الصلاة وتلاوة القرآن، لكن التسبيح ليس فيه شيء، فما الذي يجعل الإنسان يحرم نفسه من هذا الفضل الكريم الذي أخبرنا به الرحمن تبارك وتعالى؟!! وحضرة النبي نبهنا وقال:

{ لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى شَيْءٍ إِلا سَاعَةً مَرَّتْ بِهِمْ، لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا }[٢٩٨]

---

٢٩٧ صحيح ابن حبان ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ

٢٩٨ معجم الطبراني والبيهقي عن معاذ بن جبل ﷺ

بعد أن يرى الفضل الإلهي سيندم على اللحظة التي قضاها بدون ذكر الله، ولم يعمل فيها بقول الله: ﴿ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ (١٩١آل عمران).

هذا الشجر ما حجمه؟ حضرة النبي أعطانا صورة تقرب الحقيقة فقال:

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لا يَقْطَعُهَا }[٢٩٩]

فكيف يكون شكل هذه الشجرة؟! وما حجمها؟! ليست كالشجر الذي نراه، ولكنه شـــجر آخر يليق بالجنة، وبســـعة الجنة، وبعظمة العظيم تبارك وتعالى الذي خلق لنا الجنة، لنتهنَّى فيها بفضل الله، وبإكرام الله، وبعطاء الله تبارك وتعالى.

﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَـٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ فيها فواكه حسية، كالتي نراها في الدنيا، في شكلها ولونها: ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ﴾ (٢٥البقرة) لكن لها طعم آخر، وحلاوة أُخرى، لأنها حلاوة من يقول للشيء كن فيكون.

الجنة لأنها مصـــنوعة من طاعة المؤمنين حتى لو زُرع فيها شـــجرة حنظل سـيكون طعمها حُلو، لأنها ليس فيها غير حلاوة الطاعة، فكل شــيء فيها حلاَّه مولانا تبارك وتعالى ليحيا بجماله المؤمنين.

[٢٩٩] البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ

هل سنطبخ في الجنة ونأتي بالطعام والفاكهة؟!! لا، فالجنة ليس فيها تعب ولا عناء: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖ ﴾ :

سنجلس هناك وليس كالدنيا، ولكن جلسة فيها راحة، سواء كنت متكئاً أو نائماً، والفرش بطانته من أرقى أنواع الحرير والقطيفة، فما بالك بظاهره؟!!.

﴿ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴾:

بمجرد أن يخطر على بال الإنسان أي صنف من أصناف الطعام يأتيه، لأن كل ما في الجنة يعقل ويفهم وينظر بنور الله إلى ما في السرائر، فبمجرد أن يخطر شيء على بالك تجد هذا الشيء يأتيك على الفور، فتجد الشجرة جاءتك وأنزلت الفرع في حجرك والثمرة التي اشتهيتها تأتيك، بدون قيام ولا حركة ولا شيء أبداً، لأن الجنة ليس فيها عناء ولا نصب: ﴿ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴾ (٤٨الحجر).

كل ما يخطر على بالك تجده فوراً، فإذا خطر على بالك أخوك فلان وتريد أن تعرف أين هو؟ وما حاله؟ فالسرير الذي تنام عليه يتحرك ويمشي بك حتى يوصلك لأخيك الذي تفكر فيه بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

فكل شـيء هناك (دان) يعني قريب من الإنسـان بدون تعب، ولا عناء، ولا هم، ولا فكر اكراماً من الكريم سـبحانه وتعالى لعباده الذين اتقوه وخشـوه وخافوه وراقبوه في هذه الحياة الدنيا.

حتى الزوجات لن يكن كما كنا في الدنيا: ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٌ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنٌّ ﴾ قاصـــرات الطرف يعني لا ترى غيرك، ولا تتعلق إلا بك، فليس لها شأنٌ بالجيران ولا غيرهم، لكي تطمئن إلى فضل الله وإكرام الله تبارك وتعالى.

والنســـاء في الجنة من زوجاتنا أجمل من الحور العين، فقد ورد أن نســـاء المؤمنين ســـيكن في الجنة أجمل من الحور العين بســـبعمائة ألف مرة، وفي الجنة لا يوجد حيض ولا نفاس - وكما قلنا - لا بول ولا غائط ولا نخامة ولا شـــيء من هذه القبائح الدنيوية أبداً.

وكلما أتاها زوجها وجدها بكراً لم يفضُـض بكارتها أحد، ﴿ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ ﴾ يعني لم يفض بكارتهن إنس ولا جن، وكل مرة يجدها بكراً، وكل مرة يجد لذَّة أعظم، ونعمة أكمل من نعيم الكريم الحنان سبحانه وتعالى.

هل سـيكون شـكلهن مثل الدنيا؟ لا، لأنه قد يحدث ملل عند الكثير من الناس من شـــكل زوجتـه، ويُريـد أن يبـدِّل ويُغير، لكن في الجنـة: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾

الياقوت هو البياض الشـديد، والمرجان اللون الأحمر الجميل، فتكون شـديدة البياض مع الحُمرة، وهذا أكبر وصـف لجمال النسـاء الذي سـيكون عليه نسـاء المؤمنين في الجنة إن شاء الله.

فما شأن الحور العين؟ هن خدم عند نساء المؤمنين، ووصيفات لهن، ومن التي ستكون سيدة القصور؟ الزوجة إذا كانت صالحة ونفذَّت قول النبي:

{ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ }[٣٠٠]

إذا كانت سـائرة على هذا العهد سـتكون في الجنة فيها كل الأوصـاف الحسـان التي ذكرها الله في هذه الآيات في القرآن.

لماذا كل ذلك يا رب؟ ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴾ وفسَّـــرها الحق ﷻ في الحديث القدسي الذي يرويه حضرة النبي عن ذي الجلال والإكرام:

{ مَا جَزَاءُ مَنْ أَنْعَمْتُ عَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ، إلا الْجَنَّةُ }[٣٠١]

٣٠٠ الحاكم في المستدرك والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما
٣٠١ شعب الإيمان للبيهقي عن أنس ﷺ

من عرف الله، ووحد الله، وحافظ في عمره على طاعة الله، فجزاؤه أن يُدخله الله ﷻ جنته التي أعدَّها للمتقين.

هاتان الجنتان اللتان أخذنا مختصـــراً عنهما للمقربين، والذين هم في الدرجات العُلى من الخوف من رب العالمين سبحانه وتعالى.

جنان أهل اليمين

والذين هم أقل منهم في الدرجة لم يحرمهم الله ﷻ فجعل لهم جنتان، ولكن أقل في الرُتبة والمنزلة من الجنان التي جعلها الله للمقربين: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ أقل من الجنتين السابقتين في المنزلة وفي المرتبة، لأن المؤمنين كما قال الله في القرآن: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (١٦٣آل عمران) هذه الدرجات على حسب التقوى والورع والخوف من الله والاقتداء بحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

هاتان الجنتان فيهما أيضـــاً نعيم، وإن كان أقل من النعيم الأول، ففيهما أيضـــاً أشـجار، وفيهما أزهارٌ وثمار كثيرة، حتى أن الله قال فيهما ﴿ مُدْهَآمَّتَان ﴾ كأنهما سـود من شدة خُضرة هذه الجنان.

الأوليان فيهما عينان تجريان، ولكن هاتان: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ تضخ شيئاً بسيطاً ليس كالعين التي تجري.

وليس فيهما كل الأصـــناف، ..... فيهما فاكهة .... ولكن الأكثر هو النخل والرمان:﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخۡلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ لنعرف أن البلح من الفواكه، وأن الرمان من الفواكه، فالبلح فاكهة وغذاء ودواء، والرمان كذلك فاكهة وغذاء ودواء.

﴿ حُورٌ مَّقۡصُورَٰتٌ فِي ٱلۡخِيَامِ ﴾ نساؤهم مثل الحور، ولكن سيكونوا في الخيام وليس في القصور، صحيح أنها خيام عظيمة، لكنها غير القصور.

والحور يوم القيامة يقفن ليستقبلن المؤمنين ويغنين ويقلن:

{ نَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلا نَبْؤُسُ نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلا نَمُوتُ إِنَّا أَزْوَاجٌ كِرَامٌ لِكِرَامٍ طِبْنَا لَهُمْ وَطَابُوا لَنَا }[٣٠٢]

---

[٣٠٢] حلية الأولياء لأبي نعيم عن جابر رضي الله عنه

لكن الله يُلهم نساء المؤمنين كما روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها: نحن صلينا ولم تصلين، نحن صُمن ولم تصمُن، نحن زكينا ولم تُزكين، نحن حججن ولم تحجُجن!!.

فتكون الغلبة لنساء المؤمنين، لأنهن عملن هذه الطاعات في الدنيا والحور لم يتمكنَّ من ذلك، وسيشتركن معهن في الصفة التي ذكرناها: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ سيكن باستمرار أبكاراً كما قال الله: ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ (الواقعة) عُرباً يعني جميلة، وأتراباً يعني مثل بعضهن في السن، لأن الكل سيكون في سن الثلاثة والثلاثين وسيظلون كذلك إلى ما شاء الله خالدين فيها أبداً.

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴾ يتكئون على يعني مساند خُضر، وشلت طيبة حسنة، ولكن أقل من الأولين الذين ذكرناهم.

﴿ تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ تبارك يعني نزّه الله سبحانه وتعالى عن أن يُشبهُه شبيه، أو يضاهيه مثيل، لأن معه الإجلال كله، والإكرام كله، والعطاء كله، وهذه الآية من الآيات التي نوّه النبي ﷺ علينا أن نكون دائماً وأبداً ..... مستغيثين إلى الله بها، قال الحبيب المحبوب ﷺ:

{ أَلِظُّوا بِيَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ }[٣٠٣]

يعني تعلقوا وأكثروا من النداء بيا ذا الجلال والإكرام، فاجعل دائماً على لسانك: يا ذا الجلال والإكرام أكرمني بكذا، يا ذا الجلال والإكرام أنعم عليَّ بكذا، يا ذا الجلال والإكرام اشفني من كذا .. ولذلك كان بعض السلف الصالح يقول: (إن ذي الجلال والإكرام هو اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب) ولذلك دائماً وأبداً نجعلها على ألستنا على الدوام.

نسأل الله أن يُصلح أحوالنا، وأن يرزقنا الخشية في قلوبنا، والخوف منه في أفئدتنا، وأن يجعلنا من أهل الجنان العالية، والمراتب الراقية، في جوار الحبيب المصطفى وصحابته الأخيار وآل بيته الأطهار، ويجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

٣٠٣ جامع الترمذي والطبراني عن أنس رضي الله عنه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾

عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (الواقعة)

١٩.السابقون المقربون[٣٠٤]

اللهم إنا نسألك بجاه حبيبك ومصطفاك ﷺ أن تجعلنا جميعاً من أهل هذه الآية، وأن تكتب لنا هذه العناية، وأن نكون من السابقين المقربين مع الحبيب المصطفى، وصحبه المباركين، وآل بيته الطاهرين، وأتباعه الصادقين أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أعدَّ لنا ولعباده المؤمنين عنده من ألوان التكريم وأصناف النعيم ما لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، والصلاة والسلام على مفتاح باب الجنة، والشفيع الأعظم للخلائق أجمعين يوم الدين، كاشف كل غُمة، ومزيح كل مُلمة، والذي جعله ربه فاتحاً وخاتماً؛ سيدنا محمد وآله وصحبه وأتباعه وأحبابه، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين .. آمين يا رب العالمين.

هذه السورة المباركة التي استمتعنا بسماع بدايتها من الله سبحانه وتعالى هي سورة العصر الذي نحن فيه، ففيها علوم الأولين، وفيها علوم الآخرة والآخرين، وفيها درجات الخلق في الموقف العظيم، وفيها فتحٌ لأرزاق حضرة الرزاق الوهاب الجواد الكريم.

---

[٣٠٤] المنيا – مغاغة – أبا البلد – مسجد الشيخ الشلقامي ٢٢ من رجب ١٤٣٩هـ ٢٠١٨/٤/٩م

سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ كان يعالج سكرات الموت، وذلك في عصر سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين، فذهب سيدنا عثمان إليه لزيارته، فقال له: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: وما ترجو؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا ندعوا الطبيب؟ قال: قد نظر إليَّ، قال: وماذا قال لك؟ قال: قال: إني فعَّالٌ لما أُريد، قال: أُوصي لبناتك برزق - وكان عنده ثلاث بنات - قال: قد علَّمتهم سورة الواقعة، وأمرتهن أن يقرأنها في كل يوم مرة، فقد سمعتُ حبيبي وقرة عيني ﷺ يقول:

{ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبَدًا }[305]

ولذلك أقول إن هذه سورة العصر الذي نحن فيه، والفاقة ليست في المال فقط، فقد تكون في الانجاب أو أي صلاح الحال .. فجعل الله تبارك وتعالى سورة الواقعة مفتاحاً لإصلاح كل هذه الأحوال، وهذه ناحية.

ورسول الله ﷺ كان شعره كله أسود، وفجأة ظهر شعرٌ أبيض في رأسه، وكانوا حوالي سبع عشرة شعرة ، فقالوا: يا رسول الله ما الذي بيَّض سواد شعرك؟ فقال ﷺ:

{ شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ،

وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}[306]

---

٣٠٥ المطالب العالية لابن حجر وشعب الإيمان للبيهقي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

٣٠٦ الحاكم في المستدرك وابن حجر في المطالب العالية عن أبي بكر الصديق ﷺ

الآيات التي معنا تبين الحال الذي سنُجمع عليه، كيف؟ سيُؤهل الله أرض القيامة ويجمعنا كلنا بعد الفناء للعرض والحساب يوم اللقاء مع الله سبحانه وتعالى:

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴾ الواقعة اسم من أسماء القيامة: ﴿ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾ وماذا تفعل؟ ﴿ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ ﴾ أناس كانوا في الدنيا في رفعة والناس يحسدونهم على ما هم فيه، ستخفضهم هناك، وأُناس كان الناس يستهزئون بهم في الدنيا، سيكونون أصحاب الدولة هناك، وهم من لهم الشفاعة، وهم من لهم الكلمة المسموعة عند الله، وهم من يستطيعوا أن يذهبوا ويواجهوا ويسمعوا ويحدثوا سيدنا رسول الله، ...

ولذلك حضرة النبي ﷺ يهمس في آذننا ويقول:

{ اتَّخِذُوا الأَيَادِي عِنْدَ الْفُقَرَاءِ فَإِنَّ لَهُمْ دَوْلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[٣٠٧]

يعني اصنعوا لهم جميلاً في الدنيا لأن هؤلاء سيكونون أصحاب الدولة يوم القيامة، والفقراء هنا ليسوا هم الذين لا يجدون الخير والبر والطعام، ولكنهم الذين افتقروا في كل أنفاسهم إلى الواحد الأحد الفرد الصمد تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ (١٥فاطر)

---

٣٠٧ المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي عن أبي هريرة ﷺ

ليســوا فقراء للناس ولا يمدون أيديهم للناس، لكنهم فقراء لله ســبحانه وتعالى، لأنهم وصلوا إلى درجة في الإيمان اسمها درجة اليقين، والذي يصل إلى درجة اليقين يرى بعين فؤاده وقلبه أنه لا يحدث في الكون أمرٌ إلا ما يريده رب العالمين.

وأنه لا يســتطيع أن يدفع عن نفســه شــيئاً إلا إذا أعانه مولاه، ولا يســتطيع أن يصنع شيئاً إلا إذا قوَّاه مولاه، ولا يستطيع أن يُحرك عُضواً منه إلا إذا شاء الله تبارك وتعالى، فيفتقر إلى الله، ويطلب من الله المعونة والحول والطول في كل أنفاســه، لأنه في كل أنفاسه يفتقر إلى مولاه تبارك وتعالى.

ففيها خفضٌ لأُناس، ورفعةٌ لأُناس، ومتى وقتها؟ وكيف ستحدث؟ فصَّلها الله:

﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾ فسَّــر ذلك الإمام عليٌّ باب مدينة العلم ﵁ وكرَّم الله وجهه، فقال باختصــار: عندما تأتي إرادة ملك الملوك لتجهيز الخلق ليوم العرض يأمر الله تبارك وتعالى الملك الموكل بالنفخ في الصور أن ينفخ، والملك الموكل بالنفخ في الصور اسمه إسرافيل، وحضرة النبي ﷺ عرفنا أن ذلك ســيحدث قريباً جداً، لأن ســيدنا عمر دخل عليه وهو نائم على حصير، والحصير علَّم في جنبه، فقال له:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، كِسْرَى وَقَيْصَرُ عَدُوَّا اللَّهِ يَفْتَرِشَانِ الدِّيبَاجَ وَالْحَرِيرَ وَأَنْتَ نَبِيُّهُ وَصَفِيُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الأَرْضِ إِلا الْحَصِيرُ وَوِسَادَةٌ مَحْشُوَّةٌ لِيفًا! وَعِنْدَ رَأْسِهِ أُهْبَةٌ فِيهَا رِيحٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: أُولَئِكَ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا }[308]

وقال:

{ كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدْ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ وَأَصْغَى سَمْعَهُ، يَنْظُرُ مَتَى يُؤْمَرُ }[309]

وهذا الكلام من ألف وأربعمائة سنة، فنحن على وشك ذلك، والقرن عالم يسع السماوات والأرض، لا يعلم مداه إلا الله، فعندما ينفُخ فيه نفخة الصور بإذن الله فكل ما فيها يموت إلا ما شاء الله تبارك وتعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (٨٧النمل).

وهذه الساعة، وعلاماتها التي بيَّنها الرسول معظمها ظهر ووضح، لكن البعيدين عن رب الناس تائهين وغير منتبهين من هذه الحقيقة التي قررها القرآن، والتي وضَّحها النبي العدنان صلوات ربي وتسليماته عليه.

---

٣٠٨ الطبقات الكبرى لابن سعد عن عائشة رضي الله عنها
٣٠٩ مسند أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ

النشأة الثانية

وبعد أن ينفخ النفخة الأولى كل من على الأرض سيموت، وتبدأ الأرض تتجهَّز لقيام الســـاعة، فتُخرج كل ما فيها، لأنه عندما تبدأ الســـاعة: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ﴾ (٤٨إبراهيم) وكل ما فيها يظهر ويبرز للواحد القهار.

الكل يموت، وبعد الدفن يتحلل الجسد، وبعدها يُصبح تراباً، من الذي لا يتحلل؟ لا يوجد غير من يقول فيهم سيدنا رسول الله ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلام }[310]

فهؤلاء يظلون كما هم إلى يوم الدين، كســـاعة الوفاة تماماً بتمام، وبعض الذين مشوا على نهجهم ينالون شيئاً من هذه الوراثة، فبعضهم تظل أجسامهم حية إلى يوم الدين، ولكن ليس فيها الروح.

نحن أحياناً ندفن في القبر الواحد أعداداً قد تصل إلى خمسة عشر أو عشرين ميتاً ويزيد، فكيف تتجمَّع هذه الأجساد مرة ثانية؟ حضرة النبي ﷺ قال:

{ كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ }[311]

---

[310] سنن النسائي وأبي داود عن أوس بن أوس ﷺ

[311] صحيح مسلم وأبي داود عن أبي هريرة ﷺ

وهو جزء في آخر العمود الفقاري لن يفنى ولن يبلى ولا يستطيع حيوانٌ أن يأكله، ولو أُلقي في البحر لا يستطيع حوتٌ أو سمكٌ أن يهضمه لأنه محفوظ بحفظ الحفيظ ﷻ.

جعل القدير ﷻ كل شيء فيك يشهد لله بالوحدانية، فشكلك ليس له شبيه، فهذه شهادة بالوحدانية لله، وصوتك ليس له شبيه، وبصماتك كلها ليس لها شبيه، حتى عَرقَك ليس له شبيه، ولذلك سيدنا يعقوب قال: ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ (٩٤يوسف) أي رائحة عرق يوسف، لأنه رائحته مميزة، وكل واحد له عَرقٌ مميزٌ، حتى تشهد كل الحقائق فيك على أنك مخلوق لمن يقول للشيء كن فيكون:

وفي كل شيء له آيةٌ تدل على أنه الواحد

وتراب كل واحد - مع أنهم في تُربة واحدة - لن يختلط بالآخر، فكل واحد له ذرات خاصة به.

بعد النفخة الأولى والنفخة الثانية: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (٦٨الزمر) كل الأرواح في عالم الأرواح تُصعق وتموت، ويُسخِّر الله ﷻ على الأرض رياحاً شديدة من جهاتها الأربع، وتشتد صدمات الرياح حتى تُحوِّل الجبال إلى كُثبان، يعني أكوام من الرمال: ﴿ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً ﴾ (١٤المزمل) رمل هائش بعد صلابتها وشدتها!!.

وتشتد صدمات الرياح حتى تجعل الأرض عاليها في سافلها، فتُسوَّى الأرض، ويجمع الله ذرات كل إنســـانٍ على جزئه الذي لم يبلى ولم يفنى وهو عجب الذنب، والذي نسميه بالعامية (العُصعُص) ويأمر الله ﷻ السماء أن تُمطر، قال ﷺ:

{ مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مَاءً مِنَ السَّمَاءِ كَمَنِيِّ الرِّجَالِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ }[٣١٢]

لأن كل إنســـان أخذت الملائكة جزء من منيِّه، واحتفظوا به في عالم الملكوت حتى يحيا به مرة أُخرى: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (٢٩الأعراف) فيتكوَّن جســـم الإنســـان، ولكن لن يكون مثلنا هكذا، ولكن سيكون على حسب منزلته التي سيدخل بها، فإذا كان داخل الجنة - ونسأل أن نكون جميعاً من أهل الجنة – فكما قال حضرة النبي:

{ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ عَلَى طُولِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، سِتُّونَ ذِرَاعًا }[٣١٣]

والجسم الذي سيدخل الجنة كيف يكون شأنه، قال ﷺ:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلا يَتْفُلُونَ، وَلا يَبُولُونَ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَمْتَخِطُونَ }[٣١٤]

---

٣١٢ تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي عن أبي هريرة رضي الله عنه
٣١٣ صفة الجنة لابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله عنه
٣١٤ صحيح مسلم ومسند أحمد والطبراني عن جابر رضي الله عنه

لا يتبولون، ولا يتغوطون، ولا يتنخمون، ولا يسـقمون، فلا يوجد مرض ولا شيء من هذا القبيل أبداً، ولا همٌّ ولا غمٌّ ولا حُزنٌ، ولا يهرمون، بل يظلون شباباً في سن الثلاث والثلاثين إلى ما شاء الله.

والنسـاء يزدن على ذلك، فلا حيض، ولا نفاس، حتى تكون حياة كلها نعيم وتكريم من الكريم ﷻ، وهذا إذا كان من المؤمنين.

أما إذا كان من الكافرين فلا بد للجسـم أن يكون مؤهل لتحمُّل العذاب الذي يصيبه، فجلده لا بد أن يكون سميكاً، لأن الذي يشعر بالألم الجلد، والله يقول فيهم: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ ﴾ (٥٦النسـاء) وكيف يكون جلد الكافر؟ قال ﷺ:

{ غِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلاثٍ }[٣١٥]

ما بين جلد الكافر وعصـبه ولحمه كمسـيرة ثلاثة أيام!!، حتى يتحمَّل العذاب فكيف يكون شكله يا رسول الله؟ ذكر بعض الأوصاف فقال:

{ ضِرْسُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلُ أُحُدٍ }[٣١٦]

وقال: { مَقْعَدَةُ الْكَافِرِ فِي النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ }[٣١٧]

---

[٣١٥] صحيح مسلم والترمذي وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه

[٣١٦] جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

[٣١٧] مسند أحمد والحاكم في المستدرك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

فستكون صورة أُخرى تماماً غير الصورة التي نراها في الدنيا: ﴿ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴾ (٣٥الواقعة) يعني إنشاء آخر، وهذه اسمها النشأة الثانية غير النشأة الأولى التي نحن فيها.

لأن الدنيا فيها هم وغم ومرض وتعب، فالجسم مؤهل لذلك، لكن المؤمن عند دخوله الجنة وهو على بابها يقول: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ ﴾ (٣٤فاطر) الحمد لله فقد تركنا الهمَّ في الدنيا.

بعد أن يتم تكوين كل إنسان تبدأ الحياة الثانية: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (٦٨الزمر) تخرج الأرواح من مستقرها، وكل روح تعرف كل جسم كانت تسكن فيه في الدنيا، فتدخل فيه: ﴿ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ (٧القمر) الأرواح كلها تخرج وتذهب للأجسام، وتبدأ فيه الحياة، وتبدأ فيه الحركة والقدرة ويتجهَّز لما أعده له مولاه سبحانه وتعالى.

أقسام الخلق في القيامة

وسـنكون ثلاثة أصـناف: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾: أهل اليمين، وأهل الشـمال، والمقربين، فأصحاب الميمنة هم الذي عملوا في الدنيا الأعمال الصالحة التي تُبرهن على شدة إيمانهم، وقوة إيمانهم بربهم تبارك وتعالى:

﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾.: فأهل اليمين وأصحاب الميمنة ستكون وجوههم نيِّرة، منهم من يأخذ الكتاب باليمين، ومنهم من يحجز مقعداً تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، ومنهم من يخرج من قبره إلى قصوره في الجنة، فليس له شأنٌ بالعرض ولا الحساب ولا غير ذلك، قال ﷺ:

{ إذا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أَنْبَتَ اللَّه تَعَالَى لِطَائِفَةٍ مِنْ أُمَّتِي أَجْنِحَةً فَيَطِيرُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَى الجِنَانِ يَسْرَحُونَ فِيها وَيَتَنَعَمُونَ فِيها كَيْفَ شَاؤُوا، فَتَقُولُ لَهُمُ المَلائِكَةَ: هَلْ رَأَيْتُمُ الحِسَابَ؟ فَيَقُولُون: ما رَأَيْنَا حِسَاباً، فَتَقُولُ لَهُمْ: هَلْ جُزْتُمُ الصِّرَاطَ؟ فَيَقُولُونَ: ما رَأَيْنَا صِرَاطاً، فَتَقُولُ لَهُمْ: هَلْ رَأَيْتُمْ جَهَنَّمَ؟

فَيَقُولُونَ: ما رَأَيْنَا، فَتَقُولُ المَلائِكَة: مِنْ أُمَّةِ مَنْ أَنْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ، فَتَقُولُ: نَاشَدْنَاكُمْ اللَّهَ حَدِّثُونا ما كَانَتْ أَعْمَالُكُمْ فِي الدُّنْيَا، فَيَقُولُونَ: خَصْلَتَانِ كَانَتَا فِينا فَبَلَغْنَا هذِهِ المَنْزِلَةَ بِفَضْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَيَقُولُونَ: وَما هُمَا؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا إذا خَلَوْنَا نَسْتَحِي أَنْ نَعْصِيه وَنَرْضَى بِاليَسِيرِ مِمَّا قُسِمَ لَنَا، فَتَقُولَ المَلائِكَةُ: يَحِقُّ لَكُمْ هذا }[318]

هؤلاء سيخرجون مباشرة من القبور إلى الجنة: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١٠الزمر) ليس لهم شأنٌ بالحساب.

والكافرون والعياذ بالله: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴾ :

منهم من يأتي ووجهه أسود: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ (٦٠الزمر) ومنهم من يأتي ووجهه أزرق: ﴿ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ (١٠٢طه) ومنهم من يأتي يوم القيامة وهو أعمى:

---

٣١٨ أخرجه الحافظ العراقي في الإحياء عن ابن حبان وأبو عبد الرحمن السلمي عن أنس ﷺ

﴿ وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴾ (طه) أنا كنت أُبصر في الدنيا!!، يقول له: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ (١٢٦طه).

وجهَّز الله لهم جهنم بالسلاسل، والسلسلة ذرعها سبعون ذراعاً، والتوبيخ والإهانة، نسأل الله الحفظ والسلامة لنا ولأبنائنا وبناتنا وزوجاتنا وذرياتنا أجمعين.

والأعلى في المقام الذين سيدركون النبيين، ويكونون معهم في الدرجة وفي المقام: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ :

مقربون من الله، ومَن جيرانهم؟ سيدنا رسول الله ومَن معه: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ (٦٩النساء) وهؤلاء كما ورد ببعض الأثر: يضيئ حسنهم لأهل الموقف كما تضيئ الشمس لأهل الدنيا، وهؤلاء أول فوجٌ يدخل الجنة، وقال فيهم ﷺ:

{ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ }[٣١٩]

هم من يضيئوا الجنة، لأن الجنة ليس فيها شمس ولا قمر، وهم الذين سينيروا أرض الموقف من نور الصالحات والطاعات والقربات التي كانوا يتوجهون بها إلى الله تبارك وتعالى في حياتهم الدنيا، وهؤلاء أوصافهم كثيرة لا نستطيع ذكرها أو حتى عدَّها، لكن أهم ما في أوصافهم أنهم لا يعملون عملاً إلا خالصاً لوجه الله لا يرجون به إلا رضاه.

كما قال الله لحضرة النبي في كتاب الله: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾ (٢٨الكهف) لا يريدون حتى الجنة، وإذا أرادوها فلأن فيها وجه الله، وفيها جوار سيدنا رسول الله ﷺ.

قالوا لأحدهم: هل تُحب دخول الجنة؟ قال: نعم، قالوا: ولِمَ؟ قال: لأن رسول الله فيها!!، لا يريد الجنة من أجل الحور والقصور والطعام ومثل هذه الأشياء، ولكن يريد أن يكون مع رسول الله ﷺ في هذا الموقف العظيم، فالجار قبل الدار، وليس هناك أحسن من جوار النبي المختار ﷺ.

---

٣١٩ مسند أبي يعلي الموصلي، ومسند أحمد عن أبي بكر الصديق ﷺ

سيدنا رسول الله كان عنده خادم اسمه ثوبان، لاحظ تغيَّر لونه، وذبل جسمه، وكأنه مريض، فقال له رسول الله:

{ يا ثوبان ما غيَّر لونك؟ فقال: يا رسول الله ما بي من ضر ولا وجع، غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك، واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة وأخاف أن لا أراك هناك، لأني أعرف أنك ترفع مع النبيين، وأني إن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنة فذاك أحرى أن لا أراك أبداً، فنزل قول الله تعالى: " وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ عَلِيماً " }[٣٢٠]

هذا بفضل الله، .... وكل ما في الأمر المحبة، .... ولكنهم لم يزيدوا شيئاً عن الأحبة إلا المحبة، وهؤلاء تغمَّدهم الله بفضله، وبواسع نعماه، وجعلهم في الدرجات العُلى ... مع حبيبه ومصطفاه ﷺ.

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾:

---

٣٢٠ ذكر الواحدي هذه القصة في كتابه أسباب النزول في طبعة دار الكتب العلمية تاريخ النشر ٢٠٠٠ عند تعرضه لأسباب النزول لهذه الآيات من سورة النساء.

كم يكون هؤلاء ؟

قال: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾:

كانوا كثيرين بعض الشيء مع حضرة النبي، لأنهم عندما عاشروه وعاصروه كان لهم حال آخر غير حالنا، والذين جاءوا من بعدهم:

﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْأٓخِرِينَ ﴾

قليلون، لماذا؟

لأن الفتن كثُرت، والشهوات زادت عن الحد، والدنيا أصبحت تغر الكل، والذي يقدر على نفسه ويجاهدها وسط هذه المشاهد فيا هناه، لأنه سيدخل في قول الله:

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ (٢٤ص).

والشيئ الغريب - ونسأل الله أن نكون من هؤلاء القليل - أن هؤلاء القِلَّة حضرة النبي تمنَّى أن يراهم، وقال:

{ وَدِدْتُ أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي، فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: أَوَلَيْسَ نَحْنُ إِخْوَانَكَ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْنِي } [٣٢١]

---

٣٢١ مسند أحمد عن أنس ﷺ

وفي الحديث الآخر:

{ إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ لأَنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الخَيْرِ أَعْوَاناً وَلاَ يَجِدُونَ عَلَى الخَيْرِ أَعْوَاناً }[٣٢٢]

انظر إلى المنزلة الكريمة لهم!!!

ولكن إياك أن تضحك عليك نفسك وتظن أنهم أحسن من عمر أو عثمان أو علي، فتكون قد أضعت نفسك !!!!، لأن هؤلاء يكفيهم الصحبة الكريمة لرسول الله ﷺ، فسيدنا رسول الله فقط حبنا في ذلك حتى ننضم لهؤلاء الأقوام، ونُحشر معهم يوم الزحام .... إن شاء الله.

قليل من الآخرين

لماذا قال الله ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلۡأَخِرِينَ ﴾ ؟

٣٢٢ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي ثعلبة الخشني ﷺ

ذلك حتى إذا رأيتَ نفسك مستمسك بالدين، وترى كثرة المستهترين، وكثرة المتلاعبين، وكثرة البعيدين، ورأيت معهم الدنيا فلا تغترَّ بهؤلاء: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾ (١٠٠المائدة) احذر ذلك، وتمسك بالعهد، وإذا تمسكَّت حضرة النبي يبشرك ويقول لك:

{ مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ }[٣٢٣]

لأنك تتمسَّك عند هذه الشدائد، فأيام حضرة النبي ﷺ مَن الذي كان يأكل حرام؟ نادر، ولا يوجد غير الذي في إيمانه دخن والعياذ بالله، لكن في هذا الزمان مَن الذي يأكل من الحلال؟ أقل من القليل.

وكل إنسان في هذا الزمان يأكل من حلال ويتحرى المطعم الحلال أنا أشهد له كما شهد النبي عند الله أنه وليٌّ مُجاب الدعوة، والنبي قال ذلك، فقد قال له سيدنا سعد: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مُستجاب الدعوة، فقال له:

{ يَا سَعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ }[٣٢٤]

---

٣٢٣ الزهد الكبير للبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما
٣٢٤ معجم الطبراني عن سعد بن أبي وقاص ﷺ

معظم ســقوط الخلق ورســوبهم في هذا الزمان في هذه القضــية، فالحلال لا يُشــبعه، فيغُش في الكيل، ويغُش في الوزن، ويغُش في البضــاعة، ويغُش في الكلام ليأخذ ما يعتقد أنه يزيد به رزقه، مع أنه كما ورد فى الأثر: (ما سرق السارق إلا من رزقه، ولو أنه صبر لأخذه من الحلال).

رزقك سيأتيك، فأنت تبحث عن الرزق وهو يبحث عنك، كما قال ﷺ:

{ لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ هَرَبَ مِنْ رِزْقِهِ كَمَا يَهْرُبُ مِنَ الْمَوْتِ، لأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ كَمَا يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ }[٣٢٥]

يطلبك رزقك كما يطلبك أجلك، فإذا تعجَّل ليأخذه من حرام، فإنه سـيصـرفه في الذنوب والآثام، ويحبط الله عمله على الدوام، ويوم القيامة سيكون مع هؤلاء الأقوام.

فالله ذكر أن هؤلاء المقربين قليل حتى لا ييأس الإنسان، ولا تضحك عليه نفسه ليمشـي على هواه، وتقول له عندما تقترب الخاتمة أصـلح نفسـك!!، ومن أين أضـمن ميعاد السفر؟!! ربما صدرت التأشيرة ولا أدري، فلابد أن يكون الإنسان جاهزاً على الدوام: ﴿ وَمَا تَدۡرِى نَفۡسٌ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدۡرِى نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٍ تَمُوتُ ﴾ (٣٤لقمان).

٣٢٥ حلية الأولياء لأبي نعيم والبيهقي عن جابر بن عبد الله ﷺ

مراتب المقربين في الجنة

هؤلاء المقربين أين يكونوا؟ في أعلى مراتب الجنان، قال حضرة النبي لهم:

{ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ }[٣٢٦]

هؤلاء سيكونون في هذا المكان: ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾ :

الأسِـرَّة سـتكون منسـوجة من الذهب الذي يليق بالجنة، والخيوط الثمينة التي جعلها الله لأهل الجنة، والتي لم تظهر في عالم الدنيا.

ولا يكون أحد منهم جالساً ولكن: ﴿ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴾ :

٣٢٦ صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

وجوههم في وجوه بعضهم، ويأتنسون مع بعضهم، ويتحدثون مع بعضهم، ويستزيدون من الله الفضل والتكريم مع بعضهم، لأنهم سيكونون سوياً يوم القيامة إن شاء الله.

﴿ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ :

يطوف عليهم ليقضي لهم مصالحهم وحوائجهم الغلمان الذين ماتوا صغاراً في السن من أولادهم حتى يتمتعون بهم في جنة النعيم في جوار الكريم تبارك وتعالى، فهم الذين يذهبون ويأتون ويمرحون ويلعبون أمامهم.

لكنهم لا يحتاجون إلى خدمة، فهؤلاء الغلمان لا يطوفون عليهم ليخدموهم، لأن الجنة ليس فيها خدمة، فكل ما يحتاجه الإنسان من ألوان النعيم يأتيه فوراً بمجرد الخطور على البال، ولكن هؤلاء معهم للبهجة والفرحة والسرور بأولادهم الذين سبقوهم إلى جوار الله ﷻ، وسيدنا رسول الله يبشرنا فيقول:

{ إِنَّهُ يُقَالُ لِلْوِلْدَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا، قَالَ: فَيَأْبَونَ، قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: مَا لِي أَرَاهُمْ مُحْبَنْطِئِينَ، ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ آبَاؤُنَا، قَالَ: فَيَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ }[٣٢٧]

---

٣٢٧ مسند أحمد ومعرفة الصحابة لأبي نعيم

غلمان المسلمين الصغار الذين ماتوا وهم صغار يأتون على أبواب الجنة ويقومون بعمل مظاهرة ليدخلوا مع آبائهم وأمهاتهم الجنة، فلعل من يُدخل الإنسان الجنة ابنه الصغير، أو ابنته الصغيرة الذين ماتوا وهم صغار، ويظلون يلعبون حولهم:

﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ :

معهم أكواب بأذان، وبغير أذان، وكل الأصناف هناك في جنات النعيم، ويسقوهم كما قال الله في القرآن: ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (٢١الإنسان) لا يستطيع أحدٌ وصف هذه الحلاوة، ولا هذه الطلاوة، ولا هذه النكهة.

﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾:

وهذا الشراب مع عُلو شأنه لا يصيب الإنسان بصداع، ولا يصيب الإنسان بخبل في عقله، ولا يُغيب العقل، ولا يُنهك الجسم، ولا يؤثر فيه تأثير ضار، لأن الجنة ليس فيها إلا نعيمٌ مقيم في جوار الكريم سبحانه وتعالى.

﴿ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾:

كل هذا وغيره سيكون في جنة النعيم، وكل ما في الجنة مما ذكره الله سبحانه وتعالى كما يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (إنما يوافق اللفظ ما نعلمه في عقولنا وحقيقته لا يعلمه إلا من خلقه تبارك وتعالى) لأن الجنة فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

والجنة ليس فيها غيبة ولا نميمة ولا كذب ولا زور ولا فجور:

﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴾ :

يعني كلام فيه ذنب أو إثم:

﴿ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ :

إما سلام من الملائكة:

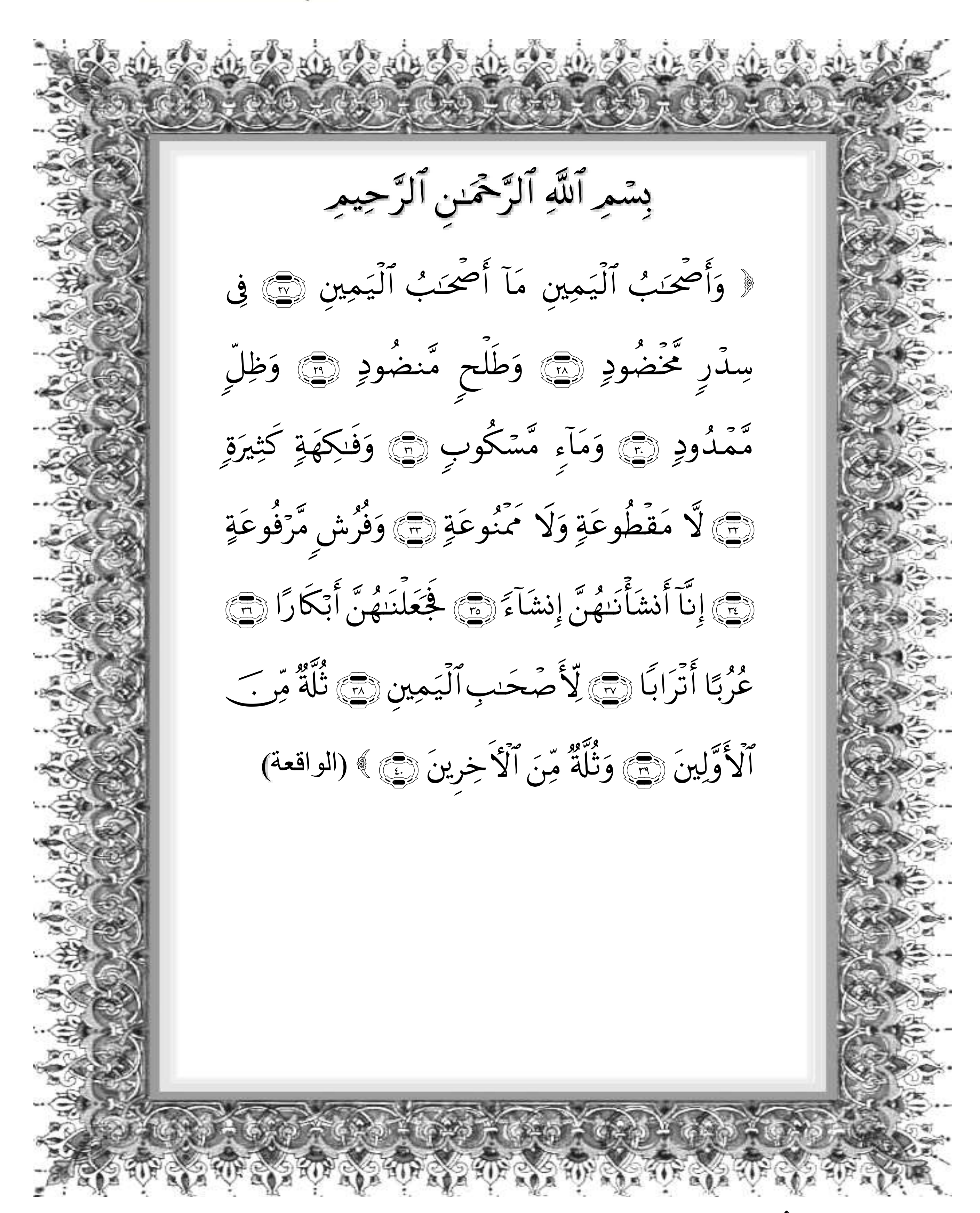
﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ (الرعد) أو سلام من سيدنا رسول الله، أو سلام من حضرة الله تبارك وتعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾ (٤٤الأحزاب) ليس السلام الذي نعرفه، لكن حقيقة السلام لا يعلمه إلا الإنسان الذي يُكرمه الله ﷻ بدخول الجنان.

نسأل الله سبحانه وتعالى ....

أن نكون من عباده المقربين، وأن يوفقنا لعمل المقربين، وأن يرزقنا الإخلاص في طاعته، وأن يجعلنا من الذاكرين الشاكرين القائمين بحُسن عبادته، وأن يُيسر لنا الطاعات، وأن يحفظنا من جميع المعاصي والذنوب والمخالفات ...

وأن يبارك لنا في أجسامنا وأسماعنا وأبصارنا وأموالنا وأقواتنا وأعمارنا، ويجعلنا كلنا لله في هذه الحياة، وأن يتولانا بولايته ولا يتخلى عنا طرفة عين بعنايته، حتى يختم لنا بالمحبة للقاء حضرته، ويحشرنا في زُمرة أحبته في جوار حبيبه ومصطفاه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (الواقعة)

٢٠. أصحاب اليمين[٣٢٨]

بســـم الله الرحمن الرحيم – الحمد لله الذي اختارنا من الأزل القديم وجعلنا من أهل جنته، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، القائل فيما ورد عنه في صحيح الحديث:

{ آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لا أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ }[٣٢٩]

صلى الله عليه وصحبه، وكل من تبعه على الهدي إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم بمنِّك وفضلك وجودك يا أرحم الراحمين.

عروج النبي إلى الجنة

ونحن في هذه الليالي المباركة والأيام الفاضلة؛ ليالي وأيام الإسراء والمعراج، سيدنا رسول الله ﷺ يروي لنا أنه عندما صعد فوق السماوات:

---

٣٢٨ المنيا – بلهاسة – المسجد الكبير ٢٣ من رجب ١٤٣٩هـ ٢٠١٨/٤/١٠م
٣٢٩ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أنس ﷺ

{ أَتَى عَلَى وَادٍ، فَوَجَدَ رِيحًا طَيِّبَةً بَارِدَةً وَرِيحَ الْمِسْكِ، وَسَمِعَ صَوْتًا، فَقَالَ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِهِ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ الْبَارِدَةُ، وَهَذِهِ الرَّائِحَةُ الَّتِي كَرِيحِ الْمِسْكِ، وَمَا هَذَا الصَّوْتُ؟، قَالَ: هَذَا صَوْتُ الْجَنَّةِ، تَقُولُ: يَا رَبِّ آتِنِي مَا وَعَدْتَنِي، فَقَدْ كَثُرَتْ عَرْفِي وَإِسْتَبْرَقِي وَحَرِيرِي وَسُنْدُسِي وَعَبْقَرِيِّ وَلُؤْلُؤِي وَمَرْجَانِي وَفِضَّتِي وَذَهَبِي وَأَكْوَابِي وَصِحَافِي وَأَبَارِيقِي، وَفَوَاكِهِي وَنَخْلِي وَرُمَّانِي وَمَائِي وَلَبَنِي وَخَمْرِي، فَآتِنِي مَا وَعَدْتَنِي، فَقَالَ: لَكِ كُلُّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، وَمُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَمَنْ آمَنَ بِي وَبِرُسُلِي وَعَمِلَ صَالِحًا، وَلَمْ يُشْرِكْ بِي وَلَمْ يَتَّخِذْ مِنْ دُونِي أَنْدَادًا }[٣٣٠]

الجنة تنادي على الله، تطلب من الله ﷻ دخول أهلها إليها، لأنها تزينت وتجهزت وأصبحت على أُهْبة الاستعداد لاستقبال المؤمنين والمؤمنات.

دخل حضرة النبي ﷺ الجنة ليطمئن على ما لنا فيها، ويتمم على ميراثنا كلنا في الجنة، وأخبر أصحابه ببعض ما رآه ليطمئنوا إلى أن الله أعد لهم جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، فقال لسيدنا عمر أمام أصحابه المباركين:

---

٣٣٠ تهذيب الآثار للطبري وكشف الأستار عن أبي هريرة ﷺ

{ وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟، فَقَالَ لِعُمَرَ: فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ، فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعَلَيْكَ أَغَارُ }[331]

وجاء له في يوم من الأيام هدية من ملوك عمان الآن، هذه الهدية كان فيها ثوب من الحرير الطبيعي الناعم الملمس وليس له مثيل، فلما رآه الصحابة ولمسوه تعجبوا، فقال لهم:

{ أَتَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا؟ قُلْنَا، نَعَمْ، قَالَ: مَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ هَذَا }[332]

يعني لم ير القصـــور في الجنة فقط، ولكن دخلها وفتش في الأثاث والرياش، واطمأن إلى متاع المؤمنين ونعيم المتقين ليطمأن قلبه على ما أعده الله ﷻ للصالحين.

وقال لسيدنا بلال:

{ يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ }[333]

---

٣٣١ البخاري ومسند أحمد عن جابر ﷺ
٣٣٢ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ
٣٣٣ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

يعني يحافظ على الوضوء دائماً، فإذا قضى حاجته أو تبول يتوضأ بعدها مباشرة، وكما ورد في الأثر: (الوضوء سلاح المؤمن) يحمل سلاحه على الدوام، وإذا توضأ يُصلي ركعتين لله تبارك وتعالى .. هذه الجنة التي رآها سيدنا رسول الله وأوصافه لها تطول ولا نستطيع شرحها في هذا الوقت، لكن حسبنا ما ورد في كتاب الله عن الجنة، وهو أصدق القول، وأصدق الحديث؛ كلام رب العزة تبارك وتعالى.

شرحنا قبل ذلك الجنان التي أعدها الله للمقربين: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ۝ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝ ﴾ (الواقعة) واليوم نُكمل شرح السورة، لأن هذا منهجنا في تفسير آيات الله على قدرنا لا على قدر آيات كتاب الله، لنرى ما الجنان التي أعدها الله لأصحاب اليمين؟.

سر التسمية

﴿ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴾ لماذا سُمُّوا أصحاب اليمين؟ لأنهم في الدنيا يتيامنوا في كل أحوالهم، يمسك الكتاب بيده اليمين، ويأكل بيده اليمين، ويبدأ المشي برجله اليمين، وإذا مشى في الطريق يأخذ الجانب اليمين، يتيامن في كل أحواله، فعن عائشة رضي الله عنها:

{ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّ التَّيَمُّنَ مَا اسْتَطَاعَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ فِي طُهُورِهِ وَتَرَجُّلِهِ وَتَنَعُّلِهِ}[334]

وورد في بعض الأثر: (تيامنوا ما اســتطعتم) يعني دائماً افعل كل شـــيء باليمين، حتى تكون من أصحاب اليمين، والذي يحافظ على التيامن في دنياه سيأخذ يوم القيامة كتابه بيمينه عند تطاير الصحف.... ونحن في الدنيا لنا حرية الاختيار، فإذا ناولك أحد شـــيء فلك أن تأخذها بيدك اليمين أو بالشـــمال، لكن يوم القيامة ليس لك اختيار إلا اختيار الواحد القهار، فلا يستطيع أحد أن يفعل شيء إلا إذا أراد رب العباد.

نحن في الدنيا نركع ونسجد برغبتنا، لكن يوم القيامة وبعد أن يجمع الله الخلائق في أرض الموقف سـينادي مناد الله: (الصــلاة جامعة) فيُصــلي بنا كلنا رســول الله ركعتين لله، وهذا في بداية القيامة.

الذي يدخل المسجد ويُصلي من غير وضوء، أو دخل ليُصلي حتى يُحسن الناس الظن به ويطلبونه للعمل ويثقون به .. هذا عندما يأتي يوم القيامة ليســجد فلا تطيعه الأعضـــاء: ﴿ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ (٤٢القلم) فيظل واقفاً، لأن الحقائق ستظهر على حالها، ولا يوجد تمثيل هناك، ولا رياء، ولا نفاق، فكل شـيء سـيظهر واضحاً كشمس الضحى في رائعة النهار.

---

٣٣٤ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

فالذي يتيامن في كل أموره، وما دام محافظاً على فرائض الله، وحفظ نفســه من معاصـي الله، ودائماً يتيامن في كل أموره تطبيقاً لهدي رسـول الله فيأتي يوم القيامة: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴾ (١٩الحاقة) لأنـه ســعيد في هذا الموقف، ويريد من الكل أن يرى شـهادته: ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ (٢٠الحاقة) كنت أنتظر وأعمل لهذا اليوم، فحجبت نفسي عن المعاصي، وحكمت عليها وغصبتها على الطاعة لله، وعلى متابعة رســول الله، تتطاير الصــحف تحت العرش، وعندما يؤذن بتطاير الصـحف تخرج الكتب كلها مع بعضـها، فأهل اليمين يجد الكتاب بنفسـه يأتي لليمين، وأهل الشـمال يجد يمينه مشـلولة، فيؤتى كتابه بشـماله، وهناك جماعة أخرى يجد جسمه كله مشلول، فيأخذ كتابه من وراء ظهره.

أهل اليمين هم الـذين يـأخـذون الكتـاب بـاليمين، وهؤلاء هم الـذين ســيفوزوا ويجوزا، وترجح لهم في الميزان كفة اليمين، ويمرون من فوق الصراط بسلام آمنين، وتُفتح لهم أبواب الجنة، وعندما يذهبوا إليها ترحب بهم الملائكة: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ (٧٣الزمر).

إشارة إلى نعيم الجنة

نعيم هؤلاء لا يستطيع أحد وصفه، لكن الله أشار إلى بعضه، وحضرة النبي قال في مجمل نعيم الجنة:

{ فِيهَا مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ }[335]

حتى ما تتوهمه وتتخيله لنعيم الجنة لا يساوي شيء في نعيم الجنة عندما تدخلها وترى النعيم المقيم الذي جهَّزه الله للمؤمنين والمؤمنات إن شاء الله.

أصــحاب رســول الله ﷺ كانوا يسـيرون معه عند بلد اســمها الطائف، ووجدوا حديقة كبيرة من شجر السدر وهو النبق، وكان شكلها عظيم، وكان الصحابة أصحاب همة عالية، فقالوا: يا رســـول الله نريد أن يكون لنا حدائق مثل هذه في الجنة، يعني يريدونها في الجنة وليس في الدنيا، لانهم علموا أنهم سيتركون الدنيا، لكن هذا الشجر كان له شوك، فنزل قول الله تعالى: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ :

ومخضود يعني ليس له شوك، فشجرة السدر في الجنة ليس لها شوك.

---

[335] صحيح مسلم ومسند أحمد عن سهل بن سعد رضي الله عنه

هل ثمرها في الجنة كثمرها في الدنيا؟ لا، شجرة السدر في الجنة تُخرج ثمانين صنفاً من الفواكه، وكل صنف لا يشابه الآخر، وكل حبة تأكلها تختلف عن غيرها: ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ (٢٥البقرة)

تتشابه في الشكل الخارجي، لكن الطعم غير الطعم، والحلاوة غير الحلاوة، والملمس غير الملمس.

هذا غير أن فاكهة الجنة تؤكل كلها، فليس لها قشـر، ولا نوى، ولا فضـلات، سيدنا رسول الله ﷺ عندما رأى التين – ليس الشوكي ولكن ما نطلق عليه البرشومي - قال لأصحابه:

{ كُلُوا، فَلَو قُلْتُ أَنَّ فَاكِهَةً نَزَلَتْ مِنَ الْجَنَّةِ بِلا عُجْمٍ، لَقُلْتُ: هَذَا التِّينُ }[٣٣٦]

ليس لها نوى من الداخل، وكذلك فاكهة الجنة، والله ﷻ جعل البذور في فواكه الدنيا لحكمته، حتى نأخذ البذرة ونزرعها فتُخرج لنا نباتا آخر، لكن في الجنة تخرج الفواكه بأمر من يقول للشـيء كن فيكون، فلا تحتاج إلى شتلة، ولا إلى بذرة، ولا إلى سباخ، ولا إلى ري، ولا شـيء من ذلك، وإنما هي بمحض فضل الله، وخالص إكرام الله لعباد الله المؤمنين.

---

٣٣٦ الآثار المروية في الأطعمة العطرية لابن يشكوال عن أبي هريرة رضي الله عنه

﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾ الطلح هو الموز، لكن ليس له قشـــر كموز الدنيا، وهذا الموز منظم ومصــفوف، صــفَّه ملك الملوك ﷺ، حتى في الدنيا هل يســتطيع أحد في الكون كله يستطيع أن يصـف بضـاعة كسُـباطة شـجرة الموز؟!! مصـانع أمريكا واليابان والألمان وغيرهم هل يسـتطيعوا أن يرصـوا بضـاعة وينظموها كسُـباطة الموز؟!! يستحيل ذلك، حتى نعرف أن قدرة الله في هذه الأشياء لا يضاهيها شيء.

ولماذا ذكر الموز؟ لأن الموز هو الفاكهة الوحيدة التي يســتطيع أن يعيش عليها الإنسان ولا يحتاج لشـيء آخر، فلا يحتاج للحم ولا دواجن ولا خبز ولا أرز ولا غير ذلك، ففيها كل ما يحتاجه جسم الإنسان.

الميزة الأخرى هي أن فاكهة الموز فضـلاتها خفيفة جداً، فالإنسـان عندما يأكله يظل فترات طويلة لا يحتاج لقضـاء حاجته إلا أن يتبول، ولذلك فرعون موسـى كان حكيم وعالم، وقدماء المصـريين كانوا علماء، فهم أصـل العلوم في الدنيا كلها، والدنيا كلها أخذت العلوم من مصـر، ولذلك اسـمها (أم الدنيا) لأنها هي التي نشـرت العلم في العالم كله، مَن الذي علَّم العالم كله اليوم والليلة والأسـبوع والشـهر والسـنة؟ مصـر، فنبي الله إدريس ظهر في مصـــر، وأطلعه الله على العلوم الفلكية وقننها وطبقها في مصـر، ومنها انتشـرت للعالم كله، وكذلك كل العلوم الأخرى بدايتها كانت من مصـر، ففرعون موسـى كان عالماً، وكان يدَّعي أنه إله، والإله لا بد أن يكون له ميزة تختلف عن الرعية، فماذا يصـــنع؟ كان يعيش على الموز، فكان لا يحتاج لدخول الحمام وقضاء حاجته إلا كل أربعين يوم مرة، حتى يتميز عن الآخرين.

والموز كذلك قالوا فيه (طعام الفلاســـفة) لأنه يعمل على تغذية ونمو الذكاء فيُصـبح الإنســان شـديد الذكاء.. وعندما جاء سـيدنا موســى لفرعون، وجمع فرعون السـحرة في سـاعة الظهر في يوم كان شـديد الحرارة، وجاء السـحرة بعصـيان ولفوا حولها حبال ودهنوها بالذئبق، فلما سـطعت الشـمس لمع الزئبق وتخيل الناس أن هذه ثعابين، لذلك قال الله: ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ (٦٦طه).

وعندما ألقى موسى العصا أصبحت حية حقيقية وابتلعت كل الحبال والعصـي، وكان فرعون يجلس في الشــرفة في الدور الثاني يشـاهد، فذهبت الحية إلى قصـر فرعون وفتحت فاهها، فكان الجزء العلوي من الفم فوق القصر، والجزء السفلي تحت القصـر، يعني سـتبتلع القصـر، فآمن فرعون في هذا الوقت، ولذلك عندما آمن مرة آخرى ســاعة الغرق قال له الله: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾ (٩١يونس) آمنت قبل ذلك، وكذبت.

فكان فرعون يتغذى على الموز حتى يُظهر أنه يختلف عن باقي الرعية، لكن موز الجنة غير موز الدنيا، فلا يساويه ولا يضاهيه في أي شيء.

متى تشرق شمس الجنة ومتى تغرب؟ الجنة ليس بها شمس: ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ (١٣الإنسان) ليس فيها شمس ولا حر ولا برد؛ تكييف مركزي، لكن كيف نرى؟ بنور الصلاح والتقى والإيمان الذي أكرمنا به الله في الحياة الدنيا ببركة اتباع النبي العدنان ﷺ، ولذلك ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما عندما وصف حال الجنة فقال: كالوقت قبل شروق الشمس، ففي هذا الوقت تكون الدنيا منيرة، ولكن لا يوجد حر ولا شعاع مسلط ولا غير ذلك، فيكون حال الجنة على مثل هذا الحال.

هذا غير أن الجنة كلها: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ كلها ظل، ومن أين يأتي الظل؟ الشجرة الواحدة في الجنة يقول فيها ﷺ:

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لا يَقْطَعُهَا }[٣٣٧]

الشجرة الواحدة يمشي تحتها الإنسان مائة سنة ولا ينتهي من ظلها!! والجنة كلها أشجار، وكلها ثمار.

---

٣٣٧ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ

ومن أين ياتي الماء؟ ﴿ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴾ لا مطر، ولا آبار، ولا عيون، لكن الوقت الذي تريد فيه الماء تجد الماء وصل إليك من قِبل خدم الجنة بأمر من يقول للشيء كن فيكون، ومسكوب يعني فرغناه لك، فلا تحتاج لشيء من الأساليب العصرية أو القديمة التي كنت تستخدمها في الدنيا.

ما الغذاء الرئيسي في الجنة؟ ﴿ وَفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴾ لأن أهل الجنة ليس لديهم جهاز إخراج، لا بول ولا غائط، قال ﷺ:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلا يَتْفُلُونَ، وَلا يَبُولُونَ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَمْتَخِطُونَ }[٣٣٨]

لا يتبولون، ولا يتغوطون، ولا يتنخمون، ولا يسقمون، فليس هناك مرض، ولا يهرمون، فلا يوجد عجز هناك، ويبقوا في سن الثلاث والثلاثين أبداً.

{ وسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَيَشْرَبُونَ، وَلا يَبُولُونَ فِيهَا وَلا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَتَنَخَّمُونَ، إِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ جُشَاءً، وَرَشْحًا كَرَشْحِ الْمِسْكِ }[٣٣٩]

٣٣٨ صحيح مسلم ومسند أحمد والطبراني عن جابر ﷺ
٣٣٩ مسند أحمد والطبراني عن جابر ﷺ

لا يحتاج إلى دورة مياه، ولا إلى من يصلحها، ولا غير ذلك، وهذه كانت حال رسول الله وهو في الدنيا، فكان في الدنيا في وصف أهل الجنة، فإذا كان في سفر وأراد أن يقضي حاجته ينظر حوله، فإذا رأى المكان مكشوف ووجد نخلتين أو أكثر متفرقات يأمر عبد الله بن مسعود ﷺ وهو الموكل بطهوره ووضوءه وعصاه ونعله، أن يذهب إليهن فيأمرهن أن يجتمعن، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ:

{ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَمْعَنَ فِي السَّيْرِ، فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتُرُهُ، فَدَعَا عَبْدَ اللَّهِ، فَقَالَ: انْطَلِقْ إِلَى تَيْنِكَ الإِشَاءَتَيْنِ، يَعْنِي النَّخْلَتَيْنِ، فَقُلْ لَهُمَا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكُمَا أَنْ تَقْتَلِعَا بِأُصُولِكُمَا وَعُرُوقِكُمَا حَتَّى تَسْتُرَاهُ، فَأَتَاهُمَا، فَقَالَ لَهُمَا: فَفَعَلَتَا، فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَاجَةَ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ: انْطَلِقْ إِلَيْهِمَا فَقُلْ لَهُمَا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكُمَا أَنْ تَرْجِعَا مَكَانَكُمَا، فَفَعَلَتَا }[٣٤٠]

بعض أصحاب حضرة النبي أخذهم الفضول، فبعد أن يقضي النبي حاجته يذهبوا ليفتشوا فلا يجدوا شيئاً أبداً، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْخَلاءَ ثُمَّ خَرَجَ دَخَلْتُ بَعْدَهُ فَلا أَرَى شَيْئًا إِلا أَنِّي أَجِدُ رِيحَ الطِّيبِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، أَمَا عَلِمْتِ أَنَّا مَعْشَرَ الأَنْبِيَاءِ نَبَتَتْ أَجْسَادُنَا عَلَى أَرْوَاحِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمَا خَرَجَ مِنَّا شَيْءٌ ابْتَلَعَتْهُ الأَرْض }[٣٤١]

---

٣٤٠ رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما
٣٤١ شعب الإيمان للبيهقي وتاريخ بغداد

في نفس الوقت كانت رائحة عرقه كرائحة المسك، وهذا كوصف أهل الجنة!

حتى أنه كان يقيل عند السيدة أم سليم أم سيدنا أنس بن مالك بعد صلاة الظهر، وكان ﷺ إذا نام يشتد عرقه، وفي يوم وجد السيدة أم سليم معها مناديل تمسح بها عرقه حتى تملأها، فقال لها:

{ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟، قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ، نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ }[342]

وفي رواية أخرى أن نساء الأنصاء كن يطلبن منها عرق النبي ليصلحن به الطيب، يضعن على الطيب قطرتين من عرق حضرة النبي فتُصبح رائحته ليس لها مثيل!!، حتى أنه ﷺ كان عندما يسير في طريق يترك فيه أثراً من رائحته، حتى أن الذي يريد حضرة النبي يتتبع أثر الرائحة حتى يجده!!. وإذا سلَّم حضرة النبي على إنسان تظل الرائحة في يده ثلاثة أيام، رائحة كالمسك تخرج من حضرة النبي ﷺ.

﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴾ كلمة كثيرة من الله ليعرفنا أن هذا أمر يعجز العقل عن حصره وعده، فإياك أن يخيل لك أن فاكهة الجنة ستنحصر في أصناف الفاكهة التي تراها في الدنيا، لكن كلمة (كثيرة) معناها أنها ليس لها عد ولا نهاية، هل تخرج هذه الفاكهة في الصيف أم الشتاء؟ الجنة ليس فيها صيف ولا خريف ولا ربيع ولا شتاء، ولا يوجد موسم للفواكه مثل الدنيا: ﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾:

[342] البيهقي والطبراني عن أنس ﷺ

موجودة على الدوام لا تنقطع ولا تُمنع لأن الله هو الذي تولى بذاته سبحانه وتعالى إخراجها لتمتع أهل الجنة بأكلها كما أمر رب العزة تبارك وتعالى.

﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ الأسرة هناك ستكون عالية فوق ما تتصور، سألوا حضرة عن هذه الآية فقال:

{ " وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ " قَالَ: ارْتِفَاعُهَا لَكَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ مَسِيرَةَ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ }[٣٤٣]

فكيف يكون شكلك؟! وكيف تكون قوتك؟! هذا أمر لا يعلمه إلا من يقول للشيء كن فيكون ... ولكي لا نستعجب قال لنا: ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴾ سيكون لك صورة أخرى في الجنة تلائم نعيم الجنة، وأحوال أهل الجنة، يجعلها لك الله سبحانه وتعالى يوم القيامة جزاء بما كنتم تعملون.

٣٤٣ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ

وبالنسبة للنساء سيكن كما قال حضرة الله: ﴿ فَجَعَلْنَـٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴾ حتى التي تصل في الدنيا لمائة وعشرين سنة مثلاً، وأصبح وجهها كله تجاعيد، فإنها في الجنة ستعود شباباً في سن الثلاثة والثلاثين، ولذلك حضرة النبي ﷺ كان يمازح أصحابه ولكنه كما قال:

{ إِنِّي لأَمْزَحُ وَلا أَقُولُ إِلا حَقًّا }[344]

جاءت له امرأة عجوز وقالت له:

يا رسول الله ادع الله أن يجعلني من أهل الجنة، فقال:

{ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَجُوزٌ، فَبَكَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَيْسَتْ يَوْمَئِذٍ عَجُوزٌ، إِنَّهَا يَوْمَئِذٍ شَابَّةٌ، إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: " إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً }[345]

ترجع إلى سن الثلاث والثلاثين شباب، وشباب دائم لا يعتريه سقم ولا مرض ولا هرم: ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً ﴾ إنشاء آخر.

وكلما جامعها زوجها رجعت بكراً مرة أخرى، فتظل بكراً على الدوام حتى تكون المتعة أكمل وأزهى وأسمى: ﴿ فَجَعَلْنَـٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴾.

---

٣٤٤ معجم الطبراني عن ابن عمررضي الله عنهما
٣٤٥ رواه البيهقي عن سلمة بن يزيد الأنصاري رضي الله عنه والأصبهاني في أخلاق النبي عن أنس بن مالك ﷺ

هل هي أجمل ام الحورية؟ ورد أن المرأة المسلمة في الجنة يتضاعف جمالها عن الحور العين بسبعمائة ألف ضعف!!.

لأنه قد يقول البعض: أنا مللت منها ولا أريد أن أراها!! لكنها ستكون في صورة أخرى غير ذلك تماماً، فكلما تراها تزداد شوقاً لها، وتزيد لهفة عليها، لأن الذي جمَّلها هو الله سبحانه وتعالى، ولذلك قال بعدها: ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ وعُرباً يعني محببة لزوجها، فكلما رآها يحبها، وكل مرة يراها أجمل وأكمل، ليس بالزي كما في الدنيا، ولكن بالجمال الرباني الذي سينزل عليها من عند الصانع تبارك وتعالى.

وأتراباً يعني كلهن في سن واحدة - كما ذكرنا - في سن الثلاث والثلاثين، في شباب دائم .... كل هذا لمن؟ ..... ﴿ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾

كم عددهم؟ .... ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴾.

قال الله في المقربين: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝١٤ ﴾ (الواقعة) المقربين في هذا الزمان قلة لكن أهل اليمين – والحمد لله – قال فيهم الله:

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ فكما كانوا كثيرين في عصر حضرة النبي فهم كثير في هذا الزمان، وهذه بشرى لنا من الله سبحانه وتعالى؛ أنه وسط هذه الظلمات، ووسط هذه الشهوات، ووسط هذه الفتن التي ظهرت؛ إلا أن الله بحفظه يحفظ المؤمنين والمؤمنات من المعاصي والذنوب والسيئات، ويوفقهم بتوفيقه للطاعات، حتى إذا خرجوا من الدنيا كانوا من أصحاب اليمين.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أهل الجنة العالية في جوار حبيبه ومصطفاه، وأن يكرمنا بأعظم نعيم في الجنة وهو التمتع برؤية وجه الله، وأن يرزقنا خير جوار فيها، فيجعلنا في جوار سيدنا رسول الله، وأن يجعلنا دائماً وابداً من أهل البشريات الطيبة في الدنيا والآخرة

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ۝٧ وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٩ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ

﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١) يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢)﴾

(الحديد)

٢١.أجر المنفقين[٣٤٦]

بســـم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي هدانا للإيمان، وملأ قلوبنا بنور الإسلام، وجعلنا من عباده المؤمنين الصادقين، والصلاة والسلام على مصدر الهُدى والنور واليقين؛ ســيدنا محمد وآله المباركين، وصــحابته الطاهرين، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

موازين أهل الإيمان

جعل الله تعالى في القرآن موازين لأهل الإيمان، يزن بها أحوالهم وأقوالهم وأفعالهم ليتأكدوا أنهم صـــادقين في إيمانهم، وأنهم على النهج الذي ارتضـــاه الله لهم، وعلى سُنَّة الحبيب الذي أقامه الله نموذجاً ومثالاً طيباً لهم.

ولذلك كان مبتدأ هذه الآيات عجيب وغريب، فنحن كلنا مؤمنين بالله وبالرسول، فلماذا يُكرر الله لنا الأمر في مبتدأ هذه الآية: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ يريد أن يُرينا أن هناك أعمال تدل على صدق الرجال في الأقوال التي يتوجهون بها للواحد المتعال.

فأنت تقول أنا مؤمن، لكن هناك وظائف كلَّف الله بها المؤمن، فهل قُمت بهذه الوظائف؟! فهذا دليل وبرهان على صدق الإيمان.

---

٣٤٦ المنيا – العدوة – العنبر ٢٣ من رجب ١٤٣٩هـ ١٠/٤/٢٠١٨م

لكن تقول باللسان والجوارح والأركان - حاشا لله سبحانه وتعالى - بالزور والبهتان والعصيان، فهل هذا إيمان؟!! إيمانٌ فيه دخلٌ، وإيمانٌ فيه دخنٌ والعياذ بالله تبارك وتعالى.

المؤمنون الصادقون الذين يريدون أن يبلغوا المراتب العُليا عند رب العالمين، ويكونون في المعية المباركة مع سيد الأولين والآخرين، ماذا يفعلون؟ لا بد أن يكون لهم طاعات زائدة عن الطاعات المفروضة التي يقوم بها الجميع، لأن هؤلاء يطلبون مراتب عالية.

الطاعات الزائدة أخذوها من كتاب الله، والتطبيق العملي لها في حياة أصحاب رسول الله ﷺ، فقد أوجد الله للمؤمنين محنٌ، لكي تظهر معادن الرجال الذين يستحقون من الله تبارك وتعالى المنن.

غزوة تبوك

وهذه الآيات نزلت عندما هدَّد الروم سيدنا رسول الله ﷺ بأنهم سيرسلوا جيشاً عُدته أربعين ألف مقاتل، يقضي عليه وعلى المسلمين، ويقضي على النبوة والدين والبعثة.

وصادف الوقت الذي جاء فيه هذا التهديد وقت ضيق وشدة، فحياة أهل المدينة المنورة التي فيها حضرة النبي وصحبه المباركين الاقتصادية تعتمد على النخل ومنتجاته، وأهم منتجاته البلح، وفي هذا الوقت كان البلح على الشجر ولم يُجمع بعد، ويتبقَّى بُرهة من الزمن حتى ينضج، ويستحق الحصاد.

وكما نعلم أن البلاد التي يقوم اقتصادها على الحياة الزراعية، فيكون كل شيء متوقف حتى يأتي إيراد المحصول، وكل شيء يحتاجونه كانوا يحصلون عليه من المحصول.

فسيدنا رسول الله أراد أن يُجهز الجيش، فكان يحتاج مالاً ليشتري به سلاح وخيول وجمال وزاد وطعام ليأكلوه في الطريق، وكل ما يحتاجه الجيش في هذه الآنات، فماذا يفعل سيدنا رسول الله ﷺ؟ نادى بين أصحابه.

وكان النبي قبل هذه الغزوة إذا أراد أن يغزو يوَرِّي، يعني ذاهب ليفتح مكة، فيقول أنا ذاهب لخيبر، لأن الحرب خُدعة، ولكن هذه المعركة لأن المسافة طويلة في بلاد الشام وبينها وبين المدينة حوالي سبعمائة كيلومترا، والجو كان شديد الحرارة، وتحتاج إلى زاد، وتحتاج إلى ركائب، وتحتاج إلى رجال، وتحتاج إلى سلاح، وفي نفس الوقت سيتركون محصولهم، فَمَن الذي يجنيه؟!! لأنهم مسافرين كلهم، فسيخافون على محصولهم.

فسـيدنا رسـول الله أعلن أنه متوجه إلى تبوك ببلاد الشـام حتى يعلم الكل أين وجهته، فبدأ هنا يظهر معدن الرجال، الصـادق في الإيمان ما برهانه؟ وما دليله؟ يجود بما تفضَّل به عليه الرحمن لجنود الرحمن.

لكن من يرى أن له شـيء في الدنيا من أرض أو مال أو بيت أو غيره، فهذا يحتاج إلى تصـحيح الإيمان، لأن هذا لو كان لك فعندما تموت تأخذه معك، لكن من الذي يأخذ شـيء من الدنيا معه وهو مسـافرٌ إلى لقاء مولاه تبارك وتعالى؟ لا أحد، معك عقد أخضـر ووضـعته في خزينة وأغلقت عليه، هل تأخذ هذه الخزينة معك بعد موتك؟!! أو هل تحزمه معك؟! وماذا ستأخذ منه؟!!.

فهنا تظهر حقيقة الإيمان، فمن يرى أن الذي أعطى هو الله، وأن المال مال الله، فصدق الإيمان سيجعله يُنفقه بسخاوة نفس لما يُرضي الله، ولما يحتاجه سيدنا رسول الله ﷺ، لذلك كانت هذه الآية: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾.

استخلاف الإنسان في الأرض

وانتبهوا للعبارات الآتية ودقة معناها: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ هذا ليس ملكك، لكن أنت تتولاه فترة وعندما تُحال إلى المعاش والتقاعد النهائي وتسافر إلى الدار الآخرة تتركه، وحتى لو كان هذا ملكك فهل لك حرية توزيعه على الورثة، وتقول: فلان يأخذ كذا، وفلان يأخذ كذا؟! لا، وإياك أن تتدخل في توزيعه، فمَن الذي يوزعه؟ صاحب الكل وهو الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (١٨٩آل عمران) وحضرة النبي حذرنا من التدخل في ذلك وقال ﷺ:

{ مَنْ حَرَّمَ وَارِثًا إِرْثَهُ حَرَّمَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ }[٣٤٧]

يعني لو أعطى أحد أبناءه لأنه يحبه، وحرَمَ الثاني، فيُحرِّم الله عليه الجنة، لأن هذا ليس بأمري ولكن بأمر الله تبارك وتعالى، ولم يُخيرني الله في ذلك، وليس لي رأي في ذلك: ﴿ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ﴾ (١١النساء) لا تعرف من ينفعك منهم، فماذا نفعل؟ ﴿ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (١١النساء) فنُنفذ الفريضة التي فرضها الله في كتاب الله، وزادها بيان وتوضيح سيدنا رسول الله ﷺ.

---

٣٤٧ سنن ابن ماجة عن أنس ﷺ

فالإنسان المؤمن يعتقد وهو في الدنيا أنه خليفةٌ عن الله في كل النعم التي أعطاها له مولاه، وما دُمت أنا خليفة عن الله، فهل أنفقها كما أريد، أم كما يُريد الله تبارك وتعالى؟! كما يريد الله، وأضرب مثلاً: أنا عُينت أمين مخازن، فهل أصرف لمن يعجبني من الناس؟ أم أصرف بالأوامر التي تأتيني من رئاستي؟!.

فأنا أمين مخازن ربُ البرية على المال والعقار والمنافع والخيرات التي تفضل بها عليَّ الله، فكيف أُنفقها؟ كما صرَّح كتاب الله، وكالأوامر التنفيذية الصادرة من سيدنا رسول الله، والذي يخالف يكون آبقاً من مولاه وعاصياً له، وسيتعرض لعقاب لا يطيقه ولا يتحمله.

ولذلك أنا أعجب عندما أسمع البعض يُنفق الأموال في الحرام والذنوب والآثام!!، فيشتري بها خمراً، أو يشتري بها حشيش، أو بانجو، أو يشتري بها بيرة، وتسأله: ما هذا يا فلان؟ يقول لك: هذا مالي وأنا حرٌ فيه.

لو كنتَ حرٌ فيه لن تحاسب عليه، لكن كل قرش ستُحاسب عليه مرتين: من أين أتيت به؟ وفيم أنفقته؟ يعني هل حصلت عليه من حلال أم من حرام؟! وهل أنفقته في حلال أم في حرام؟!.

إذاً أنت لستُ حر فيه، فهذا مال الله، ويجب أن تنفقه كما وضَّح كتاب الله، وكما بيَّن رسول الله، فإذا كنت لا تعرف: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٣النحل)

يعني لو كنتُ موظفاً، ولا أعرف اللائحة التي عندي، أسأل الجهات العُليا، والجهات العُليا هنا هم العلماء ورثة الأنبياء.

فالمال كله مال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ أنت

خليفة عن الله في هذا المال، سيدنا عثمان بن عفان ﷺ عندما سمع هذه الآية، وسمع النبي يحث على تجهيز الجيش الذي سُمي جيش العسرة، لأن الحالة الاقتصادية كانت عسيرة، فخرج مسرعاً، وقال كما ورد:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ مِائَةُ بَعِيرٍ بِأَحْلاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ حَضَّ رسول الله عَلَى الْجَيْشِ، فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ مِائَتَا بَعِيرٍ بِأَحْلاسِهَا، وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ حَضَّ عَلَى الْجَيْشِ، فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ ثَلاثُ مِائَةِ بَعِيرٍ بِأَحْلاسِهَا، وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَنَزَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: " مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ، مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ "}[٣٤٨]

٣٤٨ جامع الترمي ومسند أحمد عن عبد الرحمن بن خباب ﷺ

ضمن له النبي الجنة العالية والدرجة الراقية في جوار رسول الله ﷺ.

﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ ﴾ علامة الإيمان الإنفاق، فالصـــلاة والصـــوم أمور سهلة على النفس، لكن الصعب على النفس إخراج المال وإخراج الخير، فسهل على الإنسان أن يُصلي طوال الليل، وسهل على الإنسان أن يصوم الدهر كله، ويتعود على ذلك، فالنفس تستسهل هذا الأمر، لكن يظهر صدق الإيمان عندما تطلب شيئاً لرجل فقير، أو لمشروع يخدم المجتمع.

أجر الإنفاق

وهذا الإنفاق لن يضيع هباءاً، لأن الله قال: ﴿ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴾ وكبير من الله ليس له نهاية، فسيدنا رسول الله ﷺ عُرج به إلى السماوات، أخذه سيدنا جبريل ليريه مزارع المنفقين الذين ينفقون في ســــبيل الله، فوجد هذه المزارع التي يعمل فيها الملائكة، يحصدون وبمجرد أن ينتهوا من الحصاد، يعود الزرع كما كان، فسأله النبي وقال:

{ يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذَا؟، قَالَ: هَؤُلاءِ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، تُضَاعَفُ لَهُمُ الْحَسَنَةُ بِسَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَمَا أَنْفَقُوا مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ }[349]

[349] تهذيب الآثار للطبري وكشف الأستار للهيثمي عن أبي هريرة رضي الله عنه

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (٢٦١البقرة) وكل هذا يتحوَّل إلى رصـــيد، أنت تبيع محصولك كم مرة في السنة؟ مرة واحدةً، لكن هذه المحاصيل تُباع في كل لحظة، لأن الملائكة تحصـــد وبمجرد أن ينتهوا يعود مرة ثانية: ﴿ تُؤْتِيَ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ (٢٥إبراهيم) لماذا؟ لأنه أنفق في سبيل الله، وقد ينفق شـيء يسير يستهونه وفي ظنه لا يساوي شيء، لكن النبي يقول:

{ اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ }[٣٥٠]

يعني أمسـك بتمرة ليفطر عليها في رمضــان وأكل نصـفها، فوجد فقير فأعطاه النصف الآخر، أو أعطاه ربع جنيه، وهو لا يُلقي لذلك بالاً، قال ﷺ:

---

٣٥٠ البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم ﷺ

{ مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلا يَقْبَلُ اللَّهُ إلا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ }[351]

وفي رواية:

{ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ أُحُدٍ، فَتَصَدَّقُوا }[352]

لا يوجد أحد يُعطي فائدة للنماء كخالق الأرض والسماء سبحانه وتعالى، ولذلك قال لهم: ﴿ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ هل يعرف أحد حدود هذا الأجر الكبير؟! لا ....

لأنه لا حدَّ له، ولا عدَّ له.

وتنافس أصحاب رسول الله ﷺ الصادقين في البذل كسيدنا عثمان حتى جهزُّوا جيش النبوة، وخرج جيشاً مدججاً بالسلاح، وجهَّز الله ﷻ هذا الجيش بسلاح لا يؤتى إلا من عند الله، لا يملكه الروس ولا الأمريكان ولا الإنس ولا الجان، وهو سلاح الرُعب!.

وتحرك حضرة النبي ﷺ بالجيش من المدينة، والسفر كانت مدته شهر، وكانوا اثنى عشر ألفاً، والروم كان عددهم أربعون ألف.

---

٣٥١ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ
٣٥٢ جامع البيان للطبري عن أبي هريرة ﷺ

ولكن بمجرد أن خرج جيش المســـلمين من المدينة قال الروم: وهل نســـتطيع محاربة نبي؟! فلا طاقة لنا بنبي وهربوا وتركوا الميدان، فلما وصـــل حضـــرة النبي هناك لم يجد أحداً منهم نهائياً في الميدان، فقال ﷺ:

{ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ }[353]

فلماذا إذاً جمع الأموال؟ اختبار لصـــدق الإيمان، وبلوغ للرتب العلية التي كان يبغيها ويطلبها أصحاب النبي العدنان رضوان الله تبارك وتعالى عليهم، وصلوات الله وسلامه عليه في كل وقتٍ وآن.

وعـاتـب الله الآخرين: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ ﴾

لماذا لم تســـتجيبوا لحضـــرة النبي عندما دعاكم؟! وهو دعاكم لما ينفعكم، ويرفعكم، ويجعل لكم مكانةً عُظمى عند الله، ووجاهةً في الدار الآخرة، ومنزلةً كريمة في الجنة في جوار حبيبه ومصطفاه!!.

هل نسيتم أن الله أخذ عليكم عهد وميثاق أنكم تؤمنوا بالله لا بد أن تنفذوا كل بنود يطلبها منكم الله تبارك وتعالى في كتاب الله، أو على لســـان ســـيدنا رســـول الله، لكن الإنسان ينسى هذا العهد: ﴿ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَـٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

---

[353] البخاري ومسلم عن جابر ﷺ

و هذا الميثاق ليس من هنا فقط، ولكن الله أخذ علينا الميثاق قبل نزول آدم من الجنة إلى الأرض، لمَّا خلق الله الأرواح كلها مرة واحدة فكنا كلنا أرواحاً، وكل من يهبط على الدنيا إلى يوم القيامة كانت حاضـرةٌ روحه في ذاك الوقت والحين، الذي لا يعلم مكانه ووقته إلا رب العالمين، وأخذ علينا العهد وسجله الله، وقال في شأنه: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾ (١٧٢الأعراف).

وجدَّدوا هذا العهد مع حضـــرة النبي ﷺ، واتفقوا معه وكتبوا العقد الذي كتب نصه وفصَّه في كتاب الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (١١١التوبة).

فأخذ عليهم العهد رب العزة في الأزل القديم، وجُدد العهد على يد النبي ﷺ ببيع النفس والمال لله، وأن يكون الإنسان وكل ما ملكت يداه لسيده ومولاه تبارك في عُلاه.

هذه العلامة العُظمى في الدنيا لصـــدق الإيمان، ولذلك هي التي تُبين حقيقة الإيمان، وصـدق الإنسـان في ترجمة الإيمان ترجمةً عملية كما ورد في القرآن، وكما كان عليه النبي العدنان ﷺ.

ســيدنا أبو بكر الصـــديق ﷺ كان من أغنى أغنياء الصــحابة قبل الهجرة إلى المدينة، لكنه من أهل هذه الآيات، فكان كلما رأى عبداً من العبيد دخل في الإســـلام، وأصـحابه يعذبوه، يذهب إليهم ويساومهم ويشـتريه منهم ويقول له: أنت حُرٌ لوجه الله تبارك وتعالى.

فعاتبه أبوه فقال له: أفلا تشـــتري عبيداً أقوياء يكونوا جنوداً معك ويدافعوا عنك ويحموك؟! وكان أبوه لم يُسلم بعد، لأنه لم يُسلم إلا عام الفتح رحمة الله تبارك وتعالى عليه.

فســيدنا أبو بكر كان ينفق ماله كله في ســبيل الله، وفي هذه الغزوة أتي بكل ما يملكه ووضعه في المسجد أمام حضرة النبي، فقال له:

{ يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ }[354]

فلم يعترض عليه النبي، ... ولم يمتعض، ولم يردُّه، .... بل أقرَّه على الحال الذي فعله ورضي به.

نزل سيدنا جبريل على رسول الله وكان سيدنا أبو بكر كان جالس عنده، وكان يلبس جلباباً قديماً ويقفله ليس بزرار، ولكن بأعواد من الخلة، فقال جبريل:

{ يَا مُحَمَّدُ، مَالِي أَرَى أَبَا بَكْرٍ عَلَيْهِ عَبَاءَةٌ قَدْ خَلَّهَا فِي صَدْرِهِ بِخِلالٍ؟ فَقَالَ: يَا جِبْرِيلُ، أَنْفَقَ مَالَهُ عَلِيَّ قَبْلَ الْفَتْحِ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقْرَأُ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَيَقُولُ: قُلْ لَهُ: أَرَاضٍ أَنْتَ عَنِّي فِي فَقْرِكَ هَذَا أَمْ سَاخِطٌ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَسْخَطُ عَلَى رَبِّي؟! أَنَا عَنْ رَبِّي رَاضٍ، أَنَا عَنْ رَبِّي رَاضٍ، أَنَا عَنْ رَبِّي رَاضٍ }[355]

ولذلك أنزل فيه الله كما أنزل في الحبيب، فكما قال للحبيب: ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ (٥الضحى) قال لسيدنا أبو بكر: ﴿ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴾ (٢١الليل) سيُعطيه الله في الآخرة حتى يرضى عن الله تبارك وتعالى.

ومشـــى هؤلاء الكُمل من الرجال على مثل هذه الأحوال لينجحوا في الاختبار الذي وضعه لهم الواحد المتعال تبارك وتعالى.

---

٣٥٤ جامع الترمذي وأبي داود
٣٥٥ تاريخ دمشق لابن عساكر، وحلية الأولياء لأبي نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما

الآيات البينات

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ لماذا نزَّل هذه الآيات البينة والواضحة؟

﴿ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ أولاً من ظلمة الكُفر إلى نور الإيمان، ومن ظلمة الشك إلى نور اليقين، وبعد ذلك من ظلمة البُخل والشُح إلى نور الإيثار والإكرام الذي يُجمِّل به الله الصفوة المباركة الكرام الذين يُلحقهم بالحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وهذا هو الدليل على بشاشة الإيمان.

الرجل المهاجر الذي ترك ماله وبيته وكل ممتلكاته وجاء ليلحق بحضرة النبي ويعيش معه، فأهل المدينة - كما ذكرت الروايات - كان إذا جاء رجلٌ مهاجر يأتيه ما لا يقل عن خمسين رجلاً من المدينة وكل واحد يريد أن يظفر به، وكأنها غنيمة يظفر بها، فكان سيدنا رسول الله يقترع بينهم ليرى من يفوز بهذا المهاجر!.

فيأخذ الرجل وهو ليس من عائلته، ولا صـهره، ولا شـريكه في التجارة، ولكنه أخوه في الإسـلام والإيمان، فيقول له: هذه أموالي كلها أقسـمها معك، ولا يُخفي عليه شيئاً منها وكانت الأموال كلها ذهباً، والبيت أقسمه نصفين واختر ما يعجبك، ويسـأله هل أنت متزوج؟ فإذا قال: لا، يقول له: أنا متزوج من اثنتين فاختر ما تعجبك، فأُطلقها وبعد انتهاء عدتها تتزوجها!!، وهذه علامة صـدق الإيمان التي جعلها لنا القرآن والنبي العـدنـان ﷺ: ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (٩الحشر).

والمهاجرين كان عندهم عزّة النفس، فيقول أحدهم لأخيه: بارك الله لك في مالك، وبارك الله لك في بيتك، وبارك الله لك في زوجك، ولكن: دلني على السـوق!!، لأن حضرة النبي علَّمهم أن المسلم لا يأكل إلا بكدِّ يده:

{ مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ }[٣٥٦]

فيذهب إلى السوق، وببركة العزّة يُغنيه الله ﷻ من فضله حتى يحصِّل أضعافاً مضاعفة في لحظات، لأنه يتاجر مع من يقول للشيء كن فيكون.

---

٣٥٦ صحيح البخاري والبيهقي عن المقدام بن معدي ﷺ

رحمة الله في الصدقات

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ لماذا يأمرنا الله ويطلب منا أن ننفق أو نتصـــدق أو نتبرع أو نُخرج الزكاة؟ فهل يريد شـــيئاً منا؟ حاشـــا لله، لو أراد أن يُغني كل هؤلاء الفقراء ولا يحتاجون إلى صدقات الأغنياء، فهل هناك مشكلة أو مُعضلة؟! أبداً، لكن الله ﷻ رأفة بنا، ورحمة بنا، دلنا على هذا الخير، لماذا؟ اســمع حديث الحبيب المصطفى ﷺ، وصلِّ وسلِّم وبارك عليه، قال ﷺ:

{ وَإِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ }[357]

هل هناك أحد معصـومٌ من الذنوب؟ لا، وأسـرع شـيء لمحو الذنوب الصـدقة، لأن الله يريد أن يُطهرنا بهذه الصـــدقات، ولذلك قال لحضـــرة النبي: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ (١٠٣التوبة) إياكم أن يقول أحد: أنا ليس معي شـــيء، وليس عليَّ صدقة، لأن الله قال: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ (١٣٤آل عمران) فلا عُذر لك، لماذا؟ لأن حضرة النبي قال:

{ تَصَدَّقُوا وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ }[358]

---

٣٥٧ مسند زيد عن علي بن أبي طالب ﷺ
٣٥٨ السير لأبي إسحاق الفزاري

الشــيخ ابن عطاء الله السـكندري ﷺ كان يقول: (تصـدق كل يوم ولو بدرهم تُكتب في ديوان المتصـدقين، وصـلِّ كل ليلة ولو ركعتين تُكتب في ديوان القائمين) لأن الديوان كل يوم يُفتح، وأنا أريد أن أُسـجَّل اسـمي في الصـفحة كل يوم، حتى لو جاء الأجل في أي يوم أكون في ديوان المتصدقين.

المهم هنا هو المداومة، لأن الإنسـان قد يعمل عملاً لمدة أسـبوع أو أسـبوعين أو شــهر ولكنه لا يُديم عليه، والله يريد منا أن نبســط اليد، لأنك تنزل من بطن الأُم واليد مقبوضة، وعند موتك تكون اليد مفتوحة وليس فيها شيء.

أغنى أغنياء نابلس بفلســطين وكان عمدتها، وكان رجلاً من الصـــالحين، هذا الرجل عندما جاءه الموت وصَّـــى أولاده وصــية غريبة وعجيبة، فقال لهم: عندما أموت أخرجوا يدي من تحت غطاء النعش، وطوفوا بي البلد كلها، فقالوا له: لماذا؟ فقال لهم: ليعرف أهل نـابلس أن أغنى الأغنيـاء فيهـا خرج من الـدنيـا وليس في يـده شـيئاً!!: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (٩٤الأنعام)، وكان قد فعل ذلك أحد سـلاطين آل عثمان (العثمانيون) ما تنفقه سيُوضـع في الرصـيد، وما تتركه، ستتركه كله، وستحاسب عليه كله!، هل أتيت به من حلال أم من حرام؟.

فالله يريد أن يرفعنا وينفعنا بأن نكون دائماً مثل حضرة النبي ﷺ، فكما ورد:

{ كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ }[359]

تعوَّد بسط الكف حتى لو أنه طواها لقبضٍ لم تُطعه أنامله

لا يستطيع قبضها أبداً لأنه تعوَّد على العطاء، جاءه فقير ذات مرة يسأل، فقال:

{ مَا عِنْدِي شَيْءٌ، وَلَكِنِ ابْتَعْ عَلَيَّ فَإِذَا جَاءَنِي شَيْءٌ قَضَيْتُهُ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَعْطَيْتَهُ، فَمَا كَلَّفَكَ اللَّهُ مَا لا تَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ قَوْلَ عُمَرَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْفِقْ وَلا تَخَفْ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلالا، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَرَفَ الْبِشْرَ فِي وَجْهِهِ لِقَوْلِ الأَنْصَارِيِّ، ثُمَّ قَالَ: بِهَذَا أُمِرْتُ }[360]

النفس المؤمنة عندما تحسب هذه الحسبة تجدها سهلة جداً، فلو كان عندك ابن أو حفيد وقال لك: يا أبي أو يا جدِّي أريد أن أشتري شيئاً، فماذا تُخرج؟ نفرض أنهم خمسة جنيهات، فاجعل معهم أيضاً جنيه للفقراء والمساكين، وضعها في ذهنك وحافظ عليها ونفذها، فإذ لم تجد فقيراً أو مسكيناً اليوم، ضعه في حصالة أو خزينة وجمَّعهم واعطهم لفقير بعد ذلك.

علبة السجائر الآن أقلها ١٥ جنيهاً، فمنهم من يشرب في اليوم علبة أو علبتين، وكما قال أحد الصالحين: إنه كمن يأتي بالمال ويحرقه، وليت الأمر ينتهي عند ذلك، ولكنه يحرق رئتيه وجسمه!!.

---

٣٥٩ البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما

٣٦٠ الأحاديث المختارة لضياء المقدسي والشمائل المحمدية للترمذي عن عمر بن الخطاب ﷺ

إذا رضـي بذلك فهذا شـأنه، لكن لماذا لا يجعل ثمن علبة سـجائر كل أسـبوع - وليس كل يوم- لله؟!! لكن عندما يأتي عند الله: ﴿ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ﴾ (١٢٨النساء)

يقول: ليس معي شـيء؟ أنا مدين، وهذا دليل على تذبذب الإيمان، وتذبذب العقيدة في حضـرة الرحمن، وهذا العبد مُعرضٌ للخسـران، لأنه سـيأتيه الأجل في أي لحظة من ليل أو نهار، ولن ينفعه إلا ما قدمت يداه.

إذاً الإنفاق هو الدليل والبرهان الأعظم على صدق الإيمان، وعلى رضا الرحمن تبارك وتعالى، وغير ذلك قال لنا حضرة النبي:

{ الصَّدَقَةُ تَسُدُّ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ السُّوءِ }[٣٦١]

الصـدقة تدفع سـبعين باباً من البلاء، وقيل أدناها الهم، يعني أصـغرها، فتدفع سـبعين باباً كان سـينزل بالعبد، إن كان مرض أو هم، أو غم أو حُزن .. كل هذا تدفعه الصدقة بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

٣٦١ معجم الطبراني عن رافع بن خديج ﵁

سبيل الله

﴿ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ انظر إلى عتاب الله، يقول: لماذا تبخلوا على أنفسكم أن تنفقوا في سبيل الله؟!! أنت تأتي للجسم والنفس بكل ما لذَّ وطاب من الطعام والشراب، وقد تستورد لهم ذلك؟!! فلماذا تبخل على نفسك بالأجر والثواب الذي يُعطيه الكريم والوهاب لمن تصدق بالقليل؟!!.

﴿ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ وكلمة: (في سبيل الله) ليس القتال فقط، لكن أي عمل خيِّر لله، والنية فيه موجهةٌ لله، فالإنفاق فيه إنفاق في سبيل الله سبحانه وتعالى، كأن أتبرَّع لعمل مستشفى فهذا في سبيل الله، أو أتبرَّع لبناء مدرسة فهذا في سبيل الله، أو أتبرع لعمل مكتب لتحفيظ القرآن فهذا في سبيل الله، أو أشتري بعض المصاحف وأُوزعها على بعض الطلبة الذين يحفظون القرآن فهذا في سبيل الله، وقد لا أستطيع أن أبلغ رسالة العلماء لكن أشتري بعض الكتب العلمية البسيطة وأعطيها لمن يقرأ ويبلِّغ، فهذا في سبيل الله ... كل هذا وغيره - ولا نستطيع عد هذه الأبواب - أصبحت في سبيل الله.

فضل السابقية

﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ أنتم لا تملكون شيئاً، لأنه في النهاية ستكون لله تبارك وتعالى.

أصحاب رسول الله الذين تعبوا معه في البداية وهاجروا معه وجاهدوا معه، والذين جاءوا ودخلوا في الإسلام بعد الفتح، وحضرة النبي كان لطيفاً في المعاملة مع الكل، يعني كان من ضمن علاماته كان يخُصُّ كل جلسائه بالقبول والكلام، حتى يظنُّ كل واحد منهم أنه الأحب إلى رسول الله ﷺ، وهذه كانت عظمة نبوية في حضرة المصطفى ﷺ.

فالذين أسلموا بعد الفتح كان النبي يؤلفهم، فخُيِّل لبعضهم أنهم أصبحوا بالجهاد وعملهم الذي عملوه أنهم أفضل من السابقين كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسعد وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم، فسيدنا رسول الله ﷺ بيَّن والحق أيَّد.

فواحد من الذين هاجروا مع رسول الله أتى بدرهم، وآخر من الجُدد أتى بمائة ألف درهم، فقال ﷺ:

{ سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، قَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَ: كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا، وَانْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عُرْضِ مَالِهِ فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا }[362]

صـــاحب الدرهم كان لا يملك غير درهمين، فترك لأولاده واحد وأتى بالثاني، وصاحب المائة ألف درهم كان عنده آلاف مؤلفة، وما أتى به لا يساوي شيئاً بالنسبة لما عنده، فالأعمال هنا بالنيات، قال ﷺ:

{ إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى }[363]

لذلك عندما وجد سيدنا رسول الله البعض يتكلم عن أصحابه فقال لهم:

{ لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ}[364]

---

٣٦٢ سنن النسائي وابن خزيمة عن أبي هريرة ﷺ
٣٦٣ البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ
٣٦٤ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ

فلو عندك جبل من الذهب وأنفقته لن يساوي مُدَّ أو قدح مما أنفقه أحد أصحاب النبي، لأنه أنفق في وقت الشدة، وأنت جئتَ في وقت الرخاء ووقت الخير: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ العلماء الأجلاء قالوا: نزلت هذه الآية في سيدنا أبو بكر رضي الله عنه.

ولكي نراقب الله في كل وقت وفي كل عمل، قال لنا: ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ إياك أن تفعل شيئاً لأجل الناس، ولكن دائماً وأبداً احرص على أن توجه نيتك عند العمل وقبل العمل وبعد العمل لرب الناس تبارك وتعالى.

شروط القرض المضاعف الأجر

وعاد الله عز وجل وفتح الباب عن آخره: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ ذكر أولاً في بداية الآيات (أجرٌ كبير) وهنا (أجرٌ كريم، لماذا؟ الذي يُقرض الله قرضاً حسناً هو من يتطوع ويُنفق وليس عليه أمر شرعيٌ في الإنفاق، يعني ليس عليه زكاة، وإنما هو يتطوَّع لوجه الله سبحانه وتعالى، ولا يرجُو من وراء ذلك شُهرة ولا سُمعة ولا رياء، وإنما يرجو بها وجه الله سبحانه وتعالى.

وشرط هذا العمل وهوالإنفاق أن يكون أولاً من حلال، وأن يكون من خير شيء عندي: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (٩٢آل عمران) وأن لا يصحبه رياءٌ، ولا شُهرة، ولا إساءة إلى الآخذ، ولا معايرة: ﴿ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ (٢٦٤البقرة) والمنُّ يعني المعايرة، والأذى أن أعطيها له أمام الناس لأجرح مشاعره ولا أجعله في ستر من الستار تبارك وتعالى، وأن تكون هذه الصدقة في السِّر لقول النبي ﷺ:

{ فَضْلُ صَدَقَةِ السِّرِّ عَلَى صَدَقَةِ الْعَلانِيَةِ كَفَضْلِ صَلاةِ اللَّيْلِ عَلَى صَلاةِ النَّهَارِ }[٣٦٥]

وورد في الأثر: (صدقة السر تفضل صدقة العلانية بسبعين ضعفاً).

وأن لا يبغي من ورائها ردَّ الجميل، فقد كانت السيدة فاطمة والسيدة عائشة رضي الله عنهما، ترسل الصدقة للفقير وتطلب من حامل الصدقة أن يحفظ الدعاء الذي يدعو به، فتدعو له بمثل دعاءه، فسُئلت في ذلك؟ فقالت: (دعاء بدعاء حتى تسلم لنا صدقاتنا) حتى لا يكون هذا الدعاء أجر الصدقة، فترد له الدعاء لأنها تريد الأجر من الله سبحانه وتعالى.

---

٣٦٥ معجم الطبراني عن ابن مسعود ﷺ

وأن لا تكون نفسه حاضرةٌ عند إتيان الصدقة على أنه المعطي، بل يرى أن المعطي هو الله تبارك وتعالى، ولا يحتقر الفقير ويظن أنه خيرٌ منه، بل يرى من فضل الله عليه وجود الفقير، لأنه يُعطيه شيئاً بسيط، والفقير يحمل عنه أوزار وذنوب وأثقال، فمن الذي نال المنفعة الكبرى؟ أنا وليس الفقير.

فهذه بعض الشروط التي وضعها السلف الصالح لمن أراد أن يتصدق، وليتنا نُراعيها، وهي آدابٌ جليلةٌ كريمةٌ تجعل العمل خالصاً لوجه الله سبحانه وتعالى.

رجل من أصحاب سيدنا رسول الله ﷺ اسمه أبو الدحداح، كان عنده حديقة فيها ستمائة نخلة مثمرة، وكانت أشهر حديقة لإنتاج التمر في المدينة، فعندما سمع الآية:

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٌ كَرِيمٌ ﴾

قال لرسول الله:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، اللَّهُ ﷻ يَسْأَلُ النَّاسَ الْقَرْضَ وَهُوَ عَنِ الْقَرْضِ غَنِيٌّ؟! فَقَالَ:يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ يُرِيدُ أَنْ يُدْخِلَكُمْ بِذَلِكَ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ أَقْرَضْتُ اللَّهُ قَرْضًا تَضْمَنُ لِيَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ، قَالَ: وَزَوْجَتِي؟ قَالَ: وَزَوْجَتُكَ، قَالَ: وَصِبْيَانِي؟ قَالَ: اللَّهُ وَاسِعٌ كَرِيمٌ وَالصِّبْيَانُ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ،

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنِّي أُشْهِدُكَ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ حَائِطِي لِلَّهِ سُبْحَانَهُ قَرْضًا، قَالَ: يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ، إِنَّا لَمْ نَسْأَلْكَ كِلاهُمَا، فَاجْعَلْ أَحَدَهُمَا، وَيَكُونُ الآخَرُ مَعِيشَةً لَكَ وَلِعِيَالِكَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنِّي أُشْهِدُكَ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ خَيْرَهُمَا، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ إِذًا يَجْزِيكَ اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ، فَانْطَلَقَ أَبُو الدَّحْدَاحِ الأَنْصَارِيُّ حَتَّى أَتَى أُمَّ الدَّحْدَاحِ وَهِيَ مَعَ صِبْيَانِهَا تَدُورُ تَحْتَ النَّخْلِ، فأخبرها فقَالَتْ أُمُّ الدَّحْدَاحِ: أَمَا إِذْ بِعْتَ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَبَيْعٌ مُرْبِحٌ}[٣٦٦]

لم تصنع معه مشكلة، ولكن قالت: ربح البيع، فكلهم من بعض، وتركت الحديقة لأنه تصدق بها لله.

الذي يفعل ذلك لن يكون له أجر يُعدُّ، ولكن أجره سيكون تكريم من الكريم ﷻ، كما قال الله في سورة الأحزاب: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ (٤٤الأحزاب).

---

٣٦٦ تاريخ بغداد للخطيب البغداي وصفوة التصوف للمقدسي عن أبي إمامة ﷺ

الأجر الكريم

ما الأجر الكريم؟

منهم من يضع له كرسياً تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله، كما ذكر الحديث:

{ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ }[٣٦٧]

كان يضع المال في الجيب ويضع فيه يده، فما يخرج يضعه في يد الفقير دون أن ينظر إليه أو يعدُّه، حتى لا تعرف الشمال ماذا أخرج، وحتى زوجته لا تعرف لأن العمل لله تبارك وتعالى.

ومنهم من يجعله الله على منبر من نور قدام عرش الرحمن، أو يجعله:

﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (٥٥القمر).

أنواع كثيرة من التكريم، من ضمنها أن يجعل نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم:

﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾ :

[٣٦٧] البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

الذين سيُكرِّمهم الله ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم ﴾:

لأن هناك في القيامة لا يوجد شــــمس ولا قمر ولا نجوم ولا كهرباء، فكيف نمشــــي؟ ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ (٤٠النور) يجعل لهم الله نورٌ أمامهم ونور في أيديهم، النور الذي في أيديهم هو نور العمل الصــــالح، والنور الذي أمامهم نور فضل الله، وإكرام الله، وتخصيص الله الذي جاءهم من سيدنا رسول الله.

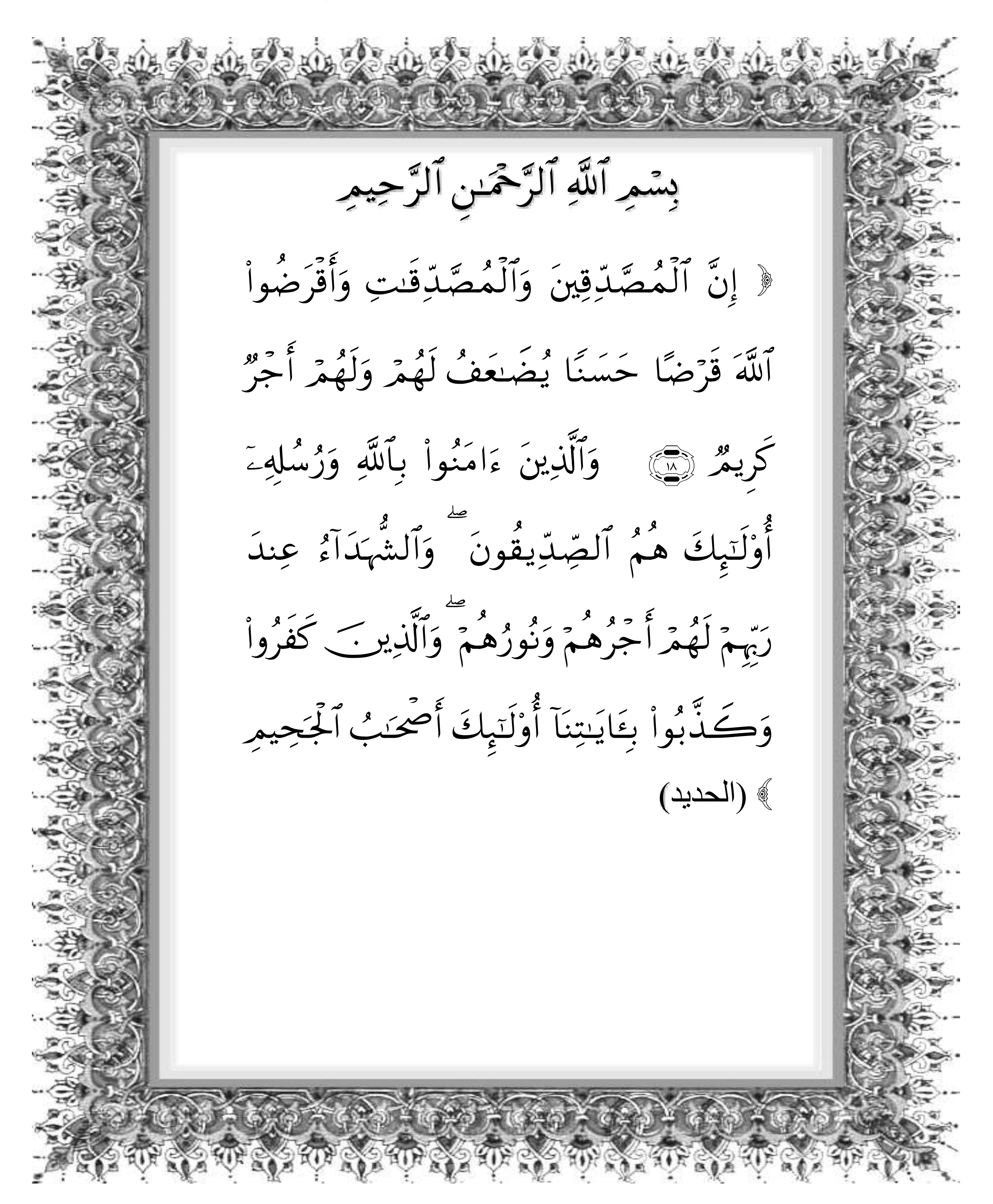
﴿ بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾:

يرون البشريات العظيمة من الله سبحانه وتعالى، ثم يُدخلهم:

﴿ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

اللهم اجعل الدنيا في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا، ولا تجعل الدنيا أكبر همِّنا ولا مبلغ علمنا، واملأ بروح الإيمان واليقين قلوبنا، وبحب عمل الخير صــــدورنا، وفُكَّ أيدينا فيما أعطيتنا، لننفقه فيما يرضيك عنا، واجعلنا من عبادك المنفقين، ومن عبادك المقربين، ومن عبادك الفائزين أجمعين

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ (الحديد)

٢٢.الصديقون والشهداء[٣٦٨]

بســـم الله الرحمن الرحيم – الحمد لله الذي أنزل لنا الكتاب فيه هدى ونور، والصــلاة والسـلام على نور الله الدال بالله على الله، سـيدنا محمد وآله وصــحبه ومن والاه، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

كل مؤمن على يقين أنه مســـافر إن آجلاً أو عاجلاً من الدنيا إلى الدار الآخرة، والعاقل والكيّس والحكيم والفطن الذي يبحث في كتاب الله ويرى له منزلة كريمة ذكرها الله، ويعمل بما فيها، حتى إذا جاء أمر الله يخرج على ما يُحب فرحاً بما أعطاه مولاه تبارك وتعالى.

فإن عمر بن عبد العزيز ﷺ وهو من هذا الصنف من الرجال، وغيره الكثير في هذا الباب، لأن المؤمن في ســكرات الموت تظهر له منزلته، والدرجة التي ســينزل فيها، والروضات الجنانية التي ستحل روحه إلى أن يلحق جسمه بها فيها، يرى هذه الأشياء فيفرح بلقاء الله، فيفرح الله بلقاءه.

---

[٣٦٨] المنيا – ميانة – مسجد السلام ٢٤ من رجب ١٤٣٩هـ ٢٠١٨/٤/١١م

فسيدنا عمر بن عبد العزيز في اللحظات الأخيرة نظر وأطال النظر ورأى بعين البصيرة ما لا يُرى بالبصر، والذين من حوله لا يرون، لكنه رأى بيقين وقال: ﴿ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ ﴾ (٦١الصافات) وخرجت الروح إلى من يقول للشيء كن فيكون.

رأى المنزل الكريم الذي كان يتوق إليه، لأنه كان يقول وهو في الدنيا: (إن لي نفس تواقة ما تاقت إلى شـــيء إلا وبلغته، واليوم تتوق إلى الجنة) يعني عنده عزيمة، فيحقق ما يتمناه، إلى أن صار خليفة للمسلمين، وهذا أعلى منصب في الدولة، وكانت نفسه تتوق إلى الدرجات العالية من الجنة.

ســـيدنا رســـول الله ﷺ صـــنَّف الأمة، لأن البعض يعتقد أن الأذكياء العقلاء هم الذين يتحولون في لمح البصـــر من فقراء إلى كبار الأغنياء، وهذا مفهوم العامة، لكن مفهوم سيدنا رسول الله غير ذلك، فقال:

{ الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ }[٣٦٩]

٣٦٩ جامع الترمذي وابن ماجة عن شداد بن أوس ﷺ

الكيس يعني العاقل، والعاجز يعني الأحمق، الذي يلبي طلبات نفسه من طعام وغيره، وعند الآخرة تجده يعيش في الأمان، فيقول عندما أخرج على المعاش، أو عندما يقترب الموت، وغير ذلك، لكن المؤمن الذي يحزم رأيه، ويُجهز لنفسه من هنا منزلة كريمة من كتاب الله، بيَّنها وبيَّن العمل الموصل إليها حضرة الله سبحانه وتعالى.

فالله ﷻ في هذه الآيات القصار التي معنا اليوم بيَّن لنا منازل الجنة، وما الذي يوصل لها؟ وما الأجر الكريم الذي ادَّخره الله تبارك وتعالى لأهلها؟.

فأول مقام عظيم أهله في الدرجات العلى من التعظيم: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ ﴾ وهناك قراءة أخرى بحسب المعنى الذي نريده: ﴿ إِنَّ الْمُتَصَّدِّقِينَ وَالْمُتَصَّدِّقَاتِ ﴾ وهذه واضحة المعنى.

أوصاف القرض الحسن

وماذا أيضاً: ﴿ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ ماذا يفعل الله بالقرض الحسن منا؟!! مَن الذي يعطينا المال؟ عجباً لنا يتفضل الله ﷻ فيهب لنا من جوده وفضله الخير الكثير ومنه المال، ثم بعد ذلك يختبرنا ويمتحننا ويطلب منا أن ننفقه في الأبواب التي وضحها في كتابه، والتي بيَّنها النبي ﷺ في هديه وسنته صلوات ربي وتسليماته عليه.

القرض هنا سماه الله قرضاً حسناً، لماذا؟ لأن الله لا يقبل القرض إلا إذا كان من حلال طيب، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلا طَيِّبًا } [٣٧٠]

ولا يقبله إلا إذا ابتُغي به وجهه والدار الآخرة، فالذي ينفق لأجل الشهرة والسمعة ويتباهى بها بين الناس فهذا يُحبط عمله لأنه لم يعمله خالصاً لرب الناس تبارك وتعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَٰلِحًا ﴾ وشرط القبول: ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾ (١١٠الكهف) ما الشرك هنا؟ حضرة النبي سماه الشرك الخفي، فالشرك الجلي هو الكفر، والشرك الخفي أن يعمل الإنسان العمل ظاهره لله، ولكن من داخله يريد به خلق الله، ولذلك قال ﷺ:

---

٣٧٠ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

{ مَنْ صَلَّى وَهُوَ يُرَائِي، فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ صَامَ وَهُوَ يُرَائِي، فَقَدْ أَشْرَكَ وَمَنْ تَصَدَّقَ وَهُوَ يُرَائِي، فَقَدْ أَشْرَكَ }[٣٧١]

أي عمل يقصـد منه الخلق ولا يتوجه به بإخلاص وصـدق إلى الحق فهذا العمل يُحبطه الرياء لأن الله ﷻ لا يقبل إلا العمل الخالص لوجهه الكريم.

حتى أن الله تبارك وتعالى يوم القيامة وعندما تجتمع الخلائق ينبه تنبيهاً عاماً لجميع الانام من بدء الدنيا إلى يوم الزحام:

{ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ}[٣٧٢]

لأن الله يريد العمل الخالص لوجهه سـبحانه وتعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (٥البينة).

إذاً القرض الحسن لا بد أن يكون أولاً من حلال طيب لأن الله لا يقبل إلا الطيب، ولا بد أن يبتغي به وجه الله، لا يرجو به خلق الله، أو رضـاهم، أو الشـهرة بينهم، أو ذيوع الصيت بينهم ... كل ذلك لا يشغله وإنما يريد وجه الله تبارك وتعالى.

---

٣٧١ الحاكم في المستدرك والطبراني عن شداد بن أوس ﷺ
٣٧٢ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

وأن يكون هذا المال، أو هذا الخير من أفضل ما عنده، مثلاً: أتى حصاد القمح، فيقول: سأخرج الزكاة من مخلفات الحصاد!!، هل تقبل هذه الزكاة؟!! لا: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (٩٢آل عمران) الذي لا تحبه لنفسك لا تعطيه لغيرك.

كثير من المؤمنين يعتقد أنه يضع صدقته في يد الفقير، لكن رسول الله ﷺ قال: { إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ فِي يَدِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي يَدِ الْمُصَدَّقِ عَلَيْهِ }[٣٧٣]

الذي يأخذها منك رب العزة تبارك وتعالى، فهل يصح أن تعطيه أردئ شيء عندك؟!! وهو واهب النعم، وواهب الفضل، وصاحب الجود والكرم، فهل تليق هذه المعاملة بمن يقول للشيء كن فيكون؟!! لا: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (٩٢آل عمران).

كذلك حتى يكون هذا القرض حسن لا بد أن أراعي في إنفاقه السرية والتكتم، فلا تعرف ذلك زوجتي، ولا تعرف يدي الشمال ما أنفقته بيدي اليمين، فيكون سر بيني وبين رب العالمين تبارك وتعالى.

---

٣٧٣ البر والصلة لابن الجوزي عن عائشة رضي الله عنها

سـيدنا علي زين العابدين بن الإمام الحسـين رضـي الله عنهم أجمعين كان من الأغنياء والوجهاء، وعنده سـعة عظيمة في المال، ماذا كان يصـنع هذا الرجل؟ عال ثلاثون أسـرة في المدينة المنورة، كانوا فقراء لا يجدون شـيئاً، كان عنده خدم، وعنده أولاده، لكنه لا يريد الخدم أن يعرفوا، ولا أولاده أن يعلموا.

فكان يأتي في الليالي المظلمة التي ليس فيها قمر، حتى لا يراه ولا يعرفه أحد، لأن الشوارع وقتها لم يكن فيها إنارة ولا كهرباء، فكان يحمل جوال دقيق على ظهره، وصـرة مال في إحدى يديه، وجرة سـمن في اليد الأخرى، ويطرق على الباب، وإذا سمع ردهم يترك ما معه أمام الباب ويرحل سـريعاً قبل أن يفتحوا، فيخرج أهل البيت فيجدوا ما ذكرناه، ولا يعرفون من أتى به، وهو يقصد إلى ذلك.

ومشى على ذلك عمر طويل بهذه الوتيرة مع ثلاثين عائلة، ولم ينكشف أمره إلا بعد وفاته، فقد وجدوا عند غسـله أثر على كتفه كأنه كان يعمل عتالاً، مع أنه كان مرفَّه، وعنده الخدم والأولاد!!.

وبعد مدة وجدوا أن العائلات التي كان يعولها انكشـفت، فسـألوهم: كيف كنتم تعيشـون من قبل؟! فقالوا: كان يأتينا رجل كل شـهر مرة، ويطرق الباب فنخرج فلا نجده، ونجد جوالاً من الدقيق، وصرة من المال، وجرة من السمن، ولا نعرف من هذا الرجل، فعلموا أن الذي كان يفعل ذلك الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسـين ﵃ أجمعين، لأنه سمع حضرة النبي فيما وصل إليه من الحديث يقول:

{ فَضْلُ صَدَقَةِ السِّرِّ عَلَى صَدَقَةِ الْعَلانِيَةِ كَفَضْلِ صَلاةِ اللَّيْلِعَلَى صَلاةِ النَّهَارِ }[٣٧٤]

وفي الأثر: (صدقة السر تفضل صدقة العلانية بسبعين ضعفاً) وليس سبعين مرة!!، وهو كان يتعامل مع الله لا يرجو إلا رضاه سبحانه وتعالى.

فيجتهد صاحب القرض الحسن أن يكون هذا العمل في طي الكتمان، لا يعرفه إلا الواحد الأحد وهو الرحمن سبحانه وتعالى، فلا يعرفه من معه في البيت، ولا في العمل، ولا أصدقاءه، لأنه يعمل العمل لله.

لكنه إذا عمل العمل، ثم جلس مع نفر وقال: أنا عملت بالأمس كذا وكذا، فهذا قال فيه ﷺ:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الْعَمَلَ فَيُكْتَبُ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ مَعْمُولٌ بِهِ فِي السِّرِّ يُضَعَّفُ أَجْرُهُ سَبْعِينَ ضِعْفًا، فَلا يَزَالُ بِهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى يَذْكُرَهُ لِلنَّاسِ وَيُعْلِنَهُ فَتُكْتَبَ عَلانِيَتُهُ، وَيُمْحَى بِضَعِيفِ أَجْرِهِ كُلِّهِ، ثُمَّ لا يَزَالُ بِهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى يَذْكُرَهُ لِلنَّاسِ الثَّانِيَةَ، وَيُحِبُّ أَنْ يُذْكَرَ وَيُحْمَدَ عَلَيْهِ فَيُمْحَى مِنَ الْعَلانِيَةِ، وَيُكْتَبَ رِيَاءً }[٣٧٥]

---

٣٧٤ معجم الطبراني عن ابن مسعود ﷺ
٣٧٥ شعب الإيمان للبيهقي عن أبي الدرداء ﷺ

يعمل العمل فيما بينه وبين مولاه، فلا يزال به الشـــيطان حتى يُحدث به، فإذا حدَّث به حبط عمله، فلم يعد العمل لله، لأنه تباهى به أمام الناس، وظهر به، لكن الذي يريد العمل لله، لا يعلم به إلا مولاه تبارك وتعالى.

هذا القرض لكي يكون قرض حســـن لا بد أن يذهب للمســـتحقين، ولا يكون مجاملة، فإذا أردت أن تُخرج شيئاً لله، فلا تجعل نفسك تضحك عليك وتقول لك مثلاً: إن جارك فلان غير محتاج ولكنك تحتاجه في الشـــدة، فإذا أعطيته لن يتأخر عنك إذا احتجته!!، ومثل هذا لم يوف الشروط التي أنزلها الحي الذي لا يموت.

الفقير المستحق

لمن نعطي يا رب؟ ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ (٢٧٣البقرة) لا يمدون أيديهم للناس، لأن العزة الإيمانية تمنعهم أن يمدوا اليد إلا إلى رب البرية سبحانه وتعالى.

أما الذين يسألون الناس ويطوفون بالبيوت فهذا قد تعطيه شيء يسير على سبيل البركة، لكن التركيز يكون على الذي قال النبي ﷺ:

{ لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنْ الْمِسْكِينُ الَّذِي لا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلا يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ، وَلا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ }[٣٧٦]

وقال: { إِنَّ اللَّهَ ﷻ يُحِبُّ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ الْفَقِيرَ الْمُتَعَفِّفَ أَبَا الْعِيَالِ }[٣٧٧]

الرجل الذي لديه أولاد كثير، ودخله لا يكفي الضــروريات، فهذا يحتاج إلى إخوانه المسلمين أن يقفوا بجواره، ويقوموا بأمره حتى يتاجروا مع الله سبحانه وتعالى في هذه الصدقات.

وحتى يكون القرض حســن لا بد أن أعرف وأتأكد أنني لســت أفضــل من الذي يأخذ مني، بل هو أفضــل مني، لأني أعطيه أشــياء من الدنيا الفانية، وهو يحمل عني ذنوب، ويسترني الله في العيوب، ويعطيني مقابل ذلك حسنات لا عد لها، ودرجات لا نستطيع عدها، لذلك هو الأفضل.

ولذلك كان بعض السلف الصالح رضوان الله تبارك وتعالى عليهم عندما يعطي الصدقة، ويمد الفقير يده، يضـع يده تحت يد الفقير، ويجعل يد الفقير هي الأعلى، لأن النبي ﷺ قال:

---

٣٧٦ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ
٣٧٧ سنن ابن ماجة والطبراني عن عمران بن حصين ﷺ

{ الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى }[378]

هذا الفقير يحمل عني ذنوبي، ويحمل عني عيوبي، ويعطيني حســـنات، وأنا أعطيه أشياء دانية لا تساوي قليلاً ولا كثيراً، فهو الأعلى في هذا المقام.

آخر شـيء حتى يكون القرض حسـن؛ أن أعتقد وأعلم علم اليقين أنني لا أعُطي إلا بتوفيق وبتسديد وبمعونة من رب العالمين ﷻ.

ثواب الصدقة

إذا استوفينا هذه الشروط، فإن النبي ﷺ يقول:

{ مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ }[379]

٣٧٨ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما
٣٧٩ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

فلُوَّهُ يعني مهره أو حصـــانه، لأن الله أخذها ونماها وزادها وباركها له، وهذا الذي قال الله فيه: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمۡ﴾ يضاعف لهم الأجر والثواب عند الله تبارك وتعالى، وليس ذلك فقط، ولكن: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ يضاعف لهم الثواب ويضاعف لهم الحسنات، ولهم أجر كريم عند الكريم ﷻ.

ما هذا الأجر الكريم؟ أعلاه وأغلاه وأبهاه أنه يحظى بالنظر إلى وجه الله، لأن هذا العمل الطيب عمله ابتغاء وجه الله تبارك وتعالى، فيدخل يوم القيامة في قول الله: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ (القيامة) وهذه أعلى متعة، وأبهى نعيم، وأجمل تكريم يوم لقاء حضرة الكريم سبحانه وتعالى، ولذلك قال: ﴿وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ يعني فيه تكريم، وأعلى التكريم أن أتمتع بالنظر إلى جمال طلعته، وإلى بهاءه وجماله وجلاله وكبرياءه ونوره سبحانه وتعالى.

مرتبة الصديقين

أعطانا الله تعالى منزلة أخرى ووضعنا فيها كلنا، حتى نشكر الله على فضله وعطاءه، فقال الله لنا كلنا: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ﴾ كوني أستمسك بالإيمان، وبمتابعة النبي العدنان سأحشر يوم القيامة في أعلى رتبة بعد رتبة الأنبياء وهي رتبة الصديقين: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ ﴾ (٦٩النساء).

كيف أنال رتبة الصديقين؟ هذه منحة من الله، وكل ما في الامر أن يستمسك الإنسان بالإيمان، ولا تضحك عليه نفسه فيحل عقد الإيمان، ويوقعها في الهوى والعصيان، وعليه أن يحافظ على طاعة الرحمن، واتباع سيد ولد عدنان ﷺ.

وحتى إذا ضحكت عليه نفسه ووقع في العصيان فليسارع فوراً إلى التوبة من التواب تبارك وتعالى، فلا يوجد أحد من المؤمنين الصادقين يُسوِّف التوبة، فإذا عمل ذنباً لا يقول: سأتوب يوم الجمعة مثلاً!!، وهل ضمنت أن تعيش إلى يوم الجمعة؟!! أو سأتوب عندما يأتي شهر رمضان!!، لكن هل تدري أنك ستصوم رمضان؟!! أو عندما أحج حتى يغفر الله لي الذنوب!!، والحج أصبح من الصعوبات البالغة في هذا الزمان حتى لمن معه مال!!.

لكن المؤمن صـــادق الإيمان إذا وقع في الذنب فوراً لا يؤجل ولا طرفة عين، فبمجرد معرفته أنه أخطأ يرجع إلى الله، ويتوب إلى مولاه، وأهم شيء يستشعر الندم والخجل في فؤاده وقلبه، لأن التوبة بدون ندم كلا توبة، يعني تبت إلى الله بلســـاني، ولكن من داخلي ليس هناك إحساس بالأسف والندم، فهذا الذنب كما هو، قال ﷺ:

{ النَّدَمُ تَوْبَةٌ }[380]

أساس التوبة أن أندم على ما فعلته، وأشعر بأنني أسأت، وأشعر بأنني عصيت، فأرجع إلى الله ســبحانه وتعالى، والرجوع إلى الله لا يحتاج إلى زمان ولا مكان، ففي أي زمان، وأي مكان: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ (٤الحديد) ما دمت وقعت في الذنب أسارع فوراً في التوبة إلى حضرة التواب تبارك وتعالى.

مصـــيبة كثير من المســـلمين في هذا الزمان أنه يؤجل التوبة، لماذا؟!! أنت لا تعرف ميعاد سـفرك، ولا بد أن تكون جاهزاً للقاء حضـرة الرحمن سـبحانه وتعالى، فتتوب إلى الله من كل ما جنته اليد، أو فعلته الجوارح، أو حتى ما فكر فيه العقل مما فيه معصية وفيه بعد عن حضرة الله تبارك وتعالى.

٣٨٠ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

مقام الشهادة

الذين سيؤمنوا بالله ويُصدقوا بما ذكرنا:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ﴾ قد نقف هنا، فيكون لهم منزلة (الصديقين) وقد نقول: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ ﴾ فيكون لهم منزلتين ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾.

من فضل الله تبارك وتعالى على هذه الأمة، أن معظم هذه الأمة يخرجون من الدنيا وقد منحهم الله ﷻ مقام الشهادة، وسيدنا رسول الله ﷺ وسَّع دائرة الشهداء حتى تشمل معظم الأمة، وخاصة في زماننا الذي نحن فيه الآن فقال:

{ مَا تَعُدُّونَ فِي الشَّهِيدِ فِيكُمْ؟ قَالُوا: الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ: إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ، مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَالْمَطْعُونُ شَهِيدٌ }[٣٨١]، وفي رواية أخرى:

٣٨١ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

{ الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرْقِ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدَةٌ }[٣٨٢]

من مات بمرض في بطنه فهو شهيد، يعني مات بالكبد، أو بالطحال، أو بالقلب، أو أي مرض في بطنه، والغريق شهيد، ولكن ليس الذي غرق وهو منتحر، والحريق شهيد، والذي وقع عليه جدار فمات فهو شهيد، وكذلك النفساء التي ماتت أثناء الولادة أو بعدها بقليل فهي شهيدة ووسع الدائرة أكثر فقال:

{ وَالْغَرِيبُ شَهِيدٌ }[٣٨٣]

أي مسلم يموت بعيد عن بلده ولو بخطوتين فهو شهيد، فوسَّع الدائرة جداً حتى أنني أرى أن معظم هذه الأمة إلا القليل في هذا الزمان يموتون شهداء. .. وسَّع الله الدائرة أكثر فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ ﴾ حصلوا على رتبتين عاليتين، صديقين وشهداء، والشهداء عند ربهم كما قال الله تعالى:

---

٣٨٢ مسند أحمد وابن حبان عن جابر بن عتيك ﷺ
٣٨٣ أسد الغابة عن عمرو بن الحارث ﷺ ومعجم الطبراني

﴿ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾ (١٦٩آل عمران) وأي شـهيد بعد أن يموت روحه تصـعد إلى الجنة، وقال فيها ﷺ:

{ إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ تَعْلُقُ مِنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ أَوْ شَجَرِ الْجَنَّةِ }[٣٨٤]، وفي رواية أخرى: { إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ تَرْعَى فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يَكُونُ مَأْوَاهَا إِلَى قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ بِالْعَرْشِ }[٣٨٥]

أرواحهم في طيور في الجنة تمرح بين أشـــجار الجنة، لأنهم أحياء حياة كاملة وصـــفها الله فقال: ﴿ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾ (١٦٩آل عمران) لهم رزق، ولكن رزق يختلف عن رزقنا من الطعام والشـــراب، فهو رزق من الأنوار الإلهية، ومن الحكم الربانية، من المشـاهدات القدسية، ومن القصـور الجنانية .. أرزاق معنوية لا عد لها، ولا حد لها.

٣٨٤ جامع الترمذي ومسند أحمد عن كعب بن مالك ﷺ
٣٨٥ الزهد لهناد ابن السري عن أبي سعيد الخدري ﷺ

لهم أجرهم ونورهم

هؤلاء الذين آمنوا بالله ورسـله وأصـبحوا صـديقين وشـهداء ماذا لهم؟ ﴿ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡ ﴾ ليس أجر فقط، ولكن لهم أجر ونور، والأجر عرفناه، ويُضـاعفه الله لهم أضـعافاً كثيرة، أما النور فإنهم سـيظهروا به ويلمعوا به أمام الخلق والخلائق في القيامة وفي الجنة، ففي القيامة ورد أنه يضـيء حسـنهم لأهل الموقف كما تضـيء الشمس لأهل الدنيا.

الموقف ليس فيه شمس ولا قمر ولا ضياء، والكافرون سيكونوا عمياً:

﴿ وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ (١٢٤طه) والمؤمنون سـيكونوا مبصـرين، وكل واحد على حسـب تقواه وقربه من مولاه، فهناك منهم من يكون نوره كنور الشـمس والكل يمشي في ظل هذا النور، قال فيهم ﷺ:

{ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يُضِيءُ نُورُهُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى عَدَنَ أَبْيَنَ، فَصَنْعَاءَ، فَدُونَ ذَلِكَ، حَتَّى إِنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لا يُضِيءُ نُورُهُ إِلا مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ }[٣٨٦]

٣٨٦ جامع البيان للطبري

أدناهم من يضـــيء له نوره إبهام قدميه، فيرى تحت قدميه فقط، لكن الآخرين يكون نور أحدهم كنور الشمس.

وعندما يدخلوا الجنة ســيكونون أعلى من ذلك، قال الله تعالى في عباد الرحمن: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ (٧٥الفرقان) ما هذه الغرفة؟ قال الله تعالى: ﴿ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾ (٢٠الزمر) هذه غرف خاصة في الجنة، وهؤلاء يقول فيهم ﷺ:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ، أَوِ الْمَغْرِبِ }[٣٨٧]

انظر إلى منزلتهم!! سيكونون مثل النجوم في السماء من علو المقام، ومن رفعة القدر عند الواحد الأحد تبارك وتعالى، هؤلاء الذين يقول فيهم الله: ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٨التحريم).

وتمام النور برؤية وجه الله، يقولون: يا ربنا أتمم لنا النور فتكشــف لنا الحجب، وترفع النقاب، حتى نتمتع بجمال وجهك كما وعدتنا في الكتاب، ونبقى في جوار الأحباب: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩الفتح).

---

٣٨٧ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

نكون معهم في الجنة وفي الآخرة، فنجالسهم، ونأتنس بهم، ونكون بجوارهم في الجنة في الحي الذي يســكنون فيه، حتى يكون لنا الدرجات العلى، وهي درجات المقربين: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ (الواقعة)

النهي عن التطلع إلى الكافرين

وعندما ذكر الله لنا هذه المنازل العظيمة نبَّهنا أن لا ننظر إلى الذين حولنا، والذين أعطاهم الله الدنيا الدنية، وهم أهل الكفر، إن كان أهل أمريكا أو أهل أوربا وغيرهم، ونقول كما نسمع بعض من المسلمين: كيف نكون مسلمين موحدين ونصلي ونصــوم وعندنا الفقر وعندنا المرض، وهؤلاء كافرين بالله وعندهم كل الخيرات؟!! أما سمعتم قول النبي ﷺ:

{ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا }[388]

حتى يخرج من الدنيا وليس له شيء، وليس عنده رصيد، فيكون كما قال الله:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾:

٣٨٨ صحيح البخاري والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما

فكيف لمسلم أن ينظر إلى أهل الجحيم ويريد أن يماشيهم ويكون مثلهم في الحياة الدنيا؟!!. وهذا الخطأ الذي وقع فيه كثير من شبابنا في هذا الزمان، يضع عينه على الكافرين فيجد أن الدنيا لا تساعده بالحلال، فيبدأ البحث عن الحرام، وما يُغضب الله، وما يُخالف هدي الله حتى يستكثر من الدنيا، التي يتابع فيها أعداء الله ... لكن نحن يجب أن يكون أمامنا دائماً: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩الفتح) ..

حتى نكون معهم في الدار الآخرة.

أسأل الله ﷻ .. أن يرزقنا وإياكم صدق الإيمان، والعمل الصالح الموصل لمنازل الرضوان، وان يرزقنا أجمعين حسن الاتباع للنبي العدنان، وأن يوفقنا لعمل الصالح وصالح العمل في كل وقت وآن، وأن يجعلنا من عباده الذاكرين الشاكرين الحاضرين بين يديه في كل وقت وحين، وأن يحفظ لنا جوارحنا وأعضاءنا وأولادنا وبناتنا وزوجاتنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعلنا دوما من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١ ﴾ (الحديد)

٢٣.السابقون إلى المغفرة والجنة[٣٨٩]

بسم الله الرحمن الرحيم – الحمد لله الذي أنزل لنا القرآن تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة للمؤمنين، والصلاة والسلام على النبي العدنان، الذي اختاره الله ﷻ من أنبياء الرحمن وأعلى شأنه ورفع قدره ليُنزل على قلبه خير بيان وهو كلام حضرة الرحمن؛ سيدنا محمد الذي كان في هديه كله صورة للقرآن، صلى الله عليه وعلى آله الذين اهتدوا بهديه واتبعوه وآزروه ونصروه، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

القرآن الكريم رسائل من ربنا سبحانه وتعالى للمؤمنين من عصر الحبيب المصطفى إلى يوم الدين، فكل مؤمن في أي زمان، وفي أي مكان يجب عليه أن يقرأ رسائل الرحمن، ويعرف معناها، ويدرك مغزاها، حتى يعمل بها فينال رضا الله تبارك وتعالى، والذي لا يعرف أن يقرأ يبحث عن أحد يقرأ له، لأنه ليس له حجة: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٣النحل).

لا يوجد أحد من المؤمنين يأتي يوم القيامة وله حجة عند الله، مثلاً يقول: لم أكن أعرف القراءة! فلماذا لم تذهب للعلماء ليُعلموك؟!! ولو قال: ليس عندي وقت، فهل الدنيا شغلتك بالكلية ولم يعد عندك وقت لكلام الله والاستعداد للدار الآخرة؟!!.

---

[٣٨٩] المنيا – نزلة بلهاسة – المسجد القبلي ٢٥ من رجب ١٤٣٩هـ ٢٠١٨/٤/١٢م

يجب أن يكون هناك توازناً بين الناحيتين، فأنت مكلف بشـــقين، والله ســـبحانه وتعالى إذا اتبعت هداه، واتقيت الله، وعملت بأوامر الله، وانتهيت عن معاصـــي الله، سيُسخر لك الأرزاق في الدنيا، وتصير الأرزاق لك بغير حساب: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ﴾ (الطلاق).

لكن لو تركت أوامر الله، وأخَذَتك نفسك إلى معاصي الله، فإن الله تبارك وتعالى يكلك إلى نفسـك، فلو كانت أرزاقك مثل أرزاق العباد كلهم فلن تكفيك، لأنها ليس فيها البركة التي يجعلها الله في أرزاق المؤمنين، وأقوات الطائعين لرب العالمين ﷻ.

الرسالة التي معنا اليوم رسالة صغيرة، ننظر فيها لنرى ماذا يريد منا الله ..

ما طلباتك يا رب؟

سباق المغفرة

﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ يريد الله أن لا يكون السـباق في الدنيا في جمع المال، ولا في العلو في الوظائف والمناصـب .. لأن كل ذلك إما أن تتركه أو يتركك!!:

وانظر إلى من ملـك الـدنيـا بـأجمعهـا هـل راح منـهـا بـغـير القطـن والكفن

لن يأخذ من الدنيا شـيء، فماذا يحتاج الإنسـان في الدنيا؟ هذين البابين، يسـعى لنيل المغفرة من الغفور، ويعمل بالأعمال التي توجب له دخول الجنة يوم القيامة إن شاء الله.

فالله ﷻ يطلب منا شـيئين، الطلب الأول: نرى الأحوال والأعمال والأقوال التي نستوجب بها المغفرة من حضـرة الغفور ونسـارع لها: ﴿ سَابِقُوٓا ﴾ يعني سـارعوا لها، وهذا ما قال فيه الله: ﴿ خِتَـٰمُهُۥ مِسۡكٌۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَـٰفِسُونَ ﴾ (٢٦المطففين).

الأعمال الموجبة للمغفرة

أولها: الصلوات الخمس

ما الأعمال التي تسـتوجب المغفرة من الغفار؟ أولها الصـلوات الخمس في مواقيتهن في جماعة في بيت الله، وهذا أمر كثير من المؤمنين قصـروا فيه في هذا الزمان.

بالله عليكم في أي بلد من بلادنا، لو أن كل الرجال الموجودون في البيوت – ولا دخل لي بمن في العمل – لبوا نداء الرحمن، وجاءوا لأداء الصلاة، فهل ستكفيهم كل مساجد بلدهم؟!! لا، لكن هؤلاء لماذا لا يأتون لأداء الصلاة؟!! لأن أنفسهم ضحكت عليهم!!.

مثلاً: جماعة يجلسون مع بعضهم يتسامرون، وحان وقت صلاة الظهر، فتقول لأحدهم نفسه: ما زال الوقت طويل حتى العصر!!، لكن أنت غير مشغول، وليس وراءك مصلحة، وسمعت الأذان ولم تلبي النداء فهذه أصبحت حجة عليك عند الرحمن تبارك وتعالى.

لكن لو كان الإنسان في عمل ضروري، ولا يستطيع أن يتركه ساعة الأذان فهذا معه حجته، مثل إنسان يركب القطار، فالقطار لا يقف حتى تؤدي الناس الصلاة، أو إنسان يركب طائرة، أو طبيب يقوم بإجراء عملية في المستشفى ولا يستطيع أن يترك حجرة العمليات .. هذه الأشياء وأمثالها تسمى ضرورة من الضرورات، فيؤخر الصلاة، وعندما ينتهي من هذه الضرورة يؤدي ما عليه لله قبل أي شيء، ثم يفعل ما يريد، لماذا؟ ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوۡقُوتًا ﴾ (١٠٣النساء).

من الذي وقَّت هذه الأوقات؟ الله، وجعل هناك وقت فضـــيلة، ووقت فيه عفو، ووقت قد تلحق به رحمة الرحيم سبحانه وتعالى.

والذي يريد وقت الفضـــيلة لا بد أن يلبي نداء الله قبل أن يؤذن المؤذن ولو بلحظات، واللحظات التي يقضيها في المسجد إن كان ربع ساعة أو أكثر أو أقل قال فيهم حضرة النبي ﷺ:

{ لا يَزَالُ الْعَبْدُ فِي صَلاةٍ مَا كَانَ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلاةَ، مَا لَمْ يُحْدِثْ }[٣٩٠]

العبد في صـــلاة ما دام في انتظار الصـــلاة، فيُكتب أنه يُصـــلي مع أنه جالس صامت في المسجد، المهم أن لا يقع في المخالفات، فلا يجلس مع أحد في بيت الله في القيل والقال، وإلا بذلك ضـيع ما سـيؤديه لله تبارك وتعالى، ولكن يجلس يذكر الله، أو يستغفر الله، أو يُصلي على رسول الله، أو يقرأ كتاب الله، فهذا في صلاة إلى أن يأتي ميعاد الصلاة.

---

٣٩٠ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

بحيث أنه مهما كانت الظروف يوطن نفســـه أن يلحق بأقل درجات المقربين، فقبل أن يكبر الإمام تكبيرة الإحرام يكون واقفاً في الصــف، ولا يتأخر، ولا يفعل كما يفعل البعض فيدخل المســجد مســرعاً ويرفع صــوته حتى ينتظره الإمام، وبعضــهم يقول: (إن الله مع الصابرين) وهذا يشغل المصلين، لكن تمهل وافعل كما أمر حضرة النبي ﷺ:

{ إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلاةَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فما أدركْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا }[391]

لكن يجب عليك أن تحرص على أن تتقدم صــفوف المصــلين لله رب العالمين، لأن الله قال في سـبب فرضــه الصــلوات علينا: ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم ﴾ (١٠إبراهيم) يدعونا ليغفر لنا، وهذا أكبر باب للمغفرة، وحضرة النبي قال فيه:

{ أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟ قَالُوا: لا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا }[392]

[391] البخاري ومسلم عن الحارث بن ربعي رضي الله عنه
[392] البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

ثانيا: الاستغفار

فأول باب من الأبواب التي تستوجب المغفرة الصلاة، ومع الصلاة التي فرضها الله، وضع لنا رسول الله باباً آخر للمغفرة، فقال:

{ مَنِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ }[393]

ولذلك أهلنا كانوا عقلاء مع أنهم كانوا أميين، فكانوا بعد انتهاء الصلاة مباشرة يقولون في نَفَس واحد (نستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ونتوب إليه) لأن هذا باب من أبواب المغفرة، وكانوا بعدها يقولون مع بعضهم أيضاً: (يا أرحم الراحمين ارحمنا) لماذا؟ لأن العلماء علموهم أن النبي ﷺ قال:

{ إِنَّ لِلَّهِ مَلَكًا مُوَكَّلا بِمَنْ يَقُولُ: يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، فَمَنْ قَالَهَا ثَلاثًا قَالَ الْمَلَكُ: إِنَّ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكَ فَاسْأَلْ }[394]

---

٣٩٣ معجم الطبراني والمطالب العالية لابن حجر عن البراء بن عازب ﷺ
٣٩٤ الحاكم في المستدرك واتحاف المهرة عن أبي إمامة ﷺ

اطلب من الله ليعطيك، فيبدأوا بعدها بالدعاء، ولكن شـبابنا هداهم الله – لأنهم لم يطلعوا على هذه الأصول – يقولون أنتم بذلك تشوشون على المصلين وهذه بدعة!!، فكانت النتيجة أن انتهت هذه السُـنَّة من كل البلاد، مع أن ذلك ذكر لله، واسـتغفار لله، ودعاء لله!!. بدلاً من ذلك حاول أن تمنع ما يحدث في صـــالات الأفراح، لكن تمنع الاســـتغفار لله!!، وهل أحد يمنع الدعاء لله؟!! مع أن كل ذلك وارد عن رســـول الله ﷺ!!.

فالإنسان بعد الصلاة يستغفر الله سبحانه وتعالى بالصيغة التي ذكرها رسول الله ﷺ:

{ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ }[٣٩٥]

إذا كان لوحده يقول: (أستغفر الله) وإذا كنا جماعة نقول: (نستغفر الله) مَن الذي علَّمنا هذه الصيغة؟ الذي لا ينطق عن الهوى، وحدد لنا أن نكررها ثلاث مرات عقب الصلاة، ونتيجتها مغفرة الله من الذنوب وإن كانت مثل زبد البحر.

٣٩٥ معجم الطبراني والمطالب العالية لابن حجر عن البراء بن عازب ﷺ

هل هناك فضـــل كبير كهذا؟!! هل نتركه ونتهاون فيه؟!! حتى لو صـــادفت الظروف وصليت لوحدي فلا أترك ذلك، فأستغفر الله العظيم بعد الصلاة، ولو صادف أن صـــليت في البيت مع زوجتي أُعلِّمها، أو مع ابنتي أُعلِّمها هذا الهدي النبوي، والسُنَّة الكريمة التي كان عليها رسول الله ﷺ ومن معه من الصحابة الأجلاء: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩الفتح).

ثالثاً: أبواب المغفرة

أبواب المغفرة كثيرة:

ونحن مطالبون أن نبحث عنها، مثل مجلس علم كالذي نحن فيه الآن، أو مجلس تلاوة قرآن، أو مجلس لذكر الله، أو مجلس للصــلاة على رســول الله .. أي مجلس من هذه المجالس حضرة يقول فيه:

{ إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا }[٣٩٦]

٣٩٦ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

وبعد ان ينتهي المجلس فإن الله تبارك وتعالى – وهو أعلم ولكن ليُشـــهدهم – يسألهم:

{ مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا، وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ: مَلَكٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ: فِيهِمْ فُلانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ }[٣٩٧]

٣٩٧ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

فكيف لإنســـان أن يترك حلقة صـــلاة على النبي؟! أو حلقة علم؟! أو حلقة ذكر لله؟! أو حلقة اســتغفار؟! أو حلقة قرآن؟! مع أنه لو جلس فيها لحظة واحدة، أو طرفة عين فإنه سيدخل في مغفرة الغفور سبحانه وتعالى.

كذلك من أبواب المغفرة:

{ مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ }[398]

وكذلك:

{ مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ }[399]

---

٣٩٨ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

٣٩٩ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

الأعمال الموجبة للجنة

أعمال كثيرة تؤدي إلى مغفرة الغفور، وهذه يجب أن نسارع لها، ومعها نسارع بالأعمال التي تؤهلنا لدخول الجنة، وهي: ﴿ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ (٤٦الكهف) الأعمال الصالحة الباقية لنا عند من يقول للشيء كن فيكون.

هذه الأعمال الصالحة التي ستُدخلنا الجنة يسَّرها لنا الله، وهذه غير الطاعات ..

قال ﷺ:

{ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ }[400]

وقال: { تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ }[401]

إذا قابلت أخ لي قادم من سفر طويل فإن حضرة النبي يقول:

{ نَظَرُ الرَّجُلِ إِلَى أَخِيهِ عَلَى شَوْقٍ؛ خَيْرٌ مِنَ اعْتِكَافِ سَنَةٍ فِي مَسْجِدِي هذَا }[402]

---

٤٠٠ مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

٤٠١ جامع الترمذي وابن حبان عن أبي ذر ﷺ

٤٠٢ الجامع الكبير للسيوطي عن ابن عمر رضي الله عنهما

لأنه قادم ومشتاق لمقابلة أهله، فإذا وجد من يعبس في وجهه فستكون نفسيته سيئة، لكن هذا أخ مؤمن ولا بد أن نسعده لأن الإسلام جعل المؤمنين إخوة: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١٠الحجرات).

وإذا زرت مريضاً لوجه الله فإن حضرة النبي ﷺ قال:

{ إِذَا عَادَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، فَهُوَ فِي مَخْرَفَةِ الْجَنَّةِ }[٤٠٣]

ومخرفة الجنة يعني البساتين والحدائق التي في الجنة، فيكون له بساتين وحدائق في الجنة، ما دام يزور المريض لله، وليس بقصد أن يرد له الزيارة، وعند زيارة المريض يعمل بوصية رسول الله ﷺ:

{ زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا }[٤٠٤]

٤٠٣ صحيح مسلم ومسند أحمد عن ثوبان ﷺ
٤٠٤ الحاكم في المستدرك والطبراني عن حبيب بن مسلمة ﷺ

لأن المريض يريد الراحة، فأسأله عن حاله ثم أضع يدي عليه وأدعو له بالدعاء الوارد عن سيد الأنبياء، ثم أتركه حتى تكون زيارة خفيفة، ولا نُثقل عليه بالحكايات.

وكانت هكذا زيارة النبي ﷺ للمريض، فيسأل المريض عن شكوته، ويضع يده عليه ويقول:

{ اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبْ الْبَاسَ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لا شِفَاءَ إِلا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا }[405]

أو كما قال:

{ مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَعُودُ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَيَقُولُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ، إِلا عُوفِيَ }[406]

---

٤٠٥ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها
٤٠٦ سنن أبي داود ومسند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما

ولا مانع من تكرار الزيارة بهذه الكيفية، بدلاً أن تجلس جلسة طويلة، لأنك كلما تزور مريضاً لوجه الله تأخذ حدائق في جنة الله تعالى.

إذا توفي أحد من المؤمنين أو المؤمنات وصــليت عليه، سـيُكتب لي قيراط من الثواب والأجر في الجنة، وإذا شـيعت الجنازة ومشـيت معها سـيُكتب لي قيراط من الأجر والثواب في الجنة، فيكون لي قيراطين من الأجر والثواب في الجنة إن شـــاء الله، قال ﷺ:

{ مَنْ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ، وَلَمْ يَتْبَعْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ، فَإِنْ تَبِعَهَا فَلَهُ قِيرَاطَانِ، قِيلَ: وَمَا الْقِيرَاطَانِ؟ قَالَ: أَصْغَرُهُمَا مِثْلُ أُحُدٍ }[٤٠٧]

وهذا غير ما ذكره النبي ﷺ، فقد قال:

{ وَمَنْ صَلَّى عَلَى مَيِّتٍ صَلَّى عَلَيْهِ جِبْرِيلُ وَمَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، وَغُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ }[٤٠٨]

---

٤٠٧ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه
٤٠٨ المطالب العالية لابن حجر عن أبي هريرة رضي الله عنه

وكما ورد في بعض الأثر: (من صلى على ميت كُتب له مثل ثواب عمله) الذي كان يعمله هذا الرجل طوال حياته من الصالحات، فيخرج لكل واحد من المصلين شيك بما يوازي هذا العمل من ملك الملوك سبحانه وتعالى، ولا ينقص ذلك من أجره شيئاً!!، لذلك كانت الناس تتنافس على حضور جنازات الصالحين، بسبب هذا الأجر الكبير الذي سينالونه.

وعندما نشيع الميت إلى قبره، فإن الله قبل دخوله قبره يبشره، قال ﷺ:

{ إِنَّ أَوَّلَ كَرَامَةِ الْمُؤْمِنِ عَلَى اللَّهِ ﷻ أَنْ يَغْفِرَ لِمُشَيِّعِيهِ }[409]

أول بشرى تعجل للميت بعد دفنه أن يُغفر لكل من مشى في جنازته، وهذا أجر من يشيع الجنازة لله، وليس من أجل أن يراه أهل الميت، لأن هؤلاء ليس معهم شيء يعطونه لك، لكن اجعل كل عملك مع الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (٥البينة).

409 شعب الإيمان للبيهقي وأبي نعيم عن أبي هريرة ﷺ

سعة الجنة

الأعمال الصـــالحة ذكرنا نماذج منها، ولا نســـتطيع حصـــرها، لكن نعمل بما يستوجب المغفرة، وفيما يؤهلنا لدخول الجنة، والجنة قال فيها الله:

﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ :

وكلام الله على قدر عقول المســـلمين والعرب عند نزول القرآن، لأن الجنة بيَّن حضـرة النبي في حديث واحد - سـأكتفي به – سـعتها، فذكر آخر رجل يدخل الجنة، وهذا الرجل كان عليه حكم فدخل النار، لكن سيدنا النبي يشفع فيه ليدخل الجنة، فيقول ﷺ:

{ إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي وَأَنْتَ الْمَلِكُ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَكَانَ يَقُولُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً }[٤١٠]

٤١٠ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ

وهذا لأدنى رجل يدخل الجنة، فما بالك بالعظماء من الأنبياء والمرسلين والصديقين وسيدنا أبو بكر وسيدنا عثمان وسيدنا عمر والصالحين ... فأين يكون هؤلاء؟!! حتى نعرف أن الجنة واسعة سعة لا نهائية، لكن الله قرَّب المعنى لأن العرب كانوا أميين، فقال لهم:

﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ :

ولم يذكر الله الطول لأن أي شيء له عرض وطول فإن الطول يكون الأكبر، فإذا كانت الجنة عرضها السماء والأرض فكيف يكون شكل الطول؟!!.

وحتى عرض السماء، فكم بيننا وبين السماء؟! وكم عرضها؟! قال حضرة النبي:

{ مَا بَيْنَ سَمَاءِ الدُّنْيَا إِلَى الأَرْضِ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَغِلَظُ كُلِّ مِنْهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَمَا بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى الَّتِي تَلِيهَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ }[١٤١]

٤١١ المطالب العالية لابن حجر والبيهقي عن أبي ذر ﷺ

الذي يسير لمدة خمس مائة سنة كم سيسير؟!! الكرة الأرضية لو مشاها الإنسان كما يفعل البعض لا يستغرق إلا بضعة شهور.

فالجنة سعتها لا نهائية، ومع ذلك يقول الله فيها: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (٤٧الذاريات) تتسع دائماً.

دخول الجنة

هذه الجنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، لمن؟

﴿ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾:

جهزها الله للمؤمنين الذين نحن منهم، ولذلك نسأل الله أن نكون من أهلها أجمعين.

بماذا ندخلها؟

مهما نعمل فإن الأعمال التي نعملها لو وزنها الله سبحانه وتعالى بميزان الإخلاص فقط سنجد أن أغلبها لا يصلح!!

مَن فينا يحضر في الصلاة من أولها إلى آخرها بدون أن يسرح أو يتوه؟!! لا يوجد، مَن فينا يصوم شهر رمضان ويمر عليه يوم بدون نظرة محرمة أو غيبة أو نميمة أو كذبة أو كلمة هنا أو هناك؟!! أمر صعب، مَن الذي حج ولم يرفث ولم يفسق؟!!.

لكن ما دمنا ننفذ كلام الله على قدر وسعنا بما أعطانا الله فالباقي على الله، لأن الله قال: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ ﴾ (١٦الأحقاف)

ولذلك حضرة النبي ﷺ وأصحابه المباركين كانوا يسارعون في الطاعات، فيجتهدون في صيام الأيام الفاضلة، وقيام الليل، وتلاوة القرآن، غير الجهاد في سبيل الله الذي كان لهم فيه باع طويل، ومع ذلك قال لهم ﷺ:

{ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلا أَنَا، إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ }[٤١٢]

إن لم يدخلنا في رحمته فقد ضعنا، وضرب لأصحابه قصة حدثت في بني اسرائيل، سيدنا جبريل يحكي لحضرة النبي فيقول:

---

٤١٢ مسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

{ يَا مُحَمَّدُ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنَّ لِلَّهِ عَبْدًا مِنْ عَبِيدِهِ، عَبَدَ اللَّهَ تَعَالَى خَمْسَ مِائَةِ سَنَةٍ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ فِي الْبَحْرِ، عَرْضُهُ وَطُولُهُ ثَلاثُونَ ذِرَاعًا فِي ثَلاثِينَ ذِرَاعًا، وَالْبَحْرُ مُحِيطٌ بِهِ أَرْبَعَةَ آلافِ فَرْسَخٍ، مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَأَخْرَجَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ عَيْنًا عَذْبَةً بِعَرْضِ الأُصْبَعِ، تَبَضُّ بِمَاءٍ عَذْبٍ، فَتَسْتَنْقِعُ فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ، وَشَجَرَةَ رُمَّانٍ تُخْرِجُ لَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ رُمَّانَةً، فَتُغَذِّيهِ يَوْمَهُ، فَإِذَا أَمْسَى نَزَلَ، فَأَصَابَ مِنَ الْوضُوءِ، وَأَخَذَ تِلْكَ الرُّمَّانَةَ فَأَكَلَهَا، ثُمَّ قَامَ لِصَلاتِهِ، فَسَأَلَ رَبَّهُ ﷻ عِنْدَ وَقْتِ الأَجَلِ أَنْ يَقْبِضَهُ سَاجِدًا، وَأَنْ لا يَجْعَلَ لِلأَرْضِ وَلا لِشَيْءٍ يُفْسِدُهُ عَلَيْهِ سَبِيلا، حَتَّى بَعَثَهُ وَهُوَ سَاجِدٌ، قَالَ: فَفَعَلَ، فَنَحْنُ نَمُرُّ عَلَيْهِ إِذَا هَبَطْنَا، وَإِذَا عَرَجْنَا، فَنَجِدُ لَهُ فِي الْعِلْمِ أَنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ﷻ فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، فَيَقُولُ: رَبِّ، بَلْ بِعَمَلِي، فَيَقُولُ الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ، بِرَحْمَتِي، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، بَلْ بِعَمَلِي، فَيَقُولُ الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ، بِرَحْمَتِي، فَيَقُولُ: رَبِّ بَلْ بِعَمَلِي، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ لِلْمَلائِكَةِ: قَايِسُوا عَبْدِي بِنِعْمَتِي عَلَيْهِ وَبِعَمَلِهِ، فَتُوجَدُ نِعْمَةُ الْبَصَرِ قَدْ أَحَاطَتْ بِعِبَادَةِ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَبَقِيَتْ نِعْمَةُ الْجَسَدِ فَضْلا عَلَيْهِ }[٤١٣]

هذه نِعَم أعطاها لنا الله!!!

٤١٣ الحاكم في المستدرك والبيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

فأنت قد تشكو من فاتورة الكهرباء، لكن لو طُلب منك تسديد فاتورة إضاءة العين، فبكم ستكون؟!! ولمن تدفعها؟!!

وقد تشتكي من مصاريف التليفونات وشحنها، لكن فاتورة السمع بكم؟!! ومتى يتم شحنها؟!! وهل تعمل عند انقطاع الكهرباء أم لا؟!!

كل هذه النعم تعمل ولا تنقطع، فكل عضو من أعضاء الإنسان نعمة لا يستطيع الإنسان أن يقوم بشكر الله عليها، لأنها نعم عظمى من حضرة الرحمن تبارك وتعالى.

وأغلاها وأعلاها نعمة العقل!!!

فمن دون العقل ماذا يساوي الإنسان؟!!

مَن الذي يثبت هذا العقل ويحفظه غير الحفيظ تبارك وتعالى؟!! لو اهتز هذا العقل قليلاً سيفر منك كل من حولك، لأن عقلك أصبح غير موجود.

وأغلى من كل ذلك نعمة الإيمان، والذي جعله الله سبحانه وتعالى في قلوبنا.

فبماذا سندخل الجنة؟

﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾.

نسأل الله تبارك وتعالى ...

أن يوفقنا لسـلوك سـبيل المغفرة، وللسـعي إلى الأعمال التي توصـلنا إلى أعلى المراتب في الجنان، وأن يرزقنا حسن الاتباع للنبي العدنان، ولا يشغلنا بالدنيا وزينتها وزخرفها عن طاعة الله نَفَســاً أو أقل، وأن يجعلنا من عباده الذاكرين الشـــاكرين الحاضـرين بين يديه في كل وقت وحين، وأن يحفظنا بحفظه من المعاصـي والفتن ما ظهر منها وما بطن ....

وأن يتولانا بولايته، وينظر إلينا بعين رعايته، ولا يتخلى عنا طرفة عين أو أقل، ولا يُحوجنا إلى أحد من خلقه ما دام فينا نفس يطرق في هذه الحياة، ويحفظنا ويثبتنا حتى نخرج من الدنيا على خير، وقد خُتم لنا بالإيمان، ويرزقنا صـــحبة النبي العدنان ومرافقته في الجنان

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (٢٨) ﴾ (الحديد)

24.فضل الله [414]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اختصنا بالإيمان، وملأ قلوبنا بنور حضرة الرحمن، وجعلنا من أتباع النبي العدنان، وبشَّرنا بالفضل العظيم في الدنيا والآخرة<<

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد مصدر الرحمات، وسر كل الخيرات والبركات، وباب الهداية في الدنيا، وباب السعادة العظمى لنا يوم الميقات، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وكل من مشى على نهجه إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين .. آمين آمين يارب العالمين.

ما أجمل البشريات التي ساقها لنا المولى سبحانه وتعالى في هذه الآيات<<

وهذه الآيات لنا جماعة المؤمنين، لان الله بدأ الخطاب بالنداء علينا، مَن الذي ينادي علينا؟ رب العزة تبارك وتعالى، الغني عن جميع من سواه، المفتقر إليه كل من عاداه، الباسط نعماءه على كل من في أرضه وسماه، ومع ذلك ينادي علينا نحن الضعفاء الفقراء المساكين نداء تعظيم ويقول لنا: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ :

نداء فيه تكريم وتعظيم لنا جماعة المؤمنين.

[414] بني سويف – الفشن – كفر درويش ٢٥ من رجب ١٤٣٩هـ ١٢/٤/٢٠١٨م

لأنه في التوراه كان عندما ينادي على اليهود ويقول لهم: ((يا أيها المســـاكين)) فانظر أين هؤلاء وأين نحن؟!! حتى نعرف فضل الله تبارك وتعالى علينا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ :

هناك بشـريات لكم، لكن هناك أمرين يجب أن تمشـوا على هداهما، وتحرصـوا على تنفيذهما، فإذا فعلتم ستجدوا بشـريات لا يسعنا الوقت في شـرحها وبسطها لأنها من فضل الله تبارك وتعالى.

تقوى الله

أول وصية: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ :

هذه أول وصــية وأجمع وصــية دائماً يوصـــي بها الله المؤمنين، ما أهم وصــية يحرص الله تبارك وتعالى في قرآنه على توصــيه المؤمنين بها؟ تقوى الله، وتقوى الله باختصار حتى لا ندخل في توسعات العلماء هي الخوف من الله.

يعني أن الإنسـان في أي زمان وفي أي مكان يكون دائماً متذكر ومستحضـر أن عين الله ترقبه، وأنه لا ينطق بكلمة إلا ويســمعها الســميع، ولا يفعل عملاً إلا ويراه البصير، ولا يضمر شيئاً في نفسه إلا ويطلع عليه العلي القدير.

إذا وصل الإنسان إلى هذا المقام سهَّل الله له كل أمور دنياه، وحصل على أعلى المنازل وأكبر الدرجات في أُخراه ببركة تقوى الله سبحانه وتعالى، ولذلك اختصـرها الله وقال لنا: ﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١٧٥آل عمران).

مراقبة الله

ما الذي ضـــيع كثير من الناس في زماننا؟ غرَّهم امهال الله ســـبحانه وتعالى، فنسـوا أنه يراهم، وأنه يسـمعهم، وأنه يرى ما في صـدورهم، وأنه سـيحاسـبهم على القليل والكثير ... فمشـوا على أهواءهم، مع أن الله حذَّر أهل هذا المقام تحذيراً شـديداً: ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ (١٨٣الأعراف) وحضرة النبي وضح وبيَّن لنا ذلك فقال:

{ إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْه }[٤١٥]

٤١٥ البخاري ومسلم عن عبد الله بن قيس رضي الله عنه

لكن أحوال المؤمنين الصادقين الذين يريدون في الدنيا تيسير الأمور، ويريدون في الآخرة الدرجات العالية في جوار الحبيب ﷺ، فهذا باستمرار يحس بداخله، ويشعر بقلبه وفؤاده أن الله ﷻ لا تخفى عليه خافية من أمره، ظاهرةً أو باطنةً، فهل هذا سيعامل الناس أم رب الناس؟! سيعامل رب الناس، وهذا هو المطلوب، أن الإنسان يعامل رب الناس.

بالله عليكم! لو أننا في مجتمعنا وصلنا إلى هذا الحال فهل سيكون بيننا مشاكل أو خلافات أو سرقات أو غش أو خداع أو خيانة أو شيء من ذلك؟!! لا، لكن هذا يحدث لأن الناس: ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ ﴾ (١٩الحشر).

نسي مراقبة الله، فتهيأ له أنه يمشي على هواه، وأنه لا يراه إلا مَن حوله من خلق الله، فتضحك عليه نفسه فيغش هذا، ويخدع هذا، ويكذب على هذا، ويظلم هذا، ويُزور ليأخذ حقاً ليس له من هذا .. لأنه ليس عنده مراقبة للرقيب تمنعه من ذلك.

ولا يوجد حل للمجتمعات البشرية كلها يحل هذه المشاكل إلا هذا الحل؛ مراقبة الله، سنضع قوانين وسنشدد فيها، وسنشدد في العقوبات، لكنهم يهربون منها ويُزورون، لكن ما الذي يمنع؟ مراقبة الله تبارك وتعالى، وهذه جاء لنا بها الله لإصلاح المجتمعات والأفراد والجماعات في الدنيا.

بركات الله

إذا الإنسان مشي في الدنيا يراقب الله ويخشاه، ويعلم أن الله يطلع عليه ويراه، قد يأتيه بعض الظلمة ويقولون له: كيف ستعيش كذلك؟!! إن لم تكذب وتغش وتتعامل بالفهلوة فإن الناس ستأكلك!! ولن تعرف أن تعيش!، لكن الله لم يقل ذلك، بل قال:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ (٢الطلاق):

كل ضيق يضعه وراء ظهرك، وكل شدة يجعل لها مخرج، وكل هم يجعل له مخرج .. وكيف سيعيش؟ ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٣الطلاق).

هناك باب عام للأرزاق جعله الله للناس أجمعين، فجعل الأرض وجعل البحر، فالذي يزرع الأرض ستعطيه، ولا تسأله هل أنت مؤمن أم كافر؟!! لأنه لا شأن لها بذلك، والذي ينزل البحر سيأخذ، فهذا مخرج للكل.

لكنه جعل للمؤمنين باب مخصوص يرزقهم فيه بغير حساب، كيف؟ وأين هذا الباب؟ وكيف آخذ منه؟ الأرزاق التي قدَّرها الرزاق كما هي، لكن تنزل عليها البركة من الكريم الخلاق، وهذا باب المؤمنين، فعندما تنزل البركة فإن القليل يصبح كثير، والصغير يصبح كبير، ويقي الله صاحب هذا الرزق من كل مرض وداء خطير، ومن كل ما يخشى عليه من السوء في هذه الحياة الدنيا، لأن الله ﷻ وعده أن يرزقه بغير حساب.

وهذا الباب الذي كشفه ووضحه سيدنا رسول الله ﷺ لأصحابه الكرام، فكانوا يعيشــون في هذه البركة، وهناك مئات بل آلاف الأمثلة في هذا الباب وردت عنهم في كُتب السُنَّة، وكتب السيرة التي ذكرت سيرة أصحاب حضرة النبي ﷺ، فكانوا كلهم يعيشون في هذه البركة.

هذه البركة تنزل نتيجة التقوى، وهل هذه البركة انتهت؟ لا، لأن الله قال لنا كلنا: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٩٦الأعراف) لم يقل (لفتحنا عليهم خيرات) ولكن ﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ ﴾.

مثلاً: رجل معه أولاد كثير، ومحصول القمح لم يأت له إلا بعشرة أرادب مثلاً، فيقول: هذا المحصــول لن يكفي إلا عدة شــهور، لكن إذا مسَّــتهم بركة الكريم الحنان المنان سيكفي السَنة، وبعد السَنة تجدهم كما هم لم ينقص منهم شيء أبداً، قال ﷺ:

{ طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ }[416]

---

٤١٦ صحيح مسلم والترمذي عن جابر ﷺ

ولن نذهب بعيداً، فقد رأينا كلنا - والحمد لله - هذه البركة مع آبائنا رحمة الله عليهم أجمعين، لأنهم كانوا يتحرون المطعم الحلال، وفي نفس الوقت كانوا يخافون من الحرام، فكانت النتيجة أنهم عاشوا في البركة على الدوام.

فماذا حدث في هذا الزمان؟!

الخير كثير من غير حساب، والأرزاق وفيرة، ولكن الكل يشتكي!، فلا الذي يأخذ خمسة آلاف جنيه يكفوه، ولا الذي يأخذ عشرة آلاف يكفوه، ولا الذي عنده مائة فدان يكفوه!! ما السبب؟! لأننا لم نمش على المنهج الذي اختاره لنا الله، ومشى عليه حضرة النبي وصحابته المباركين رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

فحل كل مشاكل المجتمع الاقتصادية في تقوى رب البرية، وننفذ ما طلبه منا من الأحكام الشرعية، وبعدها سيبارك لنا في كل شيء لنا أو حولنا.

حضرة النبي ﷺ جاء له ضيف، وهذا الضيف لم يكن قد دخل في الإسلام، وسيدنا رسول الله كان الطعام الذي يقدمه للضيوف أشياء بسيطة قد لا تملأ العين، فجاء له بطبق كبير فيه بعض الفتة، فقال الرجل: أنا أتغذى على سبعة من هذه!! فلما أسلم لم يستطع أن ينتهي من واحدة، فقال ﷺ:

{ الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ }[417]

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه:

---

417 صحيح مسلم ومسند أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

{ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَافَهُ ضَيْفٌ كَافِرٌ، فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَاةٍ فَحُلِبَتْ فَشَرِبَ، ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَهُ، ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَهُ حَتَّى شَرِبَ حِلابَ سَبْعِ شِيَاهٍ، ثُمَّ أَصْبَحَ مِنَ الْغَدِ فَأَسْلَمَ، فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَاةٍ فَحُلِبَتْ فَشَرِبَ حِلابَهَا، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِأُخْرَى فَلَمْ يَسْتَتِمَّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " الْمُؤْمِنُ يَشْرَبُ فِي مَعْيٍ وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَشْرَبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ }[418]

انظر إلى الفارق بين الاثنين، فلا يحتاج المؤمن إلى تكميم معدة ولا غير ذلك حتى لا يأكل، ولذلك أعجب الآن عندما أجد عدد كبير من المســـلمين يذهبون لعمل عملية تكميم للمعدة حتى لا يأكل كثيراً!!.

لكن يا أخي بدلاً من ذلك عليك بهدي البشير النذير ﷺ، وسيكفيك العملية والبنج وتكاليف الطبيب، وســـتعيش في صـــحة وعافية وحياة طيبة، لأن الله قال ذلك: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ (٩٧النحل)

418 البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

حياة طيبة يعني لا يمد يده لأحد، ولا يكون عليه دَين لأحد، ولا عليه وصل أمانة ولا شيك لأحد، ولكن يعيش في ستر الله جل في علاه ... حتى أن الذين من حوله يتعجبون كيف يعيش هذا؟! ويقولون: نحن نأخذ كذا وكذا ولا يكفينا، وهو يأخذ كذا ويكفيه!! لكن هؤلاء لم ينتبهوا أن عناية الله ورعاية الله نزَّلت عليه البركة من الله تبارك وتعالى فجعلته يستغني عن جميع خلق الله، فهذه تقوى الله سبحانه وتعالى.

الإيمان بالرسول

ما الأمر الثاني الذي نمشي عليه؟ نحن مؤمنون، والإيمان يكون بالله والرسول، فلا بد من الاثنين مع بعضهما، لكن الله يقول لنا: ﴿ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ ﴾ ما الإيمان بالرسول؟ نؤمن إيماناً يقينياً أن ما جاءنا به هو الفلاح والنجاح فنتبعه في كل صغيرة وكبيرة.

ولا نحاول أن نتفلسف ونفسر هذه بعقلنا، ونفصص في حكم شرعي بفكرنا، ونقول كما يقول البعض: إن أيام حضرة النبي وأيام الصحابة أيام خاصة، وهل نحن محرومون منها؟! أبدا والله، فهناك أناس في هذا الزمان - وأعرفهم معرفة جيدة - يعيشون في نفس البركة التي كان فيها أصحاب النبي العدنان، وهم كثير:

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ۝٤٠ ﴾ (الواقعة) يعيشون في نور القرآن، وفي تقوى الرحمن، وفي البركة التي كان يعيش فيها أصحاب النبي العدنان ﷺ.

عندما يمشي الإنسان على هدي الله، ويتابع رسول الله، ويضع أمام عينيه قول الله:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ (٧الحشر) ويمشي على هذا المنوال، فيعطيه الله عطاءات أشار إلى بعضها في الآيات المباركات.

عطاء الصادقين

١. رحمة الله

فالذي يراقب الله، والذي يتابع في العمل سيدنا رسول الله ما عطاءاته؟

﴿ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ ﴾ :

كفلين يعني نصيبين، نصيب في الدنيا ونصيب في الآخرة، فيكون معه نصيب من رحمة الله في الحياة الدنيا، والذي معه نصيب من رحمة الله في الحياة الدنيا فلا يتعذر عليه شيء، ولن يشعر في يوم من الأيام بضيق ولا تعب ولا عناء، لأن رحمة الله سبحانه وتعالى تتولاه في كل الأنحاء وفي كل الأرجاء.

نحن كلنا نرى نصيب من رحمة الله سبحانه وتعالى معنا في صيام شهر الله؛ شهر رمضان، فرمضان عندما يأتي في شهور الصيف يكون الجو شديد الحرارة، وقد تصل عدد ساعات الصيام إلى سبع عشرة ساعة، لكن لا نحس بتعب ولا عطش ولا شيء من ذلك!! لماذا؟ لأن رحمة الله يسَّرت له ذلك الأمر بفضل وإكرام الله تبارك وتعالى.

فقد يعطيه الله عدد كبير من الأولاد ويكون معه رحمة الله، فيربيهم، ويكبروا، ويتزوجوا، ويكون كل واحد منهم ملء السمع والبصر، فلم يحس ولم يشعر ولم يتعب!! لأن معه رحمة الله وعناية الله تبارك وتعالى ... كلما يعزم على أي طاعة يجد معونة من الله سبحانه وتعالى تأتيه فتعينه على أداء هذه الطاعة، لأنه هل فينا أحد يستطيع أن يعمل أي طاعة بدون معونة من الله؟!! لا يستطيع أحد، فهو الذي علَّمنا وأمرنا أن نقول في كل ركعة:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٥الفاتحة).

لو أخذ منا المعونة طرفة عين هل يستطيع أحد منا أن يعمل أي عبادة لله سبحانه وتعالى؟!! أبداً، سيشعر بضيق صدر، ويشعر بتعب وملل، ولن يستطيع أن يكمل هذه العبادة!.

ما الذي يشـرح الصـدر للطاعة ويهون العبادة؟ رحمة الله سـبحانه وتعالى التي ينزلها علينا الله في حياتنا الدنيا.

وجعل لنا في الآخرة من رحمته سبحانه وتعالى ما لا يستطيع أحد وصفه، سيدنا رسول الله ﷺ تكلم عن توزيع الرحمة الإلهية فقال:

{ جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَتَرَاحَمُ الْخَلائِقُ حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ }[٤١٩]

كل المخلوقات تعيش في رحمة واحدة، بها ترحم الأم وليدها، وحتى الدواب تبحث عن صـغارهم وتحميهم، وكل ذلك في رحمة واحدة، وادَّخر التسـعة والتسـعين للدار الآخرة.

٤١٩ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

حتى أن الرحمة الواسـعة في الآخرة من كثرتها وعمومها قال في شـأنها النبي ﷺ:

{ إِنَّهُ لَيَرْحَمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَحْمَةً حَتَّى يَتَطَاوَلَ لَهَا إِبْلِيسُ رَجَاءَ أَنْ يُصِيبَهُ }[٤٢٠]

عندما يرى إبليس كثرة رحمة الله يتعرض، فربما تصيبه ويُنقَذ من العذاب الذي قدَّره له الله في جهنم والعياذ بالله تبارك وتعالى.

هذه رحمة الله سبحانه وتعالى:

﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ :

وهما سر تهوين الصعاب، وسر ترقيق القلوب، وسر تليين الأجسام عند التعب والعناء والمشاق .. كل ذلك من نصيبك من رحمة الله تبارك وتعالى.

---

٤٢٠ الأربعين في فضل الرحمة والراحمين لابن طولون الصالحي عن أبي هريرة رضي الله عنه

٢.نور الله

العطاء الثاني: ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾ يضـــع في قلبك نور تمشـــي به وأنت في الدنيا، ليس كنور الشـــمس أو القمر أو نور المصـــابيح، فهذه الأنوار تنير ظلمات الأكوان، ولكن هناك ظلمات أشـــد من ظلمات الأكوان، ما الذي يكشـــفها؟ لا يكشفها إلا نور الإيمان، فيمن الله عليه ويُقوي في قلبه نور الإيمان، وعندما يقوى نور الإيمان يمشي في الدنيا كما قال النبي ﷺ:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ }[٤٢١]

كلما يُعرض عليه أمر يُســـلط عليه نور الإيمان فيعرف الطيب من الخبيث، والحسن من السيء، والضلال من الهدى، والمكر والخداع من النية الطيبة ... يكشف لـه الله أموره كلهـا، فيمشـــي على نور من الله، ويدخل في قول الله: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ (١٢٢الأنعام) يمشـــي بهذا النور بين الناس كالصحابة الكرام، وكالأولياء والصالحين أجمعين.

٤٢١ جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري ﷺ

سيدنا أبو بكر ﷺ وأرضاه لم يكن عنده بنات غير السيدة عائشة زوجة النبي ﷺ، والسيدة أسماء وكانت متزوجة من الزبير بن العوام، والسيدة عائشة لأنها لم تُنجب ولم يكن لها أحد يرعاها كتب لها سيدنا أبو بكر حديقة خاصة بها، وعندما أحسَّ أنه سيلقى الله سبحانه وتعالى دعاها وطلب منها أن ترد الحديقة مرة أخرى لتوزَّع على الورثة، وقال لها: إنما هما أخواك وأختاك، قالت: يا أبت ليس لي إلا أخت واحدة، فقال لها: زوجتي حامل وأظن أن ما في بطنها أنثى!!.

هل هذا الرجل معه سونار؟! معه أقوى من السونار، لأن معه نور الواحد القهار سبحانه وتعالى، وبعد ستة شهور من انتقاله للرفيق الأعلى ولدت زوجته بنتاً.

سيدنا عمر ﷺ كان واقفاً على المنبر، وأثناء الخطبة قطع الخطبة وقال: (يا سارية الجبل) فتعجب الناس وقالوا: بيننا وبين سارية أربعة آلاف كيلو!! لماذا قال ذلك؟!! وسيدنا عمر كان له هيبة فلم يكلموه، فذهبوا إلى سيدنا علي وقالوا له: ما رأيك فيما حدث من عمر؟ قال: نسأله فهو أعلم بمخرجه، حتى لا يخوض أحد في ذلك، فسألوه عن ذلك، فقال: وأنا على المنبر رأيت سارية وجيشه في القتال وخلفهم جبل، وهناك فرقة من العدو جاءت من وراء هذا الجبل لتهاجمهم من الخلف، فناديت عليه!!.

فأرادوا أن يتثبتوا، فسجلوا التاريخ، وقالوا عندما يأتي بشير النصر نسأله، فلما سمعوا بقدوم البشير وقبل دخوله المدينة خرجوا ليقابلوه قبل أن يلاقي عمر، فسألوه عن الذي حدث؟ فقال: نصرنا الله، فقالوا: في أي ساعة؟ قال: في ساعة الجمعة وحددها لهم، وقال: حدث شيء غريب، فقد سمعنا صوتاً يشبه صوت عمر يقول (يا سارية الجبل) وكان هذا سبب نصرنا في هذه المعركة لأننا وجدنا العدو خلفنا!!، فعلموا أن عمر بن الخطاب ينظر بنور الله.

انظر إلى حدود البصر!! وانظر إلى الصوت كيف وصل إليهم بدون هاتف أو غيره!! لكن هذا لأن الله قال:

﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾.

بعض المسلمين في زمننا هذا لا يريد أن يرتقي ليكون معه النور الذي سيستلمه من خالقه وباريه، فيُصيب مرة، ويُخطيء مرات.

لكن الإنسان لو اتقى الله ومشى على هدي حبيب الله ومصطفاه حتى يأخذ هذا النور من الله سيمشي في الدنيا كما ينبغي، لأن طريقه سيكون منيراً على الدوام، فإذا أراد أحد أن يضحك عليه تظهر له في وجهه علامات تدل عليه: ﴿ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾ (٣٠محمد) وإذا أراد أحد أن يخدعه في الكلام يظهر له بالنور أنه يخدعه: ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾ (٣٠محمد).

قد يقول البعض هذا لرسول الله؟! لكن هناك رجال قال فيهم الله:

﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ ﴾ (٤٦الأعراف) يرون بنور الله الذي أعطاه لهم الله سبحانه وتعالى.

ذهب رجل ليقابل سيدنا عثمان وكان خليفة المسلمين، وهو في طريقه لسيدنا عثمان كانت هناك امرأة تمشي أمامه فكشفت الرياح ساقها، فنظر إليها نظرة بشهوة، فدخل على سيدنا عثمان، فقال له سيدنا عثمان: أما يستحي أحدكم أن يدخل عليَّ وفي عينيه أثر الزنا!! لأن النبي ﷺ قال:

{ فَالْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ، وَزِنَاهُمَا النَّظَرُ } [٤٢٢]

قال الرجل: أَوَحي بعد رسول الله يا أمير المؤمنين؟! قال: لا، ولكنها فراسة المؤمن، اما سمعت قول النبي:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ } [٤٢٣]

المؤمن الذي يعيش في الدنيا ومعه مقام الفراسة فيا هناه، لأن الله ينير له كل أموره في هذه الحياة: ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾ والحكايات في هذا المجال كثيرة، ونكتفي بما ذكرناه من أكابر الصحابة رضوان الله تبارك وتعالى عليهم، وكانوا كلهم على هذه الشاكلة، والصالحين والأولياء كلهم على هذا النهج.

---

٤٢٢ مسند أحمد والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ
٤٢٣ جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري ﷺ

٣. مغفرة الله

العطاء الثالث: ﴿ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨ ﴾ ما أغلى شيء يعطيه الله للإنسان في الدنيا والآخرة؟ المغفرة، السيدة عائشة قالت: يا رسول الله أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ:

{ قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي }[٤٢٤]

لأن الله ﷻ لو غفر لي الذنوب، سيثبتني عند سؤال الملكين، ويجعل القبر روضة من رياض الجنة، ولن أتعرض لسؤال، ولا حساب، ولا تطاير الصحف، ولا مشي على الصراط، ولا غير ذلك مما نسمع عنه في الآخرة، ولكن يقوم الإنسان من قبوره إلى قصوره في الجنة، لأنه ليس عليه شيء.

مَن الذي يدخل أرض الموقف؟ الذي عليه شيء يُحاسب عليه، لكن الذي ليس عليه قضية هل سيذهب إلى المحكمة؟!! هل سيوضع في الحجز؟!! لا، لأنه ليس عليه قضية، وكذلك الذي ليس عليه قضية في المحكمة الأخروية، لأن الله حفظ القضايا.

---

٤٢٤ جامع الترمذي وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها

فالمغفرة معناها أنه حفظ كل القضــايا، فلا تُعرض في يوم العرض والحســاب، فيخرج من القبور إلى القصور: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ۝١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ (الأنبياء) الحسيس هو صوت نار جهنم، وورد أن حسيسها يُسمع من مسيرة خمسمائة عام!!، لكنه لا يسمع هذا الحسيس، وأين سيكون؟ ﴿ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴾ (١٠٢الأنبياء) يعني في الجنة.

والخــائفين والمرعوبين طمــأنهم فقــال: ﴿ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾ (١٠٣الأنبياء) تســـتقبلهم كتـائـب الجنـة والحرس الإلهي للجنة .. فلا شأن لهم بشيء من ذلك لأن الله غفر لهم، ولذلك المؤمن دائماً لا يترك الاستغفار والتوبة إلى حضـرة الغفار في ليل ولا نهار، لأني لا أعرف ذنوبي التي عملتها، فقد أكون عملت ذنباً وأنا لا أدري وتم إثباته عليَّ، لذلك أداوم على الاستغفار لله سبحانه وتعالى، ولو داوم الإنسـان على الاستغفار فإن كل الغلاء والوباء والمشـاكل التي تحدث في الدنيا سيعافيه الله منها: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ (٣٣الأنفال)

ماداموا يستغفروا فليس لهم نصيب من عذاب الدنيا، كالهم والغم والبلاء والغلاء وغير ذلك، قال ﷺ:

{ إِنَّ لِلَّهِ ﷻ عِبَادًا يُحْيِيهِمْ فِي عَافِيَةٍ، وَيُمِيتُهُمْ فِي عَافِيَةٍ، ويَبْعَثُهُمْ فِي عَافِيَةٍ، وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ فِي عَافِيَةٍ }[425]

وقال في حديث آخر:

{ طُوبَى لِلْمُخْلِصِينَ، أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الدُّجَى تَتَجَلَّى عَنْهُمْ كُلُّ فِتْنَةٍ ظَلْمَاءَ }[426]

هؤلاء المتقين تمر بهم الفتن كقطع الليل المظلم وهم منها في عافية، يعيشون في عافية، ويموتون في عافية، ويبعثون في عافية، وليس لهم شأن بكل ما يحدث لأن الله تولاهم ورعاهم بسبب دوام الاستغفار لحضرة الكريم الغفار سبحانه وتعالى.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يغفر لنا ذنوبنا ما قدمنا منها وما أخرنا، ما أسررنا منها وما أعلنا، ما أظهرنا منها وما أبطنا، وأن يجعلنا من عباده التوابين المتطهرين، وأن يتولانا بولايته، ويرعانا برعايته، ويديم علينا ستره وغطاءه في الدنيا، ويفتح لنا كل كنوز فضله وخيره وبره وعطاءه في الآخرة، ويجعلنا في صحبة النبي الحبيب وأصحابه الكرام؛ نحن وأولادنا وبناتنا وزوجاتنا وأحفادنا أجمعين

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

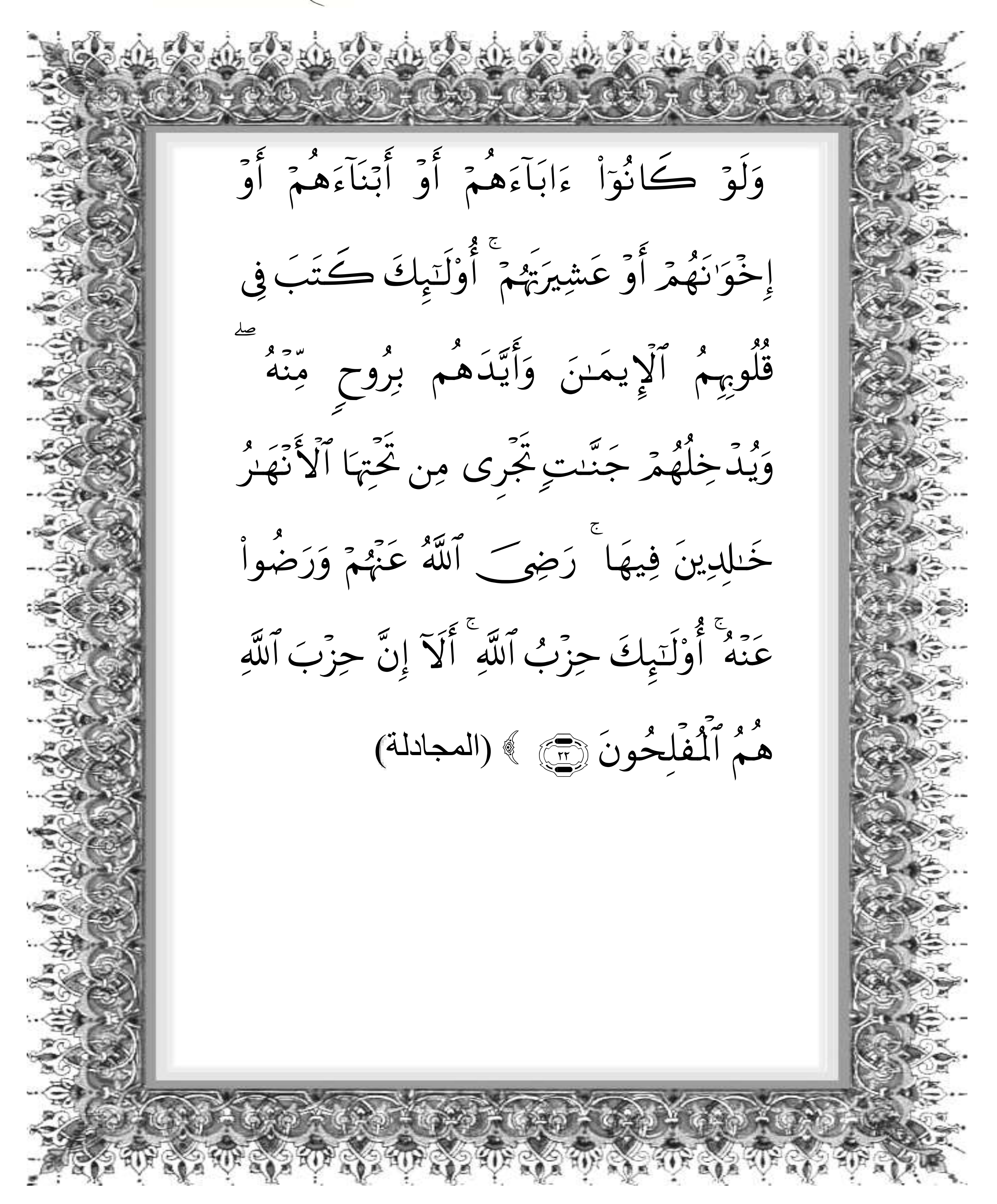
---

[425] معجم الطبراني عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ
[426] شعب الإيمان للبيهقي عن ثوبان ﷺ



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ۝٢٠ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ۝٢١ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ



وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ (المجادلة)

٢٥.حزب الله المفلحون [٢٧]

بِسْــمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الوهاب الرزاق الكريم، والشُــكر لله الفتاح العليم، والصلاة والسلام على سيد رسل الله وأنبيائه، وخاتم أنبياء الله وأصفيائه، سيدنا محمد وآله وصحبه وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

اليقين في نصر الله للمؤمنين

أهل الإسلام وأهل الإيمان يُحَارَبون في كل زمان ومكان..

فالكافرون والمشركةو لا يستريحون إلا بجلب الأذى للمسلمين ...

وأحياناً بعض المؤمنين الذين يكون في إيمانهم ضعف يشُك في نصر الله لعباده المؤمنين، وفي إذلال الله ســبحانه وتعالى إن آجلاً أو عاجلاً لهؤلاء الكافرين، ولذلك قرر الحق هذه الحقيقة في أكثر من موضــع من كتاب الله حتى نتيقَّن أن الله ينصــر رسله والذين آمنوا:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ (٥١غافر).

---

٢٧ المنيا – سمالوط – العكايشة ٢٦ من رجب ١٤٣٩هـ ٢٠١٨/٤/١٣م

لو قال (إنا لننصر رسلنا) فقط، سنقول أن النصر خاص بالمرسلين، لكن الله شمل معهم المؤمنين في كل زمان ومكان، ولكي لا يحدث لبسٌ عند بعض القوم، ويظن أن النصر هو النجاة والفلاح في الدار الآخرة فقط، قال الله: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴾ (٥١غافر).

فكل مؤمن يُوقن في كلام الله جل في عُلاه ..

مهما كان حال المسلمين من الضعف، ومهما كان المسلمون مفرقين أو مبعثرين، ولا بد أن تعلم علم اليقين أن الله سيُغير ذلك في طرفة عين أو أقل ليكون في النهاية النصر للمسلمين على الكافرين والمشركين في أي زمان ومكان.

وعد الله بإذلال الذين يحاربون المسلمين

وتعلم علم اليقين قول الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ يعني الذين يحاربون الله ورسوله، هؤلاء لا بد أن يكون مصيرهم في النهاية: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴾

وهذه الآيات جاءت مع الواقع الذي نراه، فالكافرين الآن متعالين لأن معهم بعض الأسلحة، والله ﷻ أملَى لهم، وغرَّهم بالخيرات التي ملأ بها بلادهم، وألهمهم بالمخترعات الجهنمية التي ستكون في النهاية وبالاً ونكالاً عليهم: ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢الحشر) ففي النهاية سيكونون كلهم: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴾ لا بد وأن يُذلهم ربنا تبارك وتعالى.

لم يظهر عُتاة في التاريخ كالمغول، فقد اجتاحوا العالم كله، من الذي أوقفهم عند حدودهم؟ المسلمون أهل مصر، وليس هذا فحسب، فدائماً الغالب حضارته تُسيطر على المغلوب، لكن سبحان الله!! انقلبوا كلهم مسلمين يدافعون عن دين الإسلام.

كل الجمهوريات الروسية التي في الجنوب مثل تركمنستان وأوزبكستان وأفغانستان .. هذه كلها مواطن المغول، ولكنها أصبحت بلاداً إسلامية، وهذا شيء يتعجَّب له علماء التاريخ، لأنه ظاهرة غير عادية.

فدائماً المغلوب يُقلد الغالب، لكن كيف لمغلوب أن يأسر الغالب ويحوِّله عن دينه ويجعله يدخل في دين الإسلام؟! هذا لنعرف أن دين الله سبحانه وتعالى يعلُوا ولا يُعلى عليه.

أوروبا كلها قامت وجمعت جيوشـــاً لا عدَّ لها ولا حدَّ لها، وكلما يأتي جيش وينكسر يرسلوا غيره، فكل أُوروبا كانت موحدَّة ضد المسلمين، وجاءت في الحملات الصـليبية، وفي النهاية أيضـاً نصـرنا الله عليهم وتحول معظم من جاء عندنا هنا إلى الديانة الإسلامية، حتى أنهم أوقفوا الحرب خوفاً من دخول آخرين إلى الإسلام.

والتاريخ الآن يُعيد نفســه، فقد تجمعت الآن أمريكا وأوروبا، وهمهم كله أن لا تكون هناك قائمة للمســلمين، ويأتون بأســباب واهية، العراق فيه ذرَّة، ولم يكن عنده ذرَّة ولا شــيء، ولكن ليضــربوه، ويقولون: ســوريا فيها كيماوي، ولا يوجد كيماوي، وليس معهم دليل، لكنهم يريدون تدمير القوات الباقية في ســوريا التي انتصــرت على اليهود في حرب ١٩٧٣، وبعد ذلك يتحولوا على مصر.

الغلبة لله ولرسوله وللمؤمنين

لكن كمـا قـال الله: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ﴾ كتــب الله ﷻ في لوحــه المحفوظ، وفي قدره الأزلي أنه لا بد أن تكون الغلبة للأنبياء والمرســلين والمؤمنين التابعين لهؤلاء النبيين:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ قويٌّ لا يقف أمام قوته أحد، لأن الأسـلحة الإلهية لا يوجد في الأسلحة البشرية من يستطيع مقاومتها أو مواجهتها، فلو سلَّط عليهم كما سلط على الأحزاب في عصر النبي الريح، من الذي يقاومها؟!! ولو سلَّط عليهم الأعاصير في البحر، من الذي يدفعها؟!! ولو سلَّط عليهم الزلازل والبراكين، من الذي يمنعها؟!! لو أنزل في قلوبهم الرعب، وكان معهم أعتى الأســـلحة وأقوى المعدات، فلن يقدروا أن يستعملوا المعدات ولا الآلات!!.

أسلحة إلهية لا عد لها ولا حد لها، وإياك أن تغتَّر يا أخي المسلم عندما تسمع أن عندهم أسلحة ذرية أو هيدروجينية أو أسلحة ذكية .. كل هذا لن يصل إلى قوة سلاح واحدٍ من الأسلحة الربانية الإلهية.

والله ســـبحانه وتعالى يُعطينا الأدلة، فقد مات في الأعاصـــير التي هبَّت على أمريكا أكثر ممن مات في حرب سوريا والعراق، ماذا فعلت أمريكا بقوتها وبأسلحتها ومعداتها مع هذه الأعاصير؟!! لا شئ، لأنها أسلحة إلهية يُسلِّطها الله سبحانه وتعالى على من يشاء،

ولا يستطيع أحدٌ مهما أُوتي من قوة دفعها ولا منعها، وهذه دائماً الأسلحة التي يُعين الله بها المؤمنين، ولكن متى؟ عندما يُقوُّوا صلاتهم برب العالمين، ويستغيثوا بصدق ويقين من الله سبحانه وتعالى، فتأتي الإغاثة التي لا يستطيع أحدٌ ردَّها ولا صدَّها: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ (٩الأنفال) وفي الآية الثانية: ﴿ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ (١٢٤آل عمران).

المهم أن الإنسان يصل حبله بمولاه، ويُقويّ صلته بحضرة الله، حتى إذا سأل ربه تبارك وتعالى يُلبيه ويُغيثه في الوقت والحال سبحانه وتعالى لأنه ﴿ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

والعزيز يعني الذي لا يستطيع أحدٌ مسَّه، ولا يستطيع أحدٌ الاقتراب من مقام هيبته، ولا يستطيع أحدٌ أن يُنزل به ضُرٌّ أو بأسٌ، فالله سبحانه وتعالى هو العزيز.

وهذه العزة أعطاها لنا، العزّة كما قال في القرآن: ﴿ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (١٣٩النساء) كلها لله، ولكن من فضله ومن كرمه مَن يتصل بالعزيز يكون عزيزاً: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨المنافقون) فيُعزُّ الرسول، ويُعزُّ المؤمنين إذا اعتصموا به واتصلوا به قلبياً في كل وقتٍ وحين.

نصرة الله لرسوله ﷺ

سيدنا رسول الله ﷺ نصره الله بهذه الأسلحة، لكي نعرف ونتيقَّن من امداد الله لرُسله وأنبيائه وأتباعهم، فالعرب كلهم جندُّوا جيوشهم وأحاطوا بالمدينة في غزوة الأحزاب، أو غزوة الخندق، كل الأحزاب تجمعوا وقالوا حتى ننتهي من المسلمين، واتفقوا مع اليهود الباقين داخل المدينة أن يتخلوا عن المعاهدة التي عقدوها مع حضرة النبي ﷺ ويكونوا معهم.

فماذا حدث؟ مكثوا يومين، وأصحاب حضرة النبي ﷺ - لأنهم كثير - كان لكل جماعة منهم مسجد يصلون فيه مع بعضهم، فلا يجتمعون للصلاة ويتركون مواقعهم، وفي يوم الأربعاء صلَّى النبي العصر في مسجد سموه مسجد الفتح، لأن به جاء فتح الله سبحانه وتعالى، وبعد الصلاة قال:

{ اللَّهُمَّ مُنَزِّلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، مُجْرِيَ السَّحَابِ، اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ }[428]

٤٢٨ سنن النسائي والبخاري ومسلم عن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ

وفي هذه الليلة فوجئوا بريح شـــديدة جداً اقتلعت خيامهم، والخيل والجمال المربوطة فُكت حبالها وأخذت تجري، والنار التي أوقدوها ليَطهوا عليها الطعام انطفأت، فلم يعد أحدٌ منهم يرى من أمامه، حتى أنه رُوي أنهم أمسكوا بالسلاح وأخذوا يضـربون بعضــهم، لأن كل واحد منهم يظن أن الآخر مسـلم، وكذلك الآخر يظن أن الأول مسلم لأنه لا يراه.

وعند الصـــباح مشـــوا وتركوا المدينة بعد أن زلزلهم الله وهزمهم بهذه الريح الشديدة التي نزلت من عند الله سبحانه وتعالى.

وكذلك الروم، فقد كان ملك الروم يملك من أول تركيا حتى فلســطين، وكل هذه كانت مملكة تابعة للدولة الرومانية، وعاصمتهم كانت دمشق، فكوَّن جيشاً من أربعين ألف مقاتل، وأرسل لحضرة النبي يُهدده ويتوعده أنه سيرسل هذا الجيش ليُنهي عليه وعلى كل من معه.

فحضرة النبي ﷺ نادى في أصحابه وتجهَّز، وكان بين المدينة وبين المكان الذي كانوا فيه مسيرة شهر سفر، فبمجرد أن بدأ السفر من المدينة، وكان معه حوالي اثني عشـــر ألفاً، والروم بمجرد أن ســـمعوا أن النبي خرج إليهم حلُّوا خيامهم، وتركوا الميدان فارغاً، وكان هذا المكان في الأردن الآن في جنوب بلاد الشام، فقال ﷺ:

{ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ }[429]

الصاروخ الذي يُطلق قد يُصيب الهدف، وقد لا يصيبه، لكن صاروخ الرُعب الذي ينزل من عند ملك الملوك ينزل في قلب الكافر ولا يُخطئه: ﴿ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ (٢٦الأحزاب).

هذه الصواريخ نازلة من عند الله، وهل يوجد دولة من الدول الموجودة حالياً إن كانت روسيا أو أمريكا وغيرها تستطيع أن تصنع سلاح الرُعب هذا؟! من الذي يملكه؟ المؤمنين المتقين، إذا اتقوا الله وكان بينهم وبين الله صلةً مباشرة، فيُؤيدهم الله ﷻ بنصره، ويُنزل الرُعب في قلوب أعدائهم: ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ (١٢الأنفال) فيُثبتوهم ويُلقوا في نفوس الآخرين الرُعب.

سيدنا رسول الله ﷺ عندما أراد فتح مكة سنة ثمان هجرية، وأراد أن يفتحها بدون سفك دماء ولا حرب ولا قتال، لأنه رءوف رحيم!، وطلب من أصحابه عدم إبلاغ أحد أننا ذاهبين لمكة، وكان ﷺ إذا خرج إلى غزوة يورّي بغيرها، والحرب خُدعة، فذكر أنه ذاهب لخيبر، وليس مكة لأن الحرب خُدعة، ودعا الله فقال:

---

٤٢٩ البخاري ومسلم عن جابر ﷺ

{ اللَّهُمَّ خُذِ الْعُيُونَ وَالأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ حَتَّى نَبْغَتَهَا فِي بِلادِهَا }[430]

والعيون هم الجواسيس، يعني أعمى الجواسيس حتى لا يرانا أحدٌ من كتائب الاستطلاع ويعرف خط سيرنا.

واحد من أصحاب حضرة النبي ﷺ من أهل بدر، وأهل بدر لهم منزلةٌ كبيرة عند الله وعند رسول الله، وكان تاركاً عياله في مكة، فكتب رسالة، وأتى بجارية وأعطاها الرسالة، وقال لها: إن أوصلت هذه الرسالة لمكة فأنتي حُرة لوجه الله.

ماذا في هذه الرسالة؟ يُخبر أهل مكة أن حضرة النبي متوجه إليهم لغزوهم، وهذه نسميها خيانة عُظمى، لأنه يكشف سر النبي لأعداء النبي!!.

وبمجرد أن خرجت الجارية نزل سيدنا جبريل على سيدنا رسول الله ليخبره بذلك، فأمر النبي ﷺ عليٌّ بن أبي طالب والزبير بن العوام والمقداد ليلحقوا بها، فسألوه أين هي يا رسول الله؟ فنظر بنور الله وقال:

{ انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ }[431]

---

٤٣٠ تاريخ الطبري عن المسور بن مخرمة ﷺ

٤٣١ البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب ﷺ

مكان اســـمه روضـــة خاخ خارج المدينة، فأســـرعوا إلى هناك فوجدوا هذه الجارية، فقال لها الإمام علي: هات الرســالة التي معكِ، قالت: ليس معي شــيء، فقال لها سيدنا علي: والله ما كَذَبنا ولا كُذِّبنا، لأن الذي أخبرهم هو الصادق الأمين عن رب العالمين!!، قالت: ليس معي شـــيء، فقال لها: إما أن تُخرجي الرســـالة أو لنكشـــفنَّ سوءتك - يعني سنُعريك ونفتشك - فكشفت غطاء رأسها وكانت واضعة الرسالة في شعرها، ومضفرة شعرها عليها، حتى لا يعرفها أحد.

فأخذوا الرسـالة ورجعوا إلى حضـرة النبي ﷺ، فدعا الرجل الذي أرسـلها وكان اسمه سيدنا حاطب بن بلتعة ﷺ، فقال له:

{ مَا هَذَا يَا حَاطِبُ؟ قَالَ: لا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مِنْ قُرَيْشٍ وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِمَكَّةَ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَصْطَنِعَ إِلَيْهِمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي وَمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ كُفْرًا وَلا ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ، فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ،

فَقَالَ: إِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ ﷻ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ، قَالَ عَمْرٌو: وَنَزَلَتْ فِيهِ: " يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ " }[٤٣٢]

كان هذا الرجل من أهل بدر، وهؤلاء حفظهم الله، وقد أرسل الرسالة، ولكن الأمر قد كُشف فلماذا يُحاسب؟!!.

مودة المؤمنين

فنزل قول الله تعالى كما ورد في بعض الروايات: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ المؤمن يعقد القلب أن لا يودُّ إلا المؤمنين الصادقين، والمودة يعني الصلة المستمرة، وهذه ليس لها شأنٌ بالمعاملات الثانوية، يعني معي زميلي في العمل غير مسلم، فيجب أن أهنئه بفرح، أو أُعزيه في وفاة، فهذا شيء ثانوي.

---

٤٣٢ البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب ﷺ

لكن المودة أن أجالســه على الدوام، وأزوره ويزوروني على الدوام، ويكون بيننا وبين بعضنا علاقات مستمرة، فهذا بين المؤمنين.

أما العلاقات الثانوية فالإســلام لم يحرمها، لماذا؟ ليكون بيننا وبين أهل ذمتنا معاملة طيبة تُكسـبهم حُســن الأُحدوثة عن المســلمين، ويروا جمال أخلاق المؤمنين، وهذا السـبيل الوحيد الذي يدخلون به إلى دين الله سـبحانه وتعالى، لكن لو عاديته فهل يبحث عن الإسلام أو يبحث عن المسلمين؟! لا، بل سيعاديني!!.

إذاً يعقد المؤمن قلبـه أن لا يودُّ إلا المؤمنين الصـــــادقين كمـا قـال الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (١١٩التوبة) لكن لو أن أصدقائي مسلمين، وكلما جلســـتُ معهم يكون حديثنا في القيل والقال، أو الغيبة، أو النميمة، أو ســـيرة النـاس، وهذا الكلام الـذي لا يفيد، فنهـانـا الله عن ذلـك: ﴿ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٦٨الأنعام).

مجالس المؤمنين الصادقين

فأنت لو جلســت مع جماعة، وأطلتم ولم تذكروا الله ولو مرة، ولم تأتوا ولو بآية من كتاب الله في الحديث، ولم تأتوا ولو بحديث واحد عن رســـول الله، فإن حضـــرة النبي يقول في هؤلاء:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فَتَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ، إِلا كَأَنَّمَا تَفَرَّقُوا عَنْ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً }[433]

وفي رواية أخرى:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ ثُمَّ تَفَرَّقُوا مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ وَصَلاةٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلا قَامُوا عَنْ أَنْتَنِ مِنْ جِيفَةٍ }[434]

تخرج منهم رائحة نتنة حتى تبلغ عنان السـماء، فإذا جلسـنا معاً فلا بد أن يكون حديثنا عن كتاب الله، أو عن سيرة رسول الله، أو عن الصحابة البررة الكرام، أو عن أحكام شريعة الإسلام .. حديث طيب لكي نستفيد ونُعين بعض على طاعة الله ﷻ.

---

٤٣٣ مسند أحمد وأبي داود عن أبي هريرة ﷺ
٤٣٤ شعب الإيمان للبيهقي عن جابر بن عبد الله ﷺ

فإذا وجدتُ الحديث قد تغيَّر إلى الجوانب الأُخرى التي أشــرتُ إليها، وحاولتُ تغييرهم فلم أسـتطع؛ أسـتأذن بلطف وأدب وأتركهم، لماذا؟ ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٦٨الأنعام).

أصبح في مصر الناس كلهم تقريباً خبراء في السياسة، وخبراء في الاقتصاد، ونقاد رياضيين على درجة عالية، ونقاد فنيين للأفلام والمسلسلات، فكلما جلسوا مع بعضهم يتكلمون في هذه الأمور، وتحدث مهاترات، وتحدث منازعات ومجادلات!!.

لماذا هذا كله؟!! هل نحن عندنا وقت لهذا الكلام؟!! أعمارنا كم فيها لنضـيعها هنا وهناك؟!! أغلى شـيئ عندك أنفاسـك التي تتنفسـها، وكل نَفَس تضـيعه في غير طاعة الله تندم عليه وأنت خارج من هنا وتقول: ﴿ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ (٥٦الزمر) لماذا كنت أُضيّع العمر في الكلام الذي لا ينفع ولا يُفيد؟!!.

ماذا فيها لو أُحرك اللسان بذكر الله،والاستغفار؟!! ليس في ذلك تعب، ولا تحتاج إلى مقويات ولا إلى مال لتذكر الله وتستغفره!!، سيدنا عمر يقول: (لو نزلت صاعقةٌ من السماء، ما نزلت على مستغفر لله تبارك وتعالى) لأن الله قال ذلك: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٣٣الأنفال).

ماذا فيها لو أقرأ ما تيسَّــر من كتاب الله؟! فإذا لم أكن أحفظ، يكفيني قراءة أُم الكتاب، وأُعيد فيها وأُردِّد فيها، أو أسمع، والقارئ والسامع في الأجر شريكان، المهم أن المســلم لا يشــغل وقته إلا بما ينفعه في الدنيا، أو يرفعه في الدار الآخرة: ﴿ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ ﴾ (٣٩النساء) لكن نفوسنا تضحك علينا، ونُضيِّع الوقت في السهر والسمر والمقت والعياذ بالله تبارك وتعالى.

روح الإيمان

لكن المؤمن الذي يعقد العزم أن لا يجالس إلا الصــادقين، ولا يودُّ إلا المتقين، وليس له شــأنٌ بالآخرين، فماذا يكون له عند الله تبارك وتعالى؟ ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَـٰنَ ﴾ الله ﷻ يكتب بذاته الإيمان في قلبه، وما دام كتب الله الإيمان في قلبه فيُثبت إيمانه، وهو خارج من الدنيا يخرج على الإيمان، وعند ســؤال الملكين يثبت على الإيمــان: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ (٢٧إبراهيم).

وماذا أيضاً؟ ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ يجعل عنده روحانية وشفافية نورانية تدفعه إلى العمل الصالح وصالح العمل، فتجده يشتاق دوماً إلى القيام بين يدي الله في جُنح الظلام، ويحرص على صلاة الفجر في وقتها، ولو كان حتى مُتعباً وفاتته صلاة يحزن ويظل طوال يومه حزيناً لأنه فاتته صلاة الفجر في هذا اليوم، ويجد عنده رغبة شديدة في تلاوة كتاب الله، وشوق شديد إلى زيارة بيت الله.

هذه الروح التي تأتيه من عند الله تُعلي همته إلى الطاعات والنوافل والقربات، وتجعله يتنافس وينافس في ذلك في الحياة الدنيا ليكون من السعداء يوم الميقات في جوار حضرة النبي وصحبه المباركين ﷺ، ورضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

ضمان الجنة

وماذا أيضاً بعد ذلك؟ ﴿ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ يضمن دخول الجنة، لأن الجنة لا يدخل فيها أحدٌ بمفرده، عكس جهنَّم فكل واحد يدخل بمفرده: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (٩٤الأنعام) لكن الجنة: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ (٧٣الزمر) زُمراً يعني جماعات.

فكل جماعة كانوا مع بعضهم في الدنيا يكونون مع بعضهم في الجنة: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ (٨٥مريم) يعني جماعة، قد يكون أحدهم في الدنيا خدعه الشيطان مرة أو مرات وقصَّر بعض الشيء، فيأتون على باب الجنة، ويسأل أحدهم كما ورد في بعض الأثر: (أن العبد يؤمر به إلى الجنة فيقول: يا رب أين أخي فلان الذى كان يجلس معي في الدنيا؟ فيقول له الله: إنه لم يعمل بمثل عملك؟ فيقول: يا رب إني كنت أعمل لي وله، فيقول له الكريم ﷻ: خذ بيد أخيك وادخلا معاً الجنة)!!.

فدخول الجنة يكون جماعات، لنعرف أن الجماعة والحرص على الجماعة مطلوب، لنكون جماعة هنا، ونكون جماعة هناك، فنبحث عن بعضنا وكما يقولون: (الناجي يأخذ بيد أخيه) إذا لم يجد أخيه يبحث عنه حتى يكون معه، والله ﷻ يأذن له في ذلك، وقد قال ﷺ في هذا الباب:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَقُولُ فِي الْجَنَّةِ مَا فَعَلَ صَدِيقِي فُلانٌ؟ وَصَدِيقُهُ فِي الْجَحِيمِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَخْرِجُوا لَهُ صَدِيقَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ مَنْ بَقِيَ: " فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ " } قَالَ الْحَسَنُ: اسْتَكْثِرُوا مِنَ الأَصْدِقَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ لَهُمْ شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ[٤٣٥].

هؤلاء لو دخلوا الجنة لفترة معينة، كمائة سنة أو مائتين سنة فلن يطمئنوا، لكن الله يريد أن يطمئنهم، فقال: ﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ (٢٢المجادلة) لن يطردك أحد منها، فيكونون خالدين فيها أبداً.

مقام الرضا

والشــيء الأعظم من ذلك، والأعلى من ذلك، والأرفع من ذلك في المقام الرابع: ﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ ما هذا الهناء؟!!

[٤٣٥] معالم التنزيل تفسير البغوي عن جابر بن عبد الله ﷺ

يرزقهم الله مقام الرضا، ومن رضي عنه الله فيا هناه، والله لا يرضى إلا من رضي عن أحكام شرعه، وفعلها في الدنيا وهو فرحٌ ومستبشر، لا عن كراهة، ولا عن غضاضة، وإنما يفعلها بمحبة، وبمزيد إقبال على الواحد المتعال ﷻ.

ثم وضعهم الله في حزبه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِ ﴾ وحزب الله يعني المحبين لله، سيدخلون في المحبين لله سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾.

همة أصحاب النبي

ولذلك أصحاب حضرة النبي مشوا على هذا العهد، وهذه الآيات نزلت فيهم:

﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ ﴾

ففي غزوة أُحد سيدنا أبو عبيدة بن الجراح فوجئ بأبيه في صفوف الكفار، وممسكٌ بالسيف ويريد قتل المسلمين، فذهب بنفسه وقتل أباه حتى يعرف الله تبارك وتعالى والمؤمنين أنه ليس عنده هوادة لكافر لا يؤمن بالله تبارك وتعالى.

وكانوا في مثل هذه الأمور حريصـين على أمر، فلو أن مسـلماً قتل أحد من أهل أحدهم قد يظل بينهما غضـاضـة، فيحرص أن يقتله هو حتى يظلُّ منشرح الصدر مع إخوانه المسلمين!!، وانظر إلى نيتهم كيف كانت؟!! نيةٌ عظيمة وكريمة.

وفي غزوة بدر سـيدنا أبو بكر ﷺ وجد ابنه عبد الرحمن في صـفوف الكافرين فأراد أن يقتله، فاستأذن رسـول الله حتى يكون في الفوج الأول الذي يدخل الجنة، فلم يأذن له النبي ﷺ وقال له:

{ مَتِّعْنَا بِنَفْسِكَ }[436]

وفي غزوة أُحد سـيدنا مصـعب بن عمير ﷺ وجد شـقيقه من الأُم والأب في صـفوف الكافرين ويتعرض له، فعجله بضـربةٍ فقتله، ووجد أخاً له قد أسـره نفرٌ من الأنصار، وقد قيدوه، فقال: استوصوا به خيراً فإن أُمه غنية وستفديه بمالٍ كثير، فقال له: أهذه وصاتك بأخيك؟ قال: لستَ أخي فالإسلام فرَّق بيننا!!.

لأن الأُخوة عندنا: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١٠الحجرات) بعد أُخُوة الإيمان نطرح أُخوة الأبدان إلا إذا كانت الأبدان معها أُخُوة الإيمان، فيكون الأُخوين قد جمعا بين الحسنيين.

---

٤٣٦ الحاكم في المستدرك والبيهقي

سيدنا حمزة، وسيدنا علي بن أبي طالب، وسيدنا عبيدة بن الحارث، هؤلاء من عائلة النبي ﷺ، فخرج ثلاثة من فرسان الكفار يدعون للمبارزة، فخرج لهم ثلاثة من شباب الأنصار، وقالوا: نخرج لهم، فمنعهم النبي ﷺ، وأمر حمزة وعلي وعبيدة أن يخرجوا لهم، فقتلوهم، مع أنهم من عشيرتهم!! لكن إذا دخل الإيمان القلب، فقد أصبحت الرابطة القوية التي تربط بينهم وبين بعضهم هي رابطة القرآن، ورابطة النبي العدنان، ورابطة الإيمان، ورابطة حضرة الرحمن سبحانه وتعالى.

ولذلك كما ترون، فقد أتت الآية بهم على حسب ترتيبهم، حتى لا تترك أحداً منهم أبداً على هذه الشاكلة.

ولكن نحن هنا نحتاج إلى أن أُوصي بتنبيه: ففي زمننا هذا نجد بعض المتأسلمين يقومون بذبح إخوانهم المسلمين ويعُدهم كافرين!!، لكن الآخرين كانوا بالفعل كافرين، وأي إنسان يقول: (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) فقد أصبح مسلماً، ولا يجوز قتله.

مَن مات ولم يُصلي ولم يصُم، هل نكفنه ونغسله ونصلي عليه صلاة الجنازة وندفنه في مدافن المسلمين أم لا؟ يجب أن نغسله ونكفنه ونصلي عليه صلاة الجنازة وندفنه في مدافن المسلمين، والأمور التي لم يفعلها يحاسبه عليها الله، لكن مصيبة العصر أن كثير من الناس جعلوا أنفسهم محاسبين بالنيابة عن رب العالمين!!، ولا شأن لهم بذلك: ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ (٤٨الشورى).

مَن الذي يحاسب الكل؟ رب العزة تبارك وتعالى، فلا يجوز لمسلم أن يُكفِّر من نطق بـــ (لا إله إلا الله محمد رسول الله) حتى ولو أنكر الصلاة، آخذه بالرفق واللين وأحاول أن أستتيبه وأردُّه إلى صوابه ليدخل حظيرة الإسلام، ولا أُفرط فيه.

لكن هل أحكم عليه بذبحه لأنه كافر؟! كيف يكون كافر وقد نطق بالشهادتين؟!! ولذلك من ضمن الغرائب أن المستشارة الألمانية قالت: القاتل يقول: الله أكبر، والمقتول يقول: الله أكبر، فلا أعرف من منهما الذي على الصواب؟!!.

وقد رأيناهم يحرقون الرجل الطيار، وهو يردد: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله)!! ولا يحرِق بالنار إلا رب النار سبحانه وتعالى، كما أخبر رسول الله ﷺ:

{ إِنَّهُ لا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلا رَبُّ النَّارِ } [437]

فهل يجوز لمسلم أن يحرق مسلماً بالنار؟!! وهذه الأفكار هي التي شوَّهت صورة الإسلام بين الأنام، وجعلت الناس يظنون أن الإسلام هم هؤلاء القلة، وشنعوا علينا بما نسمعه كل وقت وحين، والإسلام بريء من ذلك.

سيدنا أُسامة بن زيد رضي الله عنه رفع السيف على رجل فقال الرجل: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) ولكنه قتله، فذهب من معه وحكوا لسيدنا رسول الله، فقال له رسول الله:

---

٤٣٧ سنن أبي داود ومسند أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

{ أَقَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَقَتَلْتَهُ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلاحِ، قَالَ: أَفَلا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لا؟!! } [438]

هل رأيت ما في قلبه؟!! سيدنا أُسامة يقول: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ!!.

مع أنه ربما أن الرجل قالها ليُنقذ رقبته من السيف، ولكن ما المانع؟!! خُذه وعلمه الإسلام، وأدخله في الإسلام، لكن هل يوجد من يقتل من يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله؟!! لا يوجد غير هؤلاء الذين قال لنا فيهم سيدنا رسول الله ﷺ:

{ يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلامِ، فَيَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، وَيَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلامِ } [439]

أحداث الأسنان يعني صغار في السن، وسفهاء الأحلام يعني عقولهم غير سليمة، هؤلاء يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان، وهذا ما يحدث الآن، وهذا ليس من دين الله في قليل ولا في كثير.

---

٤٣٨ صحيح مسلم وأبي داود عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما
٤٣٩ السنن الواردة في الفتن للداني عن علي بن ابي طالب ﷺ

وكما قلت: يجب أن ننتبه بأن المودة هنا لكل المسلمين، وكل المؤمنين، وأحاول أن أتجنب الغافلين الذين يقضـــون أوقاتهم في غفلة، وفي ســـخط لرب العالمين، فإذا استطعت أن أنبههم سيكون ذلك أحسن وأكرم إن شاء الله تبارك وتعالى.

نســأل الله ســبحانه وتعالى أن يجعلنا من أودَّائه وأحبابه، وأن يجمعنا دوماً على عباده الصـــادقين، وأن يدخلنا في زمرة حزبه المفلحين، وأن يجعلنا من أهل الأعمال النافعة والرافعة في الدنيا، ومن أهل السـعادة العُظمى يوم الدين، وأن يجعلنا من الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ (الحشر)

٢٦.الصادقون المفلحون[٤٤٠]

بســـم الله الرحمن الرحيم – الحمد لله على فيض جوده الكريم، وإقباله علينا في الصلاة لوجهه العظيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم الذي وصفه مولاه في كتاب الله بأنه بالمؤمنين رءوف رحيم، صـــلى الله عليه وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار، وكل من مشى على نهجهم إلى يوم القرار، وأدخلنا معهم واجعلنا في زمرتهم يا عزيز يا غفار .. آمين آمين يا رب العالمين.

أهمية العمل بما أمر به الرسول

الله ﷻ كريم في تعامله مع عباده المؤمنين، يريد أن يكون عباده المؤمنين في الدنيا في أرغد عيش، وأسعد حال، وأهنأ بال، ولذلك جاء لهم بالأشـفية القرآنية التي إذا مشوا عليها كانت حياتهم في الدنيا حياة طيبة تقية نقية.

---

[٤٤٠] المنيا – العدوة – البسقلون ٢٧ من رجب ١٤٣٩هـ ١٤/٤/٢٠١٨م

هذه الأدوية يشـملها جزء من آية في كتاب الله، لو عملنا بها جميعاً، أو عمل بها كل فرد منا، سـيكون في دنياه في حياة طيبة هانئة، وفي الآخرة من السـعداء بجوار سيد الرسل والأنبياء، ما هذه الآية؟ ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾

وهذه تقتضـي أن الإنسـان منا لا يُقدم على أي عمل إلا بعد ان يعلم علم اليقين أن هذا العمل عمله سـيد الأولين والآخرين، أو حضَّ وحثَّ عليه، فيسـارع إلى عمله، وإذا كان هذا العمل – ولو كان محبباً إلى النفس، وجالباً في زعم صـاحبه للخير الكثير، لكن - حذَّر منه ونبَّه على خطورته البشير النذير فيرجع عن هذا العمل.

وإذا كنت لا تعرف الأحكام الشـرعية والتعاليم الربانية كلها فقبل كل عمل: ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (٤٣النحل) والحقيقة أن الوضـع العجيب الغريب أن آبائنا وأجدادنا كانوا أميين، لكنهم كانوا بالسـليقة مسـتمسـكين بما يحبه رب العالمين، فلا يعمل أحد منهم شيء إلا قبل أن يسأل عالِم أولاً ليعرف أنها حلال أم حرام.

اتقاء الشبهات

والطامة الكبرى التي ظهرت في هذا الزمان أن كثير من الشباب والرجال ظنوا أنفسهم علماء، بل بعضهم تطوع للإفتاء، ويُفتي الناس وهو لا يعلم كثيراً ولا قليلاً من أمور الدين!!.

لأنه يجب على المؤمن أن لا يُقدم على أي عمل قليلاً أو كثيراً إلا بعد أن يتأكد أن هذا العمل سيكون من الأعمال الصالحة التي ذكرها الله في كتاب الله، أو أشار إليه في سُنته سيدنا رسول الله، حتى إذا كان هذا العمل ليس واضحاً كل الوضوح يعني بين بين، فهذا فيه شبهة، وحضرة النبي قال:

{ الْحَلالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ }[٤٤١]

فيبعد عن هذا العمل حتى يظهر له حقيقة الحل والحرمة، سيدنا أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه كان يقول: (كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة الوقوع في باب واحد من الحرام) يعني هناك سبعين باباً، تسعة وستون منهم حلال وواحد حرام، ولكنه لا يعرف على التأكيد أيهم الحرام، فيترك السبعين كلهم خوفاً من الوقوع في الذنوب والآثام وإغضاب الملك العلام تبارك وتعالى.

---

[٤٤١] البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه

ولذلك يُروى أن سيدنا ابن سيرين رضي الله والذي اشتهر بتفسير الأحلام، ما الذي منحه هذه المنحة الإلهية؟ كان يعمل تاجراً، وكان عنده أربعين وعاء ملأهم بالسمن ليبيعهم، ودخل فأر في واحد منهم، فأخبره العمال بذلك، فسألهم: أي وعاء دخل فيه الفأر؟ فقالوا: لا نعرف، فقال: لو بعتهم سأغش المسلمين، وأمرهم أن يريقوهم كلهم حتى لا يغش أحد من المسلمين قط!!.

لماذا؟! لانه خائف من الوقوع في الحرام، ولا يعرف الوعاء الذي وقع فيه الفأر، وهذا الوعاء أصبح غير صالح للإستخدام، فماذا يفعل؟ استغنى عن الكل، فجاءه سيدنا يوسف عليه السلام، وقال له: افتح فاك، ووضع فيه لسانه فمصه، فقام من النوم وقد أوتي تأويل وتفسير الرؤى؛ منحة من الله تبارك وتعالى لأنه عفَّ نفسه عن الشبهات.

فالمؤمن الذي يريد أن يحظى بهذه الإكرامات لا يكتفي بالبعد عن الحرام فقط، بل يتقي الشبهات، والشبهات هي التي تكون غير واضحة، هل هي حلال أم حرام، فلا بد أن يتأكد منها وإلا يدعها خوفاً من الله تبارك وتعالى.

قضية العمل بالقرآن وترك السنة

وحذَّرنا الله تحذيراً شديداً من مخالفة الأمر الإلهي:

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ والمخالفة ظهرت في الزمن القديم قليلاً، ولكنها زادت في زماننا، كيف؟ ظهر جماعة من الناس يقولون: لا شأن لنا بالسُنَّة، ولا نأخذ إلا بالقرآن، فما جاء في القرآن ننفذه، وما لم يأت في القرآن وجاء في السُنَّة لا شأن لنا به!!، ومن العجب أن سيدنا رسول الله ﷺ أخبر عنهم منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، وقال في ذلك ﷺ:

{ أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ، يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ }[٤٤٢]

وفي رواية: { أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ}[٤٤٣]

يتكيء على أريكته – من الكبر – يقول إن كان الأمر في كتاب الله فعلته، وإن كان في السنة تركته!!، لكن الصلاة التي نصليها قال فيها الله في أكثر من موضع في كتاب الله:

---
٤٤٢ سنن ابن ماجة والحاكم في المستدرك عن المقدام بن معدي ﷺ
٤٤٣ مسند أحمد عن المقدام بن معدي ﷺ

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (٤٣البقرة) سنُصلي كم فرض؟ وكل فرض كم ركعة؟ مَن الذي علَّمنا ذلك؟ الذي قال:

{ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي }[٤٤٤]

تابعوني في ذلك، فلو قلنا لن نتبع السُنَّة، فمن أين أتى الظهر؟! ومن أين أتى العصر؟! ومن أين أتى المغرب والعشاء؟!! وهذا ركعتين، وهذا ثلاثة، وهذا أربعة ... هذه الأشياء لم تأت إلا من سُنَّة رسول الله ﷺ.

وقال الله: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (٤٣البقرة) وتركها بدون تفصيل، فما مقدار زكاة المال؟ وما نصاب زكاة التجارة؟! وكل أنواع الزكاة مَن الذي فصلها وفسرها؟ سيدنا رسول الله ﷺ.

لذلك سيدنا رسول الله قال فيه الله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (النجم) كل ما جاءنا عن رسول الله وثبت صحته .....

---

٤٤٤ البخاري ومسلم عن مالك بن الحويرث ﷺ

فعلى العين والرأس، ونعمل به،.... ولا نترك العمل به طرفة عين ولا أقل، ....بسبب تحذير الله لنا الذي قال فيه: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ العقاب لهؤلاء.

وفسرها في الآية الأخرى، لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً فقال: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٦٣النور)

علاج الإسلام للمشكلة الاقتصادية

الآيات التي بعد ذلك تعالج القضـــية العصـــرية التي نحن فيها في هذا الزمان، والمعرض لها أهل كل زمان؛ المشـــكلة الاقتصـــادية، والضـــائقة التي نحن فيها ما علاجهـا؟ الخبراء والمختصـــين يركزون في العلاج على النواحي المـادية كزيـادة العمل، وزيادة الإنتاج، واستصلاح الأراضي، وبناء المصانع وهذا كلام صحيح، لكن هل هذه الأشـــياء وحدها تكفي؟! لا، لكنها تحتاج إلى خطة أخلاقية معنوية لكي تنجح الخطة الاقتصادية وتُحل المشاكل بالكلية.

والله ﷻ أعطانا خطة طُبقت عملياً في زمن حضـــرة النبي ﷺ، جماعة أخرجهم أهلهم وذويهم من مكة، ولم يخرجوا إلا بثيابهم التي عليهم، واســـتولوا على أموالهم، واستولوا على دورهم، واستولوا على تجاراتهم، ولم يتركوا لهم شيء، ولذلك وصفهم الله فقال: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ﴾ مع أنهم كانوا تجاراً وأغنياء!، فلماذا وصـــفهم الله بأنهم فقراء؟

لأن أهل مكة اسـتولوا على كل شـيء لهم، حتى رسـول الله ﷺ لم يتركوه، لأنه عندما جاء فتح مكة قيل له:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَنْزِلُ فِي دَارِكَ بِمَكَّةَ، فقَالَ: وَهَلْ تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مِنْ رِبَاعٍ أَوْ دُورٍ }[٤٤٥]

عقيل بن أبي طالب اسـتولى على بيت النبي، واسـتولوا على كل شـيء، ولذلك سمَّى الله المهاجرين بالفقراء، ثم وصفهم وصفاً آخر فقال: ﴿ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ﴾ :

٤٤٥ البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما

لأنهم تركوا بلدهم وذهبوا لبلد آخر، فأصبحوا غرباء، لا يملكون مكاناً للسُكنى، ولا يملكون عملاً يقتاتون منه، وطبيعة البلدين مختلفة تماماً ..!!!

فمكة العمل الأساسي فيها التجارة، والبلد التي ذهبوا إليها العمل الأساسي فيها الزراعة، فحتى لو أرادوا العمل فإن هذا العمل لم يتعودوا عليه، وتحتاج الزراعة إلى أرض، وهم لا يملكون هناك أرض!!.

فسماهم فقراء وسماهم مهاجرين، وحتى يُعرّفنا أنهم لم يخرجوا باختيارهم ولا برضاهم، وإنما اضطروا لذلك طلباً لمرضاة الله، وفراراً بدين الله، فقال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾.

لماذا خرجوا؟ ﴿ يَبۡتَغُونَ فَضۡلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنًا ﴾ يبتغون يعني يطلبون، فيطلبون فضل الله في الدنيا، ويطلبون مقام الرضوان: ﴿ وَرِضۡوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ (٧٢التوبة) في الدار الآخرة، وهذه أعلى المقامات في الجنان عند حضرة الرحمن سبحانه وتعالى.

ولماذا خرجوا أيضاً؟ حتى ينصروا رسول الله ويعينوه على إبلاغ دعوة الله:

﴿ وَرِضۡوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ :

ولذلك أعطاهم الله وسام عالي وغالي: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ :

هؤلاء: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ ﴾ (٢٣الأحزاب).

الخطة الأخلاقية للإصلاح الإقتصادي

كيف تم حل مشـــكلـة هؤلاء الـذين خرجوا من بلادهم وليس معهم مـال، ولا يملكون ســـكناً، وليس لهم عمل، ولا وســـيلة لاقتنيات الأرزاق؟!! حلَّها إخوانهم في الإيمان ببركة الإيمان، وهم الأنصار سكان المدينة المنورة بإشارة من النبي المختار، وبحبهم للإيثار كما مدحهم الله ســـبحانه وتعالى في قرآنه: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ لزموا الدار وهي المدينة المنورة، ولزموا الإيمان الصحيح.

كيف حلوا المشـكلة؟ كما قلت هذه هي الخطة المعنوية الأخلاقية التي لا بد منها مع ما شرحناه من عناصر مادية لحل المشكلة الاقتصادية.

أولاً: الحب

ما عناصر الخطة المعنوية؟

أولاً: ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾:

الحب، فإن لم نحب بعضنا، وأخرجت الأرض كنوزها، وأنزلت السماء كل خيراتها، سنتقاتل بعضنا على هذه الخيرات، وستثار في داخلنا الأطماع، ويثار فيها الأحقاد، ويثار فيها الأحساد، وسيكون بين الناس حروب متناحرة لا تنتهي كما يحدث الآن.

لكن المهاجرين والأنصار لم يكونوا من عائلة واحدة، ولا إخوة أشقاء، ولا من بلد واحد، ولا يربطهم نسب، وليس بينهم صلة تجارة، ومع ذلك كما تحكي الروايات: كان إذا جاء رجل مهاجر، يحضر إلى سيدنا رسول الله ﷺ ما لا يقل عن خمسين رجلاً من الأنصار يتنافسون أن يحظوا بهذا الرجل المهاجر.

وفي بعض الأحيان كان البعض منهم يتنافس وليس عنده شيء في بيته!! وهذا كان سبباً لنزول هذه الآية، فقد جاء ضيف لسيدنا رسول الله صلى الله عليه سلم، فأرسل إلى زوجاته وخدمه فلم يجدوا شيئاً، فقال: من يضيف ضيف رسول الله؟ فقال رجل: أنا، فأخذه وذهب لزوجته، فقال لها: ما عندك من الطعام؟ قالت طعام يكفي لواحد، إذا أكله الضيف بات الصبية جوعى، وإذا أكله الصبية لم نكرم الضيف، ولم تذكره أو تذكر نفسها، فقال لها: عللي الصبيان حتى يناموا،

ثم ائت بالطعام، وتظاهري أنك تعالجي المصــباح وأطفئيه، وبعد أن نجلس معاً على المائدة تظاهري وسـأتظاهر بأننا نأكل ليتقوى الضـيف على الأكل، يعني يحركا أســـنانهما كأنهما يأكلان ليشـــجعاه على الأكل!! ســـبحان الله!! فنزلت هذه الآية، واستدعى رسول الله ﷺ هذا الرجل وقال:

{ قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ }[446]

هذا شـيء لا يفعله إلا الكُمَّل من المؤمنين، وخاصـة المخلصـين الذين زهدوا في الدنيا ولا يبغون منها إلا رضوان رب العالمين تبارك وتعالى.

ما الذي دفعهم إلى هذا العمل؟ الحب:

﴿يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾ لو انتشـــرت المحبة فإن كل شـــيء ولو قليل ســـيكفي المســـلمين وســـيفيض، وإذا لم توجد المحبة فمهما كثرت الخيرات، ومهما ازدادت الأموال فلن تكفي الحاضرين لقول رسول الله ﷺ:

{ مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعَانِ: طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ دُنْيَا }[447]

---

٤٤٦ صحيح مسلم وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ
٤٤٧ مسند البزار والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

كلما زاد عنده المال يريد أن يزيد عليه، وقد يأتي وقت الزكاة فيبخل أن يُخرج ما عليه لله!!، لأنه يتهيأ له أن الزكاة ستُنقص من هذا الخير الذي أعطاه له الله!

مع أن الزكاة معناها النمو، ومعناها البركة، فما الذي يأتي بالبركة في المال؟ الزكاة التي ستخرج من هذا المال.

لذلك يجب على المزارعين أن يعملوا جميعاً بقول الله: ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾ (١٤١الأنعام) بعض السادة العلماء قال أن الإسراف هنا هو التأخير، فكان يتعجلون إخراج الزكاة من الحقل قبل أن يدخل المحصول البيت، لأنه لو دخل البيت فقد تشح النفس، أو قد تعين الزوجة على هذا الشح، لذلك أُخرج حق الفقراء من الحقل!

والزكاة هي التي تعطي هذا المال التحصين من السوس، ومن الفئران، ومن آفات الزراعة، قال ﷺ:

{ حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ }[٤٤٨]

فالمحبة أول أمر معنوي، في نجاح أي خطة اقتصادية: ﴿ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ ﴾.

٤٤٨ معجم الطبراني ومسند الشهاب عن عبد الله بن مسعود ﷺ

ثانياً: سلامة الصدور

الأمر الثاني: ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ﴾:

لا يحمل أحدهم أي شيء في صدره نحو إخوانه المؤمنين، لماذا أحمل شيء في صدري نحو أخي المؤمن؟!! الأرزاق قسَّمها الرزاق بحسب علمه الأزلي في خلقه، وهو ذكر في حديثه القدسي وقال:

{ إِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لا يُصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلا الْغِنَى وَلَوْ أَفْقَرْتُهُ لأَفْسَدَهُ ذَلِكَ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لا يُصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلا الْفَقْرُ، وَإِنْ بَسَطْتُ لَهُ أَفْسَدَهُ ذَلِكَ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لا يُصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلا الصِّحَّةُ وَلَوْ أَسْقَمْتُهُ لأَفْسَدَهُ ذَلِكَ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لا يُصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلا السَّقَمُ وَلَوْ أَصْحَحْتُهُ لأَفْسَدَهُ ذَلِكَ }[٤٤٩]

فلا نحاول أن نتدخل في مملكة حضرة الرزاق ﷻ، لماذا أعطيت فلان كذا وكذا وتركتني؟!! لماذا أعطيت هذا صبيان وأعطيتني بنات؟!! لماذا أعطيت هذا أولاد وحرمتني؟!! لماذا أعطيت هذا كذا وكذا ومنعتني؟!! لأن منْع سبحانه وتعالى عطاء، لأنه يُعطي لعباده على قدر قدراتهم التي يعلمها ﷻ، والكل يرعاه الله ﷻ بنعمه، ولو وزنت النعم عند جميع الناس الظاهرة والباطنة لكانت متساوية كما أنزلها رب الناس سبحانه وتعالى.

---

٤٤٩ حلية الأولياء لأبي نعيم وابن عساكر عن أنس ﷺ

فأصحاب رسول الله ﷺ إذا أردنا أن نمشي على منوالهم لم يكن في صدورهم حاجة، ونحن نعلم الرجل الذي قال فيه النبي ﷺ لأصحابه:

{ يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الأُولَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الأُولَى }[٤٥٠]

سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما كان يقوم الليل، ويصوم النهار، ويختم القرآن في كل ثلاثة أيام مرة، ويجتهد في طاعة الله وعبادته قدر وسعه وطاقته.

فأراد أن يعرف عمل هذا الرجل الذي جعل حضرة النبي يصفه بأنه من أهل الجنة، وقيل في بعض الروايات أن هذا الرجل هو عبد الله بن سلام رضي الله عنه، فتبع هذا الرجل، وقال له: حدث خلاف بيني وبين أبي عمرو، وأريدك ان تضيفنى حتى تهدأ النفوس، فرحَّب به، فجاء الليل وبعد صلاة العشاء مع رسول الله ذهب الرجل ونام، وعبد الله كان معتاداً على القيام، فقال في نفسه: لعله متعب، وقبل الفجر بساعة قام الرجل وأيقظ عبد الله ليذهبا لصلاة الفجر جماعة مع رسول الله ﷺ،

٤٥٠ مسند أحمد والنسائي عن أنس رضي الله عنه

وفي الصباح جاء له بالفطار، فعلم أنه غير صائم، وفي اليوم الثاني كذلك، وفي اليوم الثالث كذلك، ووجد أن عمل هذا الرجل لا يزيد عن الفرائض التي افترضـــها الله!! فقال له عبد الله:

{ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلاثَ مِرَارٍ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلاثَ مِرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ، لأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلا مَا رَأَيْتَ، قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لا أَجِدُ فِي نَفْسِي لأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لا نُطِيقُ }[٤٥١]

---

٤٥١ مسند أحمد والنسائي عن أنس رضي الله عنه

ولذلك سيدنا رسول الله ﷺ قال لسيدنا أنس، ولمن أراد أن يكون معه في الجنة:

{ يَا بُنَيَّ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لأَحَدٍ فَافْعَلْ، ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ}[452]

لو أصبحت الصدور بهذا الذي وصفه الله، وبهذه الهيئة التي بيَّنها رسول الله، فهل سيذهب أحد من المسلمين إلى قسم شرطة أو محكمة؟!! يستحيل ذلك، لأن الصدور ملئت بالمحبة لبعضها، وكلها تحب الخير لبعضها، وكلها تعمل بقول حبيبنا:

{ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ }[453]

ثالثا: الإيثار

الصفة الثالثة: وهي الصفة التي تحل كل المشاكل الاقتصادية مهما كان حجمها:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ :

---

٤٥٢ جامع الترمذي عن أنس ﷺ
٤٥٣ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

كل واحد منهم يفضـــل أخوه على نفســـه، وهذه كان فيها أعاجيب في صـــحابة الحبيب ﷺ، فقد ورد أنه في يوم عيد جاءت لأحدهم هدية عبارة رأس كبش مشـــوية، فأخذها وجلس مع زوجته وقال لها: يا أم فلان إني أرى أن أخي في الله فلان أحق بهذه الرأس مني!، فوافقته!، فأرسلها إليه، وكذلك الثاني جلس مع زوجته وقال لها: يا أم فلان إني أرى أن أخي في الله فلان أحق بهذه الرأس مني!، فوافقته!، ورد أن هذه الرأس دارت على ســـبعة بيوت، وفي رواية أخرى تســـعة بيوت، ورجعت للبيت الأول!!.

ما هذا؟! وما هذه الناس؟!! الملائكة لا تستطيع أن تُحصِّل هذه الأعمال!! فانظر إلى الايثار الذي كان بينهم: ﴿ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ الذي يعطي وهو معه فهذا عطاء، لكن الإيثار أن يعطي وليس معه شيء.

وأكثر من ذلك في موقعة اليرموك بين المسلمين والروم في بلاد الشام، فقد كان أحد صحابة حضرة النبي يبحث عن ابن عمه فوجده جريح، وطلب شربة ماء، فذهب مسرعاً وجاء له بشربة الماء وهو في النفس الأخير، وإذا برجل جريح من المسلمين على مقربة منهم أشار إلى الماء، فقال له: اذهب له بشربة الماء، فذهب له، وإذا بثالث أشـــار إلى الماء، فقال له: اعطها له، فلما وصـــل إليه وجده قد مات، فرجع إلى الثاني فوجده قد مات، فرجع إلى الأول فوجده قد مات!! مات الثلاثة ولم يشـــربوا الماء، ولكنهم فازوا بوسام الإيثار: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

هذ هو الذي يحل كل المشـــاكل الاقتصـــادية، إن كان بين الإخوة، أو بين أهل البلد، أو بين ســـكان الوطن، أو بين العرب، أو بين المســـلمين أجمعين، أن ننفذ هذا البرنـامج القرآني، مع البرنـامج المـادي، فلا نترك البرنـامج المـادي، وهو العمل ثم العمل ثم العمل، ونأخذ بالتكنولوجيا الحديثة في الصناعة والزراعة.

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ وصـــف الله أولاً المهـاجرين بأنهم الصادقين: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ ثم وصف الأنصار بأنهم مفلحين: ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.

واجب المعاصرين

ونحن لم يتركنا الله في القرآن: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾:

من التابعين إلى آخر مسلم قبل يوم القيامة، فكلهم يدخلون في هذه الآية.

ما الواجب علينا؟ ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ كل الذي سبقنا من العلماء، ومن الصالحين، ومن المؤمنين ينبغي علينا أن نستغفر له الله، ولا نذكر إلا محاسنه كما أمرنا رسول الله ﷺ:

{ اذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ }[٤٥٤]

لكن عندما نرى بعض شبابنا حُداث الأسنان يُجرِّح في العلماء أصحاب المذاهب الأربعة، وهم في نفس الوقت علماء وأولياء!! مَن الذي يبلغ في زماننا مبلغ الشافعي أو مالك أو أبو حنيفة أو أحمد في التقوى والزهد والورع والعلم؟! لا يوجد، فلماذا نخوض في شأنهم؟! ونبخس قدرهم؟! ونحاول أن ننزلهم عما أعطاه الله لهم؟!! بل البعض يتغالى ويقول: هم رجال ونحن رجال، ولنا أن نُفتي وقد نكون أحسن منهم!!.

ما هذا الكلام الذي ظهر في هذا الزمان؟!! هذا مخالف لما أمرنا به الله تعالى في القرآن: ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾.

المشاكل التي حدثت والتي ذكرها التاريخ، فإن المؤرخين الذين كتبوا على مر الزمان لم يسلموا من الخطأ، وبعضهم كان يكتب عن هوى، لذلك لا يجب ان أدخل في هذه الأخطاء وأنزه لساني عن ذلك.

---

٤٥٤ جامع الترمذي وأبي داود عن ابن عمر رضي الله عنهما

سيدنا عمر بن عبد العزيز ﷺ وأرضاه عندما تولى الخلافة، ووجد أن الخلفاء من بني أمية قبله كانوا يختمون خطبة الجمعة الثانية في سب الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه بسبب الخلاف الذي حدث بينه وبين سيدنا معاوية، يقول: فاحترت في هذا الأمر، فنمت، فرأيت في المنام قصر عظيم يجلس في بهوه سيدنا رسول الله ﷺ، وعن يمينه سيدنا أبو بكر، وعن يساره سيدنا عمر، وخلفهم ستارة، ووراء هذه الستارة قاعة محكمة، فدخل الإمام علي ثم سيدنا معاوية، فمكثوا برهة ثم خرج الإمام علي وقال: قُضي لي ورب الكعبة، وبعدها ببرهة خرج سيدنا معاوية وقال: غُفر لي ورب الكعبة.

ثم قال قولته المشهورة: (إن قوما لم نحضرهم ولم تخض سيوفنا في دمائهم لا ينبغي أن نخوض فيهم بألسنتنا) وجاء لنا بالآية الكريمة في الخطبة الثانية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٩٠النحل) والتي نسير عليها إلى وقتنا هذا.

عندما أجد على مواقع التواصـــل الاجتماعي بشـــبكة الانترنت معركة حامية الوطيس، بين جماعة يجادلون بعضهم بشدة، يقول بعضهم: سيدنا معاوية، وبعضهم يقولون: لا تســـيدوا معاوية، لأنه في النار!! مَن الذي أعطاك قرار أن معاوية في النار؟! حاشا لله سبحانه وتعالى، وما شأنك أنت بذلك؟!.

لكننا نحن مطالبين أن لا نذكر إلا محاسن السابقين، ولا نذكر إلا فضائل العلماء العاملين، لأن هذه الأمة أمة الختام، وأصـــحابها أهل الأدب الإلهي على هدي خير الأنام ﷺ، وهذا بالنسبة لمن سبقونا.

وبالنسبة للمعاصرين الذي نعيش بينهم:

﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ لماذا أملأ قلبي حقد على فلان أو غيره؟!!

والذي يحسـد هل يحسد المرزوق أم الرازق؟! الرازق سـبحانه وتعالى، فلو أعطيت ابن من أبنائي شـــيء، والابن الثاني حزن، فهل حزن مني أم من أخيه؟ مني لأنني أنا الذي أعطيت

ألا قـل لـمـن كـان لـي حـاسـداً أتـدري عـلـى مـن أسـأت الأدب
أسـأت عـلـى الله فـي فـعـلـه لأنـك لـم تـرض لـي مـا كـتـب

كلنا في هذا الزمان نجتهد في العلم، ونجتهد في العمل بشـرائع الإسـلام، وكل واحد فينا يجتهد بوسعه وطاقته، لكن أدب الإسلام يقتضي أن لا أغتاب أخي المسلم، ولا أجرحه، ولا أشـنِّع عليه، ولا أشَـهِّر به، حتى ولو ارتكب خطئاً بيّناً، ولكن أذهب إليه وأتكلم معه لأعرف وجهة نظره بأدب ولباقة، وليس بسـفاهة في الحديث، حتى نتفاهم، ولا يدخل العوام في مثل هذه الأمور.

هذه الأداب إذا وُجدت بين المسلمين سندخل في قول الله تعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾:

سـتكون حياتنا في الدنيا حياة طيبة، وفي الآخرة: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٧النحل).

أسأل الله تبارك وتعالى ...

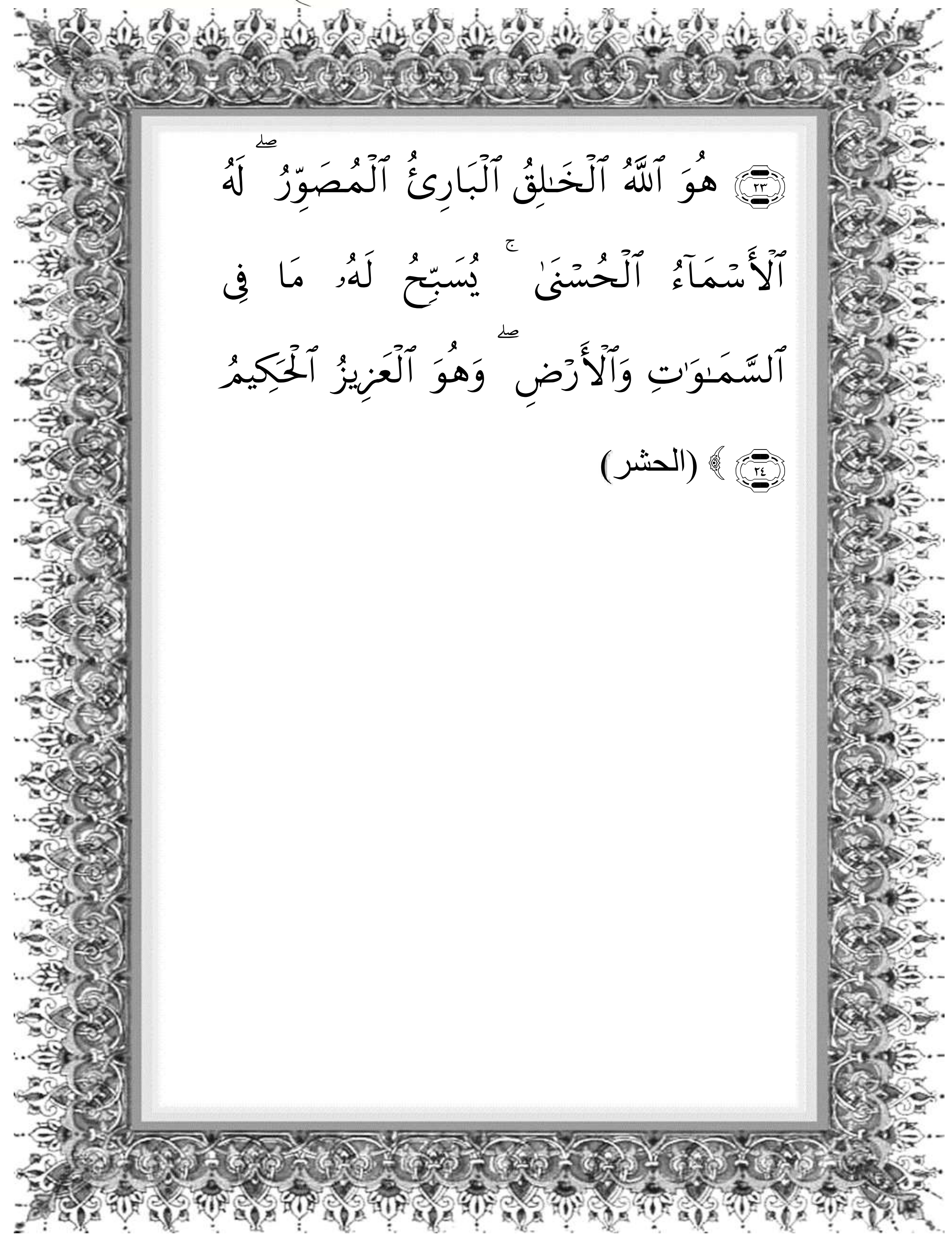
أن يصلح أحوالنا، وأن ينقي صدورنا، وأن يطهر نفوسنا، وأن يصفي قلوبنا، وأن يحببنا في بعضـنا، وأن يجعلنا إخوة متآلفين متحابين متوادين على الدوام، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ

﴿٢٠﴾ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ



هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَـٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ (الحشر)

٢٧. الفائزون واسم الله الأعظم[٤٥٥]

بســم الله الرحمن الرحيم – الحمد لله الذي أهَّل قلوبنا لســماع كلام الله، وملأها بنوره حتى تستمع لنوره الذي أنزله على نوره حبيب الله ومصطفاه، والصلاة والسلام على كنز الهوية، وســر كل الفتوحات الربانية، والباب الأعظم لمن أراد أن يُدخله الله حضرته القدسية؛ سيدنا محمد وآله وصحبه وكل من مشى على هديه إلى يوم الدين، واجعلنا معهم ومنهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

الآيات التي معنا اليوم من آخر سورة الحشر، وكثير من الصالحين اتخذها ورداً له يقرأها مرة في الصــباح ومرة في المســاء، لما ورد في فضــلها من ســيد الرسـل والأنبياء ﷺ.

فقد ورد أن سيدنا أبو هريرة ﷺ سأل رسول الله ﷺ عن اسم الله الأعظم، واسم الله الأعظم يقول فيه حضرة النبي ﷺ:

{ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى }[٤٥٦]

فسأله عن هذا الاسم ليدعوا به، فيقول: سألت خليلي أبا القاسم رسول الله صلى الله عليه سلم عن اسم الله الأعظم، فقال:

---

[٤٥٥] الإسماعيلية – سرابيوم – مقر جمعية الدعوة إلى الله ٢٤ من شعبان ١٤٣٩ هـ ٢٠١٨/٥/١٠م

[٤٥٦] جامع الترمذي وأبي داود عن بريدة بن الحصيب ﷺ

{ يَا أبَا هُرَيرَة عَلَيكَ بِآخِر سُورَةِ الحَشْر فَأكثِر قِرَاءتِهَا، فَأَعَدْتُ عَليهِ، فَأَعادَ عَلَيَّ، فَأَعَدْتُ عَليهِ، فَأَعادَ عَلَيَّ }[٤٥٧]

إذاً الآيات التي في آخر سورة الحشر يكفي أنها كما قال فيها الذي لا ينطق عن الهوى؛ أن فيها اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سُئل به أعطى.

ولذا كان – كما قلت – كثير من الصالحين يكررونها صباحاً بعد صلاة الفجر، ومساءاً بعد صلاة المغرب أو العشاء، ولماذا صباحاً ومساءاً؟ لأن رسول الله ﷺ قال في هذه الكيفية:

{ مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَقَرَأَ ثَلاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ، وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَاتَ شَهِيدًا، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي، كَانَ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ }[٤٥٨]

---

٤٥٧ ورد في تفسير القرطبي عن أبي هريرة رضي الله عنه

٤٥٨ جامع الترمذي ومسند أحمد عن معقل بن يسار رضي الله عنه

أظن أنه لا يوجد أعظم من ذلك أبداً، يصلي عليه سبعون ألف ملك، والصلاة هنا يعني الدعاء، يدعون له من الصباح إلى المساء إن قرأها صباحاً، ومن المساء إلى الصباح إن قرأها مساءاً، وإن مات في هذا اليوم أو في هذه الليلة حصَّل مقام الشهادة، وهو أعلى المقامات عند الله بعد مقام النبيين والصديقين، بل يكفي في قراءتها قول رسول الله ﷺ:

{ مَن قَرَأَ سُورَةَ الحَشر غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِه } [٤٥٩]

وهل نحتاج شيء أعظم من المغفرة؟!! ولذلك هذه الآيات فيها أسرار لأهل العنايات تجعلهم يديمون على تلاوتها فضلاً من الله، واكراماً من الله، وتعرضاً لعطاء الله تبارك وتعالى التي وعد بها قارئها في أي لحظة في هذه الحياة، نسأل الله أجمعين أن نكون مديمين على قرائتها على الدوام.

رسالة الله للمؤمنين

أول هذه الآيات خطاب من الله لنا معشر المؤمنين: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾

وكلمة (آمنوا) يعني صدَّقوا، ونحن صدقنا بما جاء به رسول الله عن الله تبارك وتعالى، ولذلك اسمنا المؤمنين المصدقين لما جاء به خير النبيين ﷺ.

---

٤٥٩ ورد في تفسير القرطبي عن أبي هريرة رضي الله عنه

نحن مؤمنين، فبِمَ يأمرنا رب العالمين؟ وهذا الأمر الجامع: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ حتى أن الله وجَّه هذا الأمر لسيد الأنبياء والمرسلين!، حتى لا نستعظم الأمر، لأن البعض إذا قال له أحد (اتق الله) يقول: هل رأيتني أفعل كذا من المعاصـــي حتى تقول لي ذلك؟!! ويحزن منه، مع أن الله يقول لحضرة النبي: ﴿ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ (١الأحزاب) حتى نعلم أن الوصية بالتقوى هي أعظم وصية يوصي بها الله ﷻ المؤمنين بالله، والذين يحبهم.

واتقِّ الله يعني داوم على تقوى الله، فيوصينا بالاستدامة على تقوى الله.

وتقوى الله في كلمة مختصـــرة بدون تفريع هي الخوف والمراقبة لجلال الله وكمال الله؛ أن يعلم العبد علم اليقين أن الله ﷻ يطلع عليه ويخشاه، فيخشى أن يعصاه، ويخاف أن يقصر في الأوامر والفرائض التي أمرنا وفرضها علينا الله، فهذا باختصار شديد معنى تقوى الله.

ثم يوصــينا الله ﷻ بوصــية بالغة؛ أن يجعل الإنســان نصــب عينيه ما هو قادم عليه، فنحن إلى أين ذاهبين؟ مهما عشنا في الدنيا لكن: ﴿ وَٱلۡأَخِرَةُ خَيۡرٌ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾ (١٧الأعلى)

فهما عشــنا في الدنيا فلا بد من الموت، وبعد الموت لقاء حضــرة الرحمن تبارك وتعالى، وهذه يجعلها محل نظره على الدوام.

﴿ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٌ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٍ ﴾ جعل يوم القيامة كأنه غد لقربه، لأن الإنســان كما قال ﷺ:

{ مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ }[٤٦٠]

عندما يموت ينتقل من الدنيا إلى الآخرة في طرفة عين أو أقل، يكون في وسطنا في الدنيا يمرح ويلهو ويلعب وفي لحظة يختطفه الموت، فيجد نفســه في وســط قوم آخرين، لا يجد له مصيراً إلا رب العالمين، ولا معيناً إلا عمله الصالح الذي عمله في دنياه، لأنه بين يدي من يقول للشيء كن فيكون.

---

٤٦٠ الفوائد المجموعة للشوكاني

﴿ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ ﴾ من قرب هذا اليوم جعله الله ﷻ كأنه غد، يعني يجب أن يخطر الموت على بال الإنسان على الدوام، فلا ينسى الموت طرفة عين، ويقول: ما زال في العمر بقية! وما زال الأمل طويل!، والإنسان لا يدري من أمر نفسه قليل ولا كثير: ﴿ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ ﴾ (٣٤لقمان).

وهناك قراءة أخرى، والقراءات القرآنية تزيد توضيح المعاني للآيات القرآنية، فالقراءة المشهورة عندنا: ﴿ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ ﴾ أما القراءة الأخرى: ﴿ وَلْتَنَظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ يعني يوصيك أن تنظر للغد، وتطالع مستقبلك: ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ﴾ (٨العلق) ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴾ (٤٢النجم) وقد يكون هذا أقرب إليك من طرفة العين، أو من النَفَس الذي تتنفسه.

ولذلك: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ ويعلم علم اليقين دائماً وأبداً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ واللهِ يا إخوة لو أن المؤمنين في مجتمعنا عملوا بهذه الآية لصرنا كأننا في الجنة ونحن على ظهر الأرض.

لو علم كل إنســـان علم اليقين أن كل عمل، وكل حركة، وكل ســـكنة، بل كل خطرة تخطر على قلبه، بل كل فكرة تمر على جنابه يطَّلع عليها الله، ويراها الله، وهو الذي سيحاسبه جل في علاه سيستحي أن يُظهر شيئاً يُغضب الله، أو يعمل عملاً ينال به سوء العاقبة يوم لقاء مولاه لأنه يتذكر أن الله سبحانه وتعالى يطلع عليه ويعلم كل ما جنت يداه، وكل ما تحركت به خواطره: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ (١٩ غافر).

لكن الغفلة التي تأتي للناس يجب أن تكون لغير المؤمنين، ولذلك فالله ســـبحانه وتعالى يبكِّتنا تبكيت لطيف، فأنتم مؤمنون وصـــادقون ومراقبون لله، لذلك إياكم أن تكونوا كهؤلاء الغـافلين: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ ﴾ إيـاكم في أي يوم أن تكونوا كالغافلين عن معرفة الله، والســاهين عن دين الله، والذين تركوا أنفســهم على هواها تســرح وتمرح في هذه الحياة، ولم يتذكروا ولم يفتكروا أن هناك يوماً ســيردون إلى الله، وتعرض أعمالهم على حضرة الله تبارك وتعالى، فإياكم أن تكونوا مع هؤلاء.

فانظر إلى التبكيت الإلهي للمؤمنين الصـــادقين!! ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ ﴾

لماذا؟ لأن هؤلاء: ﴿ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾

أنســــاهم كل شـــــيء لأن الله لا يحبهم، فتركهم في الدنيا هملاً ورعاعاً: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ (١٢محمد).

فإن الله إذا أحب عبداً وفَّقه لطاعته ليكون من أهل جنته، وذكَّره على الدوام بمراقبة الرقيب ليرعوي عن الوقوع في الذنب فيحميه الله ســــبحانه وتعالى من وقع المســـــائلة والحســــاب يوم الدين، ويجعله من أهل وصــــله وقربه في الدنيا، ومن أهل النظر إلى جمال وجهه يوم الدين.

هؤلاء الذين نسوا الله، وأنساهم الله كل ما لهم وما عليهم؛ وصفهم بوصف قبيح تفر منه كل نفس مؤمنة تقة نقية، فقال في شـأنهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ والفسـق يعني الخروج عن طاعة الله ﷻ والميل إلى معصيته سبحانه وتعالى.

أصحاب النار وأصحاب الجنة

ثم بيَّن الفرق بين الطائفتين: ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ يسـتحيل أن يكون أصـحاب النار كأصـحاب الجنة، وانظر للوصـف الإلهي فجعل للنار أصـحاب، فهي ملكهم ولن يخرجوا منها أبداً، وهؤلاء هم الكافرون والمشركون.

لكن المؤمنين الذين سيزلُّوا، أو تضحك عليهم أنفسهم فيخطئون، فتح الله لهم باب التوبة والأوبة، ولو زادت عليه نفسه ضحكاً ولم تهيئ له باب التوبة حتى مات، فإن الله ﷻ يكرمه بشفاعة سيد السادات وشفاعة المؤمنين والمؤمنات فيخرج - ولو بعد حين - من النار إلى الجنة، لكنه لن يكون من أصحابها، فأصحابها الذين سيدخلونها ولن يخرجوا منها، وسيكونون خالدين فيها أبداً، وهؤلاء هم الكافرون والمشركون الذين لم يؤمنوا برب العالمين تبارك وتعالى.

أصحاب الجنة الذين سيدخلونها ولن يخرجوا منها، هؤلاء نطمع أن يتغمدنا الله ﷻ برحمته وفضله ويجعلنا من أهل الجنة الخالدين فيها أبداً: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ (٨٢البقرة) يعني لن يخرجوا منها في يوم من الأيام.

فبالطبع لا يتساوى أصحاب النار وأصحاب الجنة، وسيدنا رسول الله ﷺ يحكي واقعة ستكون في بداية العرض والحساب، فقال ﷺ:

{ يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ يَا ابْنَ آدَمَ: هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟، فَيَقُولُ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ يَا ابْنَ آدَمَ: هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ }[٤٦١]

إذا كان الذي غُمس غمسة واحدة في الجنة ينسى كل الشقاء الذي مر به وعاش به في الدنيا، والذي عاش في الدنيا في وهمه وفي ظنه منعماً، فمن غمسة واحدة في جهنم ينسى كل هذا النعيم الذي توهَّمه وظن أنه يعيش فيه، فكيف يستويان؟!!لا يستويان أبداً، لأن نعيم الله ﷻ نعيم ليس بعده شقاء .... أما نعيم الدنيا مهما كان هيئته، ومهما كان صنفه، ومهما كان لونه، لا بد أن يكون بعده شقاء أو ضعف، أو يحدث للإنسان ما لا يحبه وما لا يرضاه، لأن الدنيا نعيم أهل الكفر، قال ﷺ في شأنهم:

{ أُولَئِكَ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا }[٤٦٢]

ولذلك جزم الله ﷻ حتى نسارع إلى ذلك فقال لنا أجمعين

٤٦١ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أنس ﷺ
٤٦٢ الطبقات الكبرى لابن سعد عن عائشة رضي الله عنها

﴿ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ لأن هذا هو النعيم المقيم، والتكريم الذي ليس بعده تكريم، وهو دخول الجنة في جوار النبي الرءوف الرحيم، وفي جوار الأخيار والأطهار، والتمتع بنعيم الجنة، وأعظم نعيم فيها هو النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى.

المؤمن والقرآن

وبيَّن الله ﷻ لنا معشر المؤمنين أمراً أيضاً فيه تقريع، وفيه توبيخ لكثير من الساهين واللاهين والغافلين من المؤمنين، فالذين يسمعون القرآن ولا يستشعرون أثناء سماع القرآن الخوف من حضرة الرحمن، أو المعاني العظيمة التي جعلها الله ﷻ في القرآن، أو يقوموا ممتثلين لما أمرهم الله به ومسارعين لتنفيذه في القرآن، فيقول لنا:

﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ ﴾

لو نزل هذا القرآن على جبل، فإن الجبل سيخشع، ويتشقق من خشية الله ﷻ، فكيف لقلب المؤمن لا ينصدع لكلام الرحمن ولا يخشع للقرآن؟!!.

لذلك المؤمن إذا لم يستجب قلبه للقرآن يعلم أن قلبه فيه داء يحتاج إلى دواء ليكون من المؤمنين الذين يقول فيهم الله:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٢الإسـراء) .... وهذا ما كان عليه أصحاب النبي الكريم، والصالحون من بعدهم في كل زمان ومكان.

على سبيل المثال الإمام الفضيل بن عياض ﵁، كان رجل قاطع طريق، ومعه عصابة، وذهبوا ليسرقوا منزلاً، وهو واقف أعلى المنزل ليوجه العصابة ويعطيهم الأوامر، سمع قارىء يقرأ ويقول: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (١٦الحديد) سمع هذه الآية فصدعت قلبه، فقعد ولم يستطع القيام من وقع الآية!! وقال: آن يا رب، ثم نادى على أفراد عصابته، وقال: إني تائب إلى الله سبحانه وتعالى، وتوجه إلى مكة، وحج بيت الله الحرام، واختار سكناً قريباً من البيت ليُكمل حياته في طاعة الله.

وصل به الأمر أن هارون الرشيد - وكان حاكماً صالحاً ويحب الصالحين - ذهب لأداء فريضة الحج بعد أن رأى رسول الله ﷺ في المنام يدعوه للحج، وبعد أن ذهب إلى مكة طلب من وزيره أن يأتيه ببعض العلماء العالمين ليأنس بهم، وكان هارون الرشيد مع علو شأنه وسعة مملكته التي كانت من بلاد الصين إلى بلاد المغرب، وكانت إذا مرت عليه سحابة

وهو جالس يقول لها: أمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك!! لأن مملكته كانت واسعة الأركان، وكان مع ذلك رقيق القلب سريع الدمعة، يتأثر من وعظ العلماء، ويطلب العلماء ليعظوه على الدوام، ويبكي بكاءاً حاراً في مجالسهم.

فجاء له وزيره ببعض العلماء، فلم يروقوا له، وقال له: أريد عالماً يخشى الله، فقال له: لم يعد إلا الفضيل، والفضيل لا يخرج من بيته ولا يقابل أحداً!!، قال: نذهب إليه، فذهب إليه، وقرع الباب، فقال: مَن؟ قال: هارون الرشيد، فأسرع الفضيل إلى اطفاء المصباح، فقال له: لِمَ أطفأت المصباح؟! قال: لا أريد أن أنظر إلى وجه الظلمة! فمد إليه يده ليصافحه، فأمسك بيده وقال: ما أنعم هذه اليد لو فرَّت من عذاب يوم القيامة!.

هذا الرجل كان قاطع طريق، لكنه بمجرد أن سمع آية من كلام الله صدعت قلبه وجعلته يترك كل ما فيه من الغفلة والمعاصي ويرجع إلى الله تبارك وتعالى.

أدب المؤمن في سماع القرآن

فالله سبحانه وتعالى يعيب على المؤمنين اللاهين عن كتاب رب العالمين، الذين لا يستمعون إليه بخشوع، ولا ينصتون إليه بخضوع، ولذلك مهما كان الإنسان يلهو ويلعب ما دام منتسباً إلى طريق الإيمان عليه أن يكون مؤدباً أدباً تاماً مع كتاب الرحمن تبارك وتعالى، وإياك أن تفرط في ذلك طرفة عين أو أقل.

يعني أنت في بيتك أو في بيت غيرك ويُقرأ القرآن، وأخذ بعضـــهم يحادثك، فيجب أن تقول له: لا يا أخي: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ ﴾ (٧٨الحج) فلا حرج في دين الله: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ ﴾ (٢٠٤الاعراف) ما دام القرآن يُقرأ يجب أن نسـمع، وإذا أردنا أن نتكلم نقول صـدق الله العظيم، ونغلق المذياع أو التلفاز ونتكلم كما نريد، لكن المحذور أن الإنســـان يتكلم والله ﷻ يُنطق بكلامه ويُقرأ كلامه تبارك وتعالى، فهذا محذور لا ينبغي أن يفعله أي مؤمن مهما كان درجة إيمانه، لأن هذا يدل على عدم تأدبه مع كلام الله سـبحانه وتعالى، لكن: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ ﴾ لماذا؟ ﴿ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ (٢٠٤الاعراف) ولعل بمعنى اللام، يعني لترحمون.

لو كنت أقود سيارتي وأستمع للقرآن، وجائتني مكالمة على الهاتف، أقول صدق الله العظيم وأغلق المذياع وأتكلم في الهاتف، لكن لا ينبغي أن يكون هناك حديث يعلو على كلام الله تبارك وتعالى، وهذا هو الحد الأدنى من الأدب الذي ذكَّرنا به الله ﷻ في هذا الموضع: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾

القلب الذي لا يخشع لكلام الله يكون أشد قسوة من الحجارة ومن الجبل ... كما أخبر الله تبارك وتعالى.

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ قد نكون في عزاء، وبدأ القاريء في القراءة، فيجب أن لا يكون هناك شيء غير كلام الله، ولو أردنا توزيع شاي أو سجائر فيكون في الاستراحة بعد انتهاء القاريء من قراءته، لكن سنوزع سجائر وكلام الله النور يُتلى، وهذا يقدم التحية لهذا، وهذا يقدم التحية لهذا، .... فهذا لا يجوز أبداً مع كلام الله تبارك تعالى.

لا بد من الأدب مع كلام الله كما كان الصـــحابة المباركين يفعلون، كان ســـيدنا أســـيد بن حضـــير ﷺ يقرأ القرآن في بيته، وبجواره فرســـه، وبجواره ابنه يحي نائم، ففوجيء بفرســـه يتحرك حركة شـــديدة، فخاف أن يدوس على ابنه وهو نائم، فنظر فوجد نجفاً منيراً في سـقف المنزل – ولم يكن في وقتها كهرباء ولا نجف ولا غيره – فتوقف عن القراءة وذهب لرسول الله ﷺ وعرض عليه الأمر، فقال ﷺ:

{ تِلْكَ الْمَلائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ }[463]

نزلت الملائكة لتسمع القرآن!! فإذا تلوت القرآن أو أسمع القرآن فلا بد أن يكون بالأدب التام الذي أولانا به الله، وعلَّمه لنا رسول الله ﷺ عند تلاوة كلام الله ﷻ.

أسماء الله الحسنى

وحتى نعرف قدر الربوبية، ومكانة الألوهية، ساق الله تبارك وتعالى إلينا بعض الأســـماء التي تدل على قدرته العلية، وعلى جنابه وكبرياءه جل في علاه، وهذه الأسماء ذكر لنا سيدنا رسول الله منهما جملة فقال:

{ إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ }[464]

---

٤٦٣ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ

٤٦٤ البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

الذي يُحصـــي هذه الأســماء ويعرفها ويعمل بها يدخل الجنة، ما هذه الأســماء؟ ذكر الأسماء التي في هذه الآيات أولاً ثم أكمل تسعاً وتسعون اسماً:

{ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ الْغَفَّارُ الْقَهَّارُ الْوَهَّابُ الرَّزَّاقُ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الْخَافِضُ الرَّافِعُ الْمُعِزُّ الْمُذِلُّ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْحَكَمُ الْعَدْلُ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ الْحَلِيمُ الْعَظِيمُ الْغَفُورُ الشَّكُورُ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ الْحَفِيظُ الْمُقِيتُ الْحَسِيبُ الْجَلِيلُ الْكَرِيمُ الرَّقِيبُ الْمُجِيبُ الْوَاسِعُ الْحَكِيمُ الْوَدُودُ الْمَجِيدُ الْبَاعِثُ الشَّهِيدُ الْحَقُّ الْوَكِيلُ الْقَوِيُّ الْمَتِينُ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ الْمُحْصِي الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الْوَاجِدُ الْمَاجِدُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ الْقَادِرُ الْمُقْتَدِرُ الْمُقَدِّمُ الْمُؤَخِّرُ الْأَوَّلُ الْآخِرُ الظَّاهِرُ الْبَاطِنُ الْوَالِيَ الْمُتَعَالِي الْبَرُّ التَّوَّابُ الْمُنْتَقِمُ الْعَفُوُّ الرَّءُوفُ مَالِكُ الْمُلْكِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الْمُقْسِطُ الْجَامِعُ الْغَنِيُّ الْمُغْنِي الْمَانِعُ الضَّارُّ النَّافِعُ النُّورُ الْهَادِي الْبَدِيعُ الْبَاقِي الْوَارِثُ الرَّشِيدُ الصَّبُورُ }[٤٦٥]

---

٤٦٥ جامع الترمذي عن أبي هريرة ﷺ

وهذه ليست كل أسماء الله تبارك وتعالى، ولكنها بعض الأسماء الإلهية التي ذكرها الله في الآيات القرآنية، وجمعها الحبيب صلى الله عليه في حديثه المبارك، لكن سيدنا رسول الله ﷺ بيَّن أن أسماء الله ليس لها حد ولا عد، فكان يقول في دعاءه:

{ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي }[٤٦٦]

هناك أسماء استأثر بها الله لنفسه، وأسماء علَّمها الله لبعض من اختصهم بخصوصيات من خلقه، وهناك أسماء في القرآن الكريم وهي الأسماء الحسنى التي معنا في هذه الآيات.

الغيب والشهادة

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ﴾ والغيب هو كل ما غاب عن العين، ولا يراه الإنسان بعينه، فالجنة لا نراها بأعيننا فهي غيب، والملائكة لا نراهم بأعيننا فهم غيب، والجن لا نراهم بأعيننا فهم غيب .. فكل ما لا نراه بأعيننا فهو غيب.

٤٦٦ مسند أحمد وابن حبان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

والشـهادة كل ما تراه العين، فالأرض والنباتات والحيوانات والأفلاك والشـمس والقمر والنجوم .. كل ما تراه العين نسميه عالَم الشهادة، وكل ما لا تراه العين نسميه عالَم الغيب، فهو سـبحانه وتعالى عالِم الغيب وعالِم الشـهادة لأنه هو الخالق لكلا العالَمين.

ونسـتطيع أن نقول عالَم الشـهادة عالَم الدنيا، وعالَم الغيب عالَم الآخرة، لأن الآخرة كلها غيب، والدنيا كلها مشـهودة، أو عالَم الغيب عالَم الباطن الذي لا يطلع عليه الإنسان، وعالَم الشهادة عالَم الظاهر الذي يراه الإنسان.

الرحمن الرحيم

﴿ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ وصف نفسه باسم الرحمن وباسم الرحيم، ومن علو شأن هذين الاسمين أن الله ذكرهما في (بسم الله الرحمن الرحيم) وقال ﷺ في شأنها:

{ كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَهُوَ أَقْطَعُ }[467]

يعني مقطوع البركة، لذلك لا بد للإنسان قبل أن يلمس أي شيء يبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم حتى يكون مباركاً، والرحمن الذي رحمته تعم الكل، تعم أهل الدنيا وأهل الآخرة، تعم الجن والإنس والملائكة وكل عوالم الله، والرحيم رحمته خاصة بنا جماعة المؤمنين ببركة سيد الأولين والآخرين ﷺ.

المَلِك

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ﴾ الذي يدوم ملكه، لا يدوم الملك لأحد سواه، فأي إنسان ملك فإن ملكه إلى انقطاع وإلى زوال، ولا يوجد ملك لا يبلى، وملك لا ينقطع إلا ملك الحي القيوم الذي لا يزول، ولا ينقطع ولا تأخذه سِنة ولا نوم.

القدوس

﴿ ٱلۡقُدُّوسُ ﴾ المنزه عن جميع الصفات التي لا تليق بحضرته، فلا ينبغي أن نصفه بأوصاف المخلوقين، أو نصفه بأوصاف لا تليق برب العالمين، ولذلك بعض الذين أخطأوا - وهم إخوة لنا في الدين – وشبَّهوا أوصاف الله ﷻ بأوصاف العبيد، يعني يقولون أن الله ﷻ له سمع كسمعنا، وبصر كبصرنا، وهذا لا يليق أبداً بحضرة الألوهية.

---

٤٦٧ طبقات الشافعية الكبرى وآداب السامع للخطيب عن أبي هريرة ﷺ

وبعضهم تجرأ على الله ﷻ وقال وهو على المنبر: يقول ﷺ في الحديث القدسي: (إن الله يتنزل في الثلث الأخير من الليل إلى السـماء الدنيا) وقال هداه الله وغفر له الله: كنزولي هذا، ونزل من على درجة المنبر العليا إلى الدرجة الدنيا!!.

هل هذا يليق بجلال الله وكمال الله سـبحانه وتعالى؟!! هذه خطيئة لا ينبغي أن نقع فيها أجمعين، لأن الله قال في صـريح القرآن: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (١١الشورى).

فهو قدوس يعني منزَّه عن كل ما لا يليق، ولذلك كان السادة الصالحون يقولون: (كل ما خطر ببالك فهو هالك، والله تعالى بخلاف ذلك) نزِّه الله تعالى عن الوسـاوس التي تجول في صـدرك، أو الخواطر التي تنتابك في نفسـك، أو الهواجس التي تأتي إليك، لأن الله ﷻ قدوس، يعني منزَّه عن جميع الأوصـاف التي لا تليق بذاته الإلهية سبحانه وتعالى.

السلام

﴿ ٱلسَّلَـٰمُ ﴾ لأن الله ﷻ يسلم المؤمنين الذين أسلموا الوجه لحضرته، وعملوا بشريعته، واتبعوا خير الأنبياء، يسلمهم من فتن الدنيا وأهوائها وشهواتها وحظوظها وغواياتها، ويسلمهم من عذاب القبر، ويسلمهم من أهوال يوم القيامة، ويسلمهم من نار جهنم، ويجعلهم من أهل الأمان الأعظم، والدخول في رضوان الله وكرم الله وجنة الله سبحانه وتعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٨٢الأنعام).

المؤمن

﴿ ٱلْمُؤْمِنُ ﴾ لأنه سبحانه وتعالى يُصدِّق عباده المؤمنين في شهادتهم على بعضهم، فقد قال ﷺ:

{ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيُصَلِّي عَلَيْهِ ثَلاثُة صُفُوفٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إلا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ}[٤٦٨]، وفي حديث آخر:

٤٦٨ معجم الصحابة لابن قانع وابن ماجة وأحمد عن مالك بن هبيرة ﷺ

{ مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلا لا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلا شَفَّعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ }[469]، وقال ﷺ:

{ أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، فَقُلْنَا: وَثَلَاثَةٌ، قَالَ: وَثَلاثَةٌ، فَقُلْنَا: وَاثْنَانِ، قَالَ: وَاثْنَانِ، ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الْوَاحِدِ }[470]

والشهادة لا بد أن تكون مطابقة للواقع، لذلك بيَّن في حديثه الآخر صلوات ربي وتسليماته عليه أن الله يعرض عليهم ملف أعمال هذا الرجل الذي شهدوا له، ولذلك نحن مطالبون عند موت أحد أن نشهد، قال ﷺ:

{ إِذَا رَأَيْتُمْ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسْجِدَ، فَاشْهَدُوا لَهُ بِالإِيمَانِ }[471]

فإذا شهدنا له بالإيمان يعرض الله ملفه فنرى فيه شيء لم نكن نعرفه في الدنيا، فنقول كما قال الله: ﴿ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴾ (٨١يوسف) قال ﷺ:

{ إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مِنْهُ شَرًّا، وَيَقُولُ النَّاسُ: خَيْرًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَلائِكَةِ: قَدْ قَبِلْتُ شَهَادَاتِ عِبَادِي، عَلَى عَبْدِي، وَغَفَرْتُ عِلْمِي فِيهِ }[472]

٤٦٩ صحيح مسلم وأبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما
٤٧٠ صحيح البخاري ومسند أحمدعن عمر بن الخطاب ﷺ
٤٧١ سنن ابن ماجة والدارمي عن أبي سعيد الخدري ﷺ
٤٧٢ مسند أبي حنيفة والبزار عن عامر بن ربيعة ﷺ

المهيمن

﴿ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ﴾ الذي يسيطر على جميع الحقائق الظاهرة والباطنة لكل الكائنات ولكل المخلوقات، فكل شيء بيده، وكل شيء لا يتحرك إلا بإذنه، ولا يسكن إلا بإذنه، لأنه سبحانه تعالى بقدرته هيمن على قوى الجميع، وعلى مصائر الجميع سبحانه وتعالى.

العزيز

﴿ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ الذي لا يستطيع أحد النيل منه أو انتقاصه أو اهانته لعلو شأنه وعزة جلاله وكبرياء سلطانه.

الجبار

﴿ ٱلۡجَبَّارُ ﴾ الذي يجبر كسر عباده المؤمنين إذا وقفوا بين يديه أذلة داعين طالبين، فلا يردهم خائبين، بل يجبر كسرهم، ويجيب دعاءهم، ويحقق رجاءهم.

وجبار على الكافرين إذا طغوا وبغوا، وزادوا في الاعتداء على عباد الله المؤمنين، لتوحيدهم وتفريدهم الله بالقصد دون سواه، فإن الله ﷻ عنده من القوة الإلهية ما يستطيع إهلاكهم وإبادتهم في لمح البصر أو هو أقرب.

وهذا ما سنراه إن شاء الله في الأيام الآتية، من قوة الله، وجبروت الله سبحانه وتعالى، فإن الذين طغوا وبغوا في العالمَ بما ألهمهم الله من علوم صنعوا بها المقذوفات، وصنعوا بها التكنولوجيا التي ظنوا أنهم بها ملكوا العالم، وهم أضعف من أي كائن من الكائنات أمام التكنولوجيا الإلهية التي تبدوا لهم بوارقها ولكنهم لا يتعظون.

ما الذي سيفعلوه مع البراكين والزلازل لو ظهرت بقدرة من يقول للشيء كن فيكون؟!! ما الذي سيفعلوه لو سلَّط الله عليهم الرياح العاصفة؟!! ما الذي يقيهم؟!! وما الذي يحميهم؟!! وما الذي يمنع عنهم هذه الرياح العاصفة القاصمة؟!!.

ما الذي يحميهم إذا تعرضوا لسلاح الرعب الإلهي الذي سلَّح الله به وتعهد بتسليحه للنبي وللمؤمنين؟!! ماذا يصنعون إذا أذاب الله الثلوج وحوَّلها إلى مياه في المحيط المتجمد الشمالي والجنوبي، وفاضت فياضانات على بلادهم؟!! من الذي يمنعها؟! ومن الذي يدفعها؟! قوى كثيرة لا عدَّ لها، ولا حدَّ لها.

وضرب الله لنا الأمثال في القرآن بإجرائها مع أنبياء الله ورسله السابقين المتجبرين من الملوك وأممهم، وأجراها مع النبي كذلك مع الرومان عند طغيانهم.

فالجبَّار سلاح الله سبحانه وتعالى للمؤمنين بجبر قلوبهم، بالدعاء والإغاثة وسرعة الإجابة، وعلى الكافرين بتدميرهم، وإحباط تدبيرهم إذا هموا بإهلاك المؤمنين، أو التعدي على حدود الله، ولذلك كانوا يقولون: (احرص على من لا نصير له إلا الله) هذا الذي تخاف منه، لكن الذي له من ينصره فهذا يوكل إلى نفسه، لكن من لا نصير له إلا الله فإن الله ﷻ بقوته يُذل كل من عاداه، لأنه جبار سبحانه وتعالى.

المتكبر

﴿ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ ﴾ لأنه سـبحانه وتعالى كبير في كبرياءه، وكل ما سـواه يحتاج إلى فضـله وجوده وعطاياه، وهو وحده الغني عن كل من سـواه، ولذلك: ﴿ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (٣٧الجاثية) لا يحتاج إلى شـيء من مخلوقاته، وإنما الكل رهن إشارته ورهن قوته وحركاته وسكناته.

﴿ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ يعني تنزيها لله عما يشركون.

الخالق

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ﴾ والله سـبحانه وتعالى في خلقه لا يدانيه ولا يسـاويه شـيء من خلقه، فقد يقول بعض الناس كما قال أهل الغرب في عصـرنا هذا أننا نصـنع ونخلق، لكنهم لا يصنعون بغير مثال سابق، ولا يصنعون من لا شيء،

وإنما يصنعون على أمثلة أوجدها الله، يصنعون الطائرات على صورة الطير، والغواصات على صورة السمك، وكلها على أمثلة موجودة في الكون، ويصنعون بأدوات وعناصر ومعدات أوجدها الله تبارك وتعالى، لكن من الذي يستطيع أن يصنع من لا شيء؟! لا يوجد غير الله سبحانه وتعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾ (١الإنسان).

وإذا صنعوا لا يصنعون إلا المادة بعد أن يجمعوا لها المواد التي يقيمونها بها، لكن هل يستطيعون إيجاد روح لأي شيء يصنعونه ولو صغير؟!! هل يصنعون بعوضة؟!!

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا ﴾ (٢٦البقرة)ك

وعندما نزلت الآية لم يظهر سرها إلا في عصرنا الحديث، فقد كشفت الأجهزة العلمية أن البعوضة تحمل فوقها حقائق وأشياء أوجدها ملك الملوك سبحانه وتعالى لا غنى لها عنها، ولم تظهر إلا في عصرنا هذا!.

لكن هل يستطيع علماء العالم أجمع أن يصنعوا ذبابة أو بعوضة؟! ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُ ﴾ (٧٣الحج) كيف؟

أوضح العلماء في عصرنا أن الشيء الذي يأخذه الذباب لا نستطيع إرجاعه، لماذا؟ أغلب الحشرات يهضم الغذاء في بطنه، إلا الذباب فإنه يهضم ما يأكله خارجه، فيُفرز عليه العصارة الهاضمة قبل أن يأكله، فحتى لو أخذناه منه فلن نجده كما كان لأنه أصبح مهضوماً!! ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴾ (٧٣الحج).

البارىء

﴿ ٱلۡبَارِئُ ﴾ الخالق المبدع على غير مثال سبق كما وضحنا، لأن الله جعل لكل إنسان - مع كثرة البشرية من آدم ليوم الدين - على غير مثال سابق، لا يمكن لبشر أن يشبه بشراً ولو كان توأم، لا في الشكل، ولا في فصيلة الدم،

ولا في الصوت ونبراته، ولا في بصمة الأصابع، أو بصمة العين، أو بصمة الأسنان، ولا في رائحة العرق .. كل إنسان مثال فريد أوجده الحميد المجيد، فالمصنع واحد، والأب واحد، والأم واحدة، لكن كل واحد يخرج كمثال خاص يدل على الاختصاص للباريء سبحانه وتعالى في هذا الأمر.

هل يوجد مصنع به خط إنتاج خاص لكل منتج يُنتجه؟!! لا، يعني مثلاً هل يوجد مصنع سيارت يخرج كل سيارة كموديل؟!! لا، لكنه يُخرج كل سنة موديل.

لكن الله جعل لكل منتج خصوصية من عند رب البرية سبحانه وتعالى من قبل القبل إلى نهاية النهايات، وهذا في كل الكائنات، وكل المخلوقات، وليس الإنسان فقط، ولذلك سمَّى نفسه (الباريء) الذي يبدع الأشياء على غير مثال سبق، ولا يشبه واحد واحداً آخر، ولا شـيء شـيئاً آخر، لأن الله من بديع قدرته يخلق كلٌ على غير مثال سابق.

المصور

﴿ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ لأنه هو الذي أعطى لنا صـورنا التي نحن فيها الآن: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٦آل عمران) من الذي يستطيع أن يتحكم في صور أولاده أو غيرهم؟! لا يوجد إلا المصور سبحانه وتعالى، فهو وحده الذي بيده مقاليد الأمور، وهو الذي يصور كيف يشاء.

﴿ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ كل أسماء الله عز جل لها حسن تام، فلا يوجد اسم حسن واسم أحسن، لكن كل أسماء الله تعالى لها الحسن التام.

تسبيح الكائنات

﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ ولكن لا تفقهون تسـبيحهم: ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ ﴾ (٤٤الإسراء) كل شـيء في الوجود يسبح خالق الوجود سبحانه وتعالى، وسيدنا رسول الله ﷺ ضرب مثلاً عملياً لصحبه المباركين وهو جالس معهم، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال:

{ إِنِّي لَشَاهِدٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَلْقَةٍ وَفِي يَدِهِ حَصَيَاتٌ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، وَفِينَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُمْ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَسَبَّحْنَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عُمَرَ، فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَى عُثْمَانَ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَيْنَا فَلَمْ يُسَبِّحْنَ مَعَ أَحَدٍ مِنَّا }[٤٧٣]

٤٧٣ دلائل النبوة لأبي نعيم ومعجم الطبراني عن أبي ذر رضي الله عنه

أعلمهم أن هؤلاء لهم وجاهة وجاه عند الله، ولذلك وصـــلوا إلى مقام: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (٤٤الإسراء) لكن هؤلاء يفقهون تسـبيح الكائنات، وتسبيح الجمادات، وتسبيح كل شيء لله سبحانه وتعالى.

﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ والعزيز الذي لا يســتطيع أحد ضـــره فيضـــره، أو يناله بشيء، وهو الحكيم في كل تصرفاته، فهنيئاً لمن يتفكر في خلق الله، وينظر إلى حكمة الله في نفســه، وفي كون الله، ويضـــع أمام عينيه قول مولاه: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (٥٣فصلت).

نســأل الله ﷻ أن يفقهنا في ديننا، وأن يلهمنا رشـــدنا، وأن يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، وجلاء حزننا، وذهاب همنا وغمنا

وصلى الله علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المراجع

١. أسرار القرآن – السيد محمد ماضى أبوالعزائم، دار الكتاب الصوفي: ج: ١:٧.

٢. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضـــحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، الشـــيخ نعمة الله بن محمود النخجواني، دار ركابى للنشر الغورية القاهرة.

٣. البحر المديد في تفســير القرآن المجيد لابن عجيبة، تحقيق أحمد عبدالله القرشـــي، طبع على نفقة د.حســن عباس زكى.

٤. التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، د.محمد سيد طنطاوى، دار المعارف.

٥. تفسير روح البيان، اسماعيل حقى البروسوى، دار الفكر.

٦. تفسير الشعرواى، أخبار اليوم.

٧. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفى، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

٨. التفسير الصوفي للقرآن، محى الدين الطعمى، دار الروضة.

٩. عرائس البيان في حقائق القرآن، روزبهان البقلى، دار الكتب العلمية ، بيروت.

١٠. في رحاب التفسير، عبدالحميد كشك، المكتب المصري الحديث.

١١. مختصر تفسير ابن كثير، محمد على الصابونى، دار القلم.

١٢. حاشية الصاوى على تفسير الجلالين، تحقيق عبدالله المنشاوى، دار الحديث، القاهرة.

١٣. تفسير الجلالين المحلى والسيوطي، دار التراث العربي.

١٤. تفسير الجيلاني، الشيخ عبدالقادر الجيلاني، مركز الجيلاني للبحوث العلمية ، اسطنبول.

١٥. تفسير القرآن الكريم ، د.عبدالله شحاته، دار غريب القاهرة.

١٦. تيسير الكريم الحنان في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدى، المكتبة الإسلامية بالقاهرة.

١٧. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابورى، دار الصفوة.

١٨. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق ومراجعة إبراهيم عطوة عوض، الحلبى، القاهرة.

١٩. مختصر تفسير الشعراوى، منى الهاشمى، دار المعارف.

.٢٠

٢١. تنوير الأذهان من تفسير روح البيان، اسماعيل حقى، اختصار محمد على الصابونى، دار القلم.

٢٢. صفوة التفاسير، محمد على الصابونى، دار القرآن الكريم، بيروت.

٢٣. لطائف الإشارات، الإمام القشيري، تحقيق د.إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٤. بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزبادى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامى.

٢٥. معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مجمع اللغة العربية.

٢٦. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، كتاب الجمهورية.

٢٧. أسباب النزول، الواحدى النيسابورى، دار نهر النيل، القاهرة.

٢٨. كلمات القرآن تفسير وبيان، حسنين محمد مخلوف، دار المعارف.

٢٩. جامع البيان في متشابه القرآن، د.أبوسريع محمد أبوسريع، دار الطباعة المحمدية.

٣٠. موسوعة الحديث الشريف الإلكترونية.



نبذة عن المؤلف: فضيلة الشيخ فوزي محمد أبوزيد

۞ نبذة: ولد فضيلته في ١٨ أكتوبر١٩٤٨م، الموافق ١٥ من ذى الحجة ١٣٦٧هـ بالجميزة، مركز السنطة، غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

۞ النشاط: يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بمصر، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية.، كما يتجول بمصر والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة، وأيضا من خلال موقعه على الشبكة www.Fawzyabuzeid.com وهو أحد أكبر المواقع الإسلامية فى بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام مضت، وقد تم إفتتاح واجهة للموقع باللغة الإنجليزية.

۞دعوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، ٢- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.، ٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.

۞ هدفه : إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وبترسيخ المبادئ القرآنية.

۞ المساهمات الدعوية للشيخ بالإذاعة والتليفزيون : كان لفضيلته مساهمات أكثر من أن تحصى بالإذاعات كلها وبقنوات التلفزيون المصرى المتعددة مع العلم بأن الشيخ يرفض البرامج الخاصة أو برامج التوك شو التى تهدف للبلبلة والإثارة وتأليب الرأى واستغلال الحوادث أو تأجيج الفتن، وهو يرحب برامج وبقنوات التليفزيون المصرى والتى هى تعمل جادة على نشر الدعوة الوسطية والعصرية وتهدف إلى رأب الصدع وجمع الشمل وتوصيل الدعوة الهادفة بالأسلوب الجذاب والراقى.

و نذكر من تلك المساهمات على سبيل المثال لا الحصر :

أولا : خطبة وصلاة الجمعة : بعض الخطب على الهواء مباشرة منها :

*جمع من مسجد النور بحدائق المعادى بالقاهرة. الشيخ يخطب الجمعة الأولى من كل شهر بمسجد النور منذ أكثر من عشرين عاماً. * جمعة من مسجد الزاوية الحمراء بالقاهرة.

* جمعة من المسجد الكبير بمدينة بورفؤاد ببورسعيد.

ثانيا : البرنامج العام: *دعاء الصباح. * المجلة الدينية.

ثالثا : إذاعة القرآن الكريم: أمسيات دينية كثرة متعددة. خطبة وصلاة الجمعة على الهواء.من مساجد متعددة. خطبة وصلاة الجمعة بمسجد التليفزيون المصرى عدة مرات.

رابعا : إذاعة وسط الدلتا :* حديث الصباح. * الأمسية الدينية.

خامسا : إذاعة الشباب و الرياضة: * برنامج: عصافير الجنة.

سادسا : القناة الأولى بالتليفزيون: * برنامج من بيوت الله.

* برنامج فى زمرة النبى ﷺ.

سابعا : القناة السادسة: حلقات من برنامج السيرة العطرة.وبرنامج آيات محكمات.

ثامنا : القناة الثامنة: * حلقات من برنامج : لقاءات إيمانية .

تاسعا : القناة الثقافية:* برنامج فتاوى على الهواء.

عاشراً : إذاعة القاهرة الكبرى: * أمسيات دينية متعددة.

حادى عشر: القناة التعليمية : * حلقات برنامج أولياء الله الصالحون .

ثانى عشر: قناة القاهرة بالتليفزيون: حلقات من برنامج فقه المرأة وبرنامج جدد حياتك ولا يزالا مستمراًن إلى تاريخه.

۞ المساهمات الإعلامية والدعوية بكليات ومعاهد الجامعات و مراكز الشباب و الأندية الثقافية والجمعيات الدينية و الثقافية و العلمية :

أحيى الشيخ العديد من المناسبات الدينية والإحتفالات بالكثير من الجامعات بالوجه البحرى والصعيد، وكذا بالنوادى الرياضية والجمعيات والمستشفيات، والمراكز الثقافية والرياضية بالوجهين البحرى والقبلى، كما شارك وأحيى العديد من المناسبات بدعوات من عديد من المؤسسات الإجتماعية بالقاهرة ومختلف المحافظات، و دعى إلى عدد من إحتفالات الصلح بالصعيد على مدار سنوات كثيرة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

✡ قائمة مؤلفات الشيخ

المطبوعة حتى تاريخه ٢٤ مايو ٢٠١٨م

عدد خمس عشرة سلسلة تحتوى على ١٠٨ كتاب							
م	الكتاب (ط: طبعات، ت: ترجمة)	ط	ت	م	الكتاب (ط: طبعات، ت: ترجمة)	ط	ت
	السلسة الأولى : فى تفسير القرآن الكريم : ١٠			٤	نفحات من نور القرآن ١	١	
١٤	نفحات من نور القرآن ٢	١		٤٨	أسرار العبد الصالح وموسى	٣	
٩١	الآداب القرآنية مع خير البرية ﷺ	١		٩٣	أسرار خلة إبراهيم عليه السلام	١	
٩٦	تفسير آيات المقربين: ج١	١		١٠٢	تفسير آيات المقربين: ج٢	١	
١٠٣	حكمة لقمان وبر الوالدين	١		١٠٥	تفسير آيات المقربين : ج٣	1	
١٠٨	تفسير آيات المقربين : ج٤	١					
	السلسلة الثانية : الفقـــــه: ٩			٢	زاد الحاج والمعتمر	٣	
٥	مائدة المسلم بين الدين و العلم	٢		٥٢	كيف تكون داعياً على بصيرة	١	
٥٤	مختصر زاد الحاج والمعتمر	٢		٧١	الصيام شريعة وحقيقة	١	
٧٢	إكرام الله للأموات	١		٩٥	صيام الأتقياء	١	
١٠٠	دلائل الفرح بالرحمة المهداة	١		١٠٤	سنن الهدى	١	
	السلسلة الثالثة : الحقيقة المحمدية: ١١			٧	حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق	٤	
١٣	إشراقات الإسراء ج	٢		٢٢	الكمالات المحمدية	٢	
٢٣	الرحمة المهداة	٢		٣٣	واجب المسلمين المعاصرين نحوه ﷺ	٢	
٣٥	إشراقات الإسراء ج٢	١		٦١	السراج المنير	١	
٧٠	ثانى اثنين	١		٨٥	الجمال المحمدى ظاهره وباطنه	١	
٨٧	تجليات المعراج	١		٩٠	شرف شهر شعبان	١	
	السلسلة ٤ : من أعلام الصوفية: ٧			١	الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى	٢	
٣	الشيخ محمد على سلامه سيرة	١		٤١	المربى الربانى السيد أحمد البدوى	١	
٤٥	شيخ الإسلام إبراهيم الدسوقى	٢		٥٩	الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى	١	
٩٧	الإمام أبو العزائم، سيرة حياة	١		١٠٧	الشيخ عبد الرحيم القنائى ومدرسته	١	

السلسلة الخامسة : الدين والحياة: ٧			٢٦	إصلاح الأفراد والمجتمعات فى الإسلام	٢
٣٤	كيف يحبُّك الله	٤	٣٩	كونوا قرآنا يمشى بين الناس	٢
٥٠	قضايا الشباب المعاصر	١	٦٧	بنو إسرائيل ووعد الآخرة	١
٧٥	أمراض الأمة وبصيرة النبوة	١	٩٢	فقه الجواب أسئلة الموقع	١

السلسلة٦: الخطب الإلهامية للمناسبات : ٧			١٦	خطب المولد النبوى	١
١٧	خطب شهر رجب والإسراء والمعراج	١	١٨	خطب شهر شعبان و ليلة الغفران	١
١٩	خطب شهر رمضان و عيد الفطر	١	٢٠	الحج و عيد الأضحى	١
٢١	خطب الهجرة ويوم عاشوراء	١	٥٥	الخطب الإلهامية: مجلد مناسبات دينية:	٢

السلسلة السابعة: الخطب الإلهامية العصرية:١			٧٨	الأشفية النبوية للعصر	١

السلسلة الثامنة: المرأة المسلمة: ٥			٩	تربية القرآن لجيل الإيمان	١
43	المؤمنات القانتات	٢	٤٤	فتاوى جامعة للنساء	٢
74	الحب والجنس فى الإسلام.	١	١٠٦	المرأة المسلمة بين الإباحة والنهى	١

السلسلة التاسعة : الطريق إلى الله: ١٢			٦	طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين	٢
٢٥	طريق المحبوبين وأذواقهم	١	٢٨	المجاهدة للصفاء و المشاهدة	٢
٣٠	علامات التوفيق لأهل التحقيق	١	٣١	رسالة الصالحين	١
٣٢	مراقى الصالحين	١	٥٧	تحفة المحبين في عاشوراء للقاوقجى تحقيق	١
٦٠	نوافل المقربين	١	٦٤	أحسن القول	١
٧٩	دعوة الشباب العصرية للإسلام	١	٨٨	مجالس تزكية النفوس ج١	١
٨٩	مجالس تزكية النفوس ٢	١			

السلسة العاشرة: الأذكار والأوراد: ٧			٨	مفاتح الفرج	٦
١٥	أذكار الأبرار	١	٣٧	مختصر مفاتح الفرج	٥
٣٨	أذكار الأبرار صغير	٣	٤٠	أوراد الأخيار تخريج وشرح	٢
٥٦	نيل التهانى بالورد القرآنى	١	٧٣	جامع الأذكار والأوراد	٢

السلسلة ١١: دراسات صوفية معاصرة: ١٦			١٠	الصوفية و الحياة المعاصرة	١
١١	الصفاء والأصفياء	١	١٢	أبواب القرب ومنازل التقريب	١
٢٩	الصوفية فى القرآن والسنة	٣	٣٦	المنهج الصوفى والحياة العصرية	١
٤٢	الولاية والأولياء	١	٤٩	موازين الصادقين	١
٥١	الفتح العرفانى	١	٥٣	النفس وصفها وتزكيتها	١
٥٨	سياحة العارفين	١	٦٣	منهاج الواصلين	١
٦٥	نسمات القرب	١	٦٨	العطايا الصمدانية للأصفياء	١
٧٧	شراب أهل الوصل	١	٨٣	مقامات المقربين	١
٩٨	آداب المحبين لله	١			

السلسة الثانية عشر : الفتاوى: ٦					
٧٦	فتاوى فورية ج١	١	٢٤	فتاوى جامعة للشباب	١
٨٤	فتاوى فورية ج٣	١	٨٠	فتاوى فورية ج٢	١
١٠١	يسألونك	١	٨٦	فتاوى فورية ج٤	١

السلسة الثالثة عشر: أسئلة صوفية: ٣					
٦٩	الأجوبة الربانية للأسئلة الصوفية	١	٢٧	نور الجواب على أسئلة الشباب	٢
			٩٩	إشارات العارفين	١

السلسلة الرابعة عشر: حوارات مع الآخر: ٣					
٨٢	حوارات الإنسان المعاصر	١	٨١	سؤالات غير المسلمين	١
			٩٤	أسئلة حرة عن الإسلام والمسلمين	١

السلسلة الخامسة عشر: شفاء الصدور: ٤					
٤٧	بشائر المؤمن عند الموت	٣	٤٦	علاج الرزاق لعلل الأرزاق	٢
٦٦	بشائر الفضل الإلهي	١	٦٢	بشريات المؤمن في الآخرة	١

أين تجد المؤلفات

الخاصة بفضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد

إسم المكتبة	رقم الهاتف	القاهـــرة
مكتبة المجلد العربي	٢٥٩١٢٥٢٤	١١٦ شارع جوهر القائد الأزهر
مكتبة الجندي	٢٥٩٠١٥١٨	سوق أم الغلام ميدان الحسين
دار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ شارع الشيخ ريحان،عابدين
مكتبة جوامع الكلم	٢٥٨٩٨٠٢٩	١٧ الشيخ صالح الجعفرى الدراسة
مكتبة التوفيقية	٢٥٩٠٤١٧٥	١ عمارة الأوقاف بالحسين
بازار أنوار الحسين	٠١٢٢٧٤٧٥٩٣١	٢ زقاق السويلم خلف مسجد الحسين
مكتبة العزيزية	٢٥٩١٥٢٢٤	١١ ميدان حسن العدوى بالحسين
الفنون الجميلة	٢٥٩٠٠٧٨٦	١٣٠ شارع جوهر القائد بالدراسة
مكتبة الحسينية	٢٥٩٠٢٥٤١	٢٢ شارع المشهد الحسينى بالحسين
مكتبة القلعة	٢٥١٠٨١٠٩	١ شارع محمد عبه خلف الأزهر
مكتبة نفيسة العلم	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسة .
المكتب المصري	٢٣٩٣٤١٢٧	عمارة اللواء ٢ شارع شريف
الأديب كامل كيلانى	٢٣٩٦١٤٥٩	٢٨ شارع البستان بباب اللوق
مكتبة دار الإنسان	٣٣٣٥٠٠٣٣	١٠٩ شارع التحرير، ميدان الدقي
مكتبة مدبولى	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب
مدبولى مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	طيبة ٢٠٠٠، شارع النصر مدينة نصر
النهضة المصرية	٢٣٩١٠٩٩٤	٩ شارع عدلى جوار السنترال
هلا للنشر والتوزيع	٣٣٤٤٩١٣٩	٦ ش د. حجازي، خلف نادي الترسانة
المكتبة الأزهرية	٠١٠٠٥٠٤٢٧٩٧	درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر
مكتبة أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ شارع جوهر القائد الأزهر
المكتبة الأدبية الحديثة	٢٥٩٣٤٨٨٢	٩ شارع الصنادقية بالأزهر
مكتبة الروضة الشريفة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١شارع د.أحمد أمين، مصر الجديدة

الإســـكندرية		
محطة الرمل، أمام مطعم جاد	٠١٢٢٤٦٠٩٠٨٢	كشك سونا
محطة الرمل، صفية زغلول	٠١٠٠١٢٣٢٦٩٨	الكتاب الإسلامى
٦٦ شارع النبى دانيال، محطـة مصر	٠١١١٤١١٤٣٠٠	كشك محمد سعيد
٤ ش النبى دانيال، محطة مصر	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	مكتبة الصياد
٢٣ المشير أحمد إسماعيل، سيدى جابر	٠٣-٥٤٦٢٥٣٩	مكتبة سيبويه
محطة الرمل- أ/ أحمد الأبيض	٠١٢٨٨٣٤٣٥٥٥	الكشك الأبيض
الأقـــــاليم		
الزقازيق- بجوار مدرسة عبد العزيز على	محمد -------	كشك عبد الحافظ
الزقازيق – شارع نور الدين	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	مكتبة عبادة
طنطا- أمام مسجد السيد البدوى	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	مكتبة تاج
طنطا- ٩ش سعيد والمعتصم أمام كلية التجارة	٠٤٠-٣٣٢٣٤٩٥	مكتبة قربة
كفر الشيخ - شارع السودان أمام السنترال، أ/سامى أحمد عبد السلام	٠١٠٠٨٩٣٥١٨٢	كشك التحرير
المنصورة - شارع جيهان بجوار مستشفى الطوارىء أ/عماد سليمان	٠١٠٠٢٢٨٥٢٥٣	مكتبة صحافة الجامعة
المنصورة، عزبة عقل، ش الهادى، أ/عاطف يفدى	٠١٠٠١٤٢١٤٦٩	مكتبة الرحمة المهداة
المنصورة- شارع الثانوية بجوار مدرسة ابن لقمان، الحاج كمال الدين أحمد	٠١٠٠٥٧٣١٥٥٠	مكتبة صحافة الثانوية

صحافة أخبار اليوم	٠١٢٢٤٩١٧٧٤٤	طلخا – المنصورة- بجوار مدرسة صلاح سالم
مكتبة الإيمان	٠١٢٢٦٤٦٨٠٩٠	فايد- أ حماده غزالى بربرى
كشك الصحافة	٠١٢٢٧٩٦٠٤٠٩	السويس،ش الشهداء، ح حسن محمد
أولاد عبدالفتاح	٠٩٣-٢٣٢٧٥٩٩	سوهاج- شارع احمد عرابي أمام التكوين
كشك أبو الحسن	٠١٠٦٩٥١٨٦١٦	قنا- أمام مسجد سيدي عبد الرحيم القناوى
كشك القرايا- إسنا	٠١٠٠٨٦٩٨٦٦٤	القرايا- إسنا - ش السيدة زينب- الحاج محمد
كشك حسنى بإسنا	٠١١١١٤٩١٨٢٣	كشك حسنى محمد عبد العاطى المنسى أمام

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار والمكتبات الكبرى بجميع أنحاء الجمهورية، ويمكن أيضاً قراءة الكتب وتنزيل النسخ المطبوعة مجانا من موقع الشيخ www.fawzyabuzeid.com، أوعلى موقع www.askzad.com موقع الكتاب العربى. أو الناشر: دار الإيمان والحياة،١١٤ ش١٠٥ حدائق المعادي بالقاهرة،

ت: ٠٢-٢٥٢٥٢١٤٠، ف: ٠٢-٢٥٢٦١٦١٨

الفهرست

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

😐😐😐😐😐😐😐😐😐😐😐😐😐

تحت الطبع

تفسير آيات المناسبات

مراقى الصالحين (الطبعة الثانية)